



# مجلة المعرفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية  
تُعنى بنشر البحوث والدراسات الإنسانية والتطبيقية

## ■ المشرف العام

د. الطاهر أحمد الكري

## ■ مدير التحرير

د. جمال حسن الدعيك ●

## ■ رئيس التحرير

د. أسامة جمعة العجمي ●

## ■ هيئة التحرير

د. عياد مريحيل راشد - عضواً ●

د. خالد عبدالسلام دمج - عضواً ●

د. ابراهيم محمد الصغير - عضواً ●

د. طارق جمعة التومي - عضواً ●



مراسلات المجلة تكون على النحو التالي:

■ جمعية جبل نفوسة للتنمية/ الأصابعة/ الجبل الغربي

● هاتف: 0926459217 /0918130211/ 0918412998

● بريد مصور: 00218244562333 Fax:

● البريد الإلكتروني: sadaalmarifa@gmail.com

● رقم الإيداع المحلي: 2016/14 - دار الكتب الوطنية - بنغازي

حقوق النشر محفوظة لدى جمعية جبل نفوسة للتنمية/2017م

الآراء التي تُنشر في المجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها  
ولا تمثل وجهة نظر هيئة تحرير المجلة.

## قواعد وشروط النشر بمجلة صدى المعرفة

ترحب مجلة صدى المعرفة بالأبحاث والدراسات العلمية المبتكرة ذات العلاقة بالعلوم الإنسانية والتطبيقية التي تهدف إلى تعزيز المفاهيم والاتجاهات الرائدة في مجالات العلوم المختلفة بشكل عام، كما ترحب المجلة بالإسهامات الفكرية للباحثين والخبراء والمهتمين بحقول المعرفة المختلفة وبما يهدف إلى زيادة فعالية مؤسسات المجتمع.

### ■ يجب أن تلبى البحوث العلمية المقدمة للنشر الشروط التالية:

- أن تتضمن مادة البحث العلمي المقدم للنشر إنتاجاً جديداً أو ابتكاراً أو كشفاً أو تطويراً أو تعديلاً لابتكار، وقد تتضمن نتائج جديدة لمشروع بحث، أو تطبيقاً لطرق بحث أو تقنيات جديدة على الصعيدين: المحلي أو العالمي.
- ألا تكون مادة البحث العلمي قد نشرت سابقاً في أية دورية محلية، أو خارجية ويتعهد الباحث بمضمون ذلك في نموذج الإيداع الخاص بالبحث المقدم للنشر.
- تنشر البحوث العلمية باللغة العربية ويجوز نشر البحوث باللغة الانجليزية مع تقديم ملخص باللغة العربية لا يزيد عن 300 كلمة.

### ■ آلية النشر والتحكيم بالمجلة:

- تقدم نسختان من البحث على ورق A4 ، وألا تزيد عدد الصفحات عن 25 صفحة وتكتب العناوين بحجم 16 وبقية الفقرات بحجم 14 بصيغة (Simplified Arabic) مرفقة بنسخة على قرص CD. وألا يقل عدد صفحات البحث عن 15 صفحة، ولا يزيد عن 25 صفحة.



- يملأ نموذج خاص لتقديم البحث للنشر من قبل صاحب أو أصحاب البحث.
- يرسل البحث المقدم للنشر بسرّية تامة إلى محكمين متخصصين في مجال البحث، ويتم إخطار الباحث بملاحظات المحكمين ومقترحاتهم ليؤخذ بها، تلبية لشروط النشر في المجلة وتحقيقاً للأمانة العلمية المطلوبة.
- ينبغي الإشارة إلى جميع المصادر أو المراجع التي استشهد بها الباحث في بحثه في متن البحث بإبراز لقب المؤلف وسنة النشر ورقم صفحة الاقتباس بين قوسين، مثلاً: (العجمي، 2002: 50).
- يعطى الباحث (الباحثون) مدة أسبوعين كحد أقصى لإعادة النظر فيما أشار إليه المحكمون أو ما تطلبه هيئة التحرير من تعديلات، فإذا لم يعاد البحث ضمن هذه المهلة، أو لم يستجيب الباحث لما طلب منه، فإنه يصرف النظر عن قبول البحث للنشر.
- لا تعبر البحوث والدراسات المقدمة للنشر بالمجلة إلا عن رأي أصحابها ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة واللجان المشرفة عليها.
- ترتيب البحوث في المجلة لا يخضع لأهمية البحث أو مكانة الباحث، بل يتم الترتيب وفق الأسبقية في تقديم طلب النشر.
- البحوث المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

## أسرة التحرير المجلة



## الإفتاحيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا وحبیبنا محمد علیه أفضل الصلاة والسلام

وبعد

فأهو العدد السابع من مجلتكم المحكّمة (صدى المعرفة)، يرى النور من جديد، محملاً بسبعة عشر بحثاً في العلوم الإنسانيّة والتطبيقيّة، من أساتذة أكاديميين بمختلف الجامعات والمعاهد والمراكز العليا بليبيا الحبيبة، ومشاركة متميزة من جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة.

وقد اتجهت هذه المجلة منذ صدورها إلى نشر البحوث العلميّة الجادة القائمة على تأصيل منهج البحث العلمي في رصد القضايا العلمية وطرق تناولها، ومناهج التفكير في علاج المشكلات، وتحكيم المنطق في التعامل مع ما يُستجد من أحداث وقد استطاعت المجلة - بحمد الله - في عددها السابع وعامها الرابع، أن تُوحد شبكة من العلاقات بين: القُراء والباحثين، وسنحافظ - بإذن الله تعالى - على روح البحث الجاد ودعمه، ونتطلع في الوقت نفسه إلى آفاقٍ أرحب، وميادينٍ أوسع.

وختاماً: نشكر كل من أسهم في إخراج هذا العدد إلى حيّز الوجود، من أساتذة أكاديميين،

ومحكّمين، وهيئة تحرير المجلة.

أسرة تحرير المجلة



## محتويات العدد

أولاً / البحوث باللغة العربية:

الصفحة

الموضوع

الدور المعرفي لمراكز البحوث الاجتماعية والإنسانية في المجتمع العربي

■ د. أسامة إسماعيل عبد الباري

1

تحية الإسلام أحكامها وآدابها

■ د. خالد العربي الفرجاني

19

مدى اعتماد الإدارة الضريبية في عملية الفحص على الإقرار الضريبي

المعتمد من قبل المراجع الخارجي

■ د. مسعود محمد امريود

32

البحوث العلمية بين الجودة والتميز: (مفاهيم ومنطلقات)

■ أ. بسمة صالح الشخي

■ د. محمد فرج رحيل

56

علم الشروط الشرعي وعلاقته بالعلوم الأخرى

■ د. يوسف سعد التركي

80

تطور استعمالات الأراضي الحضرية في مدينة يفرن -1980-2010

■ أ. أحسان علي الأشهب

■ د. شرف الدين أحمد سالم

99

دور الجامعة في خدمة المجتمع: الوظيفة الثالثة للجامعة الأهداف والواقع

115

■ د. إبراهيم محمد الأشر نصر

الاستراتيجية الإيطالية في تأكيد أسس الاستيطان وبرامجه على الأرض  
الليبية (-1911 1943 م)

133

■ د. موسى محمد دبوته

صعوبات التعلم النمائية وعلاقتها بالسلوك المشكّل لدى أطفال الروضة

164

■ أ. وليد كريم المنتصر فرفر

المواطنة وآليات تعزيزها في المجتمع الليبي

184

■ أ. إبراهيم عبدالله مسعود زايد ■ أ. صبحي ميلود عبدالحفيظ

ظاهرة الربط وتأثير الجوار في العربية: (القراءات القرآنية أنموذجاً)

207

■ د. محمد عبدالسلام الفقي

إعادة النظر في استراتيجيات الوقاية من جرائم تعاطي الخمر والمخدرات

والمؤثرات العقلية

219

■ أ. وسام أحمد سالم البكوش



الصفحة

الموضوع

الصلة بين الوظيفة النحويّة، والدلالة اللغويّة ومدى تفاعلها في فهم النص وكشفه

249

■ د. عبدالكريم جمعة سلامة

مصطلح الصغير وأبعاده الدلالية

262

■ د. عباد مريحيل راشد

معوقات التنمية الحضرية بمدينة يفرن وآفاق التوسع العمراني المستقبلي

281

■ د. إبراهيم محمد الصغير ■ أ. فاتح إبراهيم الكماشي

ثانياً/ بحوث باللغة الانجليزية:

Contents

Pag N.O

**Accumulation of proline in Willow and Poplar genotypes under some heavy metals stress and diesel fuel**

■ D . Ahmed Farag Tumi

1

**Analysing Grammatical Errors Arising From Using Literal Translation of English Media Texts into Arabic**

■ Abdulmajeed M. Almoqataf

14

# الدور المعرفي لمراكز البحوث الاجتماعية والإنسانية في المجتمع العربي

أ.د. أسامة إسماعيل عبد الباري\*

## ملخص البحث

تهدف هذه الورقة إلى مناقشة واقع الدور المعرفي لمراكز البحوث الاجتماعية، والإنسانية في المجتمع العربي في ضوء جدليات علم اجتماع المعرفة من خلال الكشف عن أبرز العوامل الداعمة، والمعوقة للقيام بدور تنويري فاعل على مستوى الواقع الاجتماعي، كما تسعى الورقة إلى تحليل الحالة المعرفية لمراكز البحوث كنتاج للتفاعل الجدلي بين الأبعاد المؤسسية، أنماط الباحثين المنوط بهم إجراء البحوث، والدراسات من جهة، ووضعهم كأفراد داخل المجتمع خاضعين للنظام الاجتماعي العام، وأخيرا فإن الورقة تهدف إلى محاولة استشراف مستقبل مراكز البحوث الاجتماعية، والإنسانية ومتطلبات تصحيح هذا الواقع من خلال تقديم تصورات مقترحة لعل أهمها يتمثل في تشكيل هيئة تنسيقية بين كافة المراكز بهدف تبادل الخبرات عبر مؤتمر دوري هادف لتنظيم أجنادات بحثية تلائم طبيعة الواقع الاجتماعي، العربي وتخرج بنتائج لها دلالاتها المعرفية والاجتماعية.

## مقدمة:

إن الهدف من إنشاء مراكز بحوث إنسانية، واجتماعية يتحدد في أداء دور تنويري يتمثل في الوصول عن طريق البحث العلمي إلى نمط من المعرفة الموثوق فيها بفعل انتهاج أدوات نظرية، ومنهجية تحلل، وتدرس الواقع الاجتماعي، وتخرج بنتائج لها دلالاتها العلمية والاجتماعية.

والورقة الراهنة تحاول أن ترصد واقع المراكز البحثية في التخصصات الاجتماعية، والإنسانية للتعرف على قدرتها في أداء أدوارها المعرفية للإسهام في بناء اجتماعي معرفي قادر على التعايش مع المستجدات المعاصرة.

ولعل أهمية هذه الورقة تتحدد من الناحية الأكاديمية في التعرف على مدى الملاءمة النظرية، والمنهجية المتبعة في مراكز البحوث مع طبيعة الموضوعات المطروحة في الأجندات البحثية لهذه المراكز، وتتحدد الأهمية المجتمعية في محاولة الوصول إلى مجموعة من التوصيات، والمقترحات التي من شأنها أن تسهم في محاولة تصحيح طبيعة الدور الواقعي للمنتج المعرفي لهذه المراكز لتحقيق التجانس مع توجهات المجتمع العربي، وثقافته الراهنة من جهة، والانطلاق نحو صياغة سياسات اجتماعية تطبيقية تحقق أهداف التنمية من جهة أخرى.

إن تحقيق هذه الأهمية يرتبط بتحقيق الهدف الرئيس من الورقة والذي يتحدد في التعرف على الفرص المتاحة، والمعوقات الراهنة أمام مراكز البحوث الاجتماعية، والإنسانية في العالم العربي.

وهذا الهدف الرئيس يتضمن أهدافاً فرعية تتمثل في:

- 1 - التحليل السوسولوجي للدور الوظيفي لمراكز البحوث الاجتماعية والإنسانية.
- 2 - تحليل المنتج المعرفي لمراكز البحوث الاجتماعية والإنسانية.
- 3 - تحليل القدرات النظرية، والمنهجية في سبيل إعادة إنتاج المعرفة العربية.
- 4 - استشراف مستقبل المراكز البحثية في المجتمع العربي.

وفي ضوء ما سبق فإن الورقة تتناول حواراً نظرياً جدلياً بين آراء مجموعة من المنظرين السوسولوجيين أمثال «فيبر، زنانكي، بورديو» بهدف التعرف على السياق الاجتماعي الممهد لإنتاج معرفة واعية.

## أولاً: التحليل السوسيولوجي للدور الوظيفي لمراكز البحوث: (مقاربة نظرية)

إن ميدان البحث الاجتماعي يجسد نتاجاً للأوساط الأكاديمية المعنية بدراسة، وتحليل الواقع الاجتماعي والتي يغلب عليها الطابع المؤسسي المحكوم بتصورات، وأيديولوجيات تؤثر على تفاعل الباحثين مع القضايا المدروسة. وهذا يطرح مسألة التناغم الفكري بين أيديولوجيا الباحثين، أيديولوجيا البنية الأكاديمية، والأيديولوجيا السائدة في الواقع الاجتماعي، فمسألة التصارع بين الأيديولوجيات لا بد وأن تترك آثارها على المضمون المعرفي للمنتج البحثي. فهل يستطيع الباحثون التحرر من أسر أيديولوجيا النظام الاجتماعي العام، أو المؤسسة البحثية التي يعملون من خلالها؟ وإذا استطاعوا ذلك فهل المنتج البحثي ذاته يستطيع التعبير عن مفردات الواقع بصورة موضوعية؟ أم أن ذاتية الباحث سوف تفرض نفسها؟

إن «ماكس شيلر» كان يؤكد «أنه لا يوجد أدنى شك في الطابع السوسيولوجي لكل معرفة علمية، ولكل أشكال الفكر، الحدس والمعرفة». وفي الواقع، فإن سوسيولوجيا المعرفة، وضعت لنفسها هدفاً أولياً يتمثل في إقامة قانون وضعي يعبر عن الطريقة التي بها «تتم فصل العوامل المثالية، والوضعية التي تحدد كل محتوى للحياة الجماعية للزمر، أو الجماعات البشرية.

ويتصور «فلوريان زنانكي» أن منظر المعرفة ليس موضوعه دراسة الأبعاد المختلفة للإدراك المعرفي من وجهة نظر مطلقة، وإنما دراستها كما تقدم نفسها تاريخياً للبشر الحقيقيين. وفي موضوع العلم، فإن المطلوب بحسب «زنانكي» هو دراسة العلاقة بين القيم المعرفية، ونتائج البحث، ودراسة التبعية المتبادلة بين تطور التقنيات الأداتية وتطور المعارف العلمية، وبالتحديد أكثر ما يسميه «التعيين الاجتماعي للنشاط المعرفي» (دوبوا، 2008: 36 - 41).

إن مراكز البحوث الإنسانية والاجتماعية محكومة بهدف رئيس يتحدد في إبداع الإنتاج المعرفي الذي يدرس الواقع الاجتماعي ويشخص مشكلاته، وي طرح حلولاً علمية لتجاوز إشكاليات هذا الواقع، ولتحقيق هذه الوظيفة المزدوجة من الناحيتين الأكاديمية، والاجتماعية، فقد حدد «ميرتون» شروطاً معيارية، وأخرى ثقافية للإبداع العلمي مركزاً على «أخلاقيات، أو تقاليد عمل العلماء»، وهي تتخذ مركباً متناغماً من القيم، والمعايير المرتبطة بالمشغل بالعلم، كما تجسد قانوناً داخل بيئة مؤسسات إنتاج الإبداعات العلمية،

وقد حدد هذه المعايير في: العالمية والعمومية، والنزاهة، والشك المنظم، والأصالة، أو العقلانية، والاستقلالية، وقد اعتبرها «ميرتون» نواميس منهجية للإبداعات العلمية، وموجهات للسلوك العلمي، كما أدرك المؤثرات الاجتماعية والثقافية، والعداءات الدائرة ضد العلم من خلال تحليله للبناء الاجتماعي لإعادة استثمارها لإنتاج معارف جديدة، والحصول على المزيد من المصداقية (جودة، 2011: 37-38).

وهذا يطرح مجموعة من التساؤلات التي تتعلق بنوعية الجماعة الأكاديمية السائدة في المجتمع، ومدى تناغمها مع الأهداف المؤسسية لمراكز البحوث التابعين لها، وهل هذا التناغم يثمر إنتاجاً معرفياً له نتائج الملموسة على أرض الواقع، أم لا؟! فمن المعلوم أن مراكز البحوث لكي تؤدي أدوارها المعرفية في المجتمع لا بد أن تمتلك مجموعات متنوعة من الموارد، منها البشرية بشقيها الأكاديمي، والإداري، فضلاً عن الموارد المادية المحكومة بطبيعته المؤسسية سواء كانت حكومية أم أهلية، إلا أن الدور المعرفي محكوم بشكل مباشر بنوعية الجماعة الأكاديمية صاحبة اليد الطولى في عملية الإنتاج المعرفي عبر إنجاز البحوث العلمية.

إن هذه التساؤلات تفرض التمييز بين أربعة نماذج من العلماء، الأول - يتمثل في العالم المتأسس بقوة الجامعة، أو مركز البحوث، ولهذا يسعى إلى الحصول على اعتراف مؤسساتي لتجنب مخاطر التهميش، والنمط الثاني هو المنظر الكلاسيكي الذي يحصل على الاعتراف من خلال عمله في إطار حقل عام نوعي جداً، حيث يناقش من منظور نقدي من أجل المجتمع بشكل عام، فهو بالنسبة للسلطة القائمة يمثل ناقداً؛ لأنه يفتح آفاقاً مستقبلية ممكنة مما يعني تجاوز الوضع القائم.

والنمط الثالث يشير للعالم الإستعراضي، أو الإعلامي الذي هو حصيلة الصناعة الثقافية ساعياً نحو البحث عن جمهور عريض، وسلطة رمزية كبرى، لذلك فآليات الصناعة الثقافية هي المحددة لأعماله، والنمط الأخير هو نموذج الخبير - وهو اليوم - أكثر شيوعاً وهو ملتزم بتعاقدية البحث والمهنية المتنامية في العلوم الاجتماعية التي تضغط بقوة على الأنظمة المعرفية (سبورك، 2009: 26-30).

إن تحليل الأنماط السالفة من منظور علم اجتماع المعرفة يجسد بوضوح الدور الوظيفي لمراكز البحوث الاجتماعية والإنسانية من خلال الفواصل الدقيقة بين نوعية الأكاديميين، وانعكاس هذه النوعية على المحتوى البحثي ودلالاته المعرفية، فالأدوار المتباينة لكل من



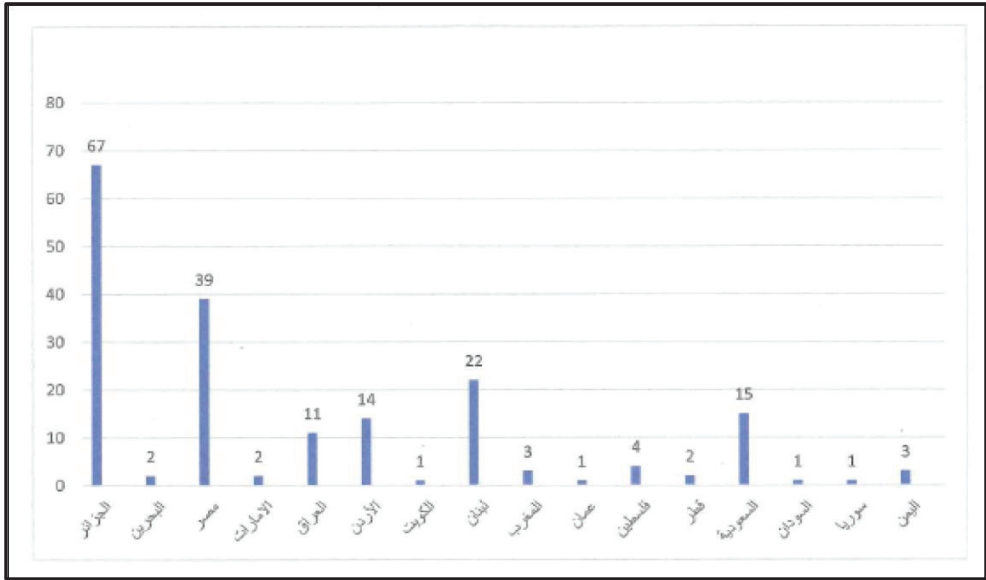
( العالم - المنظر - الاستعراضى - الخبير) - على الرغم من تداخلها في أحيان كثيرة - إلا أنها تحدد طبيعة الدور الوظيفي من حيث العلاقة بالنظام، والمؤسسة البحثية، كما تحدد البحوث المنتجة من حيث الأهداف، والرؤية المنهجية الحاكمة لها . بل إن الأمر يتعدى أكثر من ذلك من خلال التركيز على قضايا بحثية بعينها ليس بالضرورة أن تعبر عن الاشكاليات الحقيقية في المجتمع.

وإزاء هذه الأنماط المتعددة للمتعاونين مع مراكز البحوث من الأكاديميين فإن التغيير المؤسسي الرئيس إنما يقع نتيجة صدمات خارجية بدلاً من تطور داخلي، ويتمثل الشيء الأهم على مدى القرنين الماضيين في التفاعلات العاصفة بين المجتمعات المتقدمة إقتصادياً، والمجتمعات المتخلفة. حيث تسببت هذه التفاعلات في حدوث اضطرابات اجتماعية عميقة داخل المجتمعات المتخلفة التي دمرت حالة التوازن الاجتماعي الداخلي، وقد تفضي حالة الاضطراب إلى إعادة توجيه المؤسسات الاجتماعية وجهة جديدة (سكس، 2009: 100). وبفعل هذه الحالة فإن الموقف من الدور الوظيفي لمراكز البحوث يفتح المجال للتساؤل عن طبيعة الدور من حيث كينونته التحليلية النقدية أم الراديكالية التغييرية أم المحافظة التكريسية.

ويعبر «روبرت كاستل» عن هذا الموقف. ففي نص عنوانه «عالم الاجتماع والطلب الاجتماعي» يذكر بأن من الواجب أن تكون واحدة من غايات علم الاجتماع الرئيسية التكفل بما «يمثل مشكلة للناس» بصفة ملموسة، حيث يفترض في بناء موضوعات البحث أن تتضمن القضايا التي تخترق الحياة الاجتماعية من قبيل البطالة، والهشاشة وشروط الحياة في الضواحي، والمسائل العائلية، أو التربوية... إلخ، وتمثل هذه الانشغالات الاجتماعية بالنسبة له «مظاهر إشكالية عامة» يتوجب على علماء الاجتماع أن يشتغلوا عليها في المقام الأول بغية الإدلاء بما يجب عنها عملياً ونظرياً (بوغام، 2012: 144).

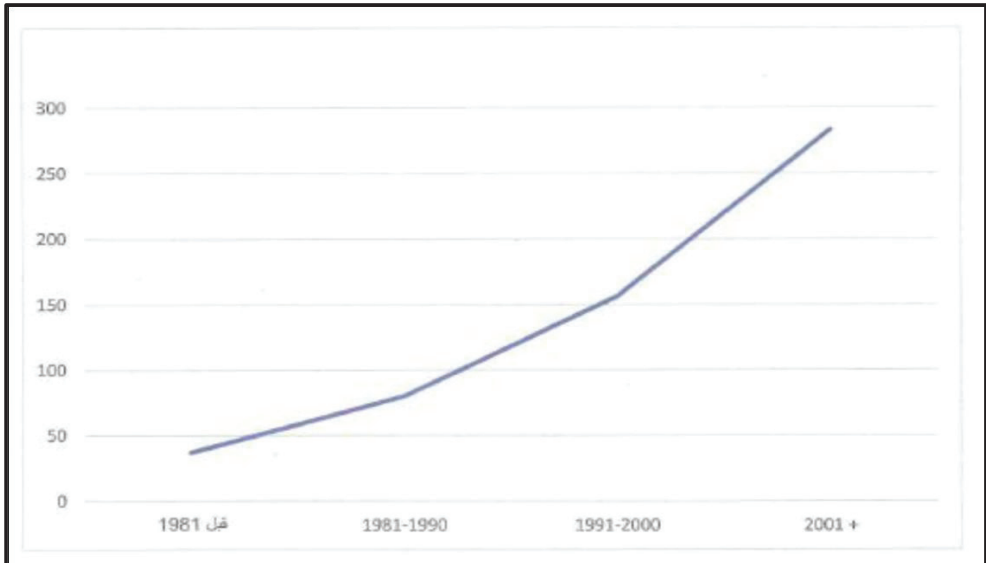
من هنا يمكن القول أن المشكلة البادية للعيان، تلك التي تطرحها العلوم الإنسانية على بساط البحث، هي أن المرء لا يدرك بشكل صحيح طبيعتها إذا قاسها بمقياس معرفة متقدمة على نحو منتظم. ولا يمكن لتجربة العالم التاريخي الاجتماعي أن ترقى إلى مرتبة علم عن طريق الإجراء الاستقرائي للعلوم الطبيعية (غادامير، 2007: 51).

وهذا ما يفتح المجال للتحري عن الحضور المؤسسي للعلوم الاجتماعية والإنسانية سواء في الجامعات أو المراكز البحثية.



شكل (1) عدد مراكز البحث في الجامعات العربية

\*المصدر: ملخص التقرير الأول: أين هي العلوم الاجتماعية في العالم العربي. مرصد العلوم الاجتماعية. مارس 2015



شكل (2) عدد مراكز البحث في العالم العربي

\*المصدر: ملخص التقرير الأول: أين هي العلوم الاجتماعية في العالم العربي. مرصد العلوم الاجتماعية، مارس 2015.

إن النظرة التحليلية لتواجد مراكز البحث في الجامعات ( شكل رقم 1 ) تشير إلى احتلال كل من الجزائر ومصر، ثم لبنان، والسعودية أعلى النسب، وهذا طبيعي كنتاج للعدد السكاني أولاً، ولعدد الجامعات، وأقدميتها ثانياً، إلا أن غالبية الدول العربية لا تضم أكثر من عدد 4 مراكز بحثية كما هو واضح في فلسطين، في حين أن غالبية الدول العربية لا تحوي أكثر من مركزين بحثيين بالجامعات. وبطبيعة الحال فإن توصيف الجامعات في غالبية هذه الدول يرتبط بالتوصيف الحكومي، وهو ما يعني أن الإنتاج المعرفي محكوم بأيدولوجيا النظام المؤسسي للجامعات. وكنتيجة لهيمنة الطابع الحكومي على معظم الجامعات العربية، فإن الوظيفة الأساسية التي تمارسها ترتبط بالطابع التدريسي أكثر من الوظيفة البحثية، كما أن النشاط البحثي يغلب عليه الطابع الفردي لأغراض الترقية الأكاديمية، بالإضافة إلى غياب العمل البحثي الجماعي في ظل تباين الاتجاهات والأيدولوجيات بين المشتغلين بالعلوم الاجتماعية، الأمر الذي ينعكس على محتوى المنتج المعرفي للأنشطة البحثية بحيث يمكن وسمها بالفردانية والنزوع نحو التخصصية الدقيقة، وتوظيف نظريات، ومناهج، وأدوات تتفق مع توجهات الباحثين المحدودة أكثر من ارتباطها بموضوعات كبرى تحتاج إلى تحليلات ماكروسوسيولوجية تتطلب فرق عمل متخصصة لإنتاج دراسات ميدانية معمقة تتناول قضايا، وإشكالات المجتمع ككل.

وفيما يتعلق بمراكز البحوث غير التابعة للجامعات (شكل رقم 2) فإن الملاحظ أن هناك تنامياً في أعدادها، وشهدت تطوراً كبيراً بفعل بروز مؤسسات المجتمع المدني، واستقطابها للباحثين، وللأكاديميين للعمل من خلالها كخبراء، وتسعى هذه المراكز إلى التواجد على الساحة المجتمعية من خلال البحوث الميدانية والمسوح الاجتماعية، إلا أنها - بالرغم من تحررها من الطابع الرسمي - محكومة بأدوات رقابية، قيود تمويلية، تعقيدات إدارية، ومع ذلك فإنها بالفعل تنحو باتجاه المشكلات المعاصرة ذات الأبعاد الداخلية والخارجية. لذلك يغلب على هذه النوعية من المراكز التوجه نحو اجراء الدراسات، والبحوث السياسية، والاقتصادية تماشياً مع الأحداث السائدة، والمتجددة في المجتمع العربي. وهذا ما يفتح المجال للتساؤل عن الجهات المهيمنة على هذه المراكز، وأغراضها البحثية، فضلاً عن محتوى المنتج البحثي، وتطبيقاته المعرفية. وهذا يثير النقاش حول آليات العمل، ومدى الخضوع لأيدولوجيا النظام السائد، والطبيعة النقدية للمنتج المعرفي.

## ثانيا تحليل المنتج المعرفي لمراكز البحوث:

تمر «دورة المعرفة» بثلاث مراحل رئيسية هي: «توليد المعرفة» بالبحث، والإبداع، والإبتكار، و«نشرها» بالتعليم والتدريب، و«توظيفها» في تقديم منتجات وخدمات جديدة، أو مطورة في مجالات التنمية، عندما يضاف إلى هذه الدورة بعد التكنولوجيا، تتزايد الدورة المعرفية لتصبح أربع مراحل وهي: إنتاج المعرفة، ونشر المعرفة، وتوظيف المعرفة وتحويلها للحصول على منتوجات، وخدمات جديدة. وعندما يتحقق للمجتمع القدرة على إنتاج المعرفة الجديدة وتوليدها، ونشرها في أوعية النشر العالمية، والحصول على قدر وافر من براءات الاختراع ينقل هذا المجتمع، أو ذاك إلى ما يسمى مجتمع المعرفة (جودة، 2011: 13). تدرج دعوة العالم في سيرورة العقلنة التاريخية. لا يمكن للحقيقة العلمية التي إليها يصبو العالم الاجتماعي مثله مثل أي رجل علم، أن تقوم إلا بشرط الاعتراف في الآن ذاته بالطبيعة اللامحدودة للمعرفة بما يحيل على «لاتأهي العلم»، واستهداف الموضوعية لإنجاز ملاحظة متجردة يسلطها على السياسي الذي تتعلق دعوته بالضبط بفعل متوافق مع معتقدات وقيم.

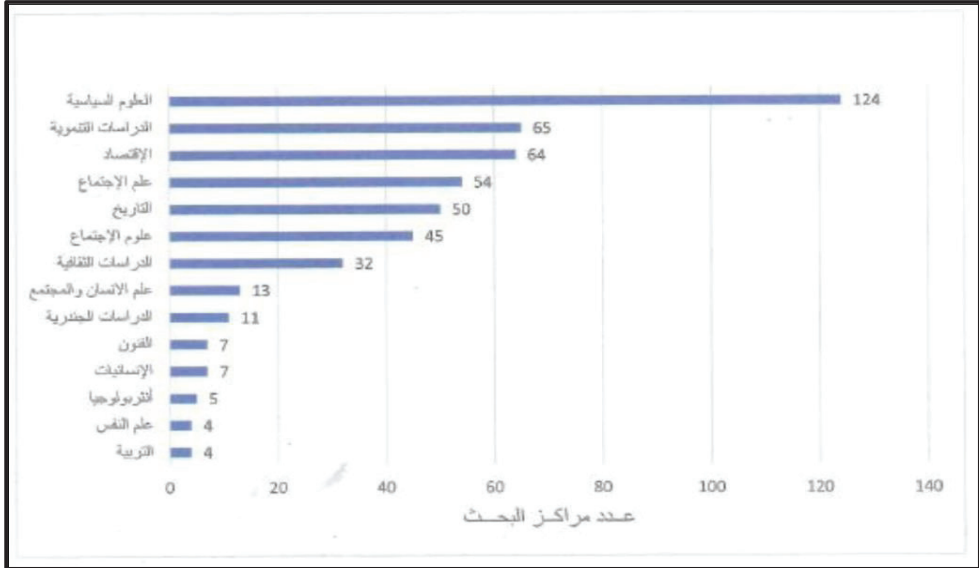
إنّ المنتج المعرفي لمراكز البحوث يتجاذبه طرفان متناقضان، وأعني بهما الضوابط العلمية والقيود السياسية، ويستتبع هذا التجاذب بروز النزعة التوفيقية، أو التليفية التي تحاول جاهدة أن تراعي الالتزام بالحدود العلمية، وفي الوقت ذاته تسعى إلى عدم الصدام مع التوجهات السياسية العامة، وينتج تبعا لذلك الإغراق في اللغة العلمية والقيود المنهجية، والمفاهيمية دون تقديم رؤى تطبيقية حقيقية - اللهم إلا على استحياء - وهذا ما يدفع إلى التراجع عن الدور المجتمعي الفاعل لمراكز البحوث الانسانية، والاجتماعية، والنظر إليها بعين الشك، والتربص سواء من الأكاديميين النقيدين أم من الأنظمة السائدة. وينتهي هذا التمييز الجذري بين دعوة العالم ودعوة السياسي إلى التأكيد على أن العلم ملزم بمراعاة حياد أكسيولوجي لا يلين. لا يعني ذلك أن على أحكام القيمة أن تنعدم في التحليل العلمي الاجتماعي، إذ هي - على النقيض من ذلك - من مكونات علم الاجتماع التفهمي (بوغام، 2012: 194).

إن كلمة «فهم» كلازمة للعمل السوسيوولوجي تردنا إلى سوسيوولوجيا «ماكس فيبر (التفهمية) أو (المتفهمة) التي أصبحت منذ زمن طويل عبارة عن صيغة مشوشة. إن الطموح إلى «الفهم» فقد الدقة التي كان ينسبها إليه. العلم، الإدراك، المعرفة، الفهم،

العقلنة..... إلخ، كل هذه المصطلحات تشوشت أكثر فأكثر في إطار خليط خطابي كبير حول البعد الاجتماعي المظلم، وغير القابل للسيطرة على المستوى الذهني كما على مستوى الممارسة الاجتماعية.

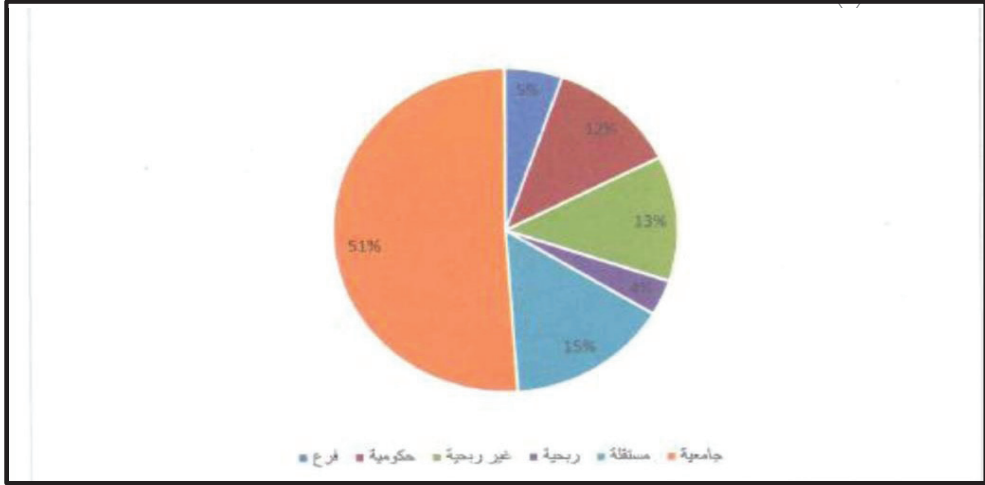
لقد كان «ماكس فيبر» يعتبر أن «ليس للسياسة مكان في قاعة الدرس في الجامعة». كان يقصد أن على الباحثين في العلوم الاجتماعية، وعلماء الاجتماع منهم خاصة، أن يمسكوا عن اتخاذ المواقف السياسية العلمية، وإن ظل التحليل العلمي للبنى السياسية، ووجب أن يظل طبعاً مما يشمله اختصاصهم. مازال هذا التمييز بين الأدوار نافذاً اليوم، والجميع يستبطنونه إلى حد ما، وتبدو هذه القاعدة مفروغاً من أمرها إلى الحد الذي لم تعد فيه بحاجة إلى مناقشة حقيقية.

ووفقاً لذلك تبدو هيمنة فكرة التحريم على التابوهات البحثية أو ما يطلق عليها ( قضايا المسكوت عنه )، وأعني بها ثلاثية السياسة، والدين، والجنس، فالاتجاه نحو دراسة هذه القضايا يتم عبر رؤية بحثية محكومة بأيديولوجيا النظام، أو المؤسسة البحثية بأدوات تليفقية، ونزعة تخصصية مفاهيمية ضيقة، أو يتم التعامل معها بمنطق التغافل إثارة للسلامة.



شكل (3) عدد مراكز البحث حسب التخصصات

\*المصدر: ملخص التقرير الأول: أين هي العلوم الاجتماعية في العالم العربي. مرصد العلوم الاجتماعية، مارس 2015.



شكل رقم (4) مراكز البحث حسب النوع

\*المصدر: ملخص التقرير الأول: أين هي العلوم الاجتماعية في العالم العربي. مرصد العلوم الاجتماعية، مارس 2015.

إن عملية تحليل المنتج المعرفي مرهونة بالنظر إلى التخصصات الخاصة بالمراكز البحثية (شكل رقم 3) وهو ما يشير إلى هيمنة مراكز البحوث المرتبطة بالعلوم السياسية في العالم العربي، بفعل التغيرات السريعة والمتلاحقة، إلا أن ذلك لا بد أن يقارن بنوعية المراكز من حيث مدى استقلاليتها للقيام بدور نقدي.

من هنا ينبغي النظر إلى الدور الوظيفي للمراكز البحثية التي احتلت المراكز الأولى (علوم سياسية - دراسات تنموية - إقتصاد) هل بالفعل قدمت حلولاً تطبيقية للمشكلات المتنوعة المحيطة بهذه القضايا في المجتمع العربي؟ وهل تم الأخذ بنتائج البحوث التي قدمتها؟ بل إن الواقع يشهد تنامي هذه المشكلات بوتيرة متسارعة بشكل أكبر من تنامي المراكز البحثية، ومنتجها المعرفي. الأمر الذي يدفع للتساؤل عن مكنم الإشكالية؟ هل يتحدد في الدور الوظيفي لهذه المراكز؟ أم في أدواتها؟ أم في الواقع الذي لا يتقبل أداءها لأدوارها؟

فالمشتغلون بالعلم عليهم الانطلاق من رؤية «غرامشي» التي تعبر عن التفرقة بين وظيفة المفكر في المجتمع وهي تختلف عن وظيفة التفكير التي يقوم بها الأشخاص العاديين، فالمفكر اليوم عليه أن يصبح من الهواة، أي أن عليه أن يعتبر أن انتماءه إلى مجتمع من المجتمعات، بصفته فرداً يفكر ويهتم بما يهم المجتمع، يمنحه الحق في إثارة القضايا الأخلاقية التي تنشأ حتى في صلب اشتغاله بأشد المسائل التقنية (سعيد، 2006: 142).

ويمكن الجزم بأن الدور الملموس لهذه المراكز في المجتمع العربي مازال محدوداً، فأكثر من نصفها (51%) تابعة للجامعات، وتوجهاتها مع إضافة نسبة (15%) منها لمراكز حكومية، في حين لا تزيد المراكز المستقلة عن (15%) من إجمالي عدد المراكز البحثية في الدول العربية.

### ثالثاً: تحليل القدرات النظرية والمنهجية:

من المعلوم أن تطور المعرفة الاجتماعية يرتبط بنتاج الدراسات، والمناهج الكيفية، كما تدل على ذلك المناهج الفلسفية، والتاريخية، والاجتماعية، وما يعرف بمنهج الفهم التفسيري، لذلك انتقد «هوسرل» النزعة الوضعية التي هيمنت على العلوم الاجتماعية الأوروبية من حيث فهمها الضيق للعلم (الأحمد، 2007: 150).

والواقع أن هناك إدراكاً بأن وضع سياسة فعالة يتطلب قاعدة متينة للمعرفة الاجتماعية – الاقتصادية والثقافية. كما أن هناك مطلباً هائلاً للأدلة مستمداً من بحوث العلوم الاجتماعية، ومع ذلك فإنه يبدو أن هناك انفصاماً وعدم توافق بين الطلب من المجتمع، والعرض من العلوم الاجتماعية ومن ثم، فإن الأمر يقتضي إعادة تقييم الطريقة التي تعمل بها العلوم الاجتماعية، ودورها في المجتمع (كازا، 2003: 23-26).

فعلم الاجتماع مثلاً يستخدم عدداً من المقاييس من أجل التحقق من هوية مجموعة ما، وتميزها، لكن هذه المقاييس وهذا التمييز يشكل بذاته أيضاً ذريعة للغموض، فغياب الوضوح في العلاقة بين الشرح ومعناه خطير هنا بشكل خاص. وزيادة على ذلك فإن المقاييس تعد لاحقة لتشكيل المجموعة، ولا تتوصل لأن تأخذ بالحسبان نمو وظائف المجموعة، وتحولاتها اللاحقة (بوسينو، 2008: 114).

إن عملية تحليل القدرات النظرية، والمنهجية مرهونة بمنطق الفهم الذي يتضمن معنيان: الأول، هو المعرفة التي تحيط بكل ما نستطيع أن نتصوره بشكل ملموس، أو بكل ما نستطيع إدراكه بشكل مباشر من طريق التماثل. وهكذا، يكون التصور مفهوماً لأنه يوفر معرفة في الفعل الذي يطلق تماثلاً مع الظاهرة المدركة. والفهم، بالمعنى الثاني، هو النمط الأساسي للمعرفة في كل وضع بشري يقتضي الذاتية والعاطفية، وهي بشكل رئيسي أكثر في كل الأفعال والمشاعر والافكار، لدى كائن ينظر إليه كفرد وفاعل (موران، 2012: 214).

لهذا تطل علينا أنماط من البحث الاجتماعي التي تسعى إلى عملية تحليل الواقع باستخدام أدوات تليفقية لتحديد دور للعلم الاجتماعي داخل مجتمعاتنا، فعملية تمييز

الأفراد، والجماعات، والمنظمات لها العديد من النتائج المرتبطة بعلاقات القوة داخل المجتمع، ولذلك ففي صراع الفاعلين الاجتماعيين (الباحثين) لتحقيق الشرعية يبدو سعيهم نحو عملية التحديد العلمي المجرد، ويتفادون التحديد السياسي عن طريق التقيد بالظروف الموضوعية بشكل صارم لتحقيق قدر من التوافق، وعدم الانعزال عن المجتمع. (Dupois, F. 2004: 119)

- إن "علم العلم" يحدد المحاور الكبرى للبحث المطلوب في ثلاثة محاور أساسية:
- 1/ المسائل الإبيستمولوجية، والميثودولوجية الملازمة للبحث العلمي: معايير التقويم، الطرائق، التصنيفات ... إلخ
  - 2/ الأصل النفس - اجتماعي للمساهمات العلمية: الدوافع الكامنة خلف الاختيارات بشأن الموضوع والتخصص العلمي، استعدادات العلماء "الخارجة عن نطاق العلم"، تكون الاختراع العلمي ... إلخ
  - 3/ المسائل المعتبرة سوسيولوجية تخصيصاً: العلاقات بين العلم وبقية الظواهر الثقافية (دوبوا، 2008: 49 - 50).

إن تحديد النظريات، والمناهج المستخدمة في البحث الاجتماعي تبدو غير متحررة من المجالات المفروضة على عملية البحث ذاتها، وتتعلق بما عبر عنه « بورديو » بطبيعة العلاقة بين الذاتي، والموضوعي من خلال مفهوم المجال.

ففي داخل كل مجال توجد الفرصة لاستخدام الدلالات الثقافية الخاصة بتحديد المسافات، والاختلافات بين الجماعات الاجتماعية. وفي هذا السياق استخدم « بورديو » نظرية المجال لفهم المخرجات السياسية والاقتصادية والعلمية وطبيعة العمل الاجتماعي للجماعات الانسانية في الفضاء الاجتماعي (Ohi, F. 2000: 147).

ومن هنا يدور التساؤل حول طبيعة المجتمع ومدى إتاحته للمراكز البحثية من فرص لدراسة، وتحليل المشكلات، والقضايا المجتمعية، وما هو المدى المتاح من الحرية للباحثين أنفسهم ؟

فكيف يتسنى لمجتمع أن يحقق ما نصبوا إليه منح كل التقاليد حقوقاً متساوية؟ وكيف يتسنى أن نزلزل الموقع المتسلط الذي يحظى به العلم الآن؟ ما هي المناهج؟ وما هي الإجراءات التي يمكن أن تكون مؤثرة في هذا الصدد؟ أين هي النظرية التي يمكن أن توجه



مثل هذه الإجراءات؟ وأين هي النظرية التي يكون في مقدورها أن تحل المشكلات المرتبطة بما ينشأ في مجتمعنا الحر (الحديث)؟ هذه هي بعض الأسئلة التي تثار عندما يحاول الناس الفكاك بأنفسهم من القيود المفروضة عليهم من قبل ثقافة مغتربة.

ثمة نظريات للتعامل مع المشكلات - إن من سيزودنا بالنظريات هم المتخصصون الذين يحددون بنية المجتمع، ويوضحون ما هو ممكن، وما هو مستحيل، وينبئون كل شخص ما يتوجب عليه أن يفعل. بيد أن المتخصصين في مجتمع حر، لا يشكلون سوى تقليد واحد، ولا يتمتعون بحقوق خاصة (فيرابند، 2000: 16). فالمشتغل بالبحث الاجتماعي هو في المقام الأول إنسان محكوم بطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، لديه متطلبات إنسانية وجودية قبل أن يكون لديه متطلبات عقلانية مجردة تقتزن بالعملية البحثية.

لذلك يمكن ملاحظة أن الباحث في المجتمع العربي يواجه العديد من المعوقات المجتمعية التي تؤثر على حالة غياب الإبداع البحثي، وهذه المعوقات متداخلة بين الواقع المجتمعي، والعلمي على السواء، فالواقع المجتمعي يفرض عليه حالات التهميش، أو الهروب، أو التبعية وفقاً لما يتيح له النظام من أدوات تساعد على الإنجاز البحثي، والواقع العلمي يفرض عليه أن يكون أسيراً لمناهج، ونظريات غريبة على الواقع الاجتماعي الذي يدرسه بهدف إغراقه في الطابع العلمي مما يؤدي به إلى نمط معرفي زائف بالرغم من تحليه بالرصانة العلمية.

ويبدو من هذه الجدلية دور البعد السياسي وممارسته لدور فاعل في تحديد المعايير السالفة، فضلاً عن تحديد النظم المعرفية السائدة، ومن هنا ينبغي توافر التحليل السوسيولوجي لهذا البعد من منطلق نقدي عبر شرح الكيفية التي ترتبط بها النزعات، والتغيرات البراجماتية في العلاقة بين الباحث والدولة، والتي يمكن من خلالها أن يفرض البعد السياسي نفسه على ذات الباحث (Khakhordin, O, 2001: 229).

من هنا لا بد أن نستعيد التمييز الذي أورده "ميشال فوكو" بين "المتقف الكوني" و"المتقف النوعي". فالأول يأمل في اتخاذ موقف "كشفي القيم الأبدية التي تستدعي في المناقشات الاجتماعية والسياسية". ويقتصر الثاني على مجال اختصاصه التقني، ذلك الذي يعترف به له اجتماعياً بحيث يكون لكلامه سلطة في المجال السياسي. في حين يسند الأول لنفسه باسم مشروع فلسفي، وطموح شمولي يمنحه الحق في التدخل في العديد من الموضوعات الجارية تبعاً لصلاحية اجتماعية يعتبرها عامة، يرفض الثاني الحضور

على كل جبهات الفكر، ويحاكم بشدة كل أشكال "التجريب الإنشائي" ويحذر من المضي إلى أبعد مما تسمح له به خصوصية معرفته ومعقوليتها (بوغام، 2012: 207). ولكن المراكز المعنية بالبحث الاجتماعي دائماً في حاجة إلى موارد مادية داعمة. فمن أين تأتي هذه الموارد لمراكز البحوث في المجتمع العربي؟

المصدر	نسبة الباحثين المستفيدين
مكان العمل	32%
مكان العمل ومصادر أخرى	29%
مؤسسات وطنية أو حكومية	5%
مؤسسات وطنية أو حكومية ومصادر أخرى	6%
مصادر دولية	13%
مصادر دولية ومصادر أخرى	3%
مصادر أخرى غير المذكور أعلاه	11%

شكل (5) مصادر تمويل البحوث

\*المصدر: ملخص التقرير الأول: أين هي العلوم الاجتماعية في العالم العربي. مرصد العلوم الاجتماعية، مارس 2015.

إن الشكل (5) يوضح بما لا يدع مجالاً للشك تبعية الباحثين لتوجيهات مصادر التمويل، فعملية المعرفة المتحررة تصبح وهما في ظل هيمنة التمويل على عملية البحث الاجتماعي، ولهذا يغيب دور المنظر النقدي، ويحل محله دور الخبير - على الرغم من أهميته - لكن هل يستطيع الخبير المقيد بالضوابط العلمية الصارمة أن يعبر عن رؤيته الذاتية في ظل هيمنة المؤسسة التي يعمل من خلالها بفعل تمويلها لبحوثه؟ فكافة البيانات الرقمية كما هو واضح في الجدول السالف تشير إلى تمويل البحث من خلال مؤسسات وطنية حكومية، أو جهات بحثية سواء على المستوى المحلي أم الدولي، وبطبيعة الحال فالمنتج البحثي لا بد وأن يعبر عن توجهات هذه المؤسسات.

#### رابعاً: استشراف مستقبل المراكز البحثية :

بعد التحليلات النظرية السالفة التي حاولت مناقشة الواقع المعرفي لمراكز البحوث الاجتماعية، والإنسانية في المجتمع العربي يتضح أن هذا الواقع جدلي تسيطر عليه المتناقضات التي تحيط بعملية البحث الاجتماعي ذاتها من خلال المجتمع ككل، أو المؤسسة البحثية، أو الباحثين. فالمجال العام المحيط بالبحث الاجتماعي محكوم بأبعاد سياسية واقتصادية، واجتماعية، وثقافية وبشرية، ومعرفية، ولكل بعد من هذه الأبعاد إشكالياته النوعية. إلا أن هذه الاشكاليات لا تعني عدم وجود عوامل مساعدة لتصحيح الدور المعرفي، فتتوعد المشكلات المجتمعية في حد ذاته يساعد على إنجاز بحثي ومعرفي متميز وهذا مشروط بما يلي:

- التحرر الأيديولوجي
- تحرر المجال العام
- تفعيل الروح النقدية.
- السعي نحو التوفيق بين الذاتي والموضوعي.
- وهذه العناصر يمكن تحقيقها في ضوء الأخذ بتوصيات إعلان لشبونة بشأن العلوم الاجتماعية لعام 2001 والتي تتضمن إعادة النظر في التوازنات الحالية بين:
- المناهج والمداخل المدفوعة بدوافع النشر والتغير.
- المناهج التخصصية، والتوجهات التي تركز على المشكلات والقوى الدافعة الرئيسة التي تغير المجتمع.
- النشاطات التي تركز على الجوانب القومية، وتلك الجارية على المستوى الدولي، أو العالمي.
- الانفتاح على المجتمع، وعلى مجالات المعرفة الأخرى في العلوم الإنسانية، والطبيعية، والحياتية.
- تعزيز قدراتها في التعاون بين التخصصات المتشابهة.
- دعم تقييم الجودة، من حيث المخرجات الأكاديمية، والمخرجات ذات التوجه السياسي.

إن القوى الفاعلة في منظومة العلوم الاجتماعية مدعوة إلى اتخاذ الخطوات التالية:

- تركيز المشتغلين بالعلوم الاجتماعية على تحقيق منجزات في العلوم الاجتماعية، من حيث النظرية والتطبيق. وأن يضعوا نظماً للتقييم تساند البحوث المستقلة الطويلة المدى.

- يتعين على الحكومات - من خلال سياساتها العلمية القومية - أن توفر الموارد الكافية، والاعتراف اللائق بالدور الرئيس الذي يجب أن تقوم به العلوم الاجتماعية في اكتساب المعرفة.

- يجب على المنظمات الحكومية والأهلية الدولية، بما في ذلك المؤسسات، أن تنشط برامج العلوم الاجتماعية الدولية والعالمية، بما في ذلك البحوث الإسهامية (كازا شنيجل، 2003: 23).

وهذا يتطلب العمل على ستة مجالات تتعلق على نحو مباشر بالبنية التحتية القومية، وهي أساسية من حيث تمكين الإمداد، بالبيانات النوعية، والمشاركة، وإعادة الاستخدام بالوسائل التي يرغب فيها ويطلبها المستخدمون الآن، وتضم هذه المجالات:

- قاعدة بحوث لعلم الاجتماع القومي، ذات نوعية عالية.
- بنية تحتية للحفظ المركزي للبيانات، وتوزيعها، ونشرها، تحصل على التمويل الملائم.
- سياسات الالتزام بالمشاركة في البيانات.
- الوصول إلى البحوث والشبكات التقنية للخبرة.
- الوصول إلى مجموعة من المستخدمين المهرة، و"المتعلمين".
- مراكز للخبرة، والمكانة المرموقة، والإبتكار(كورتى، 2003: 80).

خاتمة:

إن مراكز البحوث الاجتماعية، والإنسانية في سعيها لتصحيح الدور المعرفي التنويري المنوط بها القيام به تتطلب تحديد أبرز المعوقات التي تواجهها على المستويات العلمية والاجتماعية، وهذا يتطلب عقد مؤتمر دوري للتنسيق بين كافة المراكز البحثية على مستوى المجتمع العربي، لمناقشة أجداتها البحثية، وتحقيق التنسيق، وتبادل المعلومات، والرؤى والتصورات، فضلاً عن عرض التجارب، والخبرات النظرية والمنهجية للاستفادة منها في إجراء تقييم دوري لمستويات الأداء، ونتائج المموسة على أرض الواقع الاجتماعي.

### المصادر والمراجع:

1. الأحمّد، فيحاء (2007): المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، إضافات، دمشق.
2. بامية، محمد (2015): ملخص تقرير العلوم الاجتماعية العربي ( أين هي العلوم الاجتماعية في العالم العربي )، مرصد العلوم الاجتماعية، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت.
3. بوسينو. جيوفاني (2008): نقد المعرفة في علم الاجتماع، ط2، ترجمة : محمد عرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
4. بوغام، سيرج ( 2012 ): ممارسة علم الاجتماع، ترجمة: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
5. جودة، عبدالوهاب (2011): سياق الابداع العلمي وبناء مجتمع المعرفة: دراسة ميدانية لتصورات الأكاديميين العرب بجامعة السلطان قابوس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، رسالة 335، حولية 31، يونيو، 2011.
6. جولدمان، جوستاف ( 2003 ): برنامج مراكز البيانات البحثية في كندا: تناول كلي للأبحاث المعتمدة على الشواهد من أجل التأثير في السياسة العامة، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، ع 177، مطبوعات اليونسكو، القاهرة .
7. دويوا، ميشال(2008): مدخل إلى علم اجتماع العلوم، ترجمة: سعود المولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت
8. ساكس، جيفري (2009): هوامش على علم اجتماع جديد عن التطور الاقتصادي، مجلد الثقافات وقيم التقدم، تحرير: لورانس هاريزون، صمويل هينجتون، ترجمة: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
9. سبورك، يان (2009): أي مستقبل لعلم الاجتماع، في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي، ترجمة : حسن منصور الحاج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبوظبي، الإمارات.
10. سعيد، إدوارد ( 2006 ): المثقف والسلطة ط1، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
11. غادامير، هانز ( 2007 ): الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة: حسن ناظم وآخر، دار أوبا للطباعة والنشر، ليبيا.
12. فيرابند، باول ( 2000 ): العلم في مجتمع حر، ترجمة: السيد نفاذي، ع 223، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

13. كازا نشيجيل، علي (2003): تعزيز دور العلوم الاجتماعية في المجتمع، المبادرة العالمية للعلوم الاجتماعية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، ع 177، مطبوعات اليونسكو، القاهرة . ( 23 – 26 )

14. كورتي، لويزي ( 2003 ) : خدمات البنية التحتية والحاجة إلى توفير مصادر معلومات نوعية مدعمة، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، ع 177، مطبوعات اليونسكو، القاهرة . ( 73 – 100 )

15. موران، إدغار (2012): المنهج، معرفة المعرفة، ج3، ترجمة: جمال شعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

**16. Dupois. F. ( 2004):** The British of the Pro - Democratic Discourse in the Nineteenth Century in the United States and France, Political Studies, Vol. 52, P. 119.

**17. Khakhordin. O ( 2001):** What is the State?: The Russian Concept of Gosudrstvo in the European Context, History & Theory, Vol. 40, P. 229.

**18. Ohi. F. (2000):** Are Social Class Relevant to Analyze Sport Grouping in Postmodern Society? An Analysis to P. Bourdieu Theory, Medicine & Science in Sports, Vol. 10, P. 147.

# تحية الإسلام أحكامها وآدابها

د. خالد العربي الفرجاني \*

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه  
ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

يشعر الناس بالمحبة والأمن حين يتبادلون التحية بينهم، وبخاصة تحية الإسلام «  
السلام عليكم» التي تبعث في النفس شعوراً بالاطمئنان، غير أنه في وقتنا هذا، هجرها  
كثير من المسلمين، ورجعوا للعهد الغابر، عهد ما قبل الإسلام في تبادل التحية، كما لجأ  
كثير منهم إلى تقليد الغرب في تبادلها .

هذا الأمر لفت انتباه الكثيرين، وهو ما جعلني أحاول استخلاص أحكام تحية الإسلام  
وآدابها، الميثوقة في كتب التفسير وشروح الحديث، وجمعها في بحث مستقل، لعل ذلك  
يعود بالنفع على الناس، ولقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد ومطلبين وخاتمة ضمنيتها  
بعض النتائج. سائلاً الله **عجل** أن أكون قد وفقت في جمع المهم والمفيد من هذه الأحكام  
والآداب.

\* كلية الآداب. الزاوية/ جامعة الزاوية

## تمهيد

قبل ظهور الإسلام، كانت التحية عند العرب متنوعة، منها « حياك الله » وهي الدعاء بالحياة، وطول العمر، فلما جاء الإسلام، أبدل هذه التحية بتحية الإسلام وهي: « السلام عليكم » يقول سبحانه وتعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ الأحزاب: 44 ومنها قول المصلي: التحيات لله أي: السلام من الآفات (الفخر الرازي، د.ت، 10 / 183)

والتحية بهذا اللفظ فيها عهد بين المسلمين على صيانة دمائهم، وأعراضهم وأموالهم (عبد المنعم، د.ت، 2 / 283، 284)

والإسلام يأتي بالبدايل في العبارات، سواء من حيث الإيجاز، أم من حيث إفادة المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلكُمْ فِي القِصَاصِ حِياةٌ يَا أُولِي الأَبْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: 179 فقد كانت هذه الآية بدلا عن عدة عبارات تداولتها العرب قبل الإسلام منها: " قتل البعض إحياء للجميع " ومنها: " أكثروا القتل ليقل القتل " ثم كانت آخر عبارة، التي ظنوا أنها في أعلى مراتب البلاغة، ولا يمكن لأحد أن يأتي بتركيب يضاهيها، وهي قولهم: " القتل أنفى للقتل " فنزلت هذه الآية الكريمة، التي جعلت الضد متضمنا لضده، فالحياة تكون نتيجة طبيعية للإماتة، التي هي القصاص (أبوسعدي، 2003، 2 / 343)

ومن العبارات التي استبدلها الإسلام، عبارة « السلام عليكم » التي جاءت بدلا عن « حياك الله » و «عمت صباحا» و «عمت مساء» و «أنعم صباحا» و «أنعم بك عينا » (العسقلاني، 2001، 11 / 4) وغيرها من العبارات، فالسلام عليكم أتم وأكمل من تلك العبارات. وهذا يتبين من عدة وجوه:

1 - إنَّ الحي إذا كان سليما كان حيا لا محالة، وليس إذا كان حيا كان سليما، فقد تقتزن حياته بالآفات والمنغصات، وعدم الأمن والسلامة.

2 - أن السلامة اسم من أسماء الله تعالى، والابتداء بذكر الله، أو بذكر صفة من صفاته الدالة على إرادته، إبقاء السلامة على عباده أكمل من قوله: " حياك الله " قول الإنسان لغيره « السلام عليكم » فيه بشارة بالسلامة من كل سوء وشر، ويبعث الطمأنينة في النفس، وبه تحصل المحبة بين المتسلمين (ابن حجر العسقلاني، 2001، 11 / 21) أما قوله: " حياك الله " فلا يفيد ذلك (الفخر الرازي، د.ت، 10 / 183) فإفشاء السلام على الإنسان فيه بشارة بالسلامة والأمن من الخوف، وهو من إزالة الضرر عن المسلم، وإزالة الضرر



واجبة (الفخر الرازي، د.ت، 10 / 185). يقول النبي ﷺ " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " (البخاري، 1981، كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

والسلام عليكم هي تحية الإسلام، التي على المسلم أن يتعلق بها، ولا يجوز إلى غيرها من التحيات .

وقد عرف علماء اللغة التحية بقولهم: هي أن يقول: " حياك الله " أي جعل لك حياة، وهي تفعلة من الحياة، بمعنى الإحياء والتبقيّة، وتحية الله التي جعلها في الدنيا والآخرة لمؤمني عباده السلام (عبد المنعم، د.ت، 1 / 447، 448) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ النساء: 86

ورد في الجامع لأحكام القرآن: « التحية تفعلة من حييت، الأصل: تحية مثل ترضية وتسمية، فأدغموا الياء في الياء، والتحية السلام، وأصل التحية الدعاء بالحياة، والتحيات لله، أي السلام من الآفات » (القرطبي، د.ت، 5 / 297)

ولفظة السلام بفتح السين اسم مصدر " سلم " أي ألقى السلام، ومن معاني السلام: السلامة والأمن، والتحية، ويطلق لفظ السلام عند الفقهاء على أمور منها: التحية التي يحيي بها المسلمون بعضهم بعضا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ النور من الآية: 61 .

والسلام اسم من أسماء الله، والسلام عليكم معناها: أن الله يشفق عليك ويرأف بك ويرحمك، وقيل معناها: السلامة من الآفات والنقائص عليك (العثيمين، 2008، 9 / 131)

**المطلب الأول: أحكام تحية الإسلام.**

❖ حكم الابتداء بالتحية والرد .

اتفق العلماء على أن الابتداء بالسلام سنة كفاية مؤكدة، إذا قام به الواحد سقط عن بقية الجماعة الذين معه، ونقل عن الظاهرية أنهم قالوا بوجوبه (ابن مفلح، 2003، 1 / 250) وإذا كان منفردا فقد تعين عليه.

أما رد السلام فهو واجب كفاي، إذا قام به الواحد سقط عن من معه، وإذا تركوه أثموا جميعا (ابن حجر العسقلاني، 2003، 11 / 7، درون، 2000، 8 / 191).

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ النساء: 86

ف « الأمر في الآية دال على الوجوب؛ لأن ترك الرد فيه إشعار بإهانة المسلم، والمسلم عزيز لا يهان؛ لقوله تعالى: ﴿ وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ جِدًّا وَالْعِيَّةُ وَالْعَنَاءُ ﴾ [البقرة: 232]، والمنافقون 8 فإذا رد السلام واحد من الجماعة كفى عن جميعهم، وحصل لهم جميعا أداء الواجب، ولو رد كل واحد منهم كان لهم أفضل وأكمل. وأما إذا كان البادئ بالسلام منفردا، والراد كذلك؛ فتكون في حق البادئ سنة عينية، ويكون الواجب في حق الراد، واجبا عينيا «(الجزائري، 2008، 2/333، الجندي، 2005، 3/225). و« إنما كان الرد واجبا؛ لأن السلام معناه الأمان. فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه فإنه يتوهم منه الشر، فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه «(ابن حجر العسقلاني، 2003، 7/11).

والأفضل في حق الراد أن يرد بأحسن من التحية الملقاة؛ امتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: 86] فالآية « توجب على المسلم حسن المقابلة على أي قول وعمل، فيه خير وأدب وعطف وبر ونفع «(دروزي، 2000، 8/189).

فإذا قيل: " سلام عليك " رد بقوله: عليك السلام ورحمة الله وبركاته، فإن سمع: " سلام عليك ورحمة الله وبركاته " رد " وعليك السلام ورحمة الله وبركاته " بزيادة الواو. فإن رد بالمثل فلا بأس " والرد بالمثل أن تقول لمن قال: السلام عليك: عليك السلام، إلا أنه ينبغي أن يكون السلام كله بلفظ الجماعة، وإن كان المسلم عليه واحدا " (الجندي، 2005، 3/226. الطبراني، د.ت، 2/269. الجزائري، 2008، 2/329).

و " إذا سلمت على جماعة تقول: السلام عليكم بالجمع، وإذا ردوا عليك وأنت واحد يقولون: عليك السلام بالإفراد، ويجوز الجمع، وإذا سلمت على واحد تقول: السلام عليك، ويجوز أن تجمع فتقول: السلام عليكم " (العثيمين، 2008، 9/120).

ويجوز التسليم بحذف " أل " فتقول: " سلام عليكم " لقوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: 23، 24]. وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: 54]. « لكن باللام أولى لأنها للتفخيم والتكثير، وثبت في حديث التشهد السلام عليك أيها النبي قال عياض: ويكره أن يقول في الابتداء: عليك السلام، وقال النووي: .... إذا قال المبتدئ: وعليكم السلام لا

يكون سلاماً ولا يستحق جواباً؛ لأن هذه الصيغة لا تصلح للابتداء ... فلو قاله بغير واو فهو سلام» (ابن حجر العسقلاني، 2003، 11 / 5)

وجاز الرد بحذف المبتدأ، فيقول: "وعليك" شريطة الاقتران بالواو (ابن مفلح، 2003، 1 / 256) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب وهو يصلي فقال يا أبي فالتفت ثم لم يجبه ثم صلى أبي فخفف ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله قال: "وعليك ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟" (الترمذي، د.ت، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، وقال: هذا حديث حسن صحيح.)

والمسلم يقول: "السلام عليكم" مبتدئاً باسم الله "السلام" ويرد عليه المسلم عليه بقوله: "وعليكم السلام" ولو خالف وقال: "عليكم السلام" فقد ترك السنة، يقول الفخر الرازي: "الذي خطر ببالي فيه أنه إذا قال: السلام عليكم كان الابتداء واقعا بذكر الله، فإذا قال المجيب: وعليكم السلام، كان الاختتام واقعا بذكر الله، وهذا يطابق قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الحديد، من الآية: 3. وأيضا لما وقع الابتداء والاختتام بذكر الله فإنه يرجو أن يكون ما وقع بينهما، يصير مقبولا ببركته (الفخر الرازي، د.ت، 10 / 186). كما في قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرِيفَ النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود 114

ويجوز أن يقول: «سلام عليكم» وأن يقول: «السلام عليكم» قال تعالى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ هود من الآية: 48. وقال عن إبراهيم: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ مريم 47. وقال تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ هود 69. وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ طه من الآية 47. وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم 33.

واختلفوا في الأفضل التكرير أم التعريف «فقيل التكرير أفضل، ويدل عليه وجوه: الأول: أن لفظ السلام على سبيل التكرير كثير في القرآن فكان أفضل. الثاني: أن كل ما ورد من الله والملائكة والمؤمنين، فقد ورد بلفظ التكرير وأما بالألف واللام، فإنما ورد في تسليم الإنسان على نفسه قال موسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ طه من الآية: 47. وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ مريم من الآية: 33. والثالث: وهو المعنى المعقول أن لفظ السلام بالألف واللام يدل على الماهية، والتكرير يدل على أصل الماهية، مع وصف

الكمال، فكان هذا أولى (الفخر الرازي، دت، 10 / 187)

❖ حكم الابتداء بالتحية على النساء .

لا يسلّم على النساء الشابات؛ وذلك مخافة الفتنة، أما العجائز فلا بأس بالسلام عليهن، هذا قول بعض أهل العلم منهم: قتادة وعطاء، وإليه ذهب الإمام مالك . وحديث أم هانئ يؤيد ذلك، فعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت:

ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، قالت: فسلمت عليه فقال: " من هذه " قلت: أم هانئ بنت أبي طالب، قال: " مرحبا أم هانئ " فلما فرغ من غسله قام فضلى ثمان ركعات " (البخاري، 1981، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في الثوب الواحد ملتحقا به . مسلم، دت، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب: صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان.)

قال النووي: في الحديث دليل على جواز سلام المرأة، التي ليست بمحرم على الرجل بحضرة محارمه (النووي، دت، 5 / 231).

وعن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال: كنا نفرح يوم الجمعة، قلت: ولم؟ قال: كانت لنا عجوز ترسل إلى بضاعة قال: ابن مسلمة نخل بالمدينة فتأخذ من أصول السلق فتطرحه في قدر وتكركر حبات من شعير فإذا صلينا الجمعة انصرفنا ونسلم عليها فتقدمه إلينا فنفرح، من أجله وما كنا نقيّل، ولا نتغدى إلا بعد الجمعة " (البخاري، 1981، كتاب: الاستئذان، باب: تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال)

وهذا الحديث يؤيد مذهب الإمام مالك، فلا يجوز السلام على النساء إلا إذا أمن الفتنة، و" في هذا الحديث دليل على أن الرجال يسلّمون على المرأة وإذا كانت المسألة مثل هذه القصة، فلا بأس بتسليم الرجال على المرأة لأنه ليس هناك فتنة، فليس هناك خلوة أو محذور، فالرجال جماعة، والمرأة عجوز، فأما إذا كانت المرأة شابة، والرجل واحدا، فإن السلام هنا يوقع الفتنة، لذلك لا نقول بمشروعية السلام هنا " (العثيمين، 2008، 9 / 144)

ومنع الأحناف السلام على النساء الأجنبية، وحجتهم: " لما سقط عن النساء الأذان والإقامة، والجهر بالقراءة في الصلاة، سقط عنهن رد السلام، فلا يسلّم عليهن (الجندي، 2005، 3 / 229)

وحكم النساء مع النساء في السلام، كحكم الرجال مع الرجال فيه (الجزائري، 2008، 2 /

### ● حكم تحية الصبيان .

يسلم الصبيان على الكبار، أما تسليم الكبار على الصبيان فاختلف فيه العلماء:

● بعض العلماء قالوا: لا يُسلم على الصغار؛ لأنهم ليس أهلاً للتكليف، ورد السلام واجبا، فلا نعلمهم ما لا يكلفون به. (الجندي، 2005، 3 / 228)

● وما ثبت عن رسول الله ﷺ وهو ما قال به كثير من العلماء: أنه يُسلم عليهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: " انتهى إلينا رسول الله ﷺ وأنا غلام في الغلمان فسلم علينا "

أخرجه ابن حنبل، 2008، كتاب: باقي مسند المكثرين، باب: باقي المسند السابق )

وحدث أنس رضي الله عنه أنه كان يمشي مع النبي ﷺ فمر بالصبيان فسلم عليهم (البخاري،

1981، كتاب: الاستئذان، باب: التسليم على الصبيان. ومسلم، د.ت، كتاب: السلام، باب: استحباب السلام على الصبيان )

وعن سيار قال : كنت أمشي مع ثابت البناني فمر بصبيان فسلم عليهم، وقال: كنت

أمشي مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم (أخرجه: مسلم، د.ت، د.ت، كتاب: السلام، باب: استحباب السلام

على الصبيان )

وقال أصحاب هذا الرأي: حتى وإن كان رد السلام واجبا، والصبي غير ملزم به فهذا

لا يمنع من إفشائه عليه، لما له من فوائد عديدة من أهمها: تأديب وتدريب له، وحض على

تعليم السنن، ورياضة له على آداب الشريعة، لذا فإن التسليم عليه أفضل من الترك (ابن

مفلح، 2003، 1 / 254 )

و" من هدي النبي ﷺ أنه كان يسلم على الصغار إذا مر بهم، وهذا من مكارم الأخلاق

والتواضع، وتعليم الصبيان للأخلاق والمكارم " (العثيمين، 2008، 9 / 144 )

والراجع عند الباحث : إفشاء السلام على الصبيان فالنبي ﷺ أمر بتعليم الصبيان

الصلاة في سن السابعة، وضربهم عليها في العاشرة، مع أنهم غير مكلفين بها، حتى

يتعلموها ويتعودوها، ويتأدبوا بأدبها، كذلك إفشاء السلام عليهم ليتعلموه ويتأدبوا به،

ولا يُترك لهم مجال لتعلم تحيات أخرى غير تحية الإسلام بخاصة في وقتنا هذا، الذي

امتزجت فيه الثقافات، وظهرت علينا تحيات غريبة.

❖ حكم السلام على أهل الذمة .

اختلف الفقهاء في حكم رد السلام على أهل الذمة:

ذهب ابن عباس رضي الله عنهما والشعبي وقتادة، إلى القول: بوجوب الرد عليهم، مستدين على

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ النساء: 86 .

ويرى الإمام مالك أن الرد عليهم ليس واجبا، فالنبي ﷺ قال: « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » (مسلم، د.ت، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) وهذا يلزم إفشاء السلام بين المسلمين دون غيرهم.

وأختلف في الصيغة التي يُرد بها عليهم، فقيل: يقال لهم: " عليك " وقيل: " علاك السلام " أي ارتفع عنك، وقيل: " عليك السلام " بكسر السين، يعني الحجارة.

وقد ورد في سنة النبي ﷺ الرد بـ " عليك " فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: أَتَدْرُونَ مَا قَالَ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ قَالَ: رَدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ فَرَدَّوهُ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا قَالَ: نَعَمْ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا سَلِمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا عَلَيْكُمْ أَيُّ عَلَيْكُمْ، مَا قُلْتُ (أخرجه: ابن حنبل، 2008، كتاب: باقي مسند المكثرين، باب: باقي المسند السابق). فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا جَاؤُوكُمْ حَيُّوكُمْ بِمَا لَمْ يُحْيِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ المجادلة من الآية: 8 .

وتحدث العلماء عن « الواو » في « وعليكم » « لأن الواو العاطفة، تقتضي التشريك فيلزم منه أن ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت، أو من سامة ديننا، وهو الملل . يقال: سُمِّ يسأم سامة وسأما . فقال بعضهم: الواو زائدة، كما زيدت في قول الشاعر:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي

أي لما أجزنا انتحي فزاد الواو. وقال بعضهم: هي للاستئناف، كأنه قال: والسام عليكم. وقال بعضهم: هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لأن نجاب عليهم ولا يُجابون علينا » (الجندي، 2005، 3/ 231) وأستدل أصحاب التوجيه الأخير بما روي عن جابر بن عبد الله أنه قال: سلم ناس من يهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم فقال: " وعليكم " فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا و غضبت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: " بلى قد سمعت فرددت عليهم، وإنما نجاب عليهم ولا يُجابون علينا " (مسلم، د.ت، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام)

والأحاديث النبوية في رد السلام على اليهود فيها دلالة على جواز " رد التحية على

غير المسلم بأحسن منها، أو بمثلها إذا كانت بريئة من الكيد واللمز صادرة عن رغبة المسالمة والمودة” (دررزة، 2005، 8 / 192) لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ النساء 86 وقوله: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ المتحنة 8

#### ❖ حكم السلام على الكفار .

سئل ابن عيينة: هل يجوز السلام على الكفار؟ فأجاب: بنعم. واستدل بقول الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ المتحنة من الآية: 8. وقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ المتحنة 4 وقد قال إبراهيم لأبيه: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ مريم من الآية: 47. وإذا كان المجلس مختلطاً بين المسلمين وغيرهم سلم عليهم (الجزائري، 2008، 2 / 333) فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فديكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم. وقال النخعي: إذا كانت لك حاجة عند يهودي، أو نصراني، فأبدأه بالسلام وإلا فاترك، ولعل هذا تفسير لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ” لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه ” (مسلم، د.ت، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام) وثبت عن السلف الصالح أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب (الجندي، 2005، 3 / 233)

#### ● حكم الانحناء والوقوف عند التحية.

جعل الإسلام التحية بين المسلمين: السلام عليكم، وليس لهم غيرها، ونهى الإسلام عن الانحناء، والقيام عند التحية، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ” من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار ” (الترمذي، د.ت، كتاب: الأدب، باب: كراهية قيام الرجل للرجل)

” وجاء عن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أنه لم يكن وجه أكرم عليهم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما كانوا يقومون له إذا رأوه، لما يعرفون من كراهته لذلك ” (الجندي، 2005، 3 / 236)

يقول النبي ﷺ " ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف " (الترمذي، د.ت، كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام، وقال: هذا حديث إسناده ضعيف) واستناداً على هذه الأحاديث منع بعض الفقهاء السلام بالإشارة؛ لعله التشبه بالكفار، وأجاز بعضهم التحية بالإشارة إذا كان ذلك عن بعد.

أما الإنحناء، وتقبيل الأيدي فقد منعه الفقهاء، وقالوا لا بأس بالمصافحة فقد قال النبي ﷺ: " تصافحوا يذهب الغل " (مالك، 1997، كتاب: الجامع، باب: ما جاء في المهاجرة) وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا " (الترمذي، د.ت، كتاب الاستئذان، باب: ما جاء في المصافحة، وقال: هذا حديث حسن غريب)

أما قول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ يوسف من الآية: 100 . يرى بعض المفسرين أن السجود ليس بمعناه، وإنما كان إيماء برؤوسهم وتلك كانت تحيتهم، وقال آخرون: « كان سجودا كالسجود المعهود عندنا، وهو كان تحيتهم، وقيل: كان انحناء كالركوع ولم يكن خرورا على الأرض، وهكذا كان سلامهم بالتكفي والانحناء، وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلا عن الانحناء، وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان، فإنما كان تحية لا عبادة قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة " (الجندي، 2005، 3/ 235)

#### المطلب الثاني: آداب تحية الإسلام .

تحية الإسلام السلام عليكم هي تحية من عند الله مباركة، وهي تحية أهل الجنة، وهذه التحية تتعلق بها آداب كثيرة، على المسلم أن يتأدب منها ومن أهم هذه الآداب :

● تقديم اسم الله على اسم المخلوق حين إلقاء التحية فنقول « سلام عليكم » قال تعالى: ﴿ سلام على آل ياسين ﴾ وقال تعالى: ﴿ سلام عليك ﴾

وأخرج البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ خلق الله - عز وجل - آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك قال: فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله قال: فزادوه ورحمة



اللَّهُ قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن» (البخاري، 1981، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته. ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير)

ولو رد بتأخير اسم الله فلا بأس، فقد رد النبي ﷺ على المسيء صلاته حين سلم عليه بقوله: "وعليك السلام ارجع صل فإنك لم تصل" وحين أخبر النبي ﷺ عائشة بأن جبريل؛ يقرئها السلام، ردت "وعليه السلام ورحمة الله" وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي يقرئك السلام، فقال ﷺ: "عليك وعلى أبيك السلام" (ابن حنبل، د.ت، كتاب: باقى مسند الأنصار، باب: أحاديث رجال من الصحابة) ومن الآداب التي تؤخذ من هذا الحديث أن المسلم عليه إذا بلغه سلام من أحد رد على صاحب السلام وحامله، "عليك وعليه السلام"

● ومن الآداب أن يجهر بالتحية، ويردها جهراً، ولا تكفي الإشارة في الرد، ولا تكفي التحية والرد بالإشارة، إلا إذا كان عن بعد (الأبوسى، د.ت، 499/3) ف« النهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً وشرعاً، وإلا فهي مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلطف بجواب السلام، كالمصلي، والبعيد، والأخرس، وكذا السلام على الأصم» (ابن حجر العسقلاني، 2003، 16/11)

● من آداب السلام أن يسلم الراكب على المشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير (الجزائري، 2008، 333/2) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد، والقليل على الكثير" (البخاري، 1981، كتاب: الاستئذان، باب: تسليم القليل على الكثير) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "يسلم الراكب على المشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير" (البخاري، 1981، كتاب: الاستئذان، باب: تسليم الراكب على المشي)

● من آداب السلام ألا يسلم على المصلي، فإذا سلم عليه، فالمصلي بالخيار إن شاء ردّ بالإشارة، وإن شاء أمسك، ويكره السلام على المنشغل بالوضوء روي عن المهاجر بن قنفذ: أنه قال: سلمت على النبي ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد علي، فلما فرغ من وضوئه، قال: "لم يمنعي أن أرد عليك إلا أنني كنت على غير وضوء" (أحمد بن حنبل، كتاب: أول مسند البصريين، باب: حديث المهاجرين قنفذ) ولا يسلم على من يقضي حاجته، فإن سلم فلا يرد عليه (ابن مفلح، 2003، 252/1)

● ولا يسلم على من يقرأ القرآن، فإن سلم فهو بالخيار بين الرد والإمساك.  
● من الآداب السلام على من تعرف ومن لا تعرف، فعن عبد الله بن عمرو أن رجلاً

سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير قال: " تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، وعلى من لا تعرف " (البخاري، 1981، كتاب: الاستئذان، باب: السلام للمعرفة وغير المعرفة) ● ومن الآداب رد التحية الواردة في كتاب، ف " إذا ورد على إنسان كتاب بالتحية، أو نحوها، ينبغي أن يرد الجواب؛ لأن الكتاب من الغائب، كالسلام من الحاضر، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يرى رد الكتاب واجبا، كما يرى رد السلام " (الجندي، 2005، 3/235). وهذا يشير إلى أن الكتب والمراسلات التي كثرت في وقتنا الحاضر، يجب أن تبدأ بتحية الإسلام، وتُختتم بها بعيدا عن التحيات المستحدثة .

### الخاتمة

من خلال هذا البحث حاولت تتبع أحكام تحية الإسلام وآدابها المنشورة بين طيِّات عدد من المصادر في بعض كتب التفسير والفقه وشروح الحديث، وقد ظهرت لي بعض النتائج ومن أهمها:

- كانت التحيات عند العرب قبل ظهور الإسلام متعددة، فلما جاء الإسلام استبدلها بـ « السلام عليكم » التي هي شاملة لكل معاني التحيات صباحية كانت، أم مسائية.
- لتحية الإسلام أحكام مبثوثة بين طيِّات المصادر القديمة والحديثة وهي من المسائل التي اختلف فيها الفقهاء بين الوجوب والاستحباب وما إلى ذلك.
- لتحية الإسلام آداب على المسلم أن يتأدب بها.
- على المسلم أن يلتزم بتحية الإسلام، ولا يستبدلها بغيرها، وأن يعلمها أولاده ويحثهم عليها، اقتداء بمنهج رسول الله ﷺ هذا ما وفقني الله إليه، فإن أصبت فذلك توفيق وفضل منه، وإن كانت الأخرى فهو تقصير العبد المقل، ولكل شيء إذا ما تم نقصان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

## قائمة المراجع

- 1 - ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(2003) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة الصفا، القاهرة، ط: 1.
- 2 - ابن حنبل، أحمد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا(2008) المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1.
- 3 - مسلم، ابن الحجاج القشيري( لا، ت ) صحيح مسلم، لا، ط.
- 4 - الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب( لا، ت ) تحقيق، هشام البدراني(2008) التفسير الكبير، دار الكتاب الثقافى، الأردن، ط: 1.
- 5 - الألوسي، السيد محمود، تحقيق: فؤاد بن سراج عبد الغفار ( لا، ت ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، لا، ط .
- 6 - أبو سعد، عبدالسلام محمد (2003) التفسير الفقهي عند ابن عطية، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط: 1.
- 7 - الجندي، فريد عبد العزيز(205) جامع الحكام الفقهية للإمام القرطبي من تفسيره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2.
- 8 - بن أنس مالك الأصبجي(1997) الموطأ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2.
- 9 - القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، د.ت، دار الشام، بيروت، ط: 2.
- 10 - البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(1981) صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لا، ط.
- 11 - العثيمين، محمد بن صالح(2008) شرح صحيح البخاري دار المحدثين، ط: 1.
- 12 - الجزائري، محمد بن عبد الكريم(2008) من توجيهات القرآن العظيم، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط: 1.
- 13 - دروزة، محمد عزة ( 2000 ) التفسير الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2.
- 14 - ابن مفلح، محمد المقدسي الحنبلي(2003) الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2.
- 15 - الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، تحقيق: عماد زكي البارودي( لا، ت ) التفسير الكبير، المكتبة التوفيقية، لا، ط.
- 16 - الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد محمد شاكر( لا، ت ) الجامع الصحيح، دار الحديث، القاهرة، لا، ط.
- 17 - عبد المنعم، محمود عبد الرحمن( لا، ت ) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة، ط: 2.
- 18 - النووي، يحيى بن شرف بن مري، د.ت، شرح صحيح مسلم، لا، ط.

## مدى اعتماد الإدارة الضريبية في عملية الفحص على الإقرار الضريبي المعتمد من قبل المراجع الخارجي

د. مسعود محمد امريود\*

### ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة مدى اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المحاسب والمراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي، خاصة بعد أن الزم التشريع الضريبي جميع الشركات بضرورة اعتماد إقراراتهم الضريبية من قبل محاسب ومراجع قانوني مقيد بجدول المحاسبين، والمراجعين المشتغلين. ولتحقيق أهداف البحث تم إعداد وتوزيع استبانة مخصصة لهذا الغرض، وزعت على مجتمع البحث والمتمثل في فاحصي الضرائب بمصلحة ضرائب طرابلس. بعد تحليل البيانات التي تم تجميعها، وبعد اختبار فرضية البحث تم التوصل إلى أن الإدارة الضريبية لا تعتمد على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المحاسب والمراجع القانوني في عملية الفحص الضريبي، وأن عدم قبول الإقرارات الضريبية إلا بعد اعتمادها من قبل المراجع الخارجي ما هو إلا إجراء يتطلبه القانون، والسبب الرئيس لعدم اعتماد الإدارة الضريبية على ذلك، عدم ثقتها في المراجع، وعدم وجود ضوابط وعقوبات رادعة وكافية لردعه حال اعتماده بيانات ضريبية غير صحيحة. وخلص البحث إلى تقديم عدد من الاقتراحات التي من شأنها أن تؤدي إلى زيادة ثقة لإدارة الضريبية في المراجع واعتمادها على الإقرار المعد والمعتمد من قبله، للمساهمة في حل مشاكل الفحص الضريبي.

## المقدمة

اعتمد التشريع الضريبي على الممول في التصريح على دخله الصافي الناتج عن ممارسة الأنشطة والأعمال التي تخضع للضريبة، وبما أن هدف الفاحص الضريبي هو التأكد من صحة الالتزامات التي صرح عنها الممول بهدف التوصل إلى قيمة الضريبة الحقيقية منطلقين من توزيع عادل للعبء الضريبي، نرى حاجة الإدارة الضريبية إلى بيانات مالية مدققة تتمتع بالمصداقية، ومدعمة من قبل طرف ثالث محايد ومستقل؛ لإضفاء الثقة بها بما يفيد بأن البيانات المالية المدققة تمثل وبصوره عادلة المركز المالي للممول ونتيجة أعماله، وأنها خالية من الأخطاء والتحريفات الجوهرية، هذا الطرف يتمثل في المراجع الخارجي الذي يقدم ضمانا للإدارة الضريبية بأن الإقرار الضريبي بمرفقاته من قوائم مالية تظهر النتيجة الصحيحة والفعالية لأعمال المنشأة ومركزها المالي، وأن هذا البحث يسלט الضوء على الإدارة الضريبية في ليبيا ومدى اعتمادها على الإقرارات الضريبية المعدة والمعتمدة من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي.

## الدراسات السابقة

تناولت مجموعة من الدراسات السابقة دراسة مدى مساهمة المراجع الخارجي في مساعدة الإدارة الضريبية، وتسهيل مهمة الفاحص الضريبي من خلال التأكيد على صحة ودقة البيانات التي يحتوي عليها الإقرار الضريبي، ومن هذه الدراسات ما يلي:

### أولا - الدراسات العربية:

دراسة (اللافي، 2001) بعنوان الإقرار الضريبي في إطار خدمات المراجع الخارجي في ليبيا.

هدفت الدراسة إلى إبراز أهمية إدراج الإقرار الضريبي ضمن إطار خدمات المراجع الخارجي وبيان مدى تمتع المراجع الخارجي في ليبيا بالتأهيل المهني الكافي لأداء الخدمات الضريبية، وأجريت الدراسة من خلال توزيع استبانة على عينة من مراجعي الحسابات في ليبيا.

واستنتجت الدراسة بأن عملية إدراج الإقرار الضريبي في إطار خدمات المراجع له أهمية كبيرة في حل المشاكل والصعوبات التي تواجه الممول، ومصصلحة الضرائب، والحد من ظاهرة التهرب الضريبي.

دراسة (حوسو، 2005) بعنوان التدقيق للأغراض الضريبية.

هدفت الدراسة إلى تحقيق الرقابة الضريبية من خلال إيجاد نظام رقابي ضريبي فعال، وذلك عن طريق دراسة العلاقات البنوية بين معايير النظام الضريبي، ومعايير المراجعة لمختلف أوجه أنشطة المراجعة الممارسة في فلسطين.

واستنتجت بأن إيجاد نظام فحص ضريبي فعال لمكافحة الغش الضريبي، والتحليل في الحسابات، لا تكمن فقط في الوسائل العقابية المنصوص عليها في القوانين الضريبية، وإنما أيضا في حسن استخدام الإدارة الضريبية لمواردها المتاحة، وتعاونها بشكل علمي ومدروس مع المؤسسات المهنية العاملة في ميادين المحاسبة ومراجعة الحسابات.

دراسة (صلاح الدين، 2005) بعنوان «مدى مصداقية البيانات المالية المدققة لدى دوائر ضريبة الدخل الفلسطينية»

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى ثقة الفاحص الضريبي في البيانات المدققة المقدمة إليه من قبل الممولين، وماهي أسباب رفضه للبيانات المالية المدققة، واستخدمت الأستبيان كوسيلة لجمع البيانات.

واستنتجت الدراسة أن البيانات المالية المدققة كافية إلى حد ما لأغراض الاحتساب الضريبي إذا تضمنت الإيضاحات، والإفصاح الكافي، أما في الواقع العملي فإن البيانات المالية المدققة قد تكون كافية في بعض الأحيان، وغير كافية في أغلب الأحيان بسبب تفاوت فهم المدققين لمعايير الإفصاح اللازمة كما استنتجت الدراسة بقصور المراجع الخارجي في تسجيل اعتراضه على رفض البيانات المالية من قبل الفاحص الضريبي، بسبب عدم قدرته على إثبات الانحرافات في العملية التقديرية.

دراسة (الضابط، 2006) بعنوان «مدى تبني معايير المراجعة المقبولة عموما كمعايير لتدقيق الضرائب على الدخل في سورية»

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم خطة إصلاح على مستوى إدارة أعمال مراجعة الضرائب على الدخل فيما يتعلق بالضريبة على دخل الأرباح، من خلال تبني معايير المراجعة كمعايير لتدقيق الضرائب على الدخل، من خلال مجموعة من المقاييس الهامة لمستويات الأداء المهني بتحديد لها للآلية التي يجب أن تمارس فيها تلك الأعمال في إطار سلوك مهني واخلاقي يتسم بالجودة.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، لا يمكن أن يكون هناك تطوير لأعمال الفحص الضريبي، وتحسينها دون إعادة تأهيل للبيئة التي تتم فيها ممارسة تلك الأعمال. دراسة (الدوس، 2014) بعنوان «دور المدقق الخارجي في التكليف الضريبي في سورية» هدفت الدراسة استكشاف الدور الذي يلعبه المراجع الخارجي في عملية التكليف الضريبي واستخدمت قائمة استبيان وزعت على عينة من مراجعي الحسابات وفاحصي الضرائب كوسيلة لجمع البيانات.

واستنتجت الدراسة أن التدقيق الخارجي له دور ايجابي في تحسين جودة التكليف الضريبي من حيث أن اعتماد الدوائر الضريبية على البيان الضريبي المعد والمعتمد من قبل مراجع الحسابات تؤكد من وجود عملية مراجعة سابقة يؤدي إلى تقليل تكاليف التحصيل الضريبي ويسهم في الانتقال من أسلوب الفحص الشامل إلى أسلوب الفحص الانتقائي، ويساعد في التخلص من التراكمات الضريبية السابقة.

#### ثانياً - الدراسات الاجنبية:

دراسة (Savell، 2000)، بعنوان « تطوير الفحص الضريبي من خلال الحصول على المعلومات الضريبية من طرف ثالث»

هدفت هذه الدراسة إلى إمكانية تطوير الفحص الضريبي من خلال إمكانية حصول فريق الفحص الضريبي على المعلومات الضريبية من طرف ثالث على قاعدة الحاجة للمعرفة. واستنتجت الدراسة بأن طريقة الفحص قد تتوصل إلى معلومات عن طريق طرف ثالث، ويتم التعامل مع المكلف باستخدام تلك المعلومات في عملية الفحص الضريبي .

دراسة (Teufel 2000) بعنوان «أهمية أرفاق رأي المراجعين في القوائم المالية للممولين كجزء منها»

تضمنت هذه الدراسة أهمية أرفاق رأي المحاسبين في القوائم المالية للممولين كجزء منها، وأهمية مراجعة الاثني معا من قبل فريق التدقيق لتحديد الالتزامات الضريبية النهائية.

كما تضمنت الدراسة توصيفا لدور المراجع، وتحديد آلية طلب أوراق عمل المراجعين من قبل الإدارة الضريبية حيث اعتبرت أن الدخول إلى أوراق عمل المراجعين يحدث في ظروف عمل غير اعتيادية، حيث تعتبر سجلات الممول المصدر الأساسي للمعلومات

الداعمة للإقرار الضريبي في الحالة الطبيعية، وأن الدخول إلى أوراق العمل يتم فقط في حالة عدم تمكن الإدارة الضريبية من الحصول على المعلومات المطلوبة من سجلات الممول. وخلصت الدراسة إلى أن تبني، أو عدم تبني الرأي النهائي للمراجع الخارجي يعود إلى تقدير الفاحص الضريبي ولا يعتبر ملزماً.

يلاحظ من خلال عرض الدراسات السابقة أهمية اعتماد الإقرار الضريبي من قبل المراجع الخارجي من أجل اضعاف الثقة، والمصدقية على البيانات الضريبية المقدمة إلى الإدارة الضريبية.

وما يميز الدراسة الحالية أنها تهدف لاستكشاف مدى اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي في البيئة المحلية، وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة، خاصة بعد إلزام التشريع الضريبي كافة أنواع الشركات بضرورة اعتماد إقراراتهم الضريبية من قبل مراجع خارجي.

#### مشكلة البحث .

ألزم التشريع الضريبي الليبي الممولين من الشركات بضرورة اعتماد إقراراتهم الضريبية من قبل مراجع خارجي، وذلك بهدف تعزيز الثقة بالقوائم المالية لدى الإدارة الضريبية، ويتضح من ذلك أن المشرع الضريبي الليبي أولى مسؤولية إعداد واعتماد الإقرار الضريبي للمراجع الخارجي، وذلك للاستفادة من عمله في عملية الفحص الضريبي، وتقدير وعاء الضريبة، حيث نصت اللائحة التنفيذية لقانون ضرائب الدخل الليبي على ضرورة اعتماد الإقرار الضريبي من قبل محاسب ومراجع قانوني(مراجع خارجي) مقيد بجدول المحاسبين والمراجعين الليبيين المشتغلين بالنسبة لشركات الاشخاص والشركات المساهمة، والشركات المشتركة وفروع الشركات الاجنبية، لذلك فأن هذا البحث يهدف إلى التعرف على مدى اعتماد الإدارة الضريبية في ليبيا على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي.

بناء على ما سبق فأن هذا البحث يحاول الإجابة على التساؤل التالي :

ما مدى اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي؟



## فرضيات البحث .

يقوم البحث على الفرضية الأساسية التالية :

« تعتمد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي»

## أهداف البحث .

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي :

- 1 - بيان الدور الذي يقوم به مراجع الحسابات الخارجي (المحاسب القانوني) في عملية الفحص الضريبي كطرف ثالث ضامن لصحة البيانات الضريبية المقدمة لمصلحة الضرائب.
- 2 - التعرف على مدى ثقة الإدارة الضريبية، واعتمادها على البيانات الضريبية المعدة والمعتمدة من قبل المراجع الخارجي.

## أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في الآتي :

- 1 - البحث يعالج موضوعا حيويا بالنسبة للإدارة الضريبية في ليبيا، خصوصا أنه حسب علم الباحث لا توجد دراسة سابقة تناولت موضوع اعتماد الإدارة الضريبية في ليبيا على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي.
- 2 - تكمن أهمية البحث بتحديد مدى ثقة واعتماد الإدارة الضريبية في الإقرارات الضريبية المعدة والمعتمدة من قبل المراجع الخارجي.

## حدود البحث.

تتمثل حدود البحث فيما يلي :

- 1 - يقتصر البحث على فاحصي الضرائب بإدارة الضريبة على الشركات مصلحة ضرائب طرابلس نظرا لأن جل الشركات في ليبيا يتم فحص إقراراتها من قبل هذه الإدارة، ويتواجد بها النسبة الأكبر من فاحصي الضرائب.
- 2 - يقتصر البحث على الإقرارات الضريبية الخاصة بالشركات على اختلاف أنواعها، دون التطرق إلى الإقرارات الضريبية المتعلقة بالضرائب الأخرى.

## أولا - الاطار النظري للبحث:

يعد الفحص الضريبي جوهر العمل الضريبي الذي تقوم به الإدارة الضريبية، حيث يستهدف التأكد والتحقق من صحة البيانات الواردة بالإقرارات الضريبية، حتى يتسنى تحديد مقدار الضريبة المستحقة على الممولين .

ويعتبر الفحص الضريبي أحد صور الفحص الذي يقوم به الفاحص الضريبي، عندما ينتقل إلى مقر المنشأة لفحص إقرارها الضريبي للتحقق من صحة ما جاء به وذلك من خلال المراجعة المستندية ومطابقة أرقام المشتريات، والمبيعات، والمخزون السلعي، والمصروفات مع المستندات المؤيدة لها، ومن خلال المراجعة الفنية للأطمئنان إلى نظام الرقابة الداخلية، ونسبة مجمل الربح، واتساق الأرقام المختلفة مع بعضها في نفس السنة ومقارنتها بمثيلاتها على مدار عدة سنوات، ومعرفة أسباب الفروق والاختلافات القائمة وإعداد تقرير بالنتائج التي تم التوصل إليها .

لذلك ألزم التشريع الضريبي الليبي المنشآت التجارية، والصناعية، والخدمية سواء كانت خاصة أم عامة بأن تقدم إلى مصلحة الضرائب المختصة إقرارا مبينا فيه أرباحها، أو خسائرها وفقا لإحكام التشريع الضريبي، مع جميع الوثائق والمستندات المؤيدة له حسب ما ورد بالمادة (80) من قانون ضرائب الدخل رقم (7) لسنة 2010 وكذلك المواد (63،62،61) من اللائحة التنفيذية لهذا القانون.

وبعد تقديم الإقرار الضريبي، يقوم الفاحص الضريبي بفحصه ومراجعته وذلك من خلال مطابقتها على ما ورد بالدفاتر، والمستندات، والحسابات، والقوائم المالية، والهدف من هذه المطابقة هو التأكد من صدق البيانات والمعلومات الواردة بالإقرار وكذلك التأكد من أن العمليات التي أثبتتها الممول بدفاتره وحساباته هي العمليات الحقيقية التي تمت على مدار السنة.

ومن ثم يقوم الفاحص الضريبي بإجراء ما يراه من تعديلات وفقا لاحكام التشريع الضريبي ولائحته التنفيذية، وتعليمات مصلحة الضرائب .

تهدف عملية الفحص الضريبي إلى التأكد من صحة البيانات الواردة بالإقرار الضريبي سواء ما تعلق منها بالإيراد أم التكاليف وذلك حتى يتم الربط على أساس الإيراد الحقيقي محددًا على الأسس والقواعد التي قررها التشريع الضريبي، وتعتبر عملية الفحص منتهية متى تم التحقق من صحة البيانات الواردة بالإقرار الضريبي من كافة النواحي سواء من الناحية المحاسبية أم القانونية .

ويحظى الفحص الضريبي باهتمام العديد من المهتمين بالدراسات في الضرائب سواء الأكاديميين أم المهنيين وذلك نظرا لأهميته، حيث يعتبر نقطة البداية الحقيقية لتحديد شكل العلاقة بين الممول ومصلحة الضرائب ، ويظهر ذلك من خلال تعريف العديد من الدراسات والأبحاث له، نذكر منها ما يلي:

يقصد بالفحص الضريبي بصفة عامة، التحقق من تنفيذ أحكام التشريع الضريبي، وأن كل ما نص التشريع على خضوعه للضرائب من أنواع الإيرادات، والعمليات المختلفة قد خضع بالفعل للضرائب التي يجب أن يخضع لها، وأنه لا توجد مبالغ، أو إيرادات يجب خضوعها للضرائب، وأغفلها الممول إما عمداً أو بحسن نية .

ويعرف البعض الفحص الضريبي « بأنه نظام البحث والتقصي الموضوعي للظواهر المتعلقة بالعمليات الحقيقية التي يتضمنها الإقرار الذي تقدمه المنشأة الى مصلحة الضرائب بهدف التأكد من صدق تمثيل بيانات الإقرار لنتيجة تلك العمليات طبقا لمتطلبات المحاسبة الضريبية (الشافعي، 2006م، 422)

ويعرف أيضا «بأنه عملية فحص أنظمة الرقابة الداخلية والبيانات والحسابات والدفاتر الخاصة بالنشاط مستنديا وفنيا، والتحليل الانتقادي المنظم، وتقدير الحسابات والدخل الصافي الفعلي بما يتفق وقانون ضريبة الدخل، بقصد إصدار قرار ضريبي يحدد بموجبه وعاء الضريبة وسعرها وقيمتها (الخطيب وآخرون، 2007، 187)

وعرفته دراسة أخرى « بأنه عملية الفحص التي يقوم بها الفاحص المختص للتأكد من أن الممول قد أعد إقراره الضريبي وفقا لأحكام قانون الضرائب، وأنه لم يضيف أو يغفل أي بند من بنود الإيرادات، أو المصروفات كان من الواجب حذفه، أو إضافته بالإقرار طبقا لأحكام التشريع الضريبي، وذلك للوصول إلى الوعاء الضريبي الواجب أن يكون بغرض تحديد الضريبة الواجبة الأداء» (جاد، 2008، 16)

وعرفته دراسة الضابط (2006، 64) «بأنه جمع وتقييم الأدلة عن المعلومات المصرح بها من قبل المكلفين بموجب الإقرارات الضريبية المقدمة من قبلهم، لتحديد فيما إذا كانت الالتزامات الضريبية المقدمة صحيحة بشكل جوهري في ضوء قوانين وأنظمة الضريبة على الدخل والتقرير عن ذلك، ويجب أداء عمليات التدقيق من قبل فاحص، أو فريق تدقيق يتصف بالكفاءة والموضوعية »

وتم تعريفه أيضا « بأنه عملية مراجعة لغرض التحقق من التزام المسجل بأحكام

قانون الضرائب، مرتكزا على مجموعة من الإجراءات التحليلية، والأساليب الكمية للحصول على أدلة إثبات كافية تساعد الفاحص على الاطمئنان لسلامة نظام الرقابة الداخلي، ومقاوماته للمنشأة محل الفحص، ودراسة العلاقة بين البيانات المالية وغير المالية؛ ليتمكن من تحديد الوعاء الضريبي بشكل سليم ، وإتمام عملية الفحص الضريبي في الوقت المناسب «(شيماء الروبي ، 2005 . 144)

ومن خلال ما سبق ومما استنتجه الباحث يتضح أن هناك ارتباط وثيق، وتشابه كبير جدا بين كل من مراجعة الحسابات والفحص الضريبي، ومن ثم يمكن القول: إن الفحص الضريبي ما هو إلا مراجعة محددة بغرض خاص بهدف تحديد وعاء الضريبة .

ومما يؤكد ذلك ما أشار إليه البعض في أنه ما دامت عملية الفحص الضريبي ليست إلا عملية مراجعة بغرض خاص فإن الأسلوب العلمي للمراجعة يجب أن يتبع (الصباغ ، 1992 16)

كما يتضح من التعريفات السابقة للفحص الضريبي أنه يهدف إلى تحقيق ما يلي :

- التحقق من صدق وأمانة وسلامة الإقرار الضريبي المقدم من الممول من خلال مقارنته بنتيجة أعماله خلال الفترة المقدم عنها الإقرار، والمبلغ الخاضع للضريبة من الناحية المحاسبية، أو القانونية.
- التحقق فيما إذا كان المكلف قد تقدم بإقرار صحيح وشامل، أو أنه أخفى نشاطا، أو مستندات، أو قدم بيانات غير صحيحة، للتخلص من أداء الضريبة كلها، أو بعضها، أو أخفى مبالغ تسرى عليها الضريبة.
- التحقق من صحة ودقة البيانات المحاسبية المسجلة بالدفاتر، والسجلات، ومدى الاعتماد عليها في التوصل إلى الأرباح أو الخسائر الحقيقية للمنشأة .
- معالجة كل ما جاء بالدفاتر والسجلات السليمة من وجهة النظر الضريبية تأسيسا على أحكام القانون الضريبي ولأثحته التنفيذية.
- تحديد الوعاء الضريبي الحقيقي وفقا لأحكام التشريع الضريبي سواء في الحالات التقديرية أم الدفترية.
- اكتشاف التزوير والتلاعب الذي يظهر الحسابات بصورة غير حقيقية بغرض التهرب من دفع الضريبة

### ■ أهمية الفحص الضريبي:

تكمن أهمية الفحص الضريبي في كونه وسيلة مهمة تهدف إلى خدمة الإدارة الضريبية في تحديد الوعاء الضريبي على نحو علمي منظم يحافظ على حقوق المكلفين وحقوق خزانة الدولة جنباً إلى جنب بالإضافة إلى زيادة مستوى الالتزام بأحكام التشريع الضريبي، والأمثال له والتقليل من حالات التهرب الضريبي، وزيادة حصيلة الضرائب، وكلها تساند النظام الضريبي في تحقيق أهدافه المالية، والاقتصادية والاجتماعية .

كما أنه لا يمكن أن تعتمد مصلحة الضرائب على حسن نية الممول، وتثق في الممولين ثقة عمياء وتقبل إقراراتهم دون إقامة الدليل على صحة وصدق الإقرارات كمبرر لقبولها، ولو أنها فعلت ذلك لتعاس الممولون عن تقديم إقراراتهم، ولأثبت من يقدم الإقرار بيانات غير صحيحة مما يؤدي إلى نضوب حصيلة الضرائب، كما أنه ليس من المنطق افتراض العلم والخبرة التامة للممولين بقوانين الضرائب خاصة بالنسبة للممولين الذين يقدمون إقراراتهم بدون اعتمادها من أحد مراجعي الحسابات لذلك يعتبر الفحص الضريبي وسيلة مهمة للتحقق من صحة الإقرار المقدم من الممول، والتحري، وإقامة الدليل على صحة وصدق ما يشمله من أرقام تتخذ كأساس لتحديد وعاء الضريبة .

وقد أشار أحد الباحثين إلى أهمية الفحص الضريبي بقوله : « إنه لمن العيب أن نفكر في وجود إقرارات دون أن يكون هناك فحص، واستجواب » (أمال الفيتوري، 2006 . 19).

كما تكمن أهمية الفحص الضريبي في كونه أقوى، وأهم الوسائل المستخدمة في مكافحة التهرب الضريبي، ومن أجل ذلك أعطى المشرع الضريبي لمصلحة الضرائب حق التحقق من بيانات الإقرار الضريبي المقدم من الممول، وتصحيحه على ضوء ما يمكن الحصول عليه من بيانات ومعلومات .

ونتيجة لفحص الإقرار الضريبي المقدم من الممول نصل إلى أحد الاحتمالات التالية :

- أن يثبت أن ما ورد بالإقرار صحيح، وهنا تربط الضريبة على ما ورد به .
- أن الإقرار في حاجة إلى تعديل ليصبح متمشياً مع القانون
- رفض اعتماد الإقرار - وهنا تربط الضريبة عن طريق التقدير .

### ■ اعتماد المحاسب والمراجع القانوني للإقرار الضريبي:

يقصد بمفهوم اعتماد الإقرار الضريبي هو إقرار بأن صافي الربح الخاضع للضريبة،

أو الخسارة كما ورد بإقرار الممول قد تم احتسابه طبقاً للأساليب والقواعد المحاسبية المتعارف عليها، وبما يتفق وأحكام قانون الضرائب (اللايف، 2001.64).

وبما أن عملية اعتماد الإقرار الضريبي تحتاج من القائم بإعتماد الإقرار إلى الرجوع إلى دفاتر الممول، ومستنداته، وحساباته، وأن يحصل على البيانات والادلة والقرائن الضرورية، وأن يكون مؤهلاً علمياً، وعملياً، وحيث أن المراجع الخارجي هو الذي يتولى أصلاً عملية المراجعة لحسابات ودفاتر ومستندات، والعمليات المالية للممول، لذلك فإنه هو الشخص المؤهل، والأقدر على اعتماد الإقرار الضريبي .

وعليه فقد الزم المشرع الضريبي الليبي بموجب قانون ضرائب الدخل رقم (7) لسنة 2010م الممولين من شركات الأشخاص، والشركات المساهمة، والشركات المشتركة، والشركات ذات المسؤولية المحدودة وفروع الشركات الأجنبية ضرورة اعتماد إقراراتهم الضريبية من قبل محاسب ومراجع قانوني مقيد بجدول المحاسبين والمراجعين المشتغلين، وذلك بهدف تأكيد ضمان دقة وصحة البيانات المحاسبية المدرجة بالإقرار الضريبي للممول، وتسهيل عملية الفحص الضريبي بالنسبة لفاحصي الضرائب واعتماد مصلحة الضرائب أسلوب الفحص الانتقائي لإنهاء ملف التراكم الضريبي، والسريعة في إنجاز عمليات الربط الضريبي، وعدم تأخير إيرادات الخزنة العامة.

#### ■ مسؤولية المراجع معتمد الإقرار الضريبي:

تضمن القانون الداخلي للمجمع الأمريكي للمحاسبين القانونيين العديد من العقوبات التأديبية الذاتية والتي من شأنها أن تؤدي إلى تعليق العضوية المؤقت، أو إنهاء العضوية بدون إجراء جلسات استماع لوجهة النظر في بعض الحالات، وذلك في حالة تعمد عدم القيام باستيفاء أي قرار ضريبي يتعين على العضو تقديمه طبقاً لما يقتضيه القانون، أو اعداد إقرار ضريبي يتضمن إحتيال وتزوير المراجع لصالح العميل

أما في ليبيا لم يشر القانون الضريبي على أي عقوبات صراحة توقع على المراجع الخارجي معتمد الإقرار الضريبي، إلا أنه أشركه مع الممول في المسؤولية إذا ساعده على التهرب، أو التحايل على أخفاء أرباحه أو جزء منها عن مصلحة الضرائب، وذلك وفقاً لنص المادة رقم (75) من قانون ضرائب الدخل رقم (7) لسنة 2010م والتي نصت على: «عدم الإخلال بأية عقوبة أشد يعاقب بغرامة لا تقل عن أربعة أمثال ما لم يؤد من

الضريبة كل من ارتكب بقصد التخلص من كل، أو بعض الضريبة، أو حرض، أو اتفق، أو ساعد على ارتكاب أي فعل من الأفعال الآتية:

1 - الإدلاء ببيانات غير صحيحة في الإقرارات والأوراق التي تقدم تنفيذًا لأحكام القانون.

2 - إعداد أي حسابات، أو دفاتر، أو سجلات، أو تقارير، أو ميزانية غير صحيحة.

3 - استعمال أي طريقة احتيالية لإخفاء، أو محاولة إخفاء مبالغ تسري عليها الضريبة.

كما وضعت اللائحة التنفيذية لقانون ضرائب الدخل السابق ذكره شروط وضوابط يجب توافرها في المحاسب، والمراجع القانوني معتمد الإقرار، حيث نصت المادة (70) من اللائحة بأن يشترط في المحاسب والمراجع القانوني الذي يقوم باعتماد الإقرارات الضريبية ما يلي:

1 - أن يكون لديه إذن بمزاولة المهنة.

2 - أن يكون قيده ساري المفعول في النقابة العامة للمحاسبين، والمراجعين المشتغلين.

3 - أن يكون لديه ملف بمصلحة الضرائب، ومنتظم في سداد الضريبة.

4 - أن يحتفظ بملف الأوراق لعملية المراجعة التي تثبت بذل العناية المهنية المعقولة.

5 - أن يكون لديه ترخيص من جهة الاختصاص.

ثانياً - الدراسة الميدانية وتحليل البيانات:

المنهج المستخدم: لتحقيق أهداف البحث واختبار فرضيته التي يقوم عليها تم أتباع المنهج الوصفي التحليلي.

أداة البحث.

تم تصميم استبيان يتناسب مع موضوع البحث وأهدافه يتكون من جزئين رئيسيين هما:

الجزء الأول: يهدف إلى تجميع بعض المعلومات حول المستجوبين، من حيث المؤهلات التي يحملونها، التخصص، والخبرة التي يتمتعون بها.

الجزء الثاني: يشتمل هذا القسم على (8) عبارات صممت لمعرفة مدى اعتماد مصلحة الضرائب على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي.

لمعرفة مدى قيام الإدارة الضريبية بالاعتماد على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي، تم تحديد أوزان إجابات كل فقرة من فقرات الجزء الأول بحسب طبيعته كل فقره، أما الجزء الثاني فقد تم استخدام مقياس ليكرات (Likret) الخماسي لتحديد أوزان الإجابات الواردة بينها كما هو موضح بالجدول رقم (1).

جدول (1) توزيع الدرجات على إجابات المشاركين

مستوى الموافقة	لأوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
درجة الموافقة	1	2	3	4	5
الوزن النسبي	20 %	40 %	60 %	80 %	100 %

وقد اعتمد الباحث على هذا المقياس في اختبار الفرضية الرئيسية لهذا البحث، حيث تكون الفرضية مقبولة عندما يكون الوسط الحسابي المحسوب (3) درجات فأكثر، أي عند نسبة (60 %) فأكثر، إما دون ذلك فتعتبر الفرضية مرفوضة.

#### مجتمع وعينة البحث.

يتكون مجتمع البحث من جميع فاحصي الضرائب بإدارة الضريبة على الشركات مصلحة ضرائب طرابلس والبالغ عددهم 27 فاحصاً<sup>1</sup>. وتم توزيع الاستبيان على الفاحصين المشاركين والبالغ عددهم (23) فاحصاً، حيث يعتبر هذا العدد معقولاً، لأنه يفوق العدد الذي يمكن اعتماده في استخدام المعادلات الإحصائية، بلغ عدد الاستبيانات المرجعة، والمستخدمة في هذا البحث (20) استبانة أي بنسبة 87 %. وتم تجميع الاستبيان خلال شهر من تاريخ توزيعه بمساعدة قسم الضريبة على الشركات بمصلحة ضرائب طرابلس.

#### الصدق والثبات.

تم اختبار استمارة الاستبيان قبل توزيعها وتحليلها، بهدف الوصول بها للشكل النهائي الذي تم اعتماده في التحليل، وذلك من خلال المراحل التالية:

1 - صدق المحكمين. عرض الباحث الاستبيان بعد إعداده على مجموعة من الأساتذة الأكاديميين في الجامعات الليبية، وقد استجاب الباحث لأراء السادة المحكمين،

1 - المصدر - إدارة الضريبة على الشركات / مصلحة ضرائب طرابلس.



وقام بإجراء ما يلزم من تعديلات في ضوء آرائهم التي تفضلوا بها .

2 - صدق الأتساق الداخلي. قام الباحث باختبار المصدقية، والثبات باستخدام كرونباخ ألفا وذلك لتبيان التناسق الداخلي للأسئلة، والتحقق من درجة الثبات في إجابات عينة البحث من خلال الاستبيان.

والجدول رقم (2) يبين درجة الثبات لمجالات البحث، ويلاحظ من الجدول رقم (2) أن أداة البحث كانت تتمتع بثبات عال يبرر استخدامها، حيث كانت جميع درجات الثبات لمجالات البحث أعلى من النسبة المقبولة للدلالة على ثبات أداة البحث (60 %). كما كانت قيمه ألفا بالنسبة لكل فقرات البحث أعلى من النسبة المقبولة إحصائياً (60)، كما هو موضح بالجدول التالي.

جدول (2) قيمه ألفا لمتغيرات الدراسة

المتغير أو المجال	أسئلة الاستبيان	عدد الأسئلة	قيمة ألفا (&)
مدى الاعتماد	8 - 1	8	91.06 %

#### الأساليب الإحصائية المستخدمة .

قام الباحث باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS لتحليل نتائج هذا البحث مستخدماً الأساليب الإحصائية التالية عند تحليل البيانات واختبار فرضية البحث:

1 . الأساليب الإحصائية الوصفية، والتوزيعات التكرارية، وذلك لأن البيانات ( بيانات منفصلة) وفي هذه الحالة يكون من المناسب والمفيد استخدام هذه الأساليب؛ لأنها تعطي فكرة سريعة وواضحة ومبدئية على ما يجري، وكذلك استخدام النسب المئوية للمجاميع؛ لأنها تعكس الصورة الواقعية على طبيعة البيانات وتشمل ما يلي:

أ - الوسط الحسابي لمعرفة مدى ارتفاع، أو انخفاض إجابات المشاركين عن كل فقرة من الفقرات عن الوسط الفرضي.

ب - الانحراف المعياري: استخدم لقياس مدى تشتت الإجابات عن وسطها الحسابي، بحيث كلما قل الانحراف المعياري كانت الإجابات أكثر انسجاماً وقرباً من الوسط الحسابي.

ج - اختبار One Sample T.Test لاختبار صحة فرضية البحث، بحيث يقبل الفرضية البديل إذا كانت قيمة المحسوبة T أكبر من قيمة الجدولية T والتي تساوي (2,02) عند مستوى معنوية 0.05 ودرجة حرية 48، أو عندما يكون مستوى المعنوية أقل من 0.05 والوزن النسبي للتطبيق أكبر من 60 % ، في حالة عكس ما سبق يقبل الفرضية العدم.

#### خصائص المشاركين في البحث:

اشتمل الجانب الأول من الاستبيان على مجموعة الأسئلة التي تهدف إلى تجميع بعض المعلومات الشخصية عن المشاركين البالغ عددهم (20) فاحصا. وفيما يلي تحليل لإجابات المشاركين في هذا الخصوص.

#### 1 - توزيع المشاركين حسب العمر:

الجدول التالي يوضح توزيع المشاركين وفقا للعمر

جدول (3) توزيع المشاركين وفقا للعمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 30 سنة	2	10 %
من 30 إلى أقل من 40 سنة	4	20 %
40 سنة فما فوق	14	70 %
المجموع	20	100 %

المصدر: بيانات البحث

من الجدول رقم (3) نلاحظ ان نسبة 70 % من المشاركين تراوحت أعمارهم من 40 سنة فما فوق، وجاءت هذه الفئة في المرتبة الأولى، بينما جاءت الفئة العمرية من 30 إلى أقل من 40 سنة في المرتبة الثانية بنسبة 20 %، أما الفئة العمرية الأقل من 30 سنة جاءت في المرتبة الأخيرة بنسبة 10 % . وهذا قد يفيد أهداف الدراسة في كون أن أغلبية المشاركين من الذين لديهم دراية كافية للإجابة على الأسئلة المطروحة بحكم كبر السن .

## 2. توزيع المشاركين حسب المؤهل العلمي:

جدول (4) توزيع المشاركين وفقا للمؤهل العلمي

النسبة المئوية	التكرار	المؤهل العلمي
20 %	4	دبلوم تجاري
65 %	13	بكالوريوس
15 %	3	ماجستير
0	0	دكتوراه
0	0	أخرى
100 %	20	المجموع

المصدر : بيانات البحث

يوضح الجدول رقم (4) توزيع المشاركين حسب المؤهلات التي يحملونها بأن ما نسبته 65 % من المشاركين يحملون الشهادة الجامعة ( البكالوريوس)، بينما يشكل حملة الشهادات العليا نسبة 15 %، وأن 20 % من المشاركين يحملون دبلوم، وهذه النتيجة تفيد بأن الغالبية العظمى من المشاركين هم من حملة الشهادات الجامعية فما فوق. وهذه المؤشرات تدل على توفر التأهيل العلمي المناسب مما يضمن الثقة في البيانات التي تم الحصول عليها.

## 3. توزيع المشاركين حسب التخصصات العلمية:

جدول (5) توزيع المشاركين وفقا للتخصص العلمي

النسبة المئوية	التكرار	التخصص
75 %	15	محاسبة
10 %	2	إدارة أعمال
10 %	2	اقتصاد
5 %	1	أخرى
100 %	20	المجموع

المصدر : بيانات البحث

يبين الجدول رقم (5) توزيع المشاركين حسب التخصصات العلمية أن نسبة حملة المؤهلات المحاسبية تمثل 75٪ من مجموع المشاركين، كما يلاحظ توفر نسبة بسيطة من حملة التخصصات الأخرى التي لها علاقة بمهام الفحص كإدارة الأعمال 10٪ والاقتصاد 10٪، والنسبة الباقية من المشاركين لديهم تخصصات أخرى، مما يعني أن الغالبية العظمى من المشاركين تتوفر لديهم الخلفية العملية المناسبة للمهام التي يقومون بها وهذا يعزز نتائج الدراسة.

#### 4. توزيع المشاركين حسب سنوات الخبرة:

جدول (6) توزيع المشاركين وفقا لسنوات الخبرة

عدد سنوات الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
اقل من 5 سنوات	3	15 %
من 5 - 10 سنوات	7	35 %
من 10 - 15 سنة	6	30 %
أكثر من 15 سنة	4	20 %
المجموع	20	100 %

المصدر: بيانات البحث

يوضح الجدول رقم (6) توزيع المشاركين حسب سنوات خبرتهم في مجال الفحص الضريبي أن 15٪ من المشاركين لديهم خبرة تقل عن خمس سنوات، في حين بلغت نسبة من لديهم سنوات خبرة أكثر من خمس سنوات 85٪. تدل هذه النسب بأن المشاركين لديهم خبرة طويلة في مجال الفحص والربط الضريبي مما يمكنهم من حسن أداء مهام الفحص، وهذا يعزز نتائج الدراسة لان المشاركين من ذوي الخبرات الطويلة.

#### تحليل البيانات واختبار فرضية البحث:

يتناول هذا الجزء تحليل ودراسة إجابات، وملاحظات المشاركين في القسم الثاني من قائمة الاستبيان، وفي ما يلي تحليل إجابات المشاركين على أسئلة الاستبيان:

فرضية البحث: تعتمد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي.

تم اختبار هذه الفرضية بالاعتماد على الأسئلة (1 - 8) من الاستبيان، ويوضح الجدولان

رقم (7،8) الإحصائيات الوصفية لأراء المشاركين حول مدى اعتماد الإدارة الضريبية في ليبيا على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي.

جدول (7) نتائج التحليل المتعلقة بمدى اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد

والمعتمد من قبل المحاسب والمراجع القانوني في عملية الفحص الضريبي

غير موافق بشدة		غير موافق		محايد		موافق		موافق بشدة		العبارة
النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
0	0	0	0	0	0	75 %	15	25 %	5	هناك إلزام كامل من السلطات التشريعية لفاحصي الضرائب بعدم قبول الاقرارات الضريبية التي لا تكون معتمدة من قبل مراجع خارجي
0	0	75 %	15	15 %	3	10 %	2	0	0	اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي يدعم عملية الفحص الضريبي.
0	0	65 %	13	15 %	3	20 %	4	0	0	اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي يشجع الممولين على الالتزام بتقديم إقراراتهم الضريبية في مواعيدها المحددة قانونا.

1	5%	2	1%	4	2%	12	60%	1	05%	الاعتماد على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي من شأنه أن يساعد الإدارة الضريبية علي استخدام أسلوب الفحص الانتقائي مما يساعد على أنها ملف التراكم الضريبي.
2	10%	2	10%	5	25%	10	50%	1	5%	أهمال الإدارة الضريبية للاقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع في عملية الفحص الضريبي يزيد من تكاليف الفحص والربط الضريبي.
0	0	1	5%	5	25%	14	70%	0	0	إن إلزام نفس المحاسب والمراجع القانوني باعتماد الاقرار الضريبي يزيد من فاعلية عملية الفحص الضريبي.
0	0	0	0	2	10%	6	30%	12	60%	العقوبات الجزائية كافية لردع المحاسب والمراجع القانوني في حال اعتماده بيانات ضريبية غير صحيحة.
0	0	4	20%	4	20%	9	45%	3	15%	وجود ثقة كبيرة في الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي.

جدول (8) نتائج التحليل المتعلقة بمدى اعتماد الإدارة الضريبية على الأقرار المعد والمعتمد من المحاسب القانوني

رقم السؤال	مضمون السؤال	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
1	هناك إلزام كامل من السلطات التشريعية لفاحصي الضرائب بعدم قبول الأقرارات الضريبية التي لا تكون معتمدة من قبل مراجع خارجي.	4	0.75	80 %
2	اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي يدعم عملية الفحص الضريبي.	2.84	0.888	56.8 %
3	اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي يشجع الممولين على الالتزام بتقديم إقراراتهم الضريبية في مواعيدها المحددة قانوناً.	2.83	0.97	56.6 %
4	الاعتماد على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي من شأنه أن يساعد الإدارة الضريبية على استخدام أسلوب الفحص الانتقائي مما يساعد على أنها ملف التراكم الضريبي.	2.78	0.693	55.6 %
5	أهمال الإدارة الضريبية للإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي يزيد من تكاليف الفحص والربط الضريبي.	2.89	0.988	57.8 %
6	إن إلزام نفس المراجع القانوني الذي قام بمراجعة حسابات المنشأة باعتماد الأقرار الضريبي يزيد من فاعلية عملية الفحص الضريبي .	2.86	1.1315	57.2 %
7	العقوبات الجزائية كافية لردع المراجع الخارجي في حال اعتماده بيانات ضريبية غير صحيحة.	2.74	1.1911	54.8 %
8	وجود ثقة كبيرة في الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي.	2.72	0.8989	54.4 %
	المجموع	2.96	1.04	59.2 %

المصدر : بيانات البحث

عند تناول نتائج هذه الاسئلة مجتمعة، والتي تهدف إلى التعرف على مدى اعتماد الإدارة الضريبية في ليبيا على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي - نلاحظ أن قيم المتوسط الحسابي لإجابات المشاركين تراوحت بين (4 - 2.72). و كما نلاحظ أن السؤال رقم (1) الذي ينص على أن (هناك إنترام مطلق من قبل الإدارة الضريبية بعدم قبول أي إقرار ضريبي ما لم يكن معتمداً من قبل مراجع خارجي) قد حاز على أعلى قيمة متوسط حسابي حيث بلغ (4) وانحراف معياري قدره (0.75) وهذا الوسط يمثل نسبة مئوية قدرها (80 ٪)، وهذه النتيجة تدل على إلتزام فاحصي الضرائب بنص التشريع الضريبي، والمتمثل في ضرورة إعتقاد الإقرارات الضريبية بالنسبة لشركات الاشخاص، والشركات المساهمة من قبل محاسب ومراجع قانوني مقيد بجدول المحاسبين والمراجعين القانونيين المشتغلين، وعند مقابلة بعض فاحصي الضرائب تبين أن الامر لا يعد إلا مسألة قانونية إجرائية يتطلبها القانون. أما بقية الأسئلة والتي هدفت إلى معرفة مدى اعتماد الإدارة الضريبية على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي، فقد أجاب معظم فاحصي الضرائب بعدم الموافقة، وتراوحت المتوسطات الحسابية لهذه الفقرات بين (2.72 - 2.89) وعموما بلغت قيمة المتوسط الحسابي الإجمالي للأسئلة مجتمعة (2.96)، وهو أقل من متوسط أداة القياس (3)، كما بلغ الانحراف المعياري للأسئلة مجتمعة (1.04) وهذا يدل على وجود نوع من الانسجام في إجابات المشاركين عن أسئلة الاستبيان كما بلغت النسبة المئوية للأسئلة مجتمعة (59.2 ٪)، وهي أقل من النسبة المعتمدة في هذه الدراسة (60 ٪)، وهذا يدل على أن الإدارة الضريبية لا تعتمد على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي.

#### اختبار فرضية البحث:

**فرضية العدم:** «لا تعتمد الإدارة الضريبية في ليبيا على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي»  
**الفرضية البديلة:** «تعتمد الإدارة الضريبية في ليبيا على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي»  
 يوضح الجدول رقم (7) عدم موافقة المشاركين من عينة الدراسة على أغلب الفقرات



حيث بلغ الوسط الحسابي للأسئلة مجتمعة (2.96) وللتحقق من أن الوسط الحسابي الذي أبداه المشاركون من عينة البحث لتلك الفقرات أقل بدرجة معنوية من وسط أداة القياس؛ لذا تم استخدام اختبار One Sample T - test لاختبار مدى وجود دلالة إحصائية في الفرق بين الوسط الحسابي (2.96) ووسط أداة القياس (3) حيث يظهر الجدول رقم (9) أن قيمة t المحسوبة البالغ (- 1.13) أصغر من من قيمة t الجدولية البالغ (2.008) عند مستوى دلالة (0.05) وذلك لجميع الفقرات التي تضمنها الجدول، مما يشير إلى عدم معنوية الفرق بين الوسط الحسابي لإجابات العينة، ومتوسط أداة القياس (3) وهذا يدل على وجود فرق معنوي بين الوسط الحسابي لإجابات العينة ومتوسط أداة القياس، لذا نقبل الفرض العدم، ونرفض الفرض البديل وهي :

- "لا تعتمد الإدارة الضريبية في ليبيا على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي"
- تم اختبار فرضية البحث باستخدام اختبارية One Sample T - test وكان الاختبار كما في الجدول رقم (9)

جدول (9) نتائج اختبار فرضية البحث

الوسط الحسابي	نسبة الوسط الحسابي	المحسوبة T	T الجدولية عند مستوى (0.05)	نتيجة الاختبار
2.96	٪ 59.2	- 1.13	2.008	قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل

نتائج وتوصيات البحث:

أولاً - النتائج:

بناء على ما تم بيانه في الفقرات السابقة من تحليل لبيانات البحث، ومناقشة نتائجه، واختبار الفرضية التي قام عليها فإنه يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية:

1 - إن الإدارة الضريبية تولي اهتماما بالفحص الضريبي الذي يقوم به الفاحص الضريبي أكثر من اهتمامها بالبيانات الضريبية المعدة والمدققة من قبل المراجع الخارجي.

- 2 - إن عدم قبول الإقرارات الضريبية التي لا تكون معتمدة من قبل مراجع خارجي مقيد بجدول المحاسبين، والمراجعين المشتغلين ماهو إلا عملية إجرائية يتطلبها القانون الضريبي.
- 3 - لا يتم الاعتماد على الإقرارات الضريبية المعدة، والمعتمدة من قبل المراجعين الخارجيين في عملية الفحص الضريبي خاصة في ما يتعلق باعتماد أسلوب الفحص الانتقائي الذي نص قانون ضرائب الدخل على استخدامه لانتهاء ملف التراكم الضريبي.
- 4 - ارجع أغلب فاحصي الضرائب السبب في عدم الاعتماد على الإقرار الضريبي المعد، والمعتمد من قبل المحاسب والمراجع القانوني إلى عدم وجود عقوبات رادعة توقع على المراجع الخارجي في حال اعتماده بيانات ضريبية غير صحيحة.
- 5 - أغلب فاحصي الضرائب أكدوا عدم وجود ثقة في المراجع الخارجي.

#### ثانيا - التوصيات:

- بناء على ما توصل إليه البحث من نتائج، يوصي الباحث بما يلي:
- 1 - العمل على إيجاد المناخ المناسب الذي يجعل من الإدارة الضريبية تعتمد على الإقرارات الضريبية المعدة والمعتمدة من المراجع الخارجي في عملية الفحص الضريبي، خاصة فيما يتعلق بتطبيق أسلوب الفحص الانتقائي الذي نص عليه التشريع الضريبي لانتهاء ملف التراكم الضريبي.
- 2 - توعية المراجع الخارجي بالمسؤولية الملقاه عليه في حال اعتماده بيانات ضريبية غير صحيحة.
- 3 - ضرورة إدراج عقوبات، وجزاءات رادعة على المراجع الخارجي في حال اعتماده بيانات ضريبية غير صحيحة.
- 4 - العمل على تدعيم سبل التعاون بين الإدارة الضريبية، ونقابة المحاسبين، والمراجعين، والعمل على زيادة الثقة فيما بينهم.
- 5 - القيام بدراسات متممة لهذا البحث، خاصة فيما يتعلق بدراسة أسباب عدم اعتماد الإدارة الضريبية في ليبيا بالاعتماد على الإقرار الضريبي المعد والمعتمد من قبل المراجع الخارجي.

## المراجع

### أولاً - المراجع العربية

- 1 - أحمد عبد المولى الصباغ، (1998) إطار مقترح لتطوير الفحص الضريبي، مجلة التكاليف، الجمعية العربية للتكاليف، العدد 22
- 2 - أمال نوري الفيتوري، (2006) اتجاهات القائمين بعملية الفحص الضريبي نحو المتطلبات التنفيذية للعمل في مجال الفحص الضريبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد، جامعة قاريونس
- 3 - سعاد اللال في (2001)، الإقرار الضريبي في إطار خدمات المراجع الخارجي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجبل الغربي.
- 4 - جلال الشافعي، (2006)، مبادئ المحاسبة الضريبية والضريبة على أرباح الأشخاص الطبيعيين
- 5 - محمد حوسو (2005)، التدقيق للأغراض الضريبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- 6 - محمد أديب الدوس، (2014)، دور المدقق الخارجي في عملية التكلفة الضريبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق.
- 7- نادر صلاح الدين، (2005)، مدى مصدقية البيانات المالية المدققة لدى دوائر ضريبة الدخل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، فلسطين.
- 8 - ناصر الخطيب، (2007)، توثيق إجراءات الفحص الضريبي من منظور متطلبات إدارة الجودة الشاملة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، المجلد 29، العدد 2.
- 9 - مدين إبراهيم الضابط، (2006)، مدى تبني معايير المراجعة المقبولة عموماً كمعايير لتدقيق الضرائب على الدخل في سورية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والتجارة، جامعة دمشق.
- 10 - شيماء الروبي، (2005)، استخدام الفحص التحليلي كأداة لزيادة كفاءة وفاعلية تخطيط الضريبة العامة على المبيعات، المجلة المصرية للدراسات التجارية، المجلد 29، العدد الأول.
- 11 - يحيى زكرياء جاد، (2008)، عوامل تأخر الفحص الضريبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة وادي النيل، السودان.

### ثانياً - المراجع الاجنبية:

- 1- Kenneth S. Savell: Exam Can only obtain Third – Party Tax In Formation Possessed by othr IRS Sources on a Need to know Basis ERS examination team journal of the Tax (IRE)2002
- 2 – Tom Teufel Mike Talkey; ‘ Examination Procedures Third Party Contacts’ Accountant’ s work papers; Enternal Revenue Service(IRS).2000

### ثالثاً - القوانين واللوائح:

القانون رقم (7) لسنة 2010م بشأن ضرائب الدخل في ليبيا  
اللائحة التنفيذية لقانون ضرائب رقم (7) لسنة 2010 م

## البحوث العلمية بين الجودة والتميز ( مفاهيم ومنطلقات )

د.محمد فرح رحيل \* أ.بسمة صالح الشخي \* \*

### ملخص البحث

إن فكرة هذه البحث تقوم على هدفين رئيسيين أولهما توضيح الجوانب الرئيسة للمعرفة العلمية وعلاقتها بالبحث العلمي، والهدف الثاني: هو لفت انتباه مراكز الأبحاث والجامعات، والمراكز العلمية كافة إلى أهمية الجودة، والإبداع، والتميز في مجال البحث العلمي.

هذا إضافة إلى أن هذه البحث يهدف إلى الرفع من مستوى البحث العلمي في السوق العالمية، ومحاولة الاستفادة من تلك البحوث في الواقع العلمي، وقد استخدمت في ذلك المنهج الكيفي، والوصفي للإجابة عن تساؤلاتها، وقد توصل هذا البحث إلى أن أهم أنواع البحوث العلمية هي التي تهتم بالمظهر والمحتوى معاً، والتي تشتمل على شيء من التميز، والإبداع، والتجديد، والابتكار في مراحلها كافة، والباحث الجيد هو من يهتم بنوعية البحوث التي يقدمها أكثر من اهتمامه بعددها.

\* كلية الآداب. سرت / جامعة سرت

\*\* كلية الآداب. إجدابيا / جامعة إجدابيا

## 1 - مقدمة

إن البحوث العلمية هي عملية عقلانية تسعى نحو تحقيق أهدافها في جانبين مهمين هما بناء العملية البحثية، ووظيفتها، لذلك فهي يحدوها أمل كبير نحو تحسين مناهجها وأدواتها بما يحقق الغاية المنشودة منها، ولكونها محصلة للجهد البشري فهي عرضة للقصور، لذلك يسعى القائمون عليها لتخصيص الوقت والجهد من أجل الرقي بعملية البحث، ومن ثم الرقي بمخرجاتها؛ فخضعت عملية البحث لمعايير وإجراءات ومتطلبات الهدف منها: تهذيب هذه العملية، وتحسين مستوى الثقة في مخرجاتها، وهو ما عرف لاحقاً بالجودة، أو تجويد عملية البحث العلمي، وبما أن عملية البحث العلمي هي عملية تصحيح ذاتي، وهي عملية منطقية (الهالمي، 2003، ص 112)؛ فهي تنطلق من مسلمات رئيسية، وهي الالتزام بقواعد المنهج العلمي، والاحتكام إلى قواعد ثابتة، ومرعية يمكن في كل مرحلة التنبؤ بالمرحلة اللاحقة وتوقعها، وبذلك تتحقق غاية مهمة جداً من غايات الجودة، والتحسين، وهو القدرة على توقع الشكل والحركة في الخطوات اللاحقة، مما يعزز الثقة في العملية برمتها.

إن البحث العلمي ليس ترفاً بل هو مطلب مهم للمعرفة، وهو وسيلتها للإثبات والتحقيق، وكان ولازال البحث العلمي يمثل موضوعاً مبسطاً للبحث والتطوير، وكثرت فيه المساهمات التي تدعو إلى التطوير باستمرار مما جعله حقلاً من حقول العلم والمعرفة.

والجودة والتميز هما مطلبان رئيسان لإنتاج المعرفة العلمية العامة، وعنصران من الضروري أن يتوفرا في الباحث العلمي، فيجب على الباحث العلمي أن تكون لديه القدرة على التميز والإبداع؛ لأنّ انعدام القدرة على التغيير والتطوير يمثل حالة الجمود، التي لا تناسب روح البحث العلمي، وكذلك لا تناسب الجهد الإبداعي الخلاق الذي يعتمد على تجديد الفكر وتطوره بما يخدم المعرفة العلمية ويؤدي إلى المحصلة الاقتراعية بين إجادة العمل، وتميز المنتج.

لقد اعتمدت المؤسسات العالمية الكبرى على الجمع بين الجودة، والتميز في البحث العلمي لتحقيق التفوق والريادة والحصول على أكبر العوائد المادية والمعرفية، ومن الأمثلة على ذلك شركة (واكر) العالمية التي اعتمدت سياسة أساسية لتحسين نوعية المنتج من خلال إجادة البحث، والاهتمام بمركز البحث والتطوير داخل الشركة، والذي أدى بدوره

إلى نتائج مهمة انعكست على نوعية المنتجات (الأبعاد الخمسة، غير مؤرخ : بدون ص)، لقد أصبح لموضوع الجودة، والتميز مكانهما المرموق في الاقتصاديات المعاصرة، فبعد أن أصبح هناك كم هائل من الشركات المتنافسة في السوق العالمية على المستويات جميعها وظهور العولمة والحداثة - أصبح - الاهتمام بالبحث العلمي يزداد، فقد اتخذت الشركات المتنافسة الأسلوب العلمي منهجاً لمواجهة التحديات التي تواجهها، والتي تحاول من خلال الجودة والتميز الوصول إلى العالمية والصدارة في نوعية المنتج لزيادة الطلب عليه.

إن البحوث العلمية في مجتمعاتنا النامية عامة والعربية خاصة تعاني واقعاً مريراً، فأغلب البحوث المقدمة تنقصها الجودة ويقل فيها التميز والإبداع والابتكار، فأغلب البحوث العلمية وبخاصة الاجتماعية مهما أصبحت مكاناً لتجميع نتائج وأفكار سابقة "اقتباسات" يقل أو يندر فيها الإبداع والابتكار والتميز كما أنه من النادر وجود مقياس محدد لجودة البحث العلمي في معاهدنا وجامعاتنا.

إضافة إلى أن الحركة الصناعية في دول العالم كله ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبحث العلمي، فنجاح الصناعات والثورات الصناعية كان نتاج أبحاث علمية تميزت، لكي ترقى بكثير من الدول (كاليابان) التي أصبحت تحتل مركز الصدارة في الاختراعات وبراءات الاختراع والتقدم الفكري والصناعي، ومن خلال هذه الأهمية للبحث تتجلى أهمية الاهتمام بجودته وتميزه.

## 2 - المبحث الأول : الاجراءات المنهجية :

### 2 - 1 - تحديد موضوع البحث وأهم عناصره :

إن الإشكالية الرئيسة التي ينطلق منها البحث هي : في ضوء الدواعي الكثيرة للتركيز على الجودة في مجالات الحياة المختلفة، والإصرار على تطبيقها في شتى مجالات الحياة الاجتماعية، هل يمكننا الاكتفاء بتطبيقات الجودة في مجال البحث العلمي أم نحن في حاجة إلى إضافة مفهوم التميز الذي أصبح يفرض نفسه بقوة في وسط التنافس الذي تشهده مجالات المعرفة المختلفة ومن هذه الإشكالية ظهر السؤال الرئيسي للدراسة وهو ما هو موقف البحوث العلمية من عملية الجودة والتميز ؟

وبالنظر إلى المقدمة السابقة فإن موضوع الجودة والتميز من الموضوعات فائقة الأهمية بالنسبة للبحث العلمي، لذلك وضع الباحثان مجموعة من التساؤلات ومن ثم محاولة الإجابة عليها، وهي ما هي المعرفة العلمية ؟ وما هي الجودة؟ وما أشكالها وفوائدها

وصفاتها؟ وما هي الأسس التي تقوم عليها؟ وكيف يتم تطبيقها؟ وما المشكلات الناتجة عن عدم تطبيقها؟ وما هو التميز؟ وما هي المفاهيم المرتبطة به كالابتكار والإبداع؟ وما هي العلاقة بين الجودة والتميز؟..

### 1 - 1 - 1 - أهمية موضوع البحث :

إن أهمية هذا البحث تتبع من أهمية البحث العلمي نفسه، حيث إن أهمية في كونه متميزاً وُدُّ جودة عالية تزيد من جدواه وإسهاماته في الحياة العلمية والعملية، حيث تحاول هذه البحث تسليط الضوء على الكثير من الزوايا التي تختص بالإبداع والابتكار والتميز في البحث العلمي.

كما أن الجودة والتميز تعدان محوراً أساسياً للبحث العلمي ؛ وإذا لم يكن الباحث العلمي على دراية كاملة بمثل هذه المواضيع (الجودة - التميز - الابتكار - الإبداع - الإلتقان... الخ) فلا أهمية لما يقدمه أو يعرضه، حيث سيكون ما يقدمه مجرد تكديس للمعلومات دون معرفة بكيفية الوصول بها إلى درجات التميز والإبداع، لذلك كان من المهم أن يلفت هذا البحث نظر الباحثين في المجال العلمي إلى أهمية وضرورة الوصول بالبحث العلمي إلى مواصفات الجودة العالمية، مع وضع لمسات إبداعية ومتميزة للرفع من مستوى البحث أولاً وجذب الممولين ثانياً.

كما أن بحوث الجودة والتميز تخفض من تكاليف الإنتاج، كما تُعدُّ دراسة الجودة أو ما يعرف بتكاليف الجودة أداة للتحسين المستمر للمنتج فهي تساعد على تحديد مناطق الفشل والإخفاق ومصادر حدوث العيوب (عشيوني، 2007: 13).

### 1 - 1 - 2 - أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق العديد من الطموحات، والتي يمكن أن نجملها في بعض النقاط وهي على النحو الآتي:

1. لفت انتباه القائمين على عملية البحث العلمي إلى أهمية أن تكون عملية البحث العلمي قائمة على الترابط بين عملية الجودة والتميز معاً.
2. الإشارة إلى أهمية التركيز على الجودة والتميز في مراحل البحث نفسها وليس مخرجاتها.

## 1 - 1 - 3 - منهجية البحث :

استخدم هذا البحث المنهج الكيفي في صورته التحليلية من خلال صياغة مجموعة من الاسئلة يتم استلهاها من السؤال الرئيسي، ثم يتم بعد ذلك الإجابة عنها لعرض التساؤلات ومن ثم محاولة الإجابة عنها، بالإضافة إلى الاستناد على التراث النظري في مجال الجودة، والتميز وكيف تم توظيفه في مجال البحث العلمي إضافة إلى الملاحظة الشخصية.

## 1 - 1 - 4 - الدراسات السابقة :

إن في الموروث الفكري الاقتصادي الشيء الكثير عن الجودة والتي حظيت بالاهتمام الكبير، فهناك من تحدث عن الجودة في التعامل مع العملاء، وتكاليف الجودة، وضبط الجودة في المجالات الإنتاجية والخدمية، وفي مجال إدارة الجودة الشاملة، وغيرها من الموضوعات؛ التي حظيت بالكثير من الاهتمام من قبل المهتمين بالشأن الاقتصادي.

كما أن هناك من اهتم بموضوع الجودة في المجال العلمي مثل الجودة في اعتماد المؤسسات التعليمية والتدريبية، وجودة الخدمات الطلابية، مثل دراسة (صلاح الدين فرج بخيت) بعنوان (جودة الخدمات الطلابية التي تقدمها عمادة شؤون الطلاب بجامعة السلطان قابوس)، وهناك دراسة (نوال نور) عام (2011 - 2012) بعنوان (كفاءة أعضاء هيئة التدريس وأثرها على جودة التعليم العالي)، ودراسة حسن (محمد مهيبوب و أحمد عبد الملك) بعنوان (ممارسات ادارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي).

ولكن الدراسات عن جودة البحث العلمي قليلة مقارنة مع أهمية الموضوع، فالبحث العلمي من الموضوعات التي تحتاج منا إلى الجودة العالية في تطبيقها، وقد ناقش هذا الموضوع بعض الباحثين أمثال : (سالم محمد القماطي) الذي قدم دراسة بعنوان (دراسة تحليلية لمتطلبات ضمان جودة البحث العلمي) والتي أكد فيها على أن البحث العلمي يندرج تحت إطار العمل الإنتاجي، وأنه على المستوى العلمي يقع في دائرتين : الأولى في دول العالم المتقدم ويركز فيها البحث على المحافظة على مستوى الجودة الذي وصل إليه، والدائرة الثانية في الدول النامية، تحاول البحوث العلمية إيجاد حلول لحالات التخلف التي تعاني منها تلك الدول، وتحدث أيضاً عن الدور المهم للدولة والباحث في جودة البحث العلمي كما حدّد فيها سبل الدولة للحصول على الباحث الجيد (القماطي، غير مؤرخ:1)



وهناك عام ( 2012 )دراسة (ميرفت محمد راضي) بعنوان (تصور مقترح لتجويد البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية) وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية، والتعرف على أهم المعوقات التي تواجه البحث العلمي، وقد خلصت الدراسة إلى أن البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية في تطور مستمر بالرغم من كل التحديات والصعوبات التي تواجهه ولكنه لم يصل إلى المستوى المطلوب .

كما كشفت الدراسة أن أهم المعوقات هي عدم وجود سياسة وطنية للبحث العلمي، وافتقار البحث للدعم والتأييد المجتمعي، كما يعاني البحث العلمي من ضعف التمويل، والنتائج التي يتوصل لها الباحثون لا تحظى بالاهتمام، كما أنه لا توجد أية معايير محددة لتقييم الأبحاث ونشرها، وكشفت الدراسة أيضاً عن أن مراكز الأبحاث ذاتها تعاني من ضعف البنية التحتية (راضي، 2012: 714).

وهناك دراسة للباحث (محمد عبد الحسين الطائي) في نفس العام بعنوان (نحو إستراتيجية فعالة لضمان الجودة في البحث العلمي بالوطن العربي)، وقد هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤالين أساسيين هما : هل نظام البحث العلمي في الوطن العربي جيد بما فيه الكفاية؟ وهل عملية إعداد البحوث العلمية وإجراءات التقييم لها تتم بشكل كفاء وفاعل كما يجب أن يكون، كما هدفت إلى توفير فكرة سليمة عن طبيعة البحث العلمي المعتمد حالياً في الوطن العربي لضمان جودة البحث العلمي.

وقد استنتجت هذه الدراسة أن نظام البحث العلمي الحالي يعاني من نقاط الضعف العديدة في بعده الرئيسي : (إعداد البحث العلمي وتقييمه)، واستنتجت أن هناك خللاً كبيراً في سياسات التعليم العالي، وزيادة درجة تعقيد ضمان الجودة، وإساءة تفسير طبيعة العلاقة المركبة بين منظومة البحث العلمي وعملية صنع القرار السياسي، والدور المثبط للقطاع الخاص، ووجود الكثير من التقسيمات غير الموحدة والمتداخلة جزئياً، وضعف المرونة اللازمة للحكم على نوعية مختلفة من التخصصات والتطورات الحاصلة فيها في إطار تجسيد الإنصاف والعدالة، وكشفت الدراسة أيضاً عن ضعف البنية التحتية السليمة لمنظومة البحث العلمي في الوطن العربي وغياب الإستراتيجية السليمة لهذه المنظومة (الطائي، 2012 : 126 - 146) .

وهناك دراسة بعنوان (ضمان جودة البحث العلمي باستخدام المكتبة الافتراضية العلمية) قام بها (عبد الجبار خلف وآخرون) عام (2011) وقد هدفت الدراسة إلى التعريف بمفهوم البحث العلمي ومعاييرته في الجودة الشاملة، وكيفية البحث في المصادر الإلكترونية، وتحليل واقع الاستخدام للمكتبة الافتراضية لبحوث التدريسيين، وقد توصلت الدراسة إلى ان هناك اهتماماً من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالمكتبة الافتراضية لما لها من قد أهمية في جودة البحث العلمي، وأن نسبة التغيير كانت إيجابية في إعداد البحوث العلمية بسبب المكتبة الإلكترونية (خلف، 2012 : 194).

كما قدّم (محمد بو زيان) دراسة بعنوان (تجويد البحوث العلمية والرسائل الجامعية: نحو منهجية لتطوير آليات التنظير والأطر النظرية السائدة) وقد اهتم فيها بتحليل أعراض آليات التنظير وعاداته السائدة في البحوث المنشورة، والرسائل الجامعية، واقتراح بدائل أكثر دقة وعمقاً واثراً لتطوير أساليب التنظير لصياغة الفرضيات والنماذج النظرية للبحث (تيفزة، 2012 : 33).

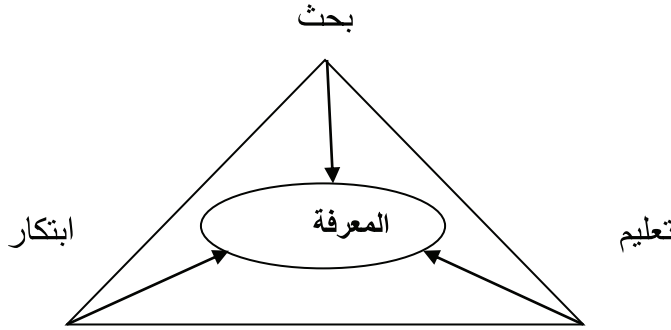
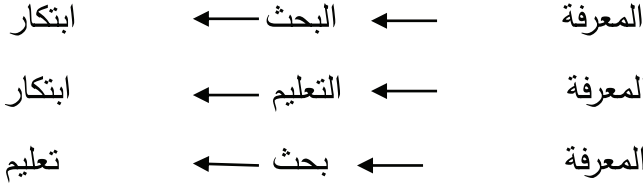
وقد قدّمت (منى توكل السيد) ورشة عمل عن جودة البحث العلمي أداً وارتقاءً تحدّثت فيها عن أهداف الجودة في البحث العلمي، وأهميتها وألقت الضوء على البيئة البحثية، وعلى مواطن الضعف والقصور في البحث العلمي، وصفات البحث الجيد، ومعايير البحث العلمي، كما قدّمت بعض المقترحات لتجويد البحث العلمي لأعضاء هيئة التدريس مثل: نشر أبحاثهم كنوع من التشجيع، وتخصيص ساعات معينة لإنتاج البحث العلمي كجزء من النصاب التدريسي، وغير ذلك الكثير، كما قدمت مقترحات لتجويد البحث العلمي للطلاب كوضع شروط للقبول وإخضاعه للمقابلة وربط بحوث التخرج بحاجة الوزارات والشركات العامة وغيرها من المقترحات القيمة (السيد، 2013 : 7 - 26).

## 2 - المبحث الثاني: الجودة في البحث العلمي

### 2 - 1 - المعرفة العلمية

إن المكونات الرئيسية للمعرفة العلمية هي الابتكار (innovation) والتعليم (Education) والبحث (Research)، وهذه الأضلاع الثلاثة تتكامل مع بعضها لتؤدي في النهاية إلى خدمة المعرفة العامة، وإذا وضعنا المعرفة العامة في وسط هذا المثلث

ووصلنا بينها وبين الزوايا بأضلاع نتج لدينا مجموعة من العلاقات الإضافية التي تغذي المعرفة بطريقة تزيد من التكامل والوضوح وهي :



وكلها علاقات تصب في مصلحة البحث العلمي الذي لا يتوقف عند الجانب المهاري، والثقافة بل يتعداه إلى الجانب المعرفي الإبداعي الابتكاري.

إن الإبداع والابتكار من المقومات الرئيسية التي تقوم عليها عملية البحث العلمي وتعد محفزاً رئيسياً لتطوير البحث العلمي من حيث الأدوات والوسائل.

لقد ركزت بعض البحوث والدراسات على الجانب المهاري والثقافة دون الالتفات إلى الجانب الإبداعي والابتكاري في العملية البحثية، وهذا بدوره اسهم في إخراج مجموعة من البحوث المتقنة من الناحية المنهجية إلى حد بعيد إلا أنها لا تُسهم في تطوير الواقع، أو لا تهتم به أصلاً فكانت في انفصال شبه تام عن واقعها ناهيك عن استشرافها للمستقبل. وقد وضعت العديد من المواصفات العالمية لتحقيق الجودة العالمية، فمثلاً هناك المنظمة العالمية لمعايير (الأيزو) والتي نشأت عام (1946 م) في (سويسرا) والتي اشتركت فيها في تلك الفترة أكثر من (90) دولة، وتطورت عبر الزمن حتى وصلت الايزو إلى (9000) والذي حددت فيه مجموعة من المعايير في المجالات جميعها والتي تُعدُّ البحث العلمي والتطوير من أهم محاورها الأساسية ( كحيلة، 2010 : 225 ).

لذلك كان من الضروري تسليط الضوء على هذا الموضوع أي ( الجودة في مجال البحث العلمي ) ولكي نصل إلى بحوث ذات فائدة مادية ومعنوية لدى الفرد والمجتمع يجب تحديد مجموعة من المعايير التي تشكل الأساس الحقيقي للفائدة العلمية.

## 5 - 2 - ماهية الجودة

إن الأصل الاشتقاقي للجودة في اللغة العربية هو : (ج ود) وهو أصل يدل على التسمح بالشيء وكثرة العطاء، ومن اشتقاقاته: الجيد : ضد الرديء، وأجاد : أتى بالجيد من القول أو الفعل، وبينَّ الجودة : أي راعٍ، وعليه فإن المعنى اللغوي يتضمن : العطاء الواسع والأداء الجيد الذي يبلغ حداً فائقاً ومن مرادفات الجودة الإتقان : والأصل الاشتقاقي (ت ق ن) يدل على إحكام الشيء (الرازي، 1989: 68)، والإتقان : الإحكام للأشياء، ومن المعاني المتصلة بالجودة الكفاءة: الأصل الاشتقاقي لها (ك ف ي) يدل على الحسب الذي لا مستزاد فيه ويقال: كفاك الشيء يكفيك، وقد كفى كفاية إذا قام بالأمر، فالمعنى اللغوي يتضمن : القيام بالأمر قياماً حسناً لا مزيد عليه (ابن منظور، 1997 : 557).

وبالتطبيق على المنتجات والخدمات تصبح الجودة هي إجمالي الصفات والخواص للمنتج أو الخدمة التي تجعلها قادرة على تحقيق احتياجات مشمولة أو محددة، بما ينعكس على رضى المتلقي، ومن ثم فلا بد أن يكون المنتج أو الخدمة مطابقاً للمواصفات الموضوعية لها وإلا فإن القصور عن المواصفات مؤشر لعدم كفاءة الأداء، فالجودة تعني التطابق مع احتياجات المستفيد، ومن ثم فإن الجودة تقتضي منع الأخطاء والوقاية منها وليس مجرد اكتشافها ومعيار الجودة هو الخلو من العيوب، ومقياسها هو التكلفة سواءً أكانت تكلفة الأخطاء أم تكلفة الإصلاح ومنع حدوث الخطأ مرة أخرى (Wikipedia, 2016).

والجودة هي تكامل الملامح والخصائص لمنتج، أو خدمة ما بصورة تمكن من تلبية احتياجات ومتطلبات محددة، أو معروفة ضمناً، وهي التفوق في الأداء من خلال تأدية العمل الصحيح بالشكل الصحيح ومن المرة الأولى، وفي كل وقت تعاد فيه الكره (الصليبي، 2008 : 19 - 20)، والمنتج الذي نقصده هنا هو البحث العلمي بصفته منتج مقصود لذاته .

وهي كذلك مقياس للتميز، أو حالة الخلو من العيوب، والنواقص والتباينات الكبيرة عن طريق الالتزام الصارم بمعايير قابلة للقياس وقابلة للتحقق، لإنجاز تجانس وتمائل في الناتج، ترضي متطلبات محددة للعملاء أو المستخدمين (wikipedia, 2016)..

يفهم كثيرٌ من الناس الجودة بأنها تعني ( النوعية الجيدة ) ولكن إذا أردنا أن نلخص علم الجودة بتعريف فيمكننا القول: إنها (تلبية حاجيات و متطلبات الزبون، و ذلك بالتطوير المستمر للعمليات الإنتاجية لكسب رضى الزبون، و تحسين نوعية الخدمات والإنتاج، ورفع مستوى أداء العمال، وتقليل التكاليف و الوقت و الجهد (alba7es, 2016).

ومن تعريفات الجودة أيضاً: ( مطابقة المنتج للمتطلبات أو المواصفات - قدرة المنتج على إرضاء العملاء - انخفاض نسبة العيوب وانخفاض معدلات الفشل - وانخفاض شكاوى العملاء - تحسين الأداء - النجاح في تنمية المبيعات).

ويرى البعض أن الجودة هي الدقة والإتقان عبر الالتزام بالمعايير القياسية في الأداء، وهي تختلف عن مصطلح ضمان الجودة الذي يعني التأكد من تطبيق الآليات والإجراءات في الوقت الصحيح والمناسب للتحقق من بلوغ الجودة المستهدفة ( بدون، 2010 : 10).

ويمكن تلخيص معنى الجودة في العديد من النقاط التي يمكن إيجازها في الآتي:

1. تعني مطابقة المتطلبات .
2. ملائمة الاستخدام .
3. ملاقاتة وتحقيق توقعات العملاء .
4. الوفاء بحاجات المستفيد حالياً ومستقبلاً وتخفيض الاختلافات .
5. تعني المنتج الجيد والذي هو المنتج الأكثر اقتصادية والأكثر فائدة وما يرضي المستفيد دوماً.

#### 5 - 2 - 1 - الجودة في البحث العلمي :

تعني جملة الجهود المبذولة من قبل الباحثين لرفع وتحسين المنتج العلمي (البحث)، وبما يتناسب مع رغبات المستفيد ومع قدرات وسمات وخصائص وحدة المنتج العلمي (الجيلي، 2005 : 3 - 4).

#### 5 - 2 - 2 - أشكال الجودة في البحوث العلمية:

##### أ. جودة المظهر

وتشمل البحوث ذات الجودة العالية من حيث مظهرها الخارجي وطباعتها وتسيقها، ونوع الورق، والالتزام بقواعد العرض كافة دون التركيز على المحتوى.

## ب. جودة المحتوى

وتشمل البحوث التي تهتم بالمحتوى الداخلي للبحث، والتركيز على خطواته ونتائجه، دون الاهتمام بطريقة العرض أو المظهر الخارجي.

## ج. جودة المظهر والمحتوى معاً

إن اجتماع هذين الجانبين من المطالب الأنموذجية في العمل والإنتاج، حيث تجتمع المميزات في كلا الجانبين، مما يعزز من مكانة المنتج والاستفادة منه على أكمل وجه، وفي المجتمع العلمي تزيد الحاجة إلى جودة العمل على المستوى الداخلي، الذي يتضمن الموضوع وأصالته، والمستوى الخارجي والذي يشير إلى أسلوب العرض والتقديم، والقالب والشكل، الذي يقوم فيه العمل أو الموضوع .

5 - 2 - 3 - فوائد الجودة :

إن لتطبيق معايير الجودة في عملية البحث العلمي الكثير من الفوائد للبحث العلمي ويمكن أن نلخصها على النحو الآتي:

1. الثقة في المعلومات والنتائج التي تقدمها الدراسة.
  2. القدرة على التعميم على مستويات عالمية عالية من التجريد.
  3. تكوين إطار مرجعي تصوري قادر على التفسير.
  4. إمكانية الاستفادة من هذا النوع من الدراسات في عملية القياس المرجعي.
  5. الرفع من مستوى أداء الشركات والمؤسسات العلمية وغير العلمية.
  6. الرقي بنوعية المنتجات البحثية والصناعية.
- 5 - 2 - 4 - أسس جودة البحوث العلمية :

أ. الباحث :

وهو الدعامة الأساسية لجودة البحث العلمي، فكلما كان الباحث ذا مهارة متميزة، ومتمكناً من قواعد المنهج العلمي، ومؤمناً بمبادئ العمل العلمي الذي يجمع بين الجودة والمهارة فإن ذلك يزيد من فرص نجاح عملية الجودة في البحث العلمي، ويساعد على تحقيق الكفاءة في الإنجاز العلمي.

ب. الجهة المسؤولة عن البحث :

هناك مسؤولية مشتركة بين الباحث والجهة الراعية للبحث، وهذه العلاقة عادةً ما يتم

تنظيمها من خلال مجموعة من الاتفاقيات والعقود، وهما يتقاسمان النتائج الايجابية، أو السلبية التي تنتج عن هذه العلاقة، وعلى الجهة المسؤولة يقع عبء التنظيم والتوجيه طوال فترة انجاز العمل، وكذلك كيفية تطبيق الاتفاقية المبرمة بالخصوص.

وهذه العلاقة التي تتسنى بين الباحث والجهة الراعية هي علاقة تفاعلية بقصد منفعة غير مؤقتة يستفيد منها الباحث، والجهة الراعية، وتعود بالفائدة على البحث العلمي من حيث تطوير الأفكار وإحداث تقدم في حقل المعرفة العلمية.

كما أن التطوير، والتغيير، والجودة والتميز في البحث العلمي لا يأتي من رغبة ذاتية فقط بل يجب أن يكون هناك دعم دولي ومؤسسي، فمعايير الجودة والتميز تحددها المؤسسات ويتنافس فيها الباحثون ( احمد، 2014: 586)، لذلك كان من الضروري على المؤسسات العلمية وغير العلمية تحديد مقاييس ومعايير للجودة والتميز .

وهذا للأسف ما ينقص الكثير من المؤسسات العلمية في ليبيا فقد أجرى الباحثان (محمد فرج وبسمة صالح) استطلاعاً على عينة مكونة من 20 طالباً من طلاب الدراسات العليا حول وجود قواعد وركيزة أساسية مكتوبة ومتوفرة في مكاتب الجودة يستعينون بها في خطوات البحث العلمي، وقد جاءت إجاباتهم بالنفي (أي عدم وجودها) وإن وُجدت فلا علم لهم بها .

## 5 - 2 - 5 - صفات الجودة في مجال البحث العلمي:

### أ. صفات تخص المظهر:

وهي ما يتعلق بالأمر الشكلية من حيث القالب الخارجي، والتقيد ببعض المواصفات الشكلية، من حيث التصميم الشكلي، مثال: (نوع الخط، وحجمه، والحواشي والمسافات الفاصلة، ونوع الورق، وطريقة عرض الأفكار، وطريقة التهميش، واستخدام علامات الترقيم للعناوين ونوع التغليف .... إلخ)، وهذه الأمور يجب أن تكون منضبطة وفق المواصفات والشروط المتفق عليها في عقود المؤسسة الراعية وتتحدد الجودة في مدى التزام الباحث بتلبية جملة هذه الشروط والمواصفات.

### ب. صفات الجودة التأسيسية للبحث:

وهي صفات تخص بتصميم البحث من حيث: ترتيب الخطة، وطريقة تقسيم الفصول، وإدراج العناصر وفق الأولوية، وطريقة عرضها وشرحها، بما يلبي احتياجات الموضوع المطروح.

إن تصميم البحث الجيد هو الذي يلبي متطلبات الموضوع، ويحقق الشروط الموضوعية كلها التي تتضمنها الخطة البحثية، واختيار التصميم المناسب للموضوع يساعد في إنجاز العمل المطلوب ويضمن جودة المخرجات.

### ج. صفات الجودة التي تخص شكل البحث:

وهي صفات تختص بجودة المنتج، وما تضمنته الخطة وما وصلت إليه من نتائج، ومدى التزامه (أي الباحث) بالأخلاقية العلمية في مجال البحث العلمي، من حيث الاقتباس والتطبيق ومن حيث الأخطاء اللغوية والنحوية والتعبيرية.

### 5 - 2 - 6 - تطبيق الجودة في مجال البحث العلمي:

تطبق الجودة في مجال البحث العلمي من خلال العديد من الخطوات والتي يمكن أن نلخصها في الآتي:

#### أ. المرحلة الإرشادية :

وهي المرحلة التمهيدية لتحقيق الجودة، ويمكن تطبيقها من خلال إعداد دليل إرشادي، تحدد فيه طريقة تطبيق البحث العلمي للوصول إلى الجودة، وتحدد فيه المواصفات السابق ذكرها لكي يعلم الباحث قبل البدء في عملية البحث ما هي المعايير التي يجب أن يلتزم بها في مراحل بحثه كافة وصولاً إلى الجودة في مجال البحث العلمي.

#### ب. مرحلة المتابعة :

وفي هذه المرحلة يجب أن يكون هناك فرد أو مجموعة أفراد يتابعون طريقة تطبيق معايير الجودة، ويتمثل هذا المتابع في المشرف على البحث، وفي مراكز الأبحاث تتمثل في لجنة لمتابعة الباحث في مراحل بحثه جميعها لضمان الوصول إلى الجودة العلمية.

#### ج. مرحلة التقييم :

وفي هذه المرحلة يتم تقييم البحث بالكامل، من خلال لجنة مختصة، حيث يقدم الباحث بحثه إلى المركز أو القسم المختص بعد الانتهاء من إعداده، ويحدد القسم التابع له الباحث أو المركز البحثي بدوره لجنة تقييمية تقوم بفحص البحث، ومدى مطابقته لمواصفات الجودة في مجال البحث العلمي، ومن ثم قبوله أو رفضه أو تعديله.

كما أن عملية التقييم هي عملية مستمرة ومتواصلة، فهي تبدأ مع بداية العمل وتتواصل قدماً مع التقدم في مراحل البحث، وصولاً إلى مرحلة التقييم النهائي، وبذلك يكون هناك



متسع من الوقت لتلافي أي عقبات أو قصور في عملية البحث .

إن تقييم جودة البحث العلمي لا يكون وفق تحديد معيار واحد فقط، بل إن مراكز الأبحاث العالمية تضع مجموعة من المعايير وهو ما يسمى (التقييم المتعدد الغاية ومتعدد المعايير) (الطائي، 2012 : 130)، والذي يسُهم في تلبية احتياجات الجودة من ناحية وكذلك الرقي بمستوى العمل العلمي من ناحية أخرى .

#### 5 - 2 - 7 - أهداف الجودة :

1. تحقيق الجودة في البحوث العلمية .
2. تحقيق أكبر قدر من الفائدة بأقل مجهود في كل مرة تجري فيها نفس الخطوات .
3. مساعدة الدولة على تحديد الأولويات وإعادة تخصيص الموارد البشرية .

#### 5 - 2 - 8 - مبادئ الجودة في البحث العلمي :-

1. تحقيق رضا المستفيدين من خلال :
  - أ - التعرف على المستفيدين واحتياجاتهم .
  - ب - ترجمة الاحتياجات إلى المخرجات .
  - ج - الوصول إلى منتجات تستوفي المعايير المطلوبة كلها .
2. التقييم الذاتي وتحسين الأداء من خلال :
  - أ - الالتزام وتحسين الأداء بشكل مستمر .
  - ب - بناء مقاييس الأداء .
  - ج - الاحتفاظ بتوثيق كامل لإدارة الجودة العلمية .
3. استخدام مبدأ العمل الجماعي وتشكيل الفرق العلمية .
4. الجمع المستمر للبيانات الإحصائية وتوظيفها بشكل مستمر (الجبلي، 2005 : 6) .

#### 5 - 2 - 9 - مشكلات قصور الجودة في البحوث العلمية :

يمكن تلخيص أهم المشكلات التي قد تنشأ عن قصور الجودة في البحوث العلمية على النحو التالي:

1. تدني مستوى البحث العلمي .
2. عدم وجود معايير، أو إطار مرجعي ثابت يستند عليه الباحثون في البحث العلمي .

3. انعدام الثقة في النتائج المتحصل عليها من خلال الدراسات، والأبحاث العلمية.
4. انعدام التميز والتطوير في البحوث العلمية ( المرجع السابق نفسه : 132 - 139 ).
- 5 - 2 - 10 - قياس الجودة في البحث العلمي :
1. درجة تغطية البحث لموضوعه.
2. درجة المستوى العلمي والموثوقية من المراجع المستخدمة.
3. أسلوب البحث العلمي وشكله وإخراجه.
4. درجة الموضوعية والاتساق والشمولية.
5. درجة الاستفادة من البحث في المجتمع أي مدى ملاءمته لسوق العمل ( المرجع السابق نفسه : 8 )
- 6 - الجودة والتميز في البحث العلمي :-
- 6 - 1 - البحوث بين الجودة والتميز :-

إن توجيه البحث نحو التميز في الدول النامية يعد من تحديات المراحل القادمة، حيث تشغل أغلب البحوث بالطابع الوصفي العرضي الذي لا يلبي حاجات متميزة كال(الاختراع - الابتكار) ومن بين أهم التحديات التي تقف في وجه هذه البحوث هو الحاجز النفسي الذي وضع الباحثون في هذه المناطق أنفسهم فيه، حيث يسود اعتقاد (لدى نسبة كبيرة) أن هناك قضايا لا يمكن إخضاعها للبحث أو النقد وان وجد من فكر في هذا الأمر فإنه يواجه بقاءه، أو حاجز آخر وهو أنه ليس كل باحث قادراً على خوض غمار هذه التحديات، وبالتالي أصبح هناك حاجز مركب يعيق الانجاز والتميز في أداء الباحث العلمي، واقتصرت التجربة على تطبيق وإتباع نماذج جاهزة، فتجد الباحث يتقن تتبع المراحل البحثية ويتفانى في تلبية الشروط المنهجية، ويراعي القواعد الشكلية، ويتجاهل المحتوى الإبداعي والابتكاري والتجديد في العمل.

إن تحول عملية البحث إلى روتين يتلقاه الباحث ويطبقه، دون وجود مساحة للنقد والتمحيص والتدليل، ومن ثم محاولة التجديد جعل من مستوى البحث العلمي في المنطقة العربية متراجعاً مقارنة بغيره من دول العالم المتقدم التي استفادت كثيراً من التجارب والأعمال العلمية والبحثية، بل إن الأمر سرى على أغلب أعمال الباحثين العلميين في مراحل الدراسات العليا بشقيها العالي والدقيق، فنجد الكثير من الأبحاث هي عبارة عن

نسخ مكررة لا تتقصها الجودة ولكن غاب عنها التميز.

كما إن هناك قصوراً واضحاً في عملية البحث العلمي، يتمثل في وقوف الباحث عند حد العرض والوصف للنتائج دون أن يعرض المنهج المتبع للنقد والتدقيق، مما أوقع الكثير من الأعمال في دائرة العمل المتقن من الناحية الشكلية، والملتزم بكلية الشروط العلمية والمنهجية، دون أن يحقق الإضافة العلمية والابتكارية، وتم ترحيل الإبداع والابتكار من مرحلة بحوث التخرج إلى مرحلة الدراسات العليا، وحالياً لا يلام أو يعاب على بعض طلاب الدراسات العليا عملية الاجترار، ويحال الإبداع والابتكار إلى مرحلة الدكتوراه.

ومما يجب التنويه عليه هو أن البحوث العلمية يجب ألا تكون ذات جودة علمية عالية فحسب، بل وأيضاً ذات فائدة قصوى وأهمية اجتماعية ( الطائي، 2012 : 130)، أي يجب أن تكون مميزة ومبتكرة لكي يمكن الاستفادة منها في الحياة الواقعية، فلا جدوى لعلم يكون حبيس الأوراق والمكتبات.

وعند النظر إلى براءات الاختراع لعام (2010 ف) وبحسب تقرير المنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO) هناك إحدى وثلاثون مؤسسة بحثية، شاركت مؤسسة عربية واحدة وهي (العربية للعلوم والتكنولوجيا) ونجحت في تسجيل براءة اختراع بفريق مكون من ثلاثة مخترعين (yemeress· 2011)، و تقدم مركز بحوث مستشفى الملك عبد الله التخصصي من السعودية المركز الوحيد عربياً بعدد أربعة مخترعين سجل ثلاثة منهم براءات اختراع مقارنة بعدد إثنان وثلاثون تسجيل براءة اختراع قدمتها مراكز وأبحاث حول العالم ( راضي، 2012 : 721)، ومن هنا نلاحظ قلة عدد المؤسسات البحثية العربية المشاركة في تقديم براءة الاختراع، نتيجة لما يشهده العالم العربي من تساهل في تقييم البحوث العلمية

## 6-2 - مفهوم التميز:

لعل من نافلة القول الحديث عن استمالة مفهوم التميز لمفهوم الجودة مضافاً إليها أمر آخر وهو الابتكار والتجديد، فعنصر التميز عندما يقترن بالجودة يضيف إليها حيوية وتفاعلية مستمرة.

وإذا بحثنا في اللغة عن معنى التميز فإننا نجد في المعجم الوسيط : (امتاز الشيء) تعني بدا فضله على مثله (ضيف، 2004، : 28)، وفي القاموس المحيط : (استماز الشيء) تعني فضل بعضه على بعض ( ابادي، 2005 : 530).

أما في مجال التربية : فقد عرف العالم التربوي رنزولي التميز بأنه تمتع الفرد بقدرات فوق المعدل العادي، والتمتع بالقدرات الإبداعية، وقدرات العمل والإنجاز . فالجودة وما تتضمنه من أساسيات يضاف إليها شيء آخر هو عنصر التميز والتجديد والابتكار والإبداع، وهو ما يجعل منتجاً معيناً له أفضلية على الآخر، فقد تتفق جودة المنتج ولكن تختلف ميزاته وما يقدمه منتج عن منتج آخر وبذلك يتم التفضيل بينهما . وفي مجال البحث العلمي فإن جودة البحث عنصر أساسي في قبول البحث، ولكن جودة البحث وانضباط خطواته ليست كافية على الإطلاق، ولكن التميز في البحث له أفضلية على الأخرى .

ويحتوي التميز على مجموعة من العمليات منها التجديد، الابتكار، الإبداع .

#### 6 - 2 - 1 - التجديد :

إن التجديد في البحث يعطي البحث ميزة إضافية على الرتبة التي تعود عليها الباحثون في تخصص معين، فبالرغم من اتفاق الباحثين في خطواتهم وإجراءاتهم فإن التجديد يشكل عنصراً إضافياً يميز باحثاً عن آخر وبحث عن آخر والتجديد له مجموعة من الشروط التي تثبت هذه الخاصية أو الميزة، فالتجديد مربوط بالفكر وبالإطار النظري حيث إن تجديد الفكر يشكل أهم خطوات التميز، وتجديد الفكر هو تغيير قواعد التفكير السابقة وإضافة بعض القواعد، أو ربط قواعد مختلفة مع بعضها، أو استحداث قواعد جديدة في التفكير، وهذا التجديد سيضفي تميزاً يقود إلى منهجية مختلفة في العمل .

إن التجديد يعني إعادة ترميم الشيء البالي (نقيض البالي)، وليس خلق شيء لم يكن موجوداً (نقيض الخلق) وبهذا المعنى فإن التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على السواء هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلي أو قُدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهرة، وأن تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدد الشيء أن تعيده (جديداً) وكذلك الفكر .

وعليه فإن اختيار كلمة (التجديد) لاستخدامها على ما نحن فيه في موضوع التجديد في الفكر والأسلوب (عبد الفتاح، غير مورخ)، والمنهج يأتي منطبقاً على ما هو مطلوب في السوق الفكرية، وإن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً وللناس به عهد إلا أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً (المرجع السابق نفسه) .

ولذلك فعلى الباحث الاجتماعي أن يحاول تجديد ما أصابه القدم من الأفكار والمواضيع التي قد تعود بالفائدة على العلم والعلماء .

## 6 - 2 - 2 - الابتكار :

الابتكار هو خلق فكرة جديدة من خلال تجربة سابقة و السير بها نحو النجاح، كما أن الابتكار هو أحد عناصر عملية التميز حيث إن الجودة قد لا تتجاوز حدود الاستحداث، فالجودة إجابة القواعد الموجودة، أما الابتكار فهو وضع قواعد جديدة ليس لها جذور في قواعد سابقة، والابتكار كذلك يحتوي على عنصر الجودة التي تشكل شرطاً ضرورياً وأساسياً لوجود الابتكار، والابتكار في البحث العلمي هو ما يجعل بحثاً مميزاً عن بحث آخر وهو أيضاً يساهم في تطوير البحوث وتحقيق مجموعة من التميز في مجال البحث العلمي، ولا يقتصر الابتكار على الجانب النظري فقط بل يتعداه إلى مراحل البحث الأخرى مثل الجانب المنهجي، أو وسائل التحليل واستخلاص النتائج وبالتالي يشكل الابتكار عنصراً مهماً من عناصر التميز (رشوان، 2007 : 12 - 35).

## 6 - 2 - 3 - الإبداع :-

يشكل الإبداع عنصراً مهماً من عناصر التميز، ويضفي الإبداع صفة الشخصية على البحث، حيث يشكل الإبداع قدرة الباحث على إضفاء بعض السمات الشخصية على موضوع البحث، مما يميز البحث ويجعل منه عملاً إبداعياً، وتتمثل الممارسة الإبداعية في البحث ليس في طرق الجديد من المواضيع وإنما قد يكون الموضوع مكرراً ولكن إضفاء التوجه على عملية البحث، فيستطيع أي مطلع أن يفهم المرامي القصدية التي يوجه إليها البحث ويستطيع أن يربط بين التوجه البحثي وبين صاحبه وهذا ما يمكن أن نصفه بالإبداع.

إن الجمع بين العناصر السابقة يمكن البناء عليه في فهم عملية التميز، والتي لا تقف عند حدود الجودة البحثية أو الانضباط تبعاً للخطوات والمراحل المعتمدة سلفاً، وإنما أيضاً يعطي ميزة إضافية وهي في وقتنا الحاضر أصبحت مطلباً عاماً.

فجودة المنتج لم تعد كافية وإنما المناقشة أصبحت على التميز والتفرد، مما يمكن من الاستحواذ على أكبر نسبة من سوق المنتجات سواءً المادية أم العلمية والثقافية منها، فلو أخذنا منتجاً معيناً مثل أجهزة الإذاعة المرئية فمطلب الجودة يصبح مطلباً متواضعاً مقارنة بالإغراء الموجود في المميزات والخصائص والخدمات، حيث إن التميز كان صاحب

الكلمة الفصل في المنافسة في سوق الخدمات والمواد، فصعدت شركات مغمورة راهنة على التميز وهوت شركات كبرى ظلت متشبثة بمبدأ الجودة دون الاهتمام بالتميز، والمنافسة على التجديد والابتكار والإبداع، وقد تنبعت لهذا الأمر مجموعة من الشركات الكبرى واتبعت في ذلك سياسات صارمة في تأمين المعلومات، وإحاطتها بالسرية التامة، وهذا الأمر في حقيقته ليس له علاقة بالجودة، وإنما يرتبط بالتميز الذي يحتاج للحفاظ عليه مجموعة من الإجراءات الصارمة مثل شركة ( Samsung )، والمعيار الرئيس لتقويم الإبداع أن يكون الناتج فيه جديداً وأصيلاً وذا قيمة للمجتمع ويمكن أن يكون الناتج بأشكال عديدة ومتنوعة وهذا ما اعتمدت عليه تلك الشركات ( روشكا، 1989 : 26).

### 6-3 - التميز بين الكمي والكيفي « النوعي »:

إن مفهوم التميز هو أقرب إلى الكيف أكثر من الكم، فهو يعالج النوع في المنتج ويحاول التميز في النوعية، وإذا وجدت حالة التميز فإنه يمكن بعد ذلك التعامل مع الجانب الكمي، فكلما كان المنتج مميزاً فإن فرصته في السوق سوف تكون أكثر من المنتجات التقليدية.

وبالنظر إلى الدراسات والأبحاث العلمية فإن نوعية البحوث وتميزها مطلوب أكثر من الكم، فكمية البحوث المنجزة في مجال معين قد يستعاض عنها بنوعية البحوث المنجزة في مجال آخر، أما من حيث المناهج المستخدمة في البحوث فإن التميز مطلوب في المناهج الكمية والكيفية على السواء.

وإذا أردنا تحليلاً منطقياً لحالة التميز في البحوث العلمية فإن التميز أكثر إلحاحاً وطلباً في مجال البحث العلمي أكثر من أي مجال آخر، حيث إن البحوث العلمية هي مجال خصب للتميز بين الباحثين وبين الأعمال البحثية.

### 6-4 - الجودة والتميز :

أذا سلمنا بأن الجودة هي القيام بالمهام على الوجه المطلوب من المرة الأولى، فإن وجه التميز يكون في نوعية المهام وتطويرها وحرقيتها، مما يعطي العمل طابعاً مميزاً عن غيره من الأعمال، وإذا كان القيام بالمهام وفق النطاق المحدد قيد على جودة العمل فإن التميز يكمن في الالتزام بهذا القيد مع إحداث ديناميكية في هذا النطاق، تجعل من العمل ابتكاراً يلبي متطلبات الجودة ويتضمن طابع التجديد.

إن ثقافة القوالب الجاهزة وملء الفراغ والالتزام بالروتين والبيروقراطية حققت على

مدى قرون تقدماً مشهوداً في عالم الأمن "المجتمع الصناعي" إلا أنها أصبحت مع الوقت تنوء بحمل الأيام والالتزامات غير المتناهية من الأوامر المكررة والرتيبة، مما هيئاً لقيام نهضة جديدة تأخذ بقواعد أمس وتضفي طابع الحركية والتجديد على هذه القواعد، بما يلائم حركة اليوم، وساعد هذا في نقلها خطوات واسعة في عالم اليوم حيث اجتمعت الجودة والأصالة مع التميز والتفرد الذي هو سمة فطرية في الروح البشرية التي تميل دائماً إلى إظهار ملامحها المنفردة من خلال منتجات متميزة.

لقد سعت ثورة المعلومات، وانتشار وسائل الاتصال الحديثة في خلق أرضية مناسبة لأصحاب الابتكارات الذكية، الذين أسهموا في نشر ثقافة الإبداع على نطاق واسع، ولم تعد المعلومة حكراً على جهة معينة، كما أن السرعة التي ميزت هذه الفترة جعلت من الضروري تجاوز الكثير من العقبات والقيود البيروقراطية (الغيبية) مما أتاح المجال أمام روح الإبداع والتألق، وجعل أرباب العمل أمام خيارين لا ثالث لهما، أما التحرر من هذه القيود واللوائح لصالح إطلاق روح الإبداع والابتكار أو الالتزام بهذه القيود والقوانين، وفي المقابل حساب الفرص الضائعة التي كان من الممكن أن تحقق عوائد لا يستهان بها على المؤسسة أو الشركة.

وأمام هذا التنافس المحموم أصبحت هناك توليفة تجمع بين الجودة والتميز باعتبارهما ضرورتان لانجاز المهام وإخراج المنتجات، فلم يعد التميز يعني الكثير في غياب جودة المنتج، ولم تعد شرطاً لتحقيق العوائد في غياب التميز.

لعل الذي فرض هذه التوليفة فرضية رئيسية وهي (المنافسة في السوق) حيث رفعت المنافسة سقف التوقعات والمتطلبات في آن معاً وأصبح إرضاء هذا التسابق المحموم يلقي بظلاله على هذه العلاقة.

إن البحث الاجتماعي بوصفه منتجاً قابلاً للتنافس خضع أيضاً لهذه الفرضية ودخل في هذا السباق، الذي ليس له ضوابط إلا الجودة والتميز، وسعى الباحثون لتلبية هذه الشروط من خلال الالتزام بمنهج البحث العلمي وأساليبه وفتح المجال أمام الإبداع الفكري في تأطير المواضيع وابتكار توظيفها في الواقع المعاش.

إضافة إلى أن الدول المتقدمة أسهمت من خلال إنشاء الجمعيات العلمية الأوروبية المشتركة والمشاريع البحثية المشتركة مما أدى إلى وجود جودة تستحق الاعتراف ( القماطي، غير مؤرخ : 4)، بها فالعمل كفريق ذلل الكثير من الصعوبات وزاد من فرص

الإبداع والتميز للبحوث العلمية وهو ما يظهر على استحياء في الساحة العربية، فأغلب البحوث العربية تكون بشكل فردي مما يقلل من فرص الإبداع.

#### 7 - النتائج والتوصيات :

##### 7 - 1 - النتائج

- 1 - إن البحث العلمي يهدف دائماً إلى الوصول إلى المعرفة العلمية التي يجب أن يتوافر فيها الإبداع والابتكار وليس مجرد التعليم فقط.
  - 2 - إن البحث العلمي عبارة عن منتج بنيت عليه كل المنتجات في العالم، فكل العلماء قاموا بأبحاث قبل إظهار النتائج وتطوير المنتج، لذلك يجب على البحث العلمي أن تتوافر فيه مواصفات الجودة العالمية كلها للوصول إلى أفضل النتائج.
  - 3 - إن أجود أنواع البحث العلمي هو الذي يهتم بالمظهر والمحتوى معاً.
  - 4 - إن البحث العلمي يجب أن يكون مميزاً ومبتكراً لكي يمكن الاستفادة منه في الحياة الواقعية، وألا يكون حبيس المكتبات.
  - 5 - إن الباحث الجيد هو من يهتم بنوعية الأبحاث التي يقدمها أكثر من اهتمامه بعددها.
- #### 7 - 2 - التوصيات :
- 1 - يجب على الباحثين في مجال البحث العلمي التركيز على جودة أبحاثهم من الداخل والخارج أي المظهر والمحتوى معاً، فيجب أن يكون هدفهم الأول والأخير هو جودة أبحاثهم وتميزها، ويجب أن يهتموا بنوعية أبحاثهم لا بكمياتها.
  - 2 - يجب أن يكون هناك مقاييس واضحة في مراكز البحث العلمي والجامعات لتقييم جودة البحوث العلمية.
  - 3 - يجب أن تكون هناك ندوات ومؤتمرات تهتم بمجال الجودة والابتكار والإبداع والتميز في مجال البحث العلمي.
  - 4 - تدريب الطلاب في مجال الدراسات العليا على كيفية الاهتمام بأدائهم في مجال البحث العلمي، للوصول إلى الجودة العالمية.
  - 5 - وجود إستراتيجية واضحة للبحث العلمي في مراكز البحوث العلمية .



## 8 - الخلاصة :

بعد استعراض معظم جوانب علاقة البحث العلمي بالجودة والتميز، نود الإشارة إلى أن مساهمة هذا البحث تتجلى في جعل البحث العلمي نفسه مجالاً لتطبيقات الجودة، بل حاولنا المسير قدماً بعملية البحث العلمي إلى مرحلة التميز، والتي تعد طموحاً يراود الكثير من العاملين في مجال البحث العلمي، وقد حاول البحث رسم هذا الطريق من خلال جمع مجموعة من الأفكار التي يمكن أن تكون نواة للتحويل في طريقة التفكير نفسها في عملية البحث العلمي.

كما أن هذا البحث لفت الانتباه إلى شيء مهم جداً ألا وهو أن عملية البحث قد تركز على جودة مخرجاتها دون أن يكون هناك أولوية للتركيز على جودة العملية نفسها مما يؤدي بالضرورة إلى ضعف مخرجاتها ففي وسط العملية البحثية قد يقع الباحث في تشتت الأفكار بين ما يريد أن يحققه من أهداف وبين إتقان الوسيلة التي توصله إلى تلك الأهداف .

أخيراً إن تحديد المفاهيم ومحاولة وضعها في إطارات تعريفية بعد كذلك مساهمة معرفية هامة حاولنا أن تحققها من خلال هذا البحث فقد حاول تقديم تصور لعلاقة منطقية بين عملية البحث العلمي من ناحية وبين الجودة والتميز من ناحية ثانية .

كما لا يفوتنا الإشارة إلى أن هذا البحث هو محاولة نظرية في إطار التعرف على المفاهيم، وصياغتها بصورة مترابطة، وهي في هذا المجال مساهمة متواضعة في طريق شاق وهو تأصيل المفاهيم في مجال العلوم الاجتماعية .

## المراجع

1. تيفزة، محمد بوزيان، (2012)، «تجويد البحوث العلمية والرسائل الجامعية: نحو منهجية لتطوير آليات التنظير والاطر النظرية السائدة»، المؤتمر العربي الدولي الثاني لضمان جودة التعليم العالي، العراق.
2. ابن منظور، (1997) لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان.
3. الرازي، بن أبي بكر بن عبد القادر (1989)، مختار الصحاح، دار المعاجم في مكتبة لبنان، لبنان.
4. رشوان، حسين عبد الحميد (2007)، الابتكار الأسس الاجتماعية والنفسية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

5. دليل ضمان جودة واعتماد مؤسسات التعليم العالي (2010)، المركز الوطني لضمان جودة واعتماد المؤسسات التعليمية والتدريبية.
6. القماطي، سالم محمد (غير مؤرخ)، دراسة تحليلية لمتطلبات ضمان جودة البحث العلمي في الوطن العربي، طرابلس، ليبيا.
7. وروشكا، السكندر، مصطفى ناصف، ت: غسان عبد الحي ابو فخر (1989)، الابداع العام والخاص، عالم المعرفة، الكويت.
8. الجبلي، سوسن شاكرا (2005)، معايير الجودة الشاملة في الجامعات العربية، مؤتمر جامعة اليرموك، 22 - 24\11\2005 ف.
9. ضيف، شوقي (2004)، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، لبنان، ط4.
10. أحمد، طارق سلامة محمد (2014)، سياسات التعليم العالي في البحث العلمي في ضوء ضمان الجودة، المؤتمر الدولي الأول تطوير البحث العلمي في التعليم العالي، عمان، جامعة الزرقاء.
11. خلف، عبد الجبار وآخرون (2012)، « ضمان جودة البحث العلمي باستخدام المكتبة الافتراضية العلمية»، المؤتمر العربي الدولي الثاني لضمان جودة التعليم العالي، العراق.
12. كورتل، فريد و آمال كحيل (2010)، الجودة وأنظمة الايزو، كنوز المعرفة، عمان، ط1.
13. ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز (2005)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8.
14. الطائي، محمد عبد حسين (2012)، « نحو إستراتيجية فاعلة لضمان الجودة في البحث العلمي بالوطن العربي»، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، العدد 10، مجلد 5.
15. الصليبي، محمود عبد المسلم (2008)، الجودة الشاملة وأنماط القيادة التربوية، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان.
16. السيد، منى توكل (2013)، جودة البحث العلمي اداء وارتقاء، ورشة عمل مقدمة الى وحدة البحث العلمي والدراسات العليا بكلية التربية بالزلفي في يوم البحث العلمي.
17. الهمالى، عبد الله عامر (2003) اسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، ط3، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
18. راضي، ميرفت محمد (2012)، تصور مقترح لتجويد البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية، المؤتمر العربي الدولي الثاني لضمان جودة التعليم العالي.

- [blog - post.html/02/http://altamauz33.blogspot.com/2013.19](http://altamauz33.blogspot.com/2013.19)  
20:25 الساعة 2015/12/23, [2013/2/14](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A9%D8%AF%D8%A9)  
[88%D8:AF%D8:A9:;http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8:AC%D9.20](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9.20)  
<http://www.alba7es.com/>. 00:00 الساعة 2016. 13 - 2 - 2016  
.10:15 الساعة Page1932.htm, 23 - 2 - 2016  
22:30 الساعة [http://ar.wikipedia.org/wiki/.](http://ar.wikipedia.org/wiki/) 2016. 13 - 2 - 2016.21  
مساءً.  
[2011/3/http://www.yemeress.com/shaharah/3451](http://www.yemeress.com/shaharah/3451) 15.22  
23:00 الساعة 2015/12/23  
<http://www.arabphilosophers.com/Arabic/> سيف الدين عبد الفتاح/ 23  
[adiscourse/aarabic/arabic\\_articles/ARenaissance/Renovation.htm,](adiscourse/aarabic/arabic_articles/ARenaissance/Renovation.htm)  
2016/4/2

## علم الشروط الشرعي وعلاقته بالعلوم الأخرى

د. يوسف سعد التركي\*

### ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان علم الشروط، والذي يُعدُّ علماً من العلوم الشرعية الإسلامية وفرعاً من فروع علم الفقه، وسأحاول من خلال هذا البحث أن أتطرق إلى أهم التعريفات التي أطلقها العلماء والفقهاء على هذا العلم، وكذلك سوف أدرس هذا العلم وأهم العلماء الذين برزوا وألّفوا في هذا المجال .

كما أنني سأتناول بالبحث والدراسة أهمية علم الشروط الشرعي، والمكانة البارزة التي احتلها هذا العلم، وأيضاً عن علاقة علم الشروط الشرعي بالعلوم الأخرى .

ومن بين أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي وبحثي هذا، هي أن علم الشروط الشرعي يُعدُّ من بين أهم العلوم الشرعية الإسلامية، وذلك نظراً لضرورة هذا العلم وأهميته القصوى والبالغة في حماية وتثبيت الحقوق، وحفظ الأنفس، وصيانة الأموال والأعراض، ورفع الخصام وحسم النزاع بين الناس، بالإضافة إلى ما له من وجوه سياسية واجتماعية وقانونية. وأن هذا العلم نشأ مع بداية العهد الإسلامي، فهو قد نشأ نشأة إسلامية خالصة .

وقد توصلت أيضاً، إلى أن علم الشروط الشرعي على علاقة وثيقة بغيره من العلوم الأخرى، فقد أطلق عليه العلماء والفقهاء عدّة تسميات أخرى، كعلم الوثائق، وعلم المحاضر والسجلات، وعلم القضاء .

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا  
ونبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
أما بعد ...

فيعتبر علم الشروط من أهم العلوم الشرعية الإسلامية، وفرعاً من فروع علم الفقه،  
وقد نشأ هذا العلم نشأة إسلامية خالصة، ثم تطور على يد علماء وفقهاء الأمة الإسلامية  
الذين أولوا هذا العلم أهمية وعناية خاصة، وأطلقوا عليه عدّة تسميات أخرى منها :  
علم الوثائق، وعلم المحاضر والسجلات، وعلم القضاء، كما ألفوا فيه العديد من الكتب  
والمؤلفات الجليلة، والتي أسهمت في تطور هذا العلم، بحيث أصبح علماً مستقلاً بذاته له  
ميادينه ومجالاته الخاصة، وله كذلك أهميته ومكانته المميزة بين غيره من العلوم الأخرى .  
أهمية موضوع البحث :

نظراً لضرورة هذا العلم وأهميته القصوى في حماية وتثبيت الحقوق، وحفظ الأنفس،  
وصيانة الأموال والأعراض، ورفع الخصام، وحسم النزاع بين الناس، بالإضافة لما لهذا  
العلم من وجوه سياسية واجتماعية وقانونية، فقد رأيت أن أدرس وأبحث في هذا العلم، من  
حيث تعريفاته، ونشأته، وأهميته ومكانته بين العلوم، وكذلك عن علاقته بالعلوم الإسلامية  
الأخرى .

## أهداف البحث :

أسعى من خلال دراستي وبحثي هذا إلى تحقيق الأهداف الآتية :

- 1 - بيان أهمية علم الشروط الشرعي، وضرورته للناس في معاملاتهم الحياتية  
اليومية .
- 2- دراسة نشأة علم الشروط، وبيان مكانته، وعلاقته بغيره من العلوم الإسلامية  
الأخرى .
- 3- دراسة وبيان أهم التسميات والتعريفات التي أطلقها العلماء والفقهاء على هذا  
العلم، وكذلك التعرف على أبرز العلماء والفقهاء وأهم كتبهم ومؤلفاتهم في هذا  
المجال .

## أشكاليات البحث :

من خلال هذه الدراسة وهذا العمل العلمي، سأحاول الإجابة عن عدّة تساؤلات ظهرت لي في هذا الشأن، والتي من بينها ما يلي :

1 - ما هو مفهوم علم الشروط الشرعي ؟، وما هي أهم التسميات والتعريفات التي أطلقها العلماء والفقهاء على هذا العلم ؟ .

2 - متى كانت نشأة علم الشروط الشرعي في الفقه الإسلامي ؟، وهل نشأ هذا العلم في بيئة إسلامية خالصة، أم لا ؟ .

3 - ما هي أهمية علم الشروط الشرعي وضرورته في حياة الناس اليومية ؟، وما هي علاقته بغيره من العلوم الأخرى .

## حدود البحث :

تتخصر هذه الدراسة - بإذن من الله وتوفيقه - في موضوع علم الشروط الشرعي، وذلك من خلال مفهوم هذا العلم وأهم تعريفاته، وأيضاً نشأة هذا العلم، وأهميته، وعلاقته بغيره من العلوم الأخرى .

## المنهج المتبع في هذا البحث :

سأتبع - إن شاء الله تعالى - في بحثي هذا المنهج الوصفي ذا الصفة التحليلية المقارنة، مع مراعاة الأمور الآتية :

1 - تخريج الآيات القرآنية وعزوها إلى مواضعها في سور القرآن الكريم .

2 - الرجوع إلى المصادر الأساسية والمراجع والكتب المعتمدة، لبيان ما يحتاج إلى شرح وتوضيح في هذا الشأن .

3 - الرجوع إلى المصادر الحديثة في مسائل البحث للاستفادة منها .

4 - إتباع الأمانة العلمية عند نقل الآراء والأقوال والاجتهادات الفقهية، وعزوها إلى قائلها .

## المطلب الأول: تعريف علم الشروط :

الشرط في اللغة يعني : (( إلزام الشيء في البيع ونحوه )) . (ابن فارس، 1999 : 383)،

وهذا التعريف اللغوي صار فيما بعد علماً قائماً بذاته، وفرعاً من فروع علم الفقه، وقد سُمي هذا العلم بعلم الشروط الشرعي . (السامرائي، 1993: 67) .

وقد عرّف العلماء والفقهاء علم الشروط بتعريفات عدّة، نذكر من بينها ما يلي :

1 - عرّف حاجي خليفة علم الشروط الشرعي بقوله : (( علم باحث عن كيفية تثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات، على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال، وموضوعه تلك الأحكام من حيث الكتابة، وبعض مبادئه مأخوذة من الفقه، وبعضها من علم الإنشاء، وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحسانية، وهو من فروع علم الفقه، من حيث كون ترتيب معانيه موافقاً لقوانين الشرع، وقد يجعل من فروع علم الأدب باعتبار تحسين الألفاظ )) . (حاجي خليفة، 1992: 1045) .

2 - عرّف طاش كبرى زاده علم الشروط بأنه : (( علم يبحث فيه عن إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية، وموضوعه ومنفعته ظاهران، ومبادئه : علم الإنشاء وعلم الفقه، وله استمداد من العرف )) . (كبرى زاده، 1998: 249) .

3 - عرّفه السمرقندي بقوله (( علم الشروط هو العلم الذي يبحث في كيفية تدوين الأحكام الشرعية على وجه يصح الاحتجاج به )) . (السمرقندي، 1995: 7) .  
ومن خلال التعريفات السابقة لعلم الشروط، نلاحظ أن هذا العلم يستمد أصوله من علم الفقه باعتباره فرعاً من فروعه، خصوصاً في ما يتعلق بالمعاملات والتصرفات الخاضعة للكتابة والتوثيق، من حيث كون ترتيب معانيه موافقة لقوانين الشرع وأحكامه، فعلم الشروط يستند في مشروعيته إلى الكتاب والسنة .

ويستمد كذلك أصوله من علم الإنشاء والأدب، باعتبار إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية من حيث تحسن الألفاظ .

بالإضافة إلى هذا، فإن له علاقة بالعرف، فهو يستمد بعضاً من أصوله من أعراف الناس وعاداتهم وتقاليدهم، وما يستحسنونه من أمور حياتهم ومعاملاتهم اليومية .

وأعطى المتأخرون أيضاً تعريفات لعلم الشروط، فعرّفه روجي أوزجان بقوله : (( هو علم بفقه أحكام كيفية كتابة الالتزام التعاملي، وماله مكانة مخصوصة، في حفظ حقوق الخلق في محلها المخصوص، على وجه الحجية دون البطلان شرعاً )) . (روجي أوزجان، 1972: 9) .

وعرّف الأستاذ عمر الجيدي علم الشروط تعريفاً جامعاً مانعاً، بقوله: (( هو ذلك العلم الذي ينظم سير العلاقات بين الأشخاص، ويحدد معالم التعامل بينهم، طبقاً للنصوص التشريعية، واجتهادات الفقهاء وما جرى به عمل القضاة، من غير إغفال عرف الناس وعاداتهم، فهو إذن علم يبيّن عناصر كل اتفاقية معقودة بين شخصين، أو عدة أشخاص يضمن استمرارها، وأثر مفعولها، ويحسم النزاع بين الأطراف المتعاقدة موضحاً لكل من العاقد له، والمعقود عليه، ما له وما عليه )) . (الجيدي، 1987: 113) .

### المطلب الثاني: نشأة علم الشُّروط :

نشأ علم الشروط مع بداية العهد الإسلامي، ويدل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَيَّنْتُمْ بَدِّينَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ . (سورة البقرة، الآية: 282)، كما كان الرسول - ﷺ - يأمر بكتابة العهود والمواثيق والعقود، فكانت تكتب بدقة وعناية وتحريراً للألفاظ .

وقد اعتنت الشريعة الإسلامية بعلم الشروط الشرعي عناية بالغة وخاصة، وذلك نظراً لضرورة هذا العلم وأهميته القصوى في حماية وتثبيت الحقوق، وحفظ الأنفس، وصيانة الأموال والأعراض، ورفع الخصام وحسم النزاع بين الناس، بالإضافة لما له من وجوه سياسية واجتماعية وقانونية .

لذلك بدأ المسلمون في التفكير والعناية بهذا العلم مبكراً نظراً لضرورته، ولحاجة الناس إليه، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ولا يمكنه العيش منعزلاً عن أفراد مجتمعه، كما أن حاجات الأفراد تزداد اتساعاً واستمراراً كلما وقع اتصال وهذا الاندماج، فيصبح الإنسان محتاجاً إلى الاختلاط والتعامل مع غيره من أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه، وربط العلاقات معهم .

ومن هنا جاءت الحاجة الماسة إلى نشأة علم ينظم سير تلك العلاقات، ويبيّن معالم ذلك التعامل، طبقاً للنصوص التشريعية، واجتهادات العلماء والفقهاء، مع مراعاة أعراف الناس وعاداتهم وتقاليدهم، فمن المعلوم أن لكل بيئة عرفاً معيناً، ومصطلحاً خاصاً بها، يحصل الخلط فيه لمن لا يعرف عادات الناس وأعرافهم، هذا العلم هو علم الشروط الشرعي .

والحقيقة ورغم أن نشأة علم الشروط كانت منذ بداية الإسلام، إلا أن العلماء اختلفوا في تحديد البداية الحقيقية لهذا العلم، كعلم مستقل له ميادينه وأبحاثه وأدواته، فيرى البعض أن الإمام أبا حنيفة هو أول من كتب وصنف فيه، وأن له كتاباً يسمى ( الشروط )،



حيث ذكر فيه الجرجاني في ترجيح مذهب أبي حنيفة أن الشروط لم يسبقه إليها أحد، غير أن أبا منصور عبد القاهر البغدادي أجاب في رد على ذلك بأن النبي - ﷺ - هو أول من كتب العهود والمواثيق، منها عهد لنصارى آيلة بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ( حاجي خليفة، 1992: 1046 ) .

وهناك من يرى أن أول من صنف في هذا العلم هو هلال بن يحيى البصري، ثم تتابع المؤلفون في هذا العلم من بعده، فكان لأبي زيد أحمد بن زيد ثلاثة كتب : كبير، وصغير، ومتوسط، وكان ليحيى بن بكر مؤلفات عدة في هذا المجال، كما ألف أبو جعفر بن محمد الطحاوي : كتاب الشروط الكبير في أربعين جزءاً، وكتاب الشروط الصغير في خمسة أجزاء، وكتاب الشروط المتوسط، وألف جلال الدين الريغدوني كتاباً في علم الشروط، رتبته على أربعة وعشرين فصلاً، وكان لشمس الأئمة الحلواني كتاباً في علم الشروط الشرعي أسماه البسيط . ( الطليطلي، 2000: 3 ) .

ثم جاء من بعد ذلك محمد بن جرير الطبري، الذي استقصى الشروط في كتاب على أصول الشافعي، وجاء من بعده أبو بكر بن عبد الله الصيرفي، فصنف في أدب القضاء والشروط والمواثيق، وممن صنف أيضاً في الشروط إسماعيل بن يحيى المزني، حيث ألف كتاباً جامعاً في علم الشروط، كما ألف في هذا العلم كذلك أبو علي الكرابيسي، حيث بين في تأليفه ما وقع في كتب أهل الرأي من الخلل في شروطهم . ( حاجي خليفة، 1992: 1046 ) .

ولمعرفة المراحل التاريخية التي مر بها علم الشروط الشرعي في نشأته وتطوره، وما تميزت به كل مرحلة من هذه المراحل، فإنه يمكننا تقسيم ذلك إلى ثلاثة عصور رئيسية هي :

#### أولاً : مرحلة العصر النبوي والخلافة الراشدة :

كان النبي - ﷺ - أول من أملى كتب المواثيق والعهود، وأول من كتب له بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأقدم وثيقة تناقلتها المصادر التاريخية هي تلك التي سجلت على الرسول - ﷺ - وتتعلق ببيع مملوكه للعداء بن خالد بن هودة . ( الغرناطي، 1988: 12 )، وكذلك وثيقة الإقطاع الذي أعطاه الرسول - ﷺ - لتميم الداري وأصحابه . ( الونشريسي، 1997: 107 ) .

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - أيضاً يكتبون ويوثقون كتبهم من طرف كتبة خصوصيين، فكان زيد بن أرقم والعلاء بن عتبة، يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم،

وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء . ( ابن عبدربه، 1995 : 155 )، كما كان المغيرة بن شعبه، والحسين بن نصر يكتبان الوثائق، والمدينات، والمعاملات بين الناس . ( بن عبد الله، 1984 : 45 ) . وبالرغم من قلة الوثائق في هذا العصر، إلا أننا نجدها قد تميزت بالبساطة والوضوح والإيجاز في أسلوبها، فمن حيث الوضوح فإنها كانت ترد بالألفاظ العربية فصحة مستقاة أحياناً من الأصليين : القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كاستعمال كلمة ( حق ) مثلاً : في معنى الزكاة بدل معنى الحصة، أو ما يستحقه الإنسان، وكاستعمال كلمة ( كتاب ) التي جاءت بمعنى الفرض بدل التصنيف أو المكتوب، ومن حيث الإيجاز، فإنه يتم الاختصار على موضوع التوثيق بلا حشو ولا تلفيق، ولا من كل ما يقبل الاحتمال والتأويل . ( الوثريسي، 1997 : 123 ) .

أما البساطة فكانت من أبرز سمات وثائق هذا العصر، حيث كانت تفتتح بالبسملة، كما كان الموثقون يفتتحون الوثيقة بقولهم في وثيقة النكاح مثلاً : هذا ما أصدق فلان فلانة، وفي وثيقة الوصية : هذا ما أوصى به فلان، وفي وثيقة الشراء : هذا ما أشتري فلان من فلان، وهكذا الأمر في سائر وثائق المعاملات، ( الغرناطي، 1988 : 12 ) .

يقول شيخ ابن تيمية : (( ومن يتأمل في العقود التي كانت تجرى بين النبي وغيره، مثل عقد البيعة التي كانت بينه وبين الأنصار ليلة العقبة، وعقد الهدنة الذي كان بينه وبين قريش عام الحديبية وغير ذلك، علم أنهم اتفقوا على الشروط، ثم عقدوا العقد بلفظ مطلق، وكذلك عامة نصوص الكتاب والسنة في الأمر بالوفاء بالعقود والعهود والشروط، والنهي عن الغدر، والثلاثة تتناول تناولاً واحداً، فإن أهل اللغة والعرف متفقون على التسمية والمعاني الشرعية وفق ذلك )) . ( ابن تيمية، 1999 : 167 ) .

#### ثانياً : عصر التابعين :

مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية نتيجة انتشار الإسلام والفتوحات الإسلامية، ومع اختلاط المسلمين مع غيرهم من الشعوب والأمم الأخرى، وكذلك مع كثرة وتنوع التجارات، ظهرت الحاجة إلى من يكتب للناس عقودهم ومدايناتهم، فوجد من أهل الصلاح والاحتساب من يكتب دون أجر، ومن بين هؤلاء خارجة بن زيد وطلحة بن عبد الله، اللذان كانا يُستفتيان في زمانهما، وينتهي إلى قولهم، ويقسمان المواريث بين أهلها من الدور والنخيل والأموال، ويكتبان الوثائق للناس . ( بن عبد الله، 1984 : 45 ) .

وفي هذا العصر بلغ علم الشروط نضجه، وذلك عندما وضعت له أسس وشروط

وقواعد تضاهي في قيمتها شروط وقواعد العلم الحديث، فمع (( نشأة الحاجة إلى تسجيل المعاملات والتصرفات بالكتابة، كان لابد من إيجاد قواعد محددة يلتزم بها كاتب الوثيقة، بحيث تصاغ كل عبارة لتدل على معنى قانوني محدد، فاحتاط الشرطيون على قدر ما يسعهم الجهد عند انتقاء الألفاظ وتراكيب الصيغ الفقهية، بحيث تكون غاية في الدقة، فإن أي اختلاف حول تفسير أي لفظ أو صيغة قد يؤدي إلى الدفع ببطلان الوثيقة عند تقديمها إلى القاضي، وبذلك صار علم الشروط هو العلم الذي يبحث في تركيب تلك الصيغ، وفي انتقاء الألفاظ )) . ( خضر، 1975: 155 ) .

### ثالثاً : عصر الفقهاء :

وتمتد هذه الفترة من منتصف القرن الثاني إلى القرن العاشر الهجري، ويُعدُّ هذا العصر من أزهى العصور العلمية الإسلامية بصفة عامة، وعلم الشروط بصفة خاصة . فقد عرف هذا العلم تقدماً وتطوراً هائلاً بسبب العناية الكبيرة به، والإقبال عليه من قبل الفقهاء وخصوصاً في المغرب والأندلس، فنبغ جلة من الفقهاء أعطوا هذا العلم حقه، وألّفوا فيه تآليف كثيرة وجديدة في جوهرها وشكلها تلائم المعاملات المدنية والتجارية المتطورة، وتعكس صوراً من العقود المبرمة ذات الأشكال المتعددة .

وقد أرسّت قواعد هذا العلم المدرسة الحنفية ببغداد في منتصف القرن الثاني للهجرة، ومنها سرى إلى بقية العالم الإسلامي، فأزدهر في الأندلس والمغرب، وضاع معظمها فيما ضاع من تراث السلف .

ولم يكن أبو جعفر الطحاوي أول من ألف في علم الشروط، وإنما سبقه إلي ذلك العديد من الشرطيين، الذين أخذ عنهم وأورد ذكرهم في كتابه، منهم أحمد بن زيد الشرطي، وهلال بن يحيى البصري، ويكار بن قتيبة، وغيرهم .

ومن أهم الفقهاء أو الشرطيين الذين ألفوا في علم الشروط الشرعي نورد الأسماء التالية :

- 1- أبو زيد أحمد بن زيد الشرطي، وقد كان له ثلاثة كتب في علم الشروط، كبير، وصغير، ومتوسط .
- 2- هلال بن يحيى بن مسلم البصري، ولعله أول من كتب وألف في علم الشروط .
- 3- إسماعيل بن يحيى المزني، وأيضاً يُعدُّ من ممن كتب وصنف في علم الشروط .

- 4- محمد بن عبد الله بن الحكم، وله كتاب الوثائق والشروط لعله أقدم كتاب مصري في هذا المجال .
- 5- أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الملوّن، وله في علم الشروط كتاب حسن مفيد .
- 6- عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي، وله كتاب في علم الشروط لعله أقدم كتاب في هذا المجال .
- 7- شمس الأئمة الحلوني، وله كتاب في الشروط سماه البسيط .
- 8- أبو علي الكراييسي، وله كتاب في علم الشروط بين فيه ما وقع في كتب أهل الرأي من الخلل في شروطهم .
- 9- أحمد بن أحمد بن زيد الفارسي، وقد ألف في علم الشروط كتاباً يقع في عشرة أجزاء .
- 10- أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، وله ثلاثة كتب في علم الشروط الشرعي : كتاب الشروط الكبير، وكتاب الشروط المتوسط، وكتاب الشروط الصغير .
- 11- محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن العطار، وله في علم الشروط كتاب سماه الوثائق والسجلات .
- 12- أحمد بن سعيد الهمداني المعروف بابن الهندي، وله في علم الشروط كتاب مفيد عليه اعتماد الحكام والمفتين، وأهل العلم والشروط في الأندلس والمغرب .
- 13- أحمد بن مغيث الطليطلي، وقيل عنه كبير طليطلة ومفتيها، وله تأليف في علم الشروط سماه المقنع في علم الشروط .
- 14- عبد الله بن فتوح بن أبي الفتح الأندلسي، حيث ألف في علم الشروط كتاباً مشهوراً مفيداً، جمع فيه أمهات كتب الشروط وفقهها .
- 15- أبو الحسن علي بن محمد الشهير بابن الجزيري، وقد ألف في علم الشروط كتاباً سماه المقصد المحمود في تلخيص العقود .
- 16- أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، حيث ألف في علم الشروط كتاباً قيماً يسمى المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق .
- 17- برهان الدين إبراهيم ابن فرحون، وقد ألف في علم الشروط كتاباً أسماه تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام .

18 - محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني، وله في علم الشروط كتاباً قيماً يسمى اللائق لمعلم الوثائق . (السامرائي، 1983: 67-90) .

### المطلب الثالث : أهمية علم الشروط :

تبرز أهمية علم الشروط في النقاط التالية :

- 1 - حفظ وصيانة الأموال، حيث أمر الله عزّ وجل بصيانتها ونهى عن إضاعتها، بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنَ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . (سورة البقرة، الآية: 188) ، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾ . (سورة النساء، الآية: 29) .
- 2 - منع الخصام وقطع المنازعة بين الناس، فإن الكتاب يصير حكماً بين المتعاقدين، ويرجعان إليه عند المنازعة، فيكون سبباً لتسكين ومنع الفتنة، ولا يجحد أحدهما حق صاحبه، ومخافة أن يخرج الكتاب، ويشهد الشهود على بذلك، فيفتضح أمره بين الناس .
- 3 - التحرز عن العقود الفاسدة، لأن المتعاقدين ربما لا يهتديان إلى الأسباب المفسدة للعقد ليحترزا عنها، فيحملها الكاتب على ذلك إذا رجعا إليه ليكتب .
- 4 - رفع الارتياح، فقد يشتهب على المتعاقدين إذا تطاول الزمان مقدار البدل ومقدار الأجل، حتى إذا رجعا إلى الكتاب لا يبقى لواحد منهما ريبية، كما قد تقع الريبة بعد موتها لوارث كل واحد منهما بناءً على ما ظهر من عادة أكثر الناس، في أنهم لا يؤدون الأمانة على وجهها المطلوب، لذلك فإنه عند الرجوع إلى الكتاب لا تبقى ريبية بينهم .
- 5 - تعظيم الله عزّ وجل للشروط، بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ . (سورة البقرة، الآية: 282) ، حيث أضاف الله - ﷻ - تعليم الشروط إلى نفسه، كما أضاف تعليم القرآن إلى نفسه، بقوله تبارك وتعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ . (سورة الرحمن، الآيتان: 1-2) ، لذلك فإنه ينبغي لكل مسلم أن يصرف همهته إلى تعلم الشروط لعظم المنفعة فيها .

## المطلب الرابع : مكانة علم الشروط :

يحتل علم الشروط منزلة رفيعة، ومكانة جليلة بين العلوم الإسلامية بصفة عامة، والعلوم الفقهية بصفة خاصة، لما له من أهمية كبيرة في الحياة الإنسانية، فهو يعمل على حفظ الحقوق وصيانة الأموال، وفقاً للنصوص والقواعد الشرعية .

وفيما يلي نورد أقوال العلماء والفقهاء حول قيمة هذا العلم والمكانة العظيمة والمنزلة الشريفة التي يحتلها :

قال الإمام السرخسي : (( اعلم أن علم الشروط من أكد العلوم، وأعظمها صنعة، فإن الله - تعالى - أمر بالكتابة في المعاملات فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَيَّنْتُمْ بَدِّينَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ . (سورة البقرة، الآية: 282)، كما أن رسول الله - ﷺ - أمر بالكتابة بينه وبين عامله، وأمر بالكتابة فيما قلد فيه عماله من الأمانة، وأمر بالكتابة في الصلح فيما بينه وبين المشركين، والناس تعاملوه من لدن رسول الله - ﷺ - إلى يومنا هذا، ولا يتواصل إلى ذلك إلا بعلم الشروط، فكان من أكد العلوم )) . (السرخسي، 1988: 185) .

وقال ابن مغيث الطليطلي : (( علم الشروط علم شريف، يلجأ الملوك والفقهاء والقضاة وأهل الظرف والشرف والسوقة والسواد من الناس، كلهم يمشون إليه، ويتحاكمون بين يديه، ويرضون بقوله ويرجعون إلى فعله، فيُنزل كل طبقة منهم على مرتبتها، ويقدم اسم الشريف على من هو دونه، واسم الرجل على اسم المرأة، ويتجنب في رسمها الكذب والزور والتحريف )) . (الطليطلي، 1975: 11) .

وقال ابن بّري : (( كفى بعلم الشروط شرفاً وفخراً انتحال أكابر التابعين له، وقد كان الصحابة - ﷺ - يكتبونها على عهد النبي - ﷺ - وبعده )) . (ابن بّري، 1987: 66) .

وقال شمس الدين الذهبي : (( علم الشروط علم حسن شرعي من برع فيه لزم العدالة فيه والورع، عاش حميداً ومات فقيراً، ومن عاش فيه بالحيل والمكر والدهاء، فلا بد له من خزي في الدنيا ومقت في الآخرة وإن تسود فيها )) . (الذهبي، 1984: 48) .

وقال الهواري : (( علم الشروط من أجلّ العلوم قدراً، وأعظمها خطراً، إذ به تنضبط أمور الناس على القوانين الشرعية، وتُحفظ دماؤهم وأموالهم على الضوابط الشرعية المرعية )) . (الهواري، 2002: 2) .

وقال الونشريسي : (( اعلم أن علم الشروط من أجلّ العلوم قدراً، وأعلاها إنابة

وخطراً، إذ به تثبت الحقوق، ويتميز الحر عن الرقيق، ويتوثق بها، ولذا سميت معانيها وثاقاً، وقد وقعت الإشارة إلى كثير من مقدماتها ولواحقها من كتاب الله عز وجل (( . (التشريسي، 1976: 211) .

ومن خلال هذه الأقوال والشواهد التي مرّت بنا، تتبين لنا المكانة الرفيعة والمنزلة العالية الشريفة التي حظي بها هذا العلم منذ نشأته الأولى، وحتى عصر متأخر من ازدهار العلوم في الحضارة الإسلامية .

### المطلب الخامس : علاقة علم الشروط بالعلوم الأخرى :

#### 1 - علاقة علم الشروط بعلم الفقه :

يعرف علم الفقه بأنه : (( معرفة الأحكام الله عز وجل في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصه الشارع معرفته من الأدلة، فإذا استخرجت تلك الأدلة قيل لها فقه )) . (ابن خلدون، 2005: 3) .

فالفقه إذن، علم يبحث في الأحكام الشرعية الفرعية العلمية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية، ومبادئه مسائل أصول الفقه، كما أن له استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية . (كبرى زاده، 1970: 554) .

ولعلم الفقه فروع، من هذه الفروع علم الشروط الشرعي الذي يستمد أصوله من علم الفقه باعتباره فرعاً من فروعه، ولاسيما في ما يتعلق بالمعاملات والتصرفات الخاضعة للكتابة والتوثيق، بحيث تكون معانيه موافقة لقوانين الشرع وأحكامه، مستنداً في ذلك كله إلى الكتاب والسنة .

ولكي يكون المرء بصيراً وحاذقاً وعالماً بالشروط، فإنه يجب عليه وقبل كل شيء أن يكون عالماً بالفقه متبحراً فيه، ملماً بجميع الشروط والنوازل والأحكام، فكثيراً ما يقال لمن كتب أو صنف في علم الشروط، كان فقيهاً عالماً بالشروط .

#### 2 - علاقته بعلم التوثيق والعقود :

كان علم التوثيق قديماً يعرف بعلم الشروط . (الحجوي، 1995: 138)، لأنه لا تخلو وثيقة من شروط فيها، فأطلق عليه ذلك من باب تسمية الشيء ببعض أجزائه، وقد غلبت عليه هذه التسمية في العهود المبكرة من تطوره التاريخي، ويسمى أيضاً بعلم العقود أو علم العقود والفرائض، حيث أطلق العلماء والفقهاء لفظ العقد على الوثيقة التي تتضمن

شروطاً وأحكاماً في النكاح والمعاملات المالية، فالعقود تحتوي على الشروط التي يلتزم المتعاقدان بمراعاتها، وتحتوي أيضاً على الشروط التي يجب توافرها في الوثيقة لقبولها في مجال هذه التصرفات، ذلك أن الشروط هي أهم ما تحتويه الوثيقة، وتكاد لا تخلو وثيقة من ذكر بعض الشروط فيها، فأطلقت الشروط على كل الوثائق .

كما أن إطلاق علم الشروط على علم الوثائق والعقود، كان متواتراً على ألسنة الذين تكلموا عن هذا العلم من المتأخرين، حيث قال القاضي عياض في ترجمته لابن العطار: (( ان حاذقاً بالشروط موثقاً )) . ( عياض، 1996 : 168 )، وقال ابن فرحون في ترجمته لأحمد بن جرير بن سليمان بنس: (( كان فقيهاً حافظاً للمسائل بصيراً بعقد الشروط )) . ( ابن فرحون، 1988 : 123 )، وقال ابن بشكوال في ترجمته لابن بقي القرطبي: (( كان بصيراً بعقد الشروط وعللها )) . ( ابن بشكوال، 1966 : 79 ) .

كما نجد أيضاً أن بعض المتأخرين قد أطلقوا لفظ علم الشروط على علم العقود، حيث قال عبد العزيز بن عبد الله: (( عاقد الشروط هو كاتبها ومسجلها )) . ( بن عبد الله، 1983 : 270 ) .

وأطلق الإمام الغزالي على علم التوثيق في إحيائه، وأثناء الحديث على علم الكسب بطريق: البيع، والسلم، والإجارة، والقرض، والمشاركة، وبالتحديد عند دعوته لتعلم وأحكام هذا العلم: (( علم العقود )) . ( الغزالي، 1978 : 74 ) .

ويتبين مما سبق أن الشروط والوثائق والعقود، أسماء لمسمى واحد، فيقال فلان عالم بالتوثيق، كما يقال عالم بالشروط، وعالم بالعقود، وله كتاب في الشروط، وله تأليف في الوثائق، وله تأليف في العقود .

وإذا كان التوثيق قد عُرف قديماً بعلم الشروط، فإنه في الوقت الحاضر قد أصبح له مفهوم آخر على علاقة كبيرة بعلم المكتبات والمعلومات، وهو يعني: (( مجموعة العمليات والأساليب الفنية اللازمة لتوفير أقصى استخدام ممكن للمعلومات المنشورة في المطبوعات العلمية والفنية، القومية منها والعالمية، حتى لا ينفق الوقت والجهد على بحوث سبق القيام بها في مكان ما على وجه الأرض، وتشمل هذه العمليات تقويم وجمع ونسخ وتحليل وتنظيم وخرن واسترجاع ونشر المعلومات العلمية والفنية، وفق احتياجات العلماء والباحثين )) . ( قاسم، 1998 : 45 ) .



ويعرف علم التوثيق في اللغات الأوربية باسم علم ( الديبلوماتيك )، وقد اشتق ذلك الاسم من الكلمة اليونانية ( Diploma )، ومعناها صحيفة مطوية، وقد سميت الوثائق بهذا الاسم لأنها كانت تكتب في الأزمنة الماضية : إما على قراطيس البردي، أو على قطع الرق، أو على الورق عندما انتشرت صناعته في العالم، ثم تطوى الصحيفة بحيث تصير ملفوفة وتحزم أحياناً بشريط من الجلد أو القماش، وفي بعض الأحيان قد يختم على هذا الشريط حفظاً للوثيقة من العبث والتزييف . ( بن عبد الله، 1983 : 75 ) .

### 3 - علاقته بعلم القضاء والمحاضر والسجلات :

قال ابن فرحون: (( لما كان علم القضاء من أجل العلوم قدرأً، وأعزها مكاناً، وأشرفها ذكراً، لأنه مقام عليّ ومنصب نبوي، به الدماء تعصم وتسفح، والأبضاع تحرّم وتكح، وبه الأموال يثبت ملكها ويسلب، والمعاملات يعلم ما يجوز منها وما يحرم، وما يكره وما يندب، طرق العلم به خفية المسارب مخوفة العواقب، والحجج التي تفصل بها الأحكام مهامة يحار فيها القطا، وتقتصر فيها الخُطأ، كان الاعتناء بتقرير أصوله، وتحرير فصوله من أجل ما صرفت له العناية، وحمدت عقباه في البداية وفي النهاية )) . ( ابن فرحون، 1982 : 3 ) .

وعلم الشروط يرتبط بعلم القضاء ويعلم الفقه ارتباطاً وثيقاً، فكلاهما يُعدّ فرعاً من فروع علم الفقه، كما أنهما يشتركان أيضاً في مهمة حماية وحفظ الحقوق والأنفس، وصيانة الأموال والأعراض، وفقاً للنصوص والأحكام الشرعية .

فعلم القضاء والمحاضر والسجلات، هو الذي يدرس الصيغ لكتابة الحكم الذي أصدره القاضي في الدعوى وإثباته في السجلات التي يحتفظ بها عنده في ديوانه .

وقد تنبه العلماء والأئمة والفقهاء عند تأليفهم وتصنيفهم في علم الشروط للصلة الوثيقة بينه وبين علم فقه القضاء، بحيث قاموا بإدراج الصيغ والأحكام القانونية في وثائق وعقود المعاملات المالية، ووثائق وعقود الزواج والطلاق، مما أضفى عليها صبغة قانونية إلى جانب صبغتها الشرعية، فأصبحت هذه الوثائق والعقود والشروط أكثر دقة وإلزاماً للأطراف المتعاقدة .

### 4 - علاقته بعلم الإنشاء والأدب :

قال شمس الدين الذهبي : (( الإنشاء فن أبناء الدنيا ليس من علم الآخرة في شيء،

والكامل فيه محتاج إلى مشاركة قوية في العلوم الإسلامية، يريد عقلاً تاماً ورزاقاً وسرعة فهم وقوة تخيل وبصراً باللغة والنحو وخبرة بالمعاني والبيان والسير وأيام الناس، وفنون الأدب وحسن الكتابة، ولكن ليكن رأس مال المنشئ تقوى الله ومراقبته، فربما وضع لفظه تعجبه يهوي بها إلى النار، وهو لا يدري، وربما أبدع في سطر ترتب عليه خراب مصر، وربما أعان تعلمه على سفك الدماء الحرام)) . (الذهبي، 1984: 47) .

فكما يستمد علم الشروط الشرعي أصوله من علم الفقه، فإنه أيضاً يستمد بعضاً من أصوله من علم الإنشاء والأدب، باعتبار إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية وتحسين الألفاظ .

لذلك فإنه يجب على الشرطي أو الموثق أن يكون مطلعاً على الفنون الأدبية، وأن يعرف الصيغ المحكمة لوثيقته، بحيث تحقق الغرض منها دون لبس، فالعقود أو الوثائق يشترط فيها أن تكون بألفاظ بيّنة، غير محتملة ولا مجهولة، لأن الألفاظ قوالب المعاني، ومنها اقتناصها، وهي المكاشفة عنها، ومن الألفاظ المحتملة كالمشترك نحو شرى يقال : للبايع والمبتاع، وغيره يقال : للطالب والمطلوب، وزوج يقال : للرجل والمرأة، ومختار يقال : للجد والرديء، وعين يقال : لأحد النقدين وكذلك لعين الماء، وغيرها، ومنها العام الذي لا يعرف المراد منه إلا بتخصيصه، كالعبد والدار والفرس، ونحوها، ومنها المطلق الذي يفتقر في البيان إلى تقييد، كرجل وامرأة ودابة ودار، ونحوه، فلا بد من بيان المجلد وتخصيص العام وتقييد المطلق .

كما يشترط في العقود والوثائق السلامة من اللحن، فلو كان لحن الشرطي أو الموثق يغير المعنى، بحيث يصير المبتاع بائعاً والمطلوب طالباً، ويقصر عن معرفة العوامل والتثنية والجمع ونحو ذلك، فلا يجوز أن يكتب بين الناس اتفاقاً، لأنه يجب على الشرطي أو الموثق أن يكون على معرفة ودراية تامة بالنحو وفن الإنشاء .

قال ابن فرحون في بيان أحكام الشرطي : (( ينبغي أن يكون فيه من الأوصاف ما نذكره، وهو أن يكون حسن الكتابة، قليل اللحن، عالماً بالأمر الشرعية، عارفاً بما يحتاج إليه من الحساب والقسم الشرعية، متحلياً بالأمانة، سالماً طريق الديانة والعدالة، داخللاً في سلك الفضلاء، ماشياً على نهج الأجلاء )) . (ابن فرحون، 2007: 200) .

وقال الجاحظ : (( وأما النحو فلا تشغل قلب ولدك منه، إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن في كتاب، أو شعر أنشده، أو شيء وصفه، وما زاد على ذلك، فهو مشغلة عما هو أولى به )) . ( الحجوي، 1995 : 328 ) .

ومن هنا احتاط الشرطيون والموثقون على قدر ما يسعهم الجهد عند انتقاء الألفاظ وتركيب الصيغ الفقهية، بحيث تكون غاية في الدقة، لأن أي اختلاف حول تفسير أي لفظ أو صيغة قد يؤدي إلى الدفع ببطلان الوثيقة عند تقديمها للقاضي .

##### 5 - علاقته بعلم الاجتماع :

يعنى ويهتم علم الاجتماع بدراسة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والأعراف والعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الإنسانية .

وعلم الشروط الشرعي يستمد بعضاً من أصوله ومبادئه من أعراف وعادات وتقاليد الناس وأمورهم الاستحسانية . ( حاجي خليفة، 1996 : 1045 )، فلكل بيئة ومجتمع بشري عرف معين، ومصطلح خاص، وأحوال اقتصادية ومعاملات تجارية معينة .

لذلك يجب على الشرطي أو الموثق أو كاتب العقود عند توثيق المعاملات الشرعية بين الناس مراعاة هذه الأعراف والعادات والأحوال، لأنه قد تضيع الحقوق والأموال، ويحصل الخلط في توثيق العقود لمن ليس له دراية كافية بهذه الأعراف والعادات والتقاليد .

ومن هنا فإنه توجد علاقة وثيقة الصلة بين علم الشروط الشرعي وعلم الاجتماع، وتقتضيها أحوال وعادات وأعراف الناس في أمور حياتهم اليومية، المتمثلة في معاملاتهم اليومية من بيع وشراء، وزواج وطلاق، وإجارة، ونحوها، الأمر الذي يتطلب توثيق هذه المعاملات بصورة دقيقة ومحكمة، حتى لا تضيع أموال وحقوق الناس، ويكون ذلك سبباً للتنازع بين الناس والخصام فيما بينهم .

##### الخاتمة والنتائج والتوصيات :

توصلت بفضل وعون وتوفيق من الله - سبحانه وتعالى - إلى خاتمة هذا البحث، الذي قمت من خلاله بدراسة موضوع مهم من مواضيع الفقه الإسلامي، ألا وهو موضوع: علم الشروط الشرعي وعلاقته بالعلوم الأخرى .

وقد أتبعته في دراستي هذه المنهج العلمي القائم على البحث والتحري، فكانت أرجع

- أولاً - إلى كتاب الله عزّ وجل، وسنة رسوله الكريم - ﷺ - باعتبارهما المصدرين الأصليين للفقه الإسلامي، ثم كتب الفقه الإسلامي، ونحوهما من كل ما يتعلق بموضوع البحث والدراسة .

وبعد البحث والدراسة في هذا الموضوع الفقهي، تبين لي أهمية وضرورة علم الشروط الشرعي في معاملات الناس وأمورهم الحياتية، حيث توصلت إلى نتائج عدّة لعل من أهمها ما يلي:

1 - توصل البحث إلى أن علم الشروط الشرعي من أهم العلوم الشرعية الإسلامية، وذلك نظراً لأهميته ولضرورته القصوى في حماية وتثبيت الحقوق، وحفظ الأنفس، وصيانة الأموال والأعراض، ورفع الخصام وحسم النزاع بين الناس .

2 - توصل البحث إلى أن الشرط في اللغة يعني إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، وأن هذا التعريف اللغوي صار فيما بعد علماً قائماً بذاته، وفرعاً من فروع علم الفقه، هذا العلم هو علم الشروط الشرعي .

3 - لعل من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي ودراستي هذه، هو أن علم الشروط الشرعي نشأ مع بداية العهد الإسلامي، أي أن نشأته كانت نشأة إسلامية خالصة، حيث مرّ خلال تطوره بثلاث مراحل أساسية ومهمة، ساهمت كل مرحلة من هذه المراحل في تطور علم الشروط الشرعي وتقدمه وذلك من خلال ظهور عدد من الأئمة والفقهاء، أولوا هذا العلم عناية خاصة، وتناولوه بالبحث والدراسة وألفوا وصنفوا فيه كتب ومؤلفات جلية، ساهمت في تطوره وازدهاره، واحتلاله مكانة مرموقة بين العلوم الإسلامية الأخرى .

**وفي الختام:** أوصي كل الباحثين والدراسين والمهتمين بدراسة العلوم الشرعية الإسلامية، بضرورة البحث والدراسة في هذا العلم، ألا وهو: ( علم الشروط الشرعي )، وذلك نظراً لأهمية وضرورة هذا العلم من جهة، ولقلة وندرة البحوث والدراسات العلمية المعمقة في هذا المجال من جهة أخرى .

اسأل الله العليّ القدير المغفرة والسداد والتوفيق في القول وفي العمل، وأتضرّع إليه عزّ وجل أن يتقبل مني عملي هذا وسائر أعمالتي بقبول حسن، وأن يجعل كل أعمال

خالصة لوجهه الكريم، أنه هو نعم المولى ونعم النصير .

### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع المدني .
- 1 - ابن بري، أبو محمد بن عبد الجبار (( الوثائق السياسية على العهد النبوي والخلافة الراشدة ))، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1976 م .
  - 2 - ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود (( الصلة ))، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995 م .
  - 3 - ابن تيمية، تقي الدين أحمد (( الفتاوى الكبرى ))، تحقيق أحمد كنعان، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، 1999 م .
  - 4 - ابن خلدون، أبو محمد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (( المقدمة ))، المركز الوطني للبحث العلمي، الدار البيضاء، المغرب، 2005 م .
  - 5 - ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن حبيب (( العقد الفريد ))، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1987 م .
  - 6 - ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (( معجم مقاييس اللغة ))، دار الجيل، بيروت، 1999 م .
  - 7 - ابن فرحون، برهان الدين أبي الوفاء (( تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام ))، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م .
  - 8 - ابن مغيث، أبو جعفر أحمد الطليلطي (( المقنع في علم الشروط ))، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 م .
  - 9 - الجيدي، عمر (( محاضرات في المذهب المالكي ))، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1987 م .
  - 10 - حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (( كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ))، مكتبة النصر، الرياض، السعودية، 1996 م .
  - 11 - الحجوي، محمد بن الحسن (( الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ))، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1984 م .
  - 12 - خضر، محمد (( علم الشروط عند المسلمين وصلته بعلم الوثائق العربية ))، مجلة الدارة، العدد الرابع، 1975 م .
  - 13 - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (( زغل العلم ))، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الصحو الإسلامية، الرياض، 1994 م .
  - 14 - السامرائي، قاسم (( مقدمة في الوثائق الإسلامية ))، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1983 م .
  - 15 - السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (( المبسوط ))، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 م .
  - 16 - السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (( الشروط والوثائق ))، تحقيق يحي مراد، دار الفكر،

- القاهرة، 1995 م .
- 17 - طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى (( مفتاح السعادة ومصباح السيادة ))، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998 م .
- 18 - الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (( الشروط الصغير مذيلاً بما عثر عليه من الشروط الكبير ))، تحقيق روجي أوزجان، جامعة بغداد، بغداد، العراق، 1972 م .
- 19 - عياض، أبو الفضل بن موسى بن عمرو (( ترتيب المدارك وتقريب المسالك ))، تحقيق أحمد بن بكير حمودة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996 م .
- 20 - الفرناطي، أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود (( الوثائق المختصرة ))، دار إحياء التراث العربي، الرباط، المغرب، 1988 م .
- 21 - الغزالي، أبو حامد محمد بن أحمد (( إحياء علوم الدين ))، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987 م .
- 22 - قاسم، حشمت (( علم المكتبات والمعلومات ))، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998 م .
- 23 - الهواري، أبو عبد الله بن محمد بن عبد السلام (( شرح وثائق بناني ))، المطبعة الجديدة، فاس، المغرب، 2002 م .
- 24 - الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (( المنهج الفائق ))، تحقيق لطيفة الحسيني، وزارة الأوقاف، الرباط، المغرب، 1997 م .

# تطور استعمالات الأراضي الحضرية في مدينة يفرن 1980م - 2010م

د. شرف الدين أحمد سالم\* أ. أحسان على الأشهب\*\*

## ملخص البحث

خلال مرحلة تاريخية طويلة، مدن في مواقع جغرافية مختلفة خضعت لعدة أنواع من استخدام الأرض. فالتخطيط لاستخدام الأرض أصبح واضحًا كنتيجة لأعظم حاجة لدى هذا النوع الذي يعمل على السيطرة والتنظيم لإرضاء أو إشباع حاجيات الإنسان الأولية والمستقبلية عدة نظم، وتشريع وقوانين أثرت على استخدام الأراضي في ليبيا، وكل مرحلة لها طابع خاص وأثر على المدينة، وهذا الطابع الذي يعزز النتيجة لهذه النظم، والذي ما زالت تعاني منه المدن الليبية .

الدراسة اختارت مدينة يفرن كأحد المدن الليبية التي خضعت لقوانين التخطيط الإلزامية تقع يفرن على الحافة الشمالية للجبل الغربي. ناقشت الدراسة الأسس وأنواع استخدام الأرض، النظرية التقليدية، وأتت هذه الدراسة لتناقش خطتان لبنية المدينة الأولى: . وضعت الدراسة كل أنواع استخدام الأرض لكل الخطط ومقارنتها بالنسبة لمساحتها وحقول أخرى.

كشفت الدراسة عن إنكار تحضير الأراضي وحقائق أخرى وأوضحت عن الاستعمال الحقيقي لأراضي المدينة، والطريقة التي تم استخدامها من قبل البلدية، وكما حلت الدراسة هذه الخطط والتي كشفت عن المنافسة الملوثة بين الاستخدامات المختلفة لهذه الأرض. وهذه الحقيقية تم تشجيعها من خلال غياب الرقابة وعوامل الاستفادة من تأجير المباني. أظهرت نتائج الدراسة أن كل نوع يختلف عن البقية، وأكدت نقص الخدمات في داخل المدينة، وبعد، فقد تم تحديد احتياجات المقيمين في المستقبل والاحتياجات الفردية أخذت بعين الاعتبار أيضًا نسبة إلى مقاييس عالمية وقورنت لإظهار الحقائق .

\* كلية التربية. يفرن / جامعة الجبل الغربي  
\*\* كلية التربية. يفرن / جامعة الجبل الغربي

## المقدمة

تعتبر عملية استعمالات الأرض معقدة مقارنة بغيرها من عمليات التخطيط، فلم يأت هذا التخطيط لمجرد الوصف، وإنما لصعوبة دمج العمليات الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية في عملية الاستخدام. (غنيم، 2001، 32)

ترتبط مورفولوجية المدن بجوانب حضارية تتمثل في خطة المدينة وطرز مبانيها وارتفاعها، وجوانب أخرى مادية تتمثل في موضعها وخصائصها الطبيعية، ويعد التركيب الداخلي للمدينة من الأمور البالغة الأهمية عند دراسة المدينة، حيث أصبح استعمالات الأراضي علماً قائماً بذاته له موضوعه ومنهجه الخاص به المتمثل أساساً في دراسة موقع وكثافة ومساحة الأراضي اللازمة حتى تؤدي المدينة وظائفها المختلفة، إذ يعد استغلال الأراضي وتحليل أنماطها أحد المحاور التي يتناولها الباحثون عند دراسة مورفولوجية المدينة أو شكلها الخارجي، إضافة إلى دراسة نسيجها الحضري. (الكخيا، 1995، 343).

مدينة يفرن كأية مدينة أخرى تقوم بوظيفتين أولهما تلبية متطلبات سكان المدينة، وثانيهما تلبية متطلبات سكان إقليمها، كما أن استعمالات الأرض بها تتباين من حيث أدائها الوظيفي والمساحات التي تشغلها من أرض المدينة، ومن حيث عدد العاملين فيها وعدد مؤسساتها.

وعند دراسة التركيب الوظيفي للمدينة يتطلب الأمر دراسة استعمالات الأراضي بها ومعرفة مساحتها ووظيفتها، وكلما كان الاستعمال واضحاً ومحددأ أفاد في إرساء التخطيط المثالي لشكل ومظهر المدينة، فإعداد مخطط لأي مدينة يتطلب فترة زمنية معينة وذلك لتوفير ما تحتاجه المدينة من تطوير خلال هذه الفترة.

وعموماً فإن توفر أراضي الفضاء بالمدينة يعد على قدر كبير من الأهمية، نظرًا لأنها تعد الرصيد الاحتياطي للتوسع العمراني في المستقبل، وأهمية هذه الأراضي وقيمتها تتوقف على موقعها بالنسبة لمحاور الطرق والشوارع الرئيسية وتوفر خدمات البنية التحتية. (الزامل، 1988، 156)



### إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في تغير طبيعة أداء ونوعية الأنشطة التي يؤديها الإنسان من ناحية، وتغير مفاهيم المكان من ناحية أخرى، والذي يغير من النوعية والعلاقات الوظيفية بين استعمالات الأرض، تلك النوعية والعلاقات التي تتأثر بالمتغيرات الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية تؤدي إلى خلق مجموعة جديدة من الاستعمالات.

أهمية البحث: تتبع أهمية البحث من:

1 - إن موضوع استعمالات الأراضي يعتبر أحد أشكال الاختلاف المكاني للأنشطة داخل المدينة.

2 - فهم تركيب المدينة يعتمد على خريطة استعمالات الأراضي.

3 - أهمية التوسع العمراني المواكب للنمو السكاني، وتلبية احتياجاته.

### أهداف البحث:

1 - التعرف على التغيرات التي طرأت على خريطة استعمالات الأراضي بالمدينة.

2 - الكشف عن مدى التوازن بين الاستخدامات المختلفة.

3 - ربط استعمالات الأرض في المدينة بمستويات التخطيط وإظهار أهمية كل

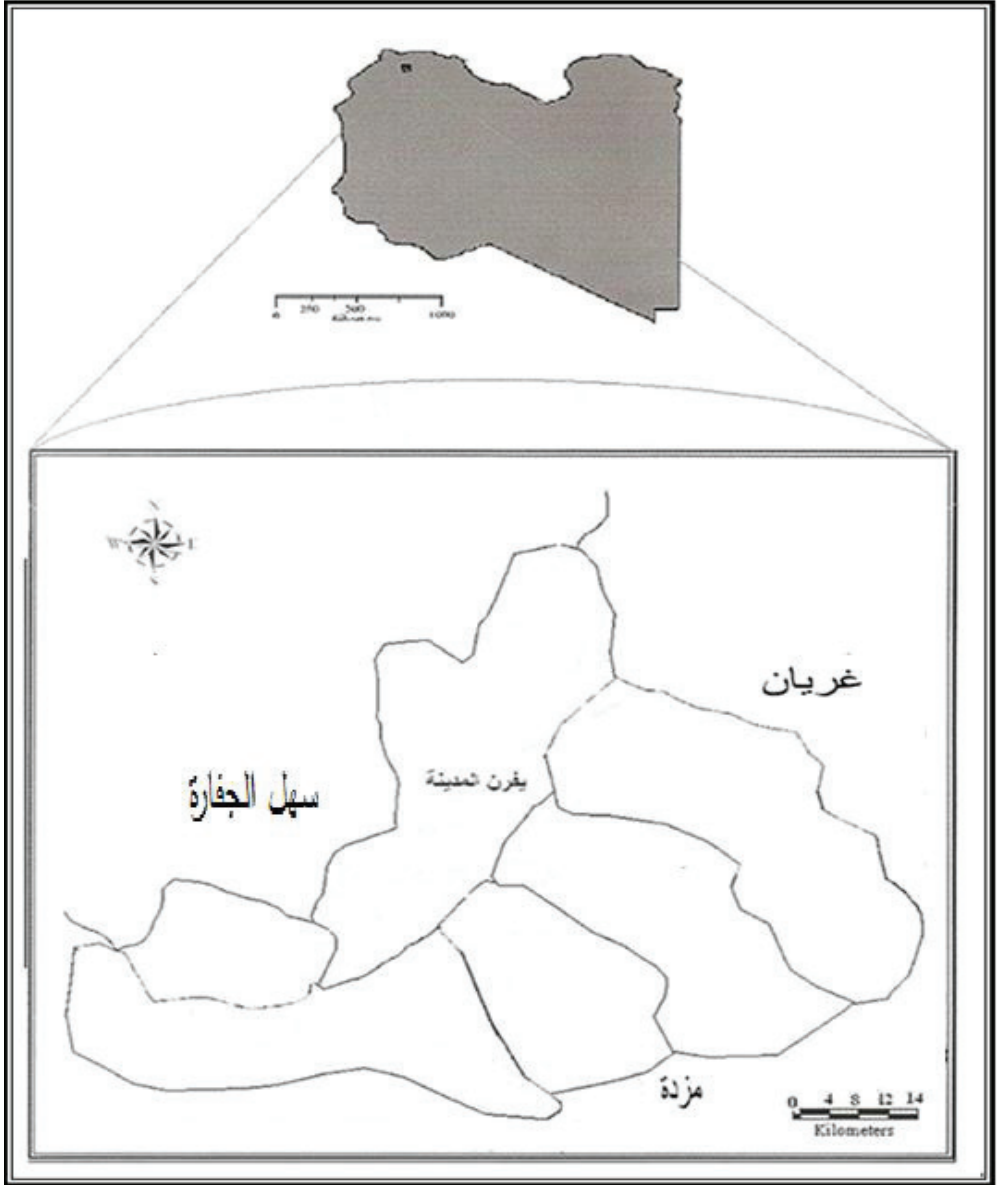
مستوى مع استعمال الأرض.

تساؤلات البحث: ما هي الكيفية التي استعملت بها أرض المدينة للأغراض الوظيفية؟ وما هي نسبة كل استعمال منها؟ وما هي الطريقة التي توزعت بها الاستعمالات على موضع المدينة؟

### مجالات الدراسة:

#### أولاً: المجال المكاني:

تقع مدينة يفرن على حافة الجبل الغربي، وتحدها من الشمال الحافة الشمالية للجبل الغربي، ومن الشرق منطقة ككلة، ومن الغرب منطقة الريانة، ومن الجنوب الطريق الرئيسي غريان جادو الذي يفصل الامتداد العمراني عن الأراضي الزراعية، وأما من جهة الشمال فيحدها سهل الجفارة كما هو مبين في الشكل (1)، وأما فلكياً فتقع مدينة يفرن بين (12 3127 ق)، ودائرة عرض (39 03 32 ش).



الشكل (1) حدود منطقة الدراسة بالنسبة لليبيا.

المصدر/ بتصريف من الباحث، مكتب التخطيط العمراني، يفرن، 2008..

## ثانياً: المجال الزمني:

تهدف هذه الدراسة إلى فهم الوضع القائم لاستعمالات الأراضي بمدينة يفرن حسب المخطط الشامل لسنة 1980 - 2000، وما طرأت عليه من تغيرات حتى سنة 2010، حيث تم التعاقد مع شركة بولسيرفس البولندية سنة 1978، للقيام بسلسلة من الدراسات التخطيطية لإقليم طرابلس، ودراسة الأوضاع القائمة وإمكانية التنمية حتى سنة 2000. **مناهج البحث:**

تتطلب طبيعة أية دراسة إتباع طرق لحل مشكلة البحث، وتقصي حقائق الموضوع حيث يتحدد المنهج المتبع في الدراسة وفقاً لمستوى المعلومات المتوفرة، وما تتطلبه طبيعة الموضوع وفي هذه الدراسة تم إتباع الآتي:

1. المنهج الوصفي: الذي يتم من خلاله وصف الظواهر الطبيعية والبشرية، وذلك من خلال دراسة المخططات التي عملت للمدينة، ووصف ما هو موجود فيها، ومقارنتها مع بعضها البعض، وما هو موجود على أرض الواقع.
2. المنهج التحليلي: وذلك من خلال دراسة الواقع، وفهم العوامل التي أثرت على أنماط استعمالات الأراضي الحالية في المدينة، وفهم وتحليل أسباب الفجوة بين التخطيط النظري والواقع العملي.

### استعمالات الأراضي لمدينة يفرن:

تركزت التنمية خلال عام 1980 في الناحية الشرقية من مركز المدينة حيث أن معظمها سكني، وتعاني من نقص في بعض الخدمات خاصة المرافق التجارية والترفيهية المناسبة. ويرتبط الاقتصاد بكفاءة استعمالات الأرض ويتمثل ذلك في مصروفات الحكومة لإنشاء المرافق العامة، والخدمات، وتشغيلها، لذلك يراعى عند تخطيط استخدام الأرض الاقتصاد في تكاليف تنفيذ هذا التخطيط. (علام، د ت، 327)

كما تنتشر المدارس بشكل غير منظم، ولا ترتبط وظيفتها بالمناطق السكنية، ويرتبط الجزء الجديد من المدينة الذي يشمل مجموعة من التجمعات السكانية مع الجزء القديم من المدينة بطريق يمر بينهما، وقد بلغت مساحة الأراضي الحضرية سنة 1980م 134.9 هكتار، بينما ازدادت مساحتها إلى 239 هكتار سنة 2000. والجدول (1) والشكلين (2،3) يبينان توزيع استعمالات الأراضي الحضرية بالمدينة لسنتي 1980 - 2000.

## الاستعمالات السكنية:

يمثل الاستعمال السكني أكبر مساحة بالمخطط العام بنحو 87.4 هكتار ونسبة 86.4 % من إجمالي المساحة الحضرية، وهذا يتماشى مع الدراسات التي تشير إلى أن الاستعمال السكني يشكل في حدود (60 %) من إجمالي مساحة المخطط (فتحي محمد أبو عيانة، 1999، ص 412)، وقد بلغت المساحة التي تشغلها المساكن 124 هكتاراً في سنة 2000 أي ما يقدر 51.9 % من إجمالي المنطقة الحضرية بزيادة تصل إلى 36.6 هكتار عما كانت عليه عام 1980 .

وصاحب التطور العمراني، والمعماري زيادة استعمال الأدوات، والمعدات المنزلية الكهربائية، وهذا نتج عنه رد فعل في نسبة استهلاك الكهرباء، والماء، والغاز، مما يستدعي اهتمام أكبر بهذه الخدمات، ويغلب على التصميم العام للمساكن في منطقة يفرن التصميم ذو الدور الأرضي .

## استعمالات النقل والمواصلات:

يمثل هذا الاستعمال مساحة تصل إلى 11.3 هكتار بنسبة تزيد عن 8.4 % من مجمل المساحة الحضرية بالمخطط. حيث ازدادت المساحة المخصصة للنقل لتبلغ 47 هكتاراً ونسبة 19.7 % من إجمالي المنطقة الحضرية سنة 2000، وبزيادة تقدر بـ 36.3 هكتار عما كانت عليه في عام 1980 .

وتعاني المدينة من نقص الظروف الملائمة لحركة مرور المشاة، وهناك العديد من الطرق لا تتوفر فيها أرصفة للمشاة، والموجودة منها ضيق جداً، ويتم توقيف السيارات على جانبي الشارع وكذلك بالمواقف الجانبية.

## الخدمات التعليمية :

شغلت المؤسسات التعليمية في منطقة الدراسة نسبة 8.2 % من مساحة المدينة التي تشغل في مجملها مساحة 11 هكتار عام 1980، لتزداد المساحة المخصصة للخدمات التعليمية إلى 16.5 هكتار خلال 20 سنة، بنسبة 6.9 % من المساحة الحضرية، وبانخفاض نسبي بلغ 1.3 % عن عام 1980، على الرغم من زيادة المساحة بالهكتار.

الجدول (1) توزيع استعمالات الأراضي الحضرية (1980 - 2000).

سنة 2000		سنة 1980		نوع استعمالات الأراضي
النسبة %	المساحة بالهكتار	النسبة %	المساحة بالهكتار	
51.9	124	64.8	87.4	السكني
6.9	16.5	8.2	11	تعليمي
4.8	11.5	5.2	7	الصحة والضمان الاجتماعي
4.9	11.6	6.7	9.1	المرافق الدينية والثقافية
5.5	13.3	3.2	4.3	الأعمال التجارية
4.2	10.1	0.6	0.8	الرياضة، والترفيه، ومناطق الحماية
2.1	5	3.0	4	الإدارة والخدمات العامة
19.7	47	8.4	11.3	النقل والمواصلات
100	239	100	134.9	المساحة الإجمالية

المصدر/ المخطط الشامل، البولسيرفس فاد يكو، 1980، ص 24 ص 49 - 90.

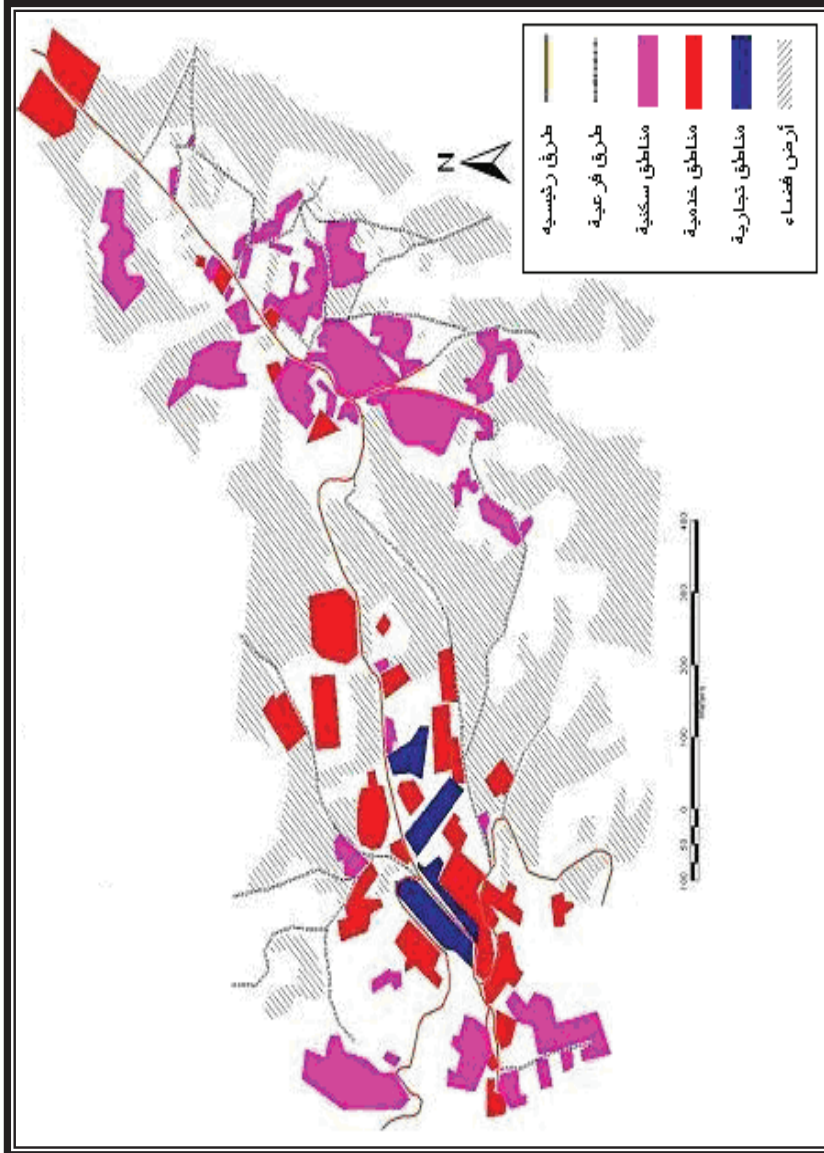
#### الخدمات الصحية:

تتألف الخدمات الصحية من وحدات للرعاية الصحية، ومصحات، وصيدليات، ومراكز ضمان اجتماعي، ومستشفى، ومستوصفات، تشغل في مجموعها 7 هكتار مشكلة 5.2 % من مساحة المنطقة الحضرية، عام 1980، وارتفعت المساحة المستخدمة لهذه الخدمة إلى 11.5 هكتار عام 2000. وتوزع هذه المؤسسات بشكل غير متكافئ على محلات المنطقة.

#### المرافق الدينية والثقافية:

أقيمت هذه المرافق على مساحة 9.1 هكتار لتؤلف نسبة 6.7 % لعام 1980،

لتتخفف مخصصاتها من مساحة المدينة في عام 2000 بنسبة 1.8 % عما كانت عليه عام 1980 على الرغم من زيادة المساحة بالهكتار بحوالي 2.5 هكتار عام 2000.



الشكل (2) استعمالات الاراضي بمدينة يفرن سنة 1980.



### الاستعمال التجاري:

يوجد في المنطقة عدد من الموزعين الأفراد في قطاع التجارة، كما توجد أسواق شعبية مفتوحة مثل سوق الخضراوات، وسوق الحيوانات، والأسواق الشعبية الأرضية، ومجموعة من الجمعيات وقد انتشرت هذه المحلات على مختلف أنشطتها الحرفية، والخدمية على جانبي الشارع الرئيسي، لتحتل مساحة تمثل نسبة 3.2 % من مساحة المدينة عام 1980، لترتفع هذه النسبة إلى 5.5 % عام 2000. فاستمرار التطور في الاستعمالات التجارية هو المحقق لوجود تنمية مستدامة في استعمالات الأرض التجارية بهذه المنطقة.

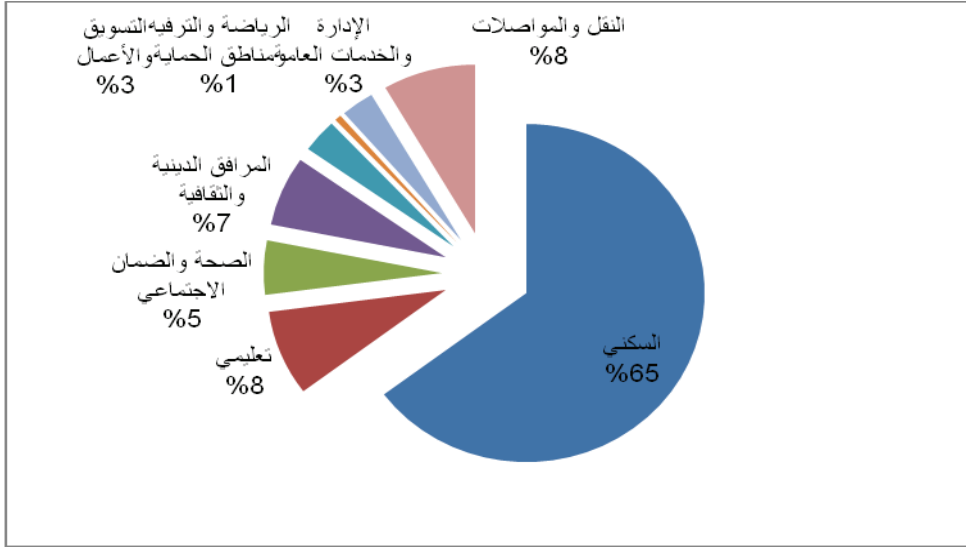
### الرياضة والترفيه:

تم تخصيص 0.8 هكتار للرياضة، والترفيه شملت معظمها الأراضي الفضاء ونسبة 0.6 % من مساحة الاستعمالات الحضرية لعام 1980، وتعد بذلك مخصصاتها منخفضة جدا مقارنة بباقي الخدمات على الرغم من أهميتها البالغة، إلا أن مساحة الأراضي المخصصة للرياضة والترفيه ازدادت بشكل ملحوظ سنة 2000 لتبلغ 10.1 هكتار ونسبة 4.2 % وان كانت هذه المساحات ينقصها التجهيز لتقوم بوظيفتها بشكل مفيد لسكان المدينة.

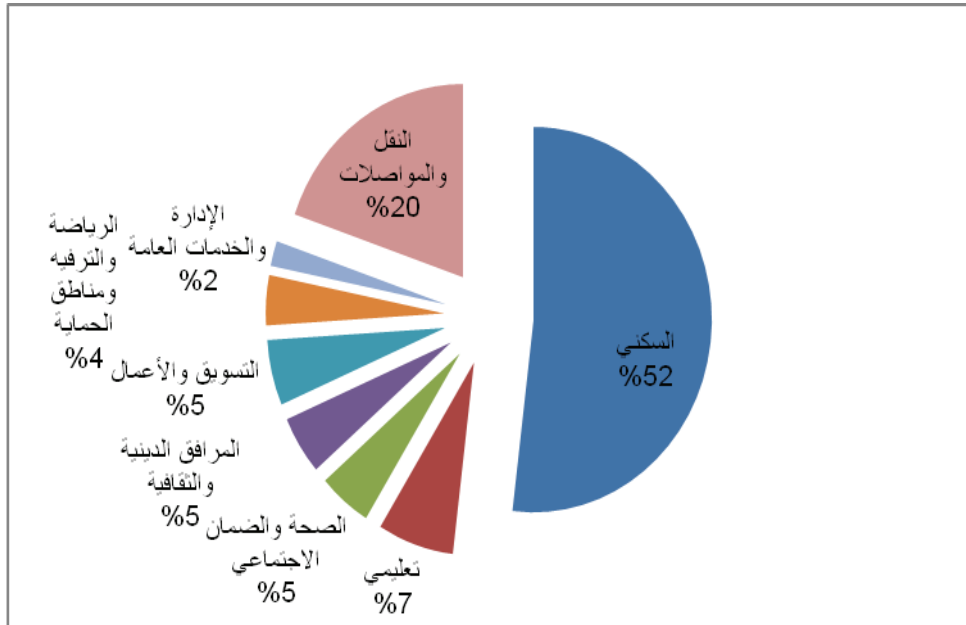
### الإدارة والخدمات العامة:

يأتي استخدام الأرض لإقامة المباني العامة في المرتبة السابعة في مخطط 1980، حيث بلغت مساحة هذا الاستخدام 4 هكتار بنسبة 2.9 % من المساحة الإجمالية، ثم زادت هذه المساحة في المخطط سنة 2000 م إلى 5 هكتار، أي بنسبة 2.1 % من المساحة الإجمالية، فاحتلت المرتبة الأخيرة من بين باقي الاستخدامات، على الرغم من ازدياد المساحة إلى 5 هكتار. ويبين الشكلان (4) (5) التوزيع النسبي لاستعمالات الأراضي بالمدينة حسب الخدمات التي تقدمها.





شكل (4) التوزيع النسبي للأراضي المخصصة للخدمات بمدينة يفرن سنة 1980.



شكل (5) التوزيع النسبي للأراضي المخصصة للخدمات بمدينة يفرن سنة 2000.

يتضح من الجدول (2) زيادة في المساحة الحضرية خلال السنوات العشر الأولى 1981 - 1990، عنها في السنوات العشرين الثانية من سنة 1991 - 2000، ويلاحظ أن التطور شمل جميع القطاعات بالمخطط.

الجدول (2) تطور الإسكان والبنية الأساسية من سنة 1980 - 2000.

أنواع المرافق	1990 - 1981 مساحة المسقوف (ب م <sup>2</sup> )	الزيادة في المساحة المسقوفة بالهكتار	1991 - 2000 مساحة المسقوف (ب م <sup>2</sup> )	الزيادة في المساحة المسقوف بالهكتار
الإسكان	56.000	27.9	25.000	9.0
التعليم	10.800	3.8	9.100	1.7
الصحة والضمان الاجتماعي	9.030	3.0	9.00	0.4
المرافق الدينية والثقافية	3.700	1.4	4.000	1.1
الأعمال التجارية	14.200	4.4	12.900	4.6
الرياضة والترفيه	0.8	0.6	10.1	4.2
الإدارة والخدمات العامة	3.850	0.5	5.00	0.5
أجمالي المساحة	98.38 م <sup>2</sup>	41.6 هـ	75.1 م <sup>2</sup>	17.3 هـ

المصدر/ إعداد الباحث استنادا لما ورد بالمخطط الشامل البوليسيرفس 1980 - 2000، ص 116.

## الوضع القائم لسنة 2010م:

من واقع الاستعمالات الحالية للأراضي لمدينة يفرن ووفق المخطط العام، تم إضافة مناطق جديدة شمال المدينة خصصت للاستعمال السكني إلى جانب فرع الجامعة، والمعهد العالي، ومؤسسة الكهرباء، كما تم إضافة فرع للأمن العام، وبعض المساكن التي معظمها تحت التنفيذ حالياً. أما من الناحية الشرقية بمحلة الجديدة فقد تم إنشاء عدد من المساكن، وبعض الورش الحرفية على امتداد الطريق الذي يربطها بالمدينة، ومن الناحية الجنوبية لم تشهد المنطقة أي تطور يذكر.

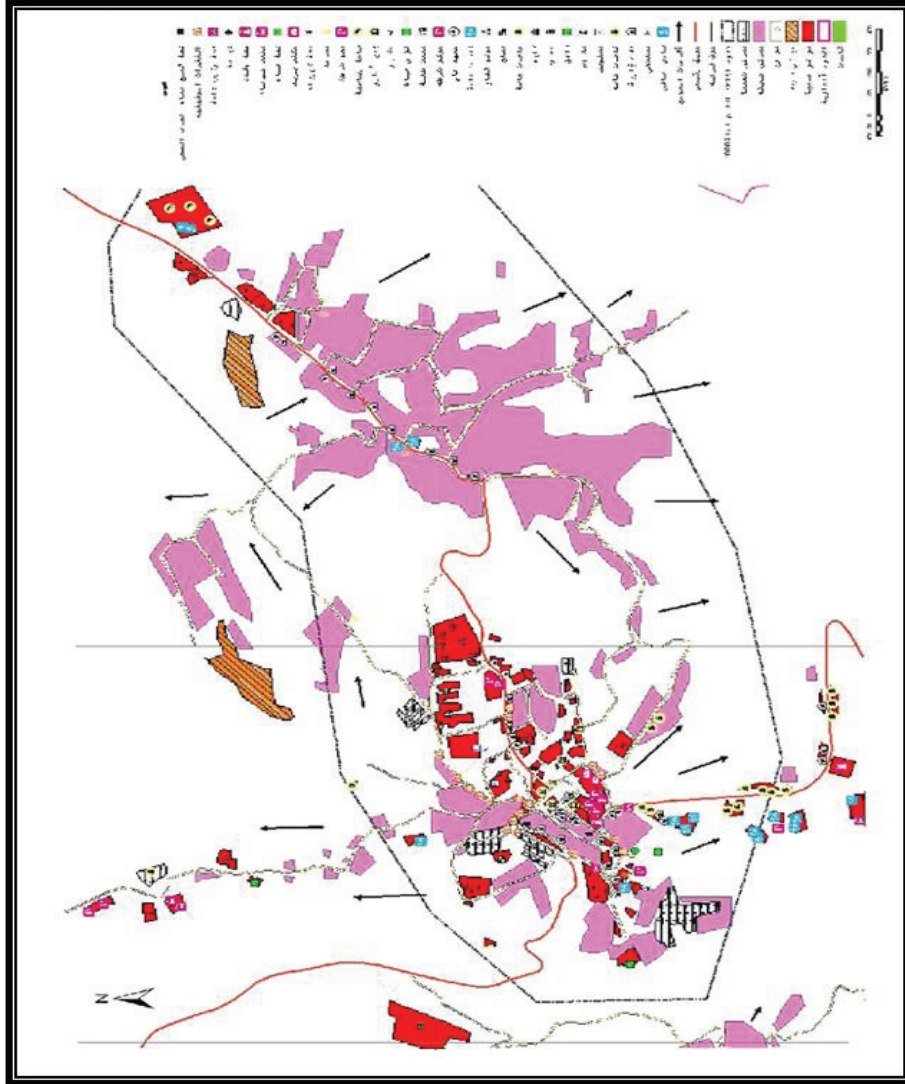
والجدول (3) والشكل (6) يوضحان مكونات التركيب الداخلي لمدينة يفرن لسنة 2010م.

الجدول (3) التركيب الداخلي لمدينة يفرن لسنة 2010م.

نوع الاستعمال	العدد	تحت الإنشاء
استعمال سكني	2850 وحدة سكنية	414 وحدة سكنية
صناعي (ورش حرفية)	12 ورش حرفية	*
تجاري	55 محل تجاري	12 محل تجاري
خدمات نقل ومواصلات	23 ورش صيانة+3 محطات وقود	2 ورش صيانة
خدمات عامة	35	*
المصارف والمؤسسات	المصارف 5	*
	الكهرباء 1	
	التأمين 1	
	البريد 1	
التعليمي والصحي والديني	مساجد ومدارس قرآنية 19	3 مدارس + 2 مساجد + 1 مستشفى
	مدارس 27 + التعليم العالي 3	
	مستشفى 2 + عيادة خاصة	
	مركز صحي 6	

المصدر/ 1 - النتائج الأولية لتعداد المباني، 2006 ف، ص 23.

- 2 - إحصائية حصر التراخيص والأنشطة الاقتصادية 2003ف، قطاع الإحصاء والتعداد، ص27.
- 3 - أمانة الصناعات، يفرن، بيانات غير منشورة، 2008ف.
- 4 - أمانة المرافق، بيانات غير منشورة، 2008ف.
- 5 - زيارات ميدانية من الباحث.



الشكل (6) استعمالات الأراضي بمدينة يفرن سنة 2010 م.

بتحليل الجدول (4) والشكل (4) ومعاينته على أرض الواقع نجد أن هناك تداخلات كبيرة بين الاستعمال السكني، والاستعمال التجاري من ناحية، وبعض الصناعات الخفيفة كالورش من ناحية أخرى، حيث لجأ أغلب سكان المدينة إلى بناء متاجر جديدة، أو تغيير أجزاء من مساكنهم إلى متاجر أو مختبرات للتحاليل، أو مخابز، وغير ذلك من الأنشطة التي يتم تداولها داخل نطاق مخطط المدينة، والشكل (5) يبين التغير الوظيفي لبعض المساكن بالمدينة.

#### الخاتمة:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أنماط استعمالات الأراضي في مدينة يفرن ودراستها خلال الفترة من 1980 - 2010، وما هي العوامل، والأحداث التي أثرت في تطور أنماط استعمالات الأراضي، وما هو دور المخططات التي وضعت في هذه الفترة، وهل كان لها دور في تطور، أو تأخر أنماط استعمالات الأراضي.

كما اتضح أن أكثر نسبة للاستعمالات داخل المخطط هي الاستعمالات السكنية على طول فترة الدراسة، وأن الطرق الموجودة بالمدينة حالياً لا تستجيب لحركة المرور المتزايدة نتيجة لانتشار الأنشطة التجارية والحرفية بالمدينة.

واتضح أيضاً من الدراسة أن شبكة الطرق، والشوارع بالمدينة لا تتماشى مع المخطط الحضري، والأنشطة الاقتصادية بها، مع ملاحظة العجز الكبير في تنفيذ العديد من المشاريع داخل المخطط، والتداخل الكبير بين العديد من الاستعمالات خاصة الاستعمالات التجارية والسكنية. ولم تتبع المدينة بشكل دقيق المخططات التي رسمت لها.

#### النتائج:

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل مدينة يفرن كإحدى المناطق الحضرية بليبيا للتعرف على تطور استعمالات الأراضي، ودوره في مخطط المدينة تم التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

- 1 - إن طبوغرافية المنطقة تلعب دوراً في نمو المدينة الحضري، حيث تعذر التطور، والتوسع بالاتجاه الشمالي، والشمال الشرقي نتيجةً للانحدار والتضرس الشديد للجبل، فالعامل الطبيعي له أثر واضح في تحديد اتجاهات استعمال الأراضي بالمنطقة.
- 2 - لوحظ تداخل في استعمال الأراضي بين الاستخدامات التجارية والأنشطة الحرفية والسكنية.
- 3 - مخطط المدينة الحالي غير كاف لاستيعاب الاستعمالات الحضرية في المدينة خاصة النقص في شبكات الطرق الجيدة بالمدينة، وافتقارها للصيانة، وغياب الرقابة على الشركات المحلية التي تقوم بتنفيذ المشاريع الخاصة بالكهرباء،

والاتصالات السلوكية واللاسلكية أدى إلى تأخر التنفيذ . إضافة إلى ترك مخلفاتهم على الطرقات مما يتسبب في أضرار كبيرة على أكتاف الطرقات، مما ساهم في وقوع عدد كبير من حوادث المرور.

- 4 - أوضحت الدراسة عدم مواكبة مخططات المدينة للنمو المتسارع الذي تشهده المدينة مما أثار نوعاً من العشوائية في التوسع الحضري وإرباكاً في توصيل الخدمات.
- 5 - تعاني المدينة من مشاكل النقل وعدم وجود مواقف عامة للسيارات بالرغم من اعتماد هذه المساحات في المخطط.

#### التوصيات:

بالاستناد إلى نتائج هذه الدراسة يتطلب الأمر اتخاذ بعض الإجراءات اللازمة لتطوير المدينة وتحسين مستوى خدماتها، والتي يمكن تلخيصها في الآتي:

- 1 - ضرورة أخذ الاحتياطات الخاصة بالظروف الطبيعية، وأهمها التضاريس عند التخطيط لتنفيذ مشاريع الأعمار داخل المدينة.
- 2 - ينبغي على مصلحة التخطيط العمراني الإسراع في تحديث المخطط، وذلك لتنظيم التغيرات التي تحصل على استعمالات الأراضي مستقبلاً.
- 3 - التخطيط الجيد لمخططات المدن، بحيث تكون الشوارع الرئيسية ذات السرعات العالية بعيدة عن أماكن السكن، والحدائق، والملاعب، والمدارس.
- 4 - علي الجهات المسؤولة وخاصة مصلحة التخطيط العمراني أن تحرص على استكمال المخططات المعتمد في السابق حتى تظهر المدينة بمخطط سليم خال من العوائق وبعيداً عن التجاوزات التي يجب أن تعالج بنوع من المرونة وبيدائل جيدة على مدى فترات طويلة الأجل.
- 5 - ضرورة منع النمو العشوائي للمدينة، وتنظيم النشاط التجاري والحرفي.
- 6 - ترسيخ فكرة أن مخطط المدينة ملك عام، ولا يجوز العبث به، وتقع مسؤولية المحافظة عليه على الجميع.

#### المراجع:

- 1 - احمد خالد علام، تخطيط المدن.
- 2 - الزاملي السيد أحمد، استخدام الأرض في مدينة الهفوف في المملكة العربية السعودية 1988.
- 3 - غنيم عثمان، تخطيط استخدام الأرض، عمان، 2001 .
- 4 - فتحي محمد أبو عيانة، السكان والعمران الحضري، بحوث تطبيقية في بعض الأقطار العربية، 1999.
- 5 - منصور الكيخيا، فصل السكان، الجماهيرية دراسة في الجغرافية السكان، (تح) الهادي أبولقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، 1995.

## دور الجامعة في خدمة المجتمع "الوظيفة الثالثة للجامعة الأهداف والواقع"

د. إبراهيم محمد الأشرنصر\*

### ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التنويه على الوظيفة الثالثة للجامعات بعد وظيفتي التعليم، والبحث العلمي استناداً على بعض الدراسات والكتب التي تناولت دور الجامعات في خدمة وتممية المجتمع. باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتم تحديد مفاهيم الدراسة وهي: الدور - الجامعة - خدمة المجتمع، ثم عرض الدراسات السابقة، والإطار النظري الذي تناول الجامعة، وأهدافها، وعلاقتها بخدمة المجتمع، ومجالات خدمة الجامعة للمجتمع، وأسفرت الدراسة على عدة نتائج أهمها :

نقص الامكانيات المالية اللازمة لدعم هذا الدور، وانشغال الجامعات بوظيفتي التدريس والبحث العلمي، وعدم وجود المراكز البحثية ذات الصلة القوية بمشكلات المجتمع، وقصور دور الجامعات في تزويد الأفراد، والهيئات بالخبرات التي تعينهم على معرفة المشكلات التي تواجه الأمة الاسلامية بعامة، وبيئتهم المحلية خاصة، والاسهام في استشراف الحاجات المستقبلية للمجتمع.

وأوصت الدراسة بضرورة التعرف على مشكلات المجتمع المحلي عن طريق دعوة الأفراد، والهيئات المهتمين بخدمة المجتمع لحضور المؤتمرات، والندوات التي تنظمها الجامعة، وإشراك المختصين بمؤسسات المجتمع المدني في برامج الجامعة المتعلقة بالمجتمع .

واقترحت الدراسة إنشاء وحدات إنتاجية داخل الجامعة تساهم في سد احتياجات مجتمع الجامعة وتقديم المشورة والنصيحة الى المجتمع بمؤسساته المختلفة .

\* كلية التربية. بفرن / جامعة الجبل الغربي

## المقدمة

التعليم بوجه عام والجامعي على وجه الخصوص يمثل الركيزة الأساسية في تحقيق التنمية، وذلك لأن الجامعات هي من أرفع المؤسسات التعليمية التي يناط بها توفير ما يحتاجه المجتمع وعمليات التنمية فيه من متخصصين في مختلف مجالات التنمية كما أنها تمثل المراكز الأساسية للبحوث العلمية والتطبيقية التي بدونها يصعب إحداث أي تقدم اقتصادي أو اجتماعي حقيقي، إضافة إلى ذلك فإن الجامعات تسهم في التنمية الشاملة بما تقدمه لمجتمعاتها من إمكانات وخبرات للتعليم والتدريب المستمر.

الجامعة مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لخدمة بعض أغراضه باعتبارها مؤسسة اجتماعية تؤثر في المجتمع من خلال ما تقوم به من وظائف ومهام، كما أنها تتأثر بما يحيط بها من مناخات تفرضها أوضاع المجتمع، أو حركته، هذه الصلة الوثيقة بين الجامعة والمجتمع تفرض على الجامعة أن تحدث دائماً في بنيتها، ووظائفها، وبرامجها، وبحوثها تغيرات تتناسب مع التغيرات التي تحدث في المجتمع المحيط به، وكلما كانت الجامعة أكثر التحاماً بمجتمعها، كلما كانت أكثر قدرة على تحقيق وظائفها والاستجابة إلى مطالب المجتمع منها، وهذه العلاقة تفرض على التعليم الجامعي أن يكون وثيق الصلة بحياة الناس، ومشكلاتهم وحاجاتهم، وآمالهم، بحيث يصبح الهدف الأول للتعليم الجامعي تطوير المجتمع والنهوض به إلى أفضل المستويات التقنية والاقتصادية والصحية والاجتماعية والثقافية.

فدراسة دور الجامعة، والبحث العلمي في تنمية المجتمع هو أمر لا يقل أهمية عن معالجة وبحث مشكلات التنمية الاقتصادية، فالمؤسسات التعليمية تحتاج إلى رؤى ومنظورات شاملة تسهم في بلورتها تخصصات علمية كثيرة منها علم الاجتماع الذي يستطيع من خلال النظريات وطرق البحث السوسيولوجي أن يسهم في إدراك واقع الجامعات ومدى مساهمتها في التنمية حتى يمكن النهوض بالمجتمع.

ولذلك يهدف هذا البحث إلى التنويه على الوظيفة الثالثة للجامعات بعد وظيفتي التعليم والبحث العلمي، وما ينتاب دور الجامعة من قصور في تنمية المجتمع الذي لوحظ من خلال الواقع المعاش واستناداً على بعض الدراسات والكتب التي تناولت دور الجامعات في خدمة وتنمية المجتمع.



### مشكلة البحث

على الرغم من أن خدمة المجتمع هي الوظيفة الثالثة للجامعات، إلا أن هناك العديد من المؤشرات التي تدل على وجود فجوة قائمة بين الجامعة والمجتمع نشأت إما نتيجة بُعدها عن المشاركة الفعالة والإيجابية في عمليات التنمية المجتمعية على النحو المنشود، والتي حددت من أجلها أهدافها، أو عدم تحديد أساليب، أو نظم واضحة المعالم لتأدية وظيفتها في خدمة المجتمع، أو تقصير وعدم اعتراف من جانب القيادات المجتمعية بالدور الذي يمكن أن تقوم به الجامعات في مجال خدمة المجتمع.

### منهجية البحث

يعد البحث محل الدراسة بحثاً نظرياً يعتمد المنهج الوصفي التحليلي، من خلال رصد الكتابات المتعلقة بدور الجامعة في خدمة المجتمع، وتحليل المفاهيم ذات العلاقة بالموضوع المدروس.

### مفاهيم البحث

إن تحديد مفاهيم الدراسة هو أحد الأسس النظرية التي تحدد ماهية كل مفهوم من مفاهيم البحث حتى يمكن تحديد ما يقصده الباحث بصورة علمية دقيقة.

وتعتمد الدراسة على عدد من المفاهيم هي:

الدور - الجامعة - خدمة المجتمع.

### 1 - الدور

توضح موسوعة علم الاجتماع التعريف الكلاسيكي للدور، وهو الذي قدمه «لينتون» باعتباره الجانب الدينامي للمكانة، فإذا كانت المكانة تمثل وضعاً اجتماعياً معيناً له مجموعة محددة من الحقوق والواجبات المرتبطة به، فإن الدور يعني تنفيذ توقعات المكانة - وتوقعات الدور - بواسطة السلوك المتوقع لمكانة معينة.

ويعرف الدور بأنه «مجموعة الحقوق، والواجبات المرتبطة بوضع اجتماعي محدد (peter. 1999:160).

وقد تطور هذا المفهوم للدور في إطار الوظيفة حيث أضاف إليه «ميرتون» (1939) مفاهيم جديدة «مجموعة من الأدوار» وقصد به مجموعة علاقات الدور المرتبطة بمكانة اجتماعية معينة (جوردن. مج 1، 2000:366).

كما يعرف بأنه "سلوك متوقع من فرد يشغل مركزاً اجتماعياً معيناً"  
Adam and Jessica. (1999,P749)

ووفقاً لهذا يتحدد الدور في عدة عناصر:

1 - الأفعال التي يقوم بها الفرد، أو المؤسسة.

2 - أن تكون هذه الأفعال متوقعة.

3 - أن تحدد هذه الأفعال في ضوء موقع الفرد أو المؤسسة في البناء الاجتماعي.

"الدور في نظر عالم الاجتماع يتضمن كل تنظيم مجموعة أدوار متباينة نسبياً، ويمكن تحديد هذه الأدوار بأنها منظومات إكراه معياري، أو عُرفي يُفترض بالمثلثين الفاعلين أن يتقيدوا بها" (خليل، 1984:98).

وفي هذا الإطار فإن دور الجامعة في خدمة المجتمع يتحدد إجرائياً في:

"الأنشطة، والبرامج التعليمية، والتأهلية والندوات، والمؤتمرات التي ينبغي أن تقوم بها الجامعات لمساعدة وتطوير وتثقيف مجتمع الجامعة وعلاج المشاكل الموجودة في المجتمع المحلي المحيط بالجامعة.

## 2- الجامعة

الجامعة هي البيئة التي يتحقق من خلالها أداء رسالة متميزة في مجالات المعرفة والفكر، وفي تكوين نخبة ثقافية من منظور ثقافة العصر واحتياجات المجتمع وتوجهاته، كما أنها مركزاً للبحث العلمي الخلاق يسهم في إثراء المعرفة وتطويرها لحل مشكلات المجتمع والاسهام في تطويره (حسان وآخرون، 2007: 4/5).

كما تعرف الجامعة بأنها مؤسسة اجتماعية طورها المجتمع لخدمته بصفة أساسية تجمع في مكان مخصص لكلياتها ومعاهدها مجموعة المدرسين والطلاب يجتمعون لتلقي العلم في الفروع العليا من المعرفة لتأهيلهم وإعدادهم الوظيفة الأولى، وتقوم ببحث مشكلات المجتمع ومحاولة تشخيصها وعلاجها بطريقة علمية وهي الوظيفة الثانية، ووضع جميع إمكاناتها البشرية والمادية في خدمة المجتمع الوظيفة الثالثة (عامر، 2011: 15).

## 3 - خدمة المجتمع

تعرف خدمة المجتمع بأنها تطبيق العلم، والتكنولوجيا، والفنون، والآداب بطرق علمية قائمة على احتياجات المجتمع بحيث تشمل خدمات تدريبية، واستشارية، وبحوث تطبيقية عملية لتنمية المنطقة المحيطة (عامر، 2011: 58).

وفي هذا الإطار فإن تعريف خدمة المجتمع يتحدد إجرائياً في:

هذا البحث بالنشاط الذي تقوم به الجامعة موجه لخدمة أبناء المجتمع من غير طلابها، ويتضمن تقديم النصح، وتوفير المعلومات للأفراد وإجراء البحوث التطبيقية حول كل ما يواجهه المجتمع المحلي من المشاكل، وعقد المؤتمرات، والندوات، واللقاءات، وبرامج التدريب للعاملين في أجهزة الدولة ومؤسساتها ولأبناء المجتمع المحلي عامة.

### الدراسات السابقة والإطار النظري

#### أولاً: بعض الدراسات السابقة

سوف نعرض بعض الدراسات التي توضح واقع العلاقة بين الجامعة، وخدمة المجتمع الوظيفة الثالثة للجامعة، لتوضيح الدور التنموي والخدمي للتعليم الجامعي ومن هذه الدراسات مايلي:

1- دراسة أحمد ربيع عبد الحميد (1996) بعنوان «دور الجامعة في مجال خدمة

المجتمع.

دراسة مطبقة على جامعة المنصورة لغرض التعرف على نوع الخدمات التي تقدمها الجامعة لمؤسسات المجتمع المحلي، والدور الذي تقوم به الجامعة في مواجهة مشكلات المجتمع، ووضع تصور مقترح شامل لما يجب أن تكون عليه الخدمات التي تقدمها الجامعة في مجال خدمة المجتمع، وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي عن طريق الاستبيان لعينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

وأسفرت الدراسة عن مجموعة نتائج أهمها:

إن معظم الكليات ليس لديها خطط، أو برامج لتوعية أبناء المجتمع وخاصة الفئات الأقل حظاً في التعليم بما أنهم الأكثر احتياجاً للتنمية والتوعية لخدمات الجامعة في هذا المجال، والملاحظ أن أهم الصعوبات التي تواجهها الكليات في هذا المجال هي انشغال أعضاء هيئة التدريس بعملية التدريس ذاتها، والبحث، وعدم وجود دعم مادي لتنفيذ ثمرات نتاجهم، كما يبدو أن هناك ضعفاً في التعاون في مجال البحوث بين الكليات - بصفة عامة - ومؤسسات المجتمع؛ لأن الكليات تواجه عدة صعوبات في مجال إجراء تلك البحوث لصالح المؤسسات خاصة مع ما يبدو من عدم تقدير مؤسسات المجتمع لقيمة البحث العلمي، وعدم وجود ميزانية لإجراء ما تمخضت عنه قريحة تلك البحوث، هذا إضافة إلى

محدودية نشاط الكليات في مجال الاستشارات التي تقدمها مؤسسات المجتمع، وأخيراً يبدو أن معظم الكليات ليس لديها خطط مستقبلية للتطوير والنهوض بالخدمات في كل المجالات التي تناولتها الدراسة.

2- دراسة زينب عبد النبي أحمد محمد (1996) بعنوان «دور جامعة قناة السويس في خدمة المجتمع المحلي».

جاءت هذه الدراسة للتعرف على واقع الدور الذي تقوم به جامعة قناة السويس بوحداتها البحثية ذات الطابع الخاص، والذي يتطلب وجود نشاطات ومشروعات غير نمطية لمجتمع الجامعة؛ وذلك للتعرف على أهم الاحتياجات الأساسية للمجتمع المحلي، ومجالات أنشطة خدمة المجتمع بوحدات الجامعات، وصعوبات تنفيذها، ثم مطابقة واقع هذه الوحدات بإمكاناتها المختلفة، واحتياجات المجتمع المحلي للتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبل جامعة قناة السويس في ضوء الواقع والاتجاهات العالمية في هذا المجال.

وقد تضمنت الدراسة الإجابة على عدة تساؤلات هي: ما مفهوم ومجالات خدمة المجتمع في الجامعة المصرية؟ وما الأساليب المتبعة لتقديم أنشطة وبرامج خدمة المجتمع في الجامعة الحديثة؟ وما واقع جامعة قناة السويس في مجال خدمة المجتمع؟

وقد استخدمت الباحثة نوعين من الاستبيانات أحدهما موجه إلى عينة من مؤسسات المجتمع بمحافظات القناة الثلاثة وشمال سيناء بلغت عينتها 752 فرداً، ووجه الاستبيان الآخر إلى المسؤولين عن وحدات الجامعة، وقطاع شؤون البيئة وخدمة المجتمع وبلغت العينة 16 مسئولاً.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة ضعف الدور الذي تقوم به الجامعة في مجال خدمة المجتمع، وضعف قنوات الاتصال والتواصل بين أجهزة الجامعة، ومؤسسات المجتمع المحيط بها، وعدم توفر الخطط والبرامج التي تستند على الاحتياجات الفعلية للأفراد في المجتمع، ومؤسساته وألوياته المقترحة، هذا إضافة إلى ضعف جدوى البرامج والأنشطة التي تقدمها وحدات الجامعة، وضعف مصادر التمويل الكافي لوضع الخطط، وتنفيذ البرامج.

أوصت الدراسة بضرورة الربط بين المراكز البحثية الجامعية، والأجهزة التنفيذية بالمحافظة، وربطها بالأجهزة الإعلامية لنشر نتائج البحوث، والتعريف بها، للإحاطة بنوعية الأنشطة التي تقدمها وحدات الجامعة في مجال خدمة المجتمع، وزيادة أنشطة خدمة المجتمع بوحدات الجامعة.

### 3- دراسة عنتر لطفي محمد وفاطمة عبد القادر حسين (1996) بعنوان «دور الجامعة في خدمة المجتمع» .

وهي دراسة تطبيقية على بعض كليات جامعة الإسكندرية تهدف إلى تحديد الجوانب الرئيسية للوظيفة الثالثة للجامعة، وهي خدمة المجتمع، وتحديد الدور المتوقع من بعض الكليات بالجامعة ومعرفة أوجه القصور في وظيفة هذه الكليات؛ من أجل التوصل إلى بعض المقترحات التي يمكن من خلالها العمل على معالجة المشاكل التي تحول بين الجامعة وقيامها بدورها تجاه المجتمع.

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي عن طريق الاستبيان لدراسة عينة من أعضاء هيئة التدريس من بعض كليات الإسكندرية.

وقد أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج كان أهمها أن هناك العديد من العوامل التي تحول دون قيام الجامعة بدورها، أو بوظيفتها في خدمة المجتمع ومنها: عدم وعي أعضاء هيئة التدريس بأهمية هذا الدور، وكيفية القيام به، وكذلك انشغالهم بالأعمال التي تزيد من دخلهم المادي، بالإضافة إلى أعبائهم الوظيفية والبحثية، وكذلك أن أعضاء هيئة التدريس يرون أن وظيفة الجامعة الأساسية تتمثل في القيام بالتدريس، ثم البحث العلمي، ثم وظيفة خدمة المجتمع، وإن كانت المشكلة الأهم أن أعضاء هيئة التدريس لم يزودوا بالوسائل التي تمكنهم من القيام بوظيفة خدمة المجتمع وناهيك عن قلة الموارد المالية المخصصة لأنشطة خدمة المجتمع، وانفصال الجامعة عن المجتمع وعدم وجود المراكز البحثية ذات الصلة القوية بمشكلات المجتمع، والذاتية المفرطة في اختيار موضوعات الأبحاث بغض النظر عن احتياجات خدمة المجتمع.

### 4 - دراسة السيد سلامة الخميسي (2003) بعنوان « دور كليات التربية في خدمة المجتمع والبيئة بين النجاحات، والإخفاقات، وخيارات المستقبل ( دراسة حالة لكلية التربية- جامعة الملك سعود)» .

سعت هذه الورقة للكشف عن المعوقات، والإمكانات البشرية، والعلمية التي تمتلكها كليات التربية والتي تجعلها مرشحة للقيام بدورها المتوقع في خدمة المجتمع، وتنمية البيئة. والورقة تتخذ من كلية التربية جامعة الملك سعود نموذجا للدراسة بحكم عمقها التاريخي في الكيان الجامعي السعودي، ولكونها تنتمي إلى أقدم الجامعات السعودية، والهدف المنهجي لهذه الورقة هو البحث في العقبات التي تواجه الكلية في قيامها بهذا

الدور، وأهم النجاحات التي حققتها في خدمة المجتمع، ثم الخيارات المتاحة لتفعيل هذا الدور مستقبلاً، واعتمدت الورقة على المتاح من الأدبيات في مجال دور مؤسسات التعليم العالي في خدمة المجتمع والبيئة بشكل عام، ثم المسح التحليلي والنقدي للدور الواقع لكلية التربية موضع الدراسة في مجال خدمة المجتمع، وتنمية البيئة سعياً لوضع ملامح لسبل القيام بالدور المتوقع. وأسفرت الورقة على عدة نتائج أهمها بإستثناء بعض الأدوار الإيجابية في تفاعل الكلية وتعاونها مع وزارة التربية والتعليم ومؤسساتها، فإن التعاون بين الكلية، وبين بعض المؤسسات الأخرى المعنية بالشأن العلمي والتربوي والثقافي ما يزال متواضعاً، وربما غائباً.

5 - دراسة عبدالناصر محمد رشاد عبد الناصر (2004) بعنوان «أداء الجامعات في خدمة المجتمع وعلاقته باستقلالها».

هي دراسة مقارنة بين الجامعات في جمهورية مصر العربية، والولايات المتحدة، والنرويج، تمثلت إشكالية الدراسة في أن هناك فجوة في سياق وظيفة خدمة المجتمع بالجامعات المصرية بين الإطار التشريعي والتطبيقي المرتبط بها من ناحية، وبين الأداء والممارسات الفعلية المموسة من ناحية أخرى، بالاجابة عن تساؤل فحواه: كيف يمكن تطوير أداء الجامعات المصرية في خدمة مجتمعها بما يتفق واستقلالية الجامعة؟ وذلك في ضوء خبرتي الولايات المتحدة والنرويج، وبما يناسب الأوضاع الثقافية المصرية للوقوف عن الوضع الراهن لأداء الجامعات المصرية في خدمة المجتمع، واستخدام الباحث في هذه الدراسة المنهج المقارن، وأسفرت الدراسة على عدة نتائج أهمها: حداثة اهتمام الجامعات المصرية بوظيفة خدمة المجتمع، فقد ركزت منذ تأسيسها ولفترة ليست بالقصيرة على الوظيفة التدريسية والبحثية، في مقابل الاهتمام بالوظيفة الخدمية، مما أسهم في ضعف التراث الخبيري للجامعات المصرية في هذا المجال.

على الرغم من وجود هيكل تنظيمي بالجامعات المصرية، يختص بوظيفة خدمة المجتمع، إلا أن ثم قصور ملحوظاً في أداء ذلك القطاع.

6 - دراسة وفاء أحمد محمد حسن أبوزيد (2005) بعنوان « دور الجامعة في تنمية المجتمع - دراسة حالة لجامعة القاهرة ».

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على الدور الذي تقوم به الجامعات في سبيل تنمية مجتمعاتها، باستخدام المنهج الوصفي في جمع البيانات، والمعلومات اللازمة لها لتحليلها

وتفسيرها والخروج منها بمعرفة الدور الذي تهض به الجامعات في تنمية المجتمع بصفة عامة، وجامعة القاهرة وفروعها بصفة خاصة، ولذلك استعانت الباحثة في الدراسة بأسلوب دراسة الحالة، ومصادره وأدواته، ومنها المقابلة، والاستبيان في جمع البيانات، والمعلومات وتحليلها.

واسفرت هذه الدراسة عن عدة نتائج أهمها: أن هناك غموضاً في مفهوم خدمة المجتمع، أو تنمية الجامعة للمجتمع، وأن أهم المعوقات التي تحد من دور الجامعات في هذا المجال، تمثلت في نقص الامكانيات المالية اللازمة لدعم هذا الدور، وعدم تقدير المجتمع، ومؤسساته المختلفة لهذا الدور وانشغال الجامعات بوظيفتي التدريس والبحث العلمي .

#### 7 - دراسة ساجد شرقي(2008) بعنوان «دور الجامعات في تطوير وتنمية المجتمع» .

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة طبيعة دور الجامعة في خدمة المجتمع، والإشكالات التي تواجه هذا الدور، من خلال فرضية مفادها أن تحديد الأهداف التي تقوم عليها الجامعات لابد من ترتيب نظام كامل مستقل للتعليم العالي يضمن الاصلاح المتجدد والمستمر، الذي يؤدي إلى الاندماج في المجتمع لتنمية القدرات، والمهارات بالشكل الأمثل، ويتكون البحث من عدة خطوات هي المقدمة، العلاقة بين الجامعة والمجتمع، الدور الذي يمكن أن تؤديه الجامعات في التغيير والبناء والتنمية البشرية، وسوق العمل، ومدى إمكانية الجامعات في تلبية حاجات المجتمع، والأثر الذي يمكن أن تتركه في تحقيق الرفاه الاجتماعي والاقتصادي، وتتبع معوقات الجامعات العراقية، وسبل علاجها وتطويرها ودمجها في المجتمع، وأسفرت الدراسة عن عدة نتائج أهمها: إن الجامعة هي بالاساس أنشئتها بيئتها لتؤدي الدور الذي يعزز متطلبات المجتمع وتنمية قدراته، ورفع شأنه، عن طريق البحث العلمي، وإعداد الكوادر البشرية.

#### 8 - دراسة زهير الرواشده(2009) بعنوان « دور الجامعة في خدمة المجتمع المحلي

من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات الشخصية لديهم، جامعة البلقاء التطبيقية نموذجاً .» هدفت هذه الدراسة بشكل عام إلى التعرف على وجهات نظر أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية في دور جامعة البلقاء التطبيقية في خدمة المجتمع، على عينة تتكون من جميع أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الدراسي 2009، ولتحقيق هدف الدراسة قام

الباحث بتطوير استبانة تتكون من 24 فقرة، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك دور متوسط الأهمية لجامعة البلقاء التطبيقية في خدمة المجتمع من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس فيها.

9 - دراسة منى بنت سعد ابن حضيضى البلادي (2015) بعنوان: « دور الاستاذ الجامعي في خدمة المجتمع من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية ». بمنطقة مكة المكرمة - الواقع والمأمول». هدفت الدراسة إلى معرفة مفهوم ومجالات خدمة المجتمع، وتحديد أبرز الأدوار التي يقوم بها الاستاذ الجامعي نحو مجتمعه، وعرض أهم المعوقات التي تحد من دور عضو هيئة التدريس في خدمة المجتمع، ووضع تصور مقترح لتفعيل هذا الدور، على عينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية بمنطقة مكة المكرمة بكليات التربية قوامها 156 عضواً، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي وأسفرت الدراسة عن عدة نتائج أهمها: إن دور الاستاذ الجامعي في خدمة المجتمع بالجامعات السعودية في مجال البحوث التطبيقية كان بدرجة مرتفعة بمتوسط 2,51، وفي مجال الخدمات التعليمية، والتوعية والخدمة العامة بدرجة متوسطة؛ بمتوسط 2,30، وأوصت الدراسة بالاهتمام بالتوعية الإعلامية لإبراز دور الاستاذ الجامعي في حل مشكلات المجتمع؛ سواء عن طريق الابحاث العلمية، أم الإسهام في الندوات والمحاضرات العلمية.

أوضحت معظم الدراسات أن هناك قصور بصفة عامة في الادوار التي يجب أن تقوم بها الجامعات نحو مجتمعاتها، وذلك لعدة أسباب أرتبط بعضها بالجامعات، والبعض الآخر بالمجتمع المحلي المحيط بالجامعة.

## ثانياً الإطار النظري

### الجامعة

الجامعة هي قمة الهرم التعليمي، ليست مجرد كونها آخر مراحل النظام التعليمي فحسب، بل لأنها - وهو الاعتبار الأهم - تقوم بمهمة كبيرة في صياغة الشباب فكراً، ووجداناً، وإنتماءً، ومن خريجي الجامعات تتخلق قيادات المجتمع في مختلف المجالات العلمية، والاقتصادية، والسياسية، والإدارية والثقافية، والتي من خلالها يتابع المجتمع مسيرته تقدماً، أو تثبيتاً، أو انحساراً (لبيلة وآخرون، 2000: 89) .



فالجامعة يجب أن تقوم بالمطالب المجتمعية المتغيرة، بحيث لا تقف الجامعة موقف المنعزل عن مجتمعتها، بل تسهم في إيجاد مناخ ملائم لاكتساب معارف، ومهارات جديدة تحد من الصعوبات التي تواجهها التنمية المجتمعية، وتكون جزءاً من الكيان الاجتماعي للمجتمع يتأثر بالقوى والمؤثرات الاقتصادية والاجتماعية ويؤثر فيها، وألا تقتصر رسالة الجامعة في البحث عن المعرفة، وتأصيلها ونشرها؛ بل أداة من أدوات المجتمع، تهتم بتطوير التعليم والمعرفة من أجل بحث حاجات المجتمع، والاستجابة لمتطلباته.

#### أهداف الجامعة

من ضمن أهداف الجامعات مايلي (الشائع وآخرون، 2012: 28):-

أهداف انتاجية، وهي الأهداف المتصلة بأهداف المجتمع؛ أي احتياجاته من مخرجات الجامعة وتصنف كالآتي :

- أهداف تعليمية : وتتصل بإعداد الكفاءات المتخصصة معرفياً، ومهارياً، وفكرياً، وثقافياً للإسهام في البناء والتنمية.
- أهداف أكاديمية : وتتصل بنشر البحث العلمي، والإسهام في تقديم المعرفة الإنسانية لوضعها في خدمة الانسان.

ولذا فإن الجامعة الناجحة في العصر الحالي هي تلك التي تفتح أبوابها للمجتمع من حولها، بحيث تتلمس مواطن الداء فيه، وتحاول أن ترى لها الدواء المناسب، ومن هنا يجب أن تقوم الجامعة بوظائف تؤهلها لذلك؛ والتي يمكن تحديدها في الآتي (حسان وآخرون، 2007: 11/12):

أ - أن تقوم الجامعة بإعداد القوة الدافعة لحركة تطوير المجتمع، وقيادة هذا التطوير، وذلك عن طريق تربية الشباب، وتوجيههم توجيهاً فكرياً وروحياً، لقيادة البلاد اجتماعياً، واقتصادياً وسياسياً بصورة إبداعية.

ب- تأهيل عناصر الهوية الثقافية بحيث تبقى مكونات حياتية نافعة في مد البنى الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية التي تشكل مستقبل الأمة في صيغة من العقلانية وقبول التجديد والانفتاح على الخبرة العالمية للمحافظة على الذات الثقافية الوطنية، دون انعزال عن الذات الثقافية للإنسان.

ت- تطوير النماذج المعرفية على اختلاف أشكالها؛ لأن الجامعة مؤسسة علمية متقدمة

ينبغي أن تسعى لتطوير المعرفة العلمية لإغناء التراث الوطني والإنساني بأبعاده المختلفة، حتى يبقى المجتمع الانساني قادرا على النهوض باعباء الحياة، وماتتطلب من شروط معرفية لتطوير البلاد في كافة مناشطها، ولذا فعلى الجامعة الإعداد لتخصصات مستقبلية تفرضها التطورات العلمية، واحتياجات السوق العربية حاضرا ومستقبلاً.

ث- توعية الطلبة والمجتمع بمشكلاتهم في الواقع الاجتماعي، فالجامعة مسئولة عن إثارة الوعي الأصيل، والصادق نحو مشكلات الواقع كشرط ضروري للتنبية إليها، وحشد الجهود لمواجهةها؛ لأن غياب هذا الوعي سيؤدي إلى الغفلة الاجتماعية، ومع تلك الغفلة؛ ياتي الانحطاط الاجتماعي.

ج- من أعباء الجامعة في الدول النامية دورها في الارتباط بخريجها في مقر عملهم طول حياتهم العملية، والالتزام بواجبها في التعليم المستمر، حتى لا تتجمد معرفة الأجيال المختلفة من الخريجين بعد تركهم للجامعة، خاصة في هذا العصر الذي يتميز بانفجار المعلومات والنمو السريع للعلم.

كم يجب أن تتبين أن غايتها الحقيقية ومبرر وجودها هو خدمة المجتمع والجنس البشري.

#### الجامعة وخدمة المجتمع

يشار إلى الجامعة وخدمة المجتمع في الأدبيات الجامعية الامريكية بالامتداد الجامعي؛ بأنه أكبر استثمار مريح في حياة الأمة، وأنه ذو تأثير كبير كأحد أهم مداخل التغيير الاجتماعي، وأفضل مصادر تحسين جودة الحياة لجميع المواطنين (حجي، 2012: 20).

ان الجامعة مؤسسة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالجو الاجتماعي المحيط، فهي من صنع المجتمع من ناحية، وأداة في صنع قيادته الفنية، والمهنية، والسياسية، والفكرية من ناحية أخرى، والمسؤولة عن إحداث التغيير والتقدم للمجتمع، للجامعة بعد اجتماعي جعلها أكثر فائدة للتعليم، والمجتمع وبالتالي اتسعت مسؤوليات الجامعة وأصبحت مطالبة بمهام متعددة، مهمة تتصل بالمجتمع الذي تعمل فيه ومهمة علمية من خلال التواصل العلمي والحضاري، واصبح ينظر إلى الجامعة نظرة شاملة فالجامعة في الفكر الاجتماعي المعاصر تقوم بالوظيفتين التقليديتين وهما : البحث والتدريس، ولكن في إطار اجتماعي إنساني، كما أن الجامعة يجمعها هدف مشترك تعمل من خلاله، وتكرس جهودها نحوه، وهو خدمة المجتمع، ورعاية جنسه البشري ورفاهيته، فالجامعة بذلك هي أهم ركائز

التقدم الاقتصادي والاجتماعي وتحقيق الرخاء والرفاهية للمجتمع.

تتميز الجامعة عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى باعتبارها أبرز المؤسسات التي لها علاقة بجميع جوانب التنمية الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والسياسية، بالإضافة إلى وجود الكوادر العلمية المؤهلة تأهيلاً عالياً، مما يمكنها من قيادة البحث العلمي وتوجيهه بشكل يضمن التفاعل الإيجابي مع التحديات والمشكلات التي يمر بها المجتمع (إبراهيم، 1992: 87).

ونؤكد هنا على بعض الخدمات التي يمكن أن تقوم بها الجامعة لخدمة المجتمع، وتنمية البيئة، ومن أبرزها:

- 1- تقديم برامج توعوية للمواطنين؛ لترشيد عملية الاستهلاك، وغرس قيم استهلاكية تتناسب وظروفنا المجتمعية.
  - 2- تحديد الاحتياجات المتعلقة بالتدريب قبل الخدمة، وأثناءها في جميع قطاعات الإنتاج الزراعي والصناعي، وكذلك في قطاع الخدمات، والتخطيط لمقابلتها والوفاء بها.
  - 3- توفير المعلومات المتعلقة بالمهن المطلوبة في الوقت الحالي، وفي المستقبل، ومتطلبات كل مهنة، وعلاقة ذلك ببرامج التدريب داخل كل كلية من كليات الجامعة.
  - 4- إنشاء المكاتب الاستشارية بكل كلية، وعلى مستوى الجامعة، لتقديم الاستشارات العلمية لأصحاب الأعمال، وللعاملين في المهن المختلفة.
  - 5- إجراء اتصالات دورية برجال الأعمال لتوفير خدمات المتابعة لمشروعاتهم وبرامجهم، في ضوء التطورات العلمية، والتكنولوجية، والاقتصادية المتسارعة.
  - 6- العمل على إيجاد قنوات رسمية للاستفادة من نتائج البحوث، التي تجريها مراكز البحوث والكليات بالجامعة، لخدمة قطاعات العمل والخدمات خارج الجامعة.
  - 7- تيسير دعم مؤسسات العمل، المختلفة بما في ذلك المؤسسات البحثية بأعضاء هيئة التدريس؛ لتقديم مشورات فنية، أو تدريبية (عابدين، 2003: 357).
- أي أن علاقة الجامعة بالمجتمع تعد جانباً مهماً، متكاملًا مع خطط أنشطة الوحدات المعنية بخدمة المجتمع بالجامعة، وأصبح مفهوم خدمة المجتمع، وتلبية احتياجاته ضرورة تفرضها متطلبات العصر على جامعات اليوم التي من المفروض ألا يقتصر دورها على مواجهة التحديات الآنية، بل الاستشراق، والتنبؤ بالتحديات المستقبلية.

## مجالات خدمة الجامعة للمجتمع

يمكن أن تقوم الجامعة بدورها في الجهود التنموية داخل المجتمع الذي تنتمي إليه من خلال صورتين هما:

- التعامل مع مؤسسات المجتمع المختلفة، ومعاونتها على حل ما تواجهه من مشكلات من خلال البحوث العلمية، وتدريب العاملين فيها على الجديد في مجالات عملهم.
- أن تتبنى الجامعات إنشاء مشروعات تنموية، تحقق فيها أحدث الأساليب التي تعلمها لطلابها وتتيح فيها فرص العمالة لخريجها، وتشارك في تطوير مجتمعها، ورفع مستوى معيشة أفرادها من خلال ما تقدمه من منتجات هذه المشروعات. ويمكن تحديد خدمة الجامعة للمجتمع فيما يلي ( عامر، 2011: 87 ) :

- 1 - إعداد العنصر البشري القادر على إحداث التنمية المنشودة من خلال إعداد القوى العاملة القادرة على مواجهة التغيرات العلمية التكنولوجية في العالم المعاصر.
- 2 - إتاحة الفرصة أمام هيئة التدريس من ذوي الخبرة لتستفيد بهم المؤسسات المختلفة في مجالات الانتاج والخدمات.
- 3 - القيام بالبحوث، والمؤتمرات العلمية، والندوات التي تسهم في ترقية المجتمع، وحل مشكلاته وزيادة الانتاج، وتحسين مستوى الجامعات، هذا بالإضافة إلى الاستشارات العلمية التي تقدمها الجامعة لمؤسسات المجتمع.
- 4 - تعليم الكبار من جميع الاعمار (التعليم المستمر) ومحو أميتهم بالمفهوم الواسع والشامل للامية والتدريب المستمر للمهنيين لرفع كفاءتهم وإكسابهم الخبرات اللازمة لأداء المهنة لمواكبة ركب التقدم العلمي والتكنولوجي، وكل هذا ينعكس بالطبع على تحقيق التنمية الشاملة، والتغير الاجتماعي المنشود، وتقوية روح المبادرة والمشاركة، وتوثيق العلاقات الانسانية، ومعرفة الأساليب الفنية المستحدثة.
- 5 - نشر العلم والمعرفة بين أبناء المجتمع المحلي من خلال الندوات والمحاضرات التي يجب أن يحضرها من يحتاج إليها بغض النظر عن أعمارهم، وأعمالهم؛ لتساعدهم على حل مشكلاتهم، والتكيف مع مجتمعهم.
- 6 - عقد الحلقات والندوات والمؤتمرات العلمية لخريجها؛ لكي يلموا بكل ما يستحدث في مجالات تخصصهم ومعالجة المشكلات التي تواجههم في الحياة العملية.

أي أن الجامعة هي إحدى المؤسسات، أو التنظيمات الاجتماعية التي تسهم في تنمية المجتمع بصفة عامة، ولها وظائف متعددة وهي: العملية التعليمية، وزيادة المعرفة، وإجراء البحوث المتنوعة للمساهمة في حل المشكلات التي تواجه المجتمع المحلي الذي توجد فيه، كما أنها المؤسسة العلمية الأكاديمية التي تزود جميع المؤسسات الاجتماعية، والاقتصادية، والصناعية بكافة التخصصات والكوادر البشرية اللازمة لمتطلبات التنمية الشاملة (عبدالرحمن، 1991 : 147) .

من أهم نتائج الدراسة:

هناك عدة مؤشرات تدل على ضعف الدور الذي تقوم به الجامعة في مجال خدمة المجتمع، وذلك للأسباب الآتية:

- 1 - إن أهم العوقات التي تحد من دور الجامعات في هذا المجال، تمثلت في نقص الامكانيات المالية اللازمة لدعم هذا الدور.
- 2 - عدم تقدير المجتمع ومؤسساته المختلفة لدور الجامعة في خدمة المجتمع، وانشغال الجامعات بوظيفتي التدريس، والبحث العلمي.
- 3 - انفصال الجامعة عن المجتمع، وعدم وجود المراكز البحثية ذات الصلة القوية بمشكلات المجتمع.
- 4 - انشغال أعضاء هيئة التدريس بعملية التدريس ذاتها والبحث، وعدم وجود دعم مادي لتنفيذ ثمره نتائجهم، وعادة ما تكون بحوث أعضاء هيئة التدريس بالجامعات غير وثيقة الصلة باحتياجات مؤسسات الإنتاج ومشكلاته.
- 5 - قصور دور الجامعات في تزويد الأفراد، والهيئات بالخبرات التي تعينهم على معرفة المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية بعامة، وبيئتهم المحلية خاصة، والاسهام في استشراف الحاجات المستقبلية للمجتمع.

التوصيات والمقترحات

التوصيات:

سيتم طرح بعض التوصيات التي تمثل في مجملها متطلبات لتفعيل دور الجامعة في خدمة المجتمع ومن أهمها:

- 1 - يجب أن تسعى الجامعة لتحقيق دورها المنشود بالتعرف على مشكلات المجتمع

المحلي عن طريق دعوة الأفراد، والهيئات المهتمة بخدمة المجتمع لحضور المؤتمرات، والندوات التي تنظمها الجامعة، وإشراك المختصين بمؤسسات المجتمع المدني في برامج الجامعة المتعلقة بالمجتمع.

2 - تقديم الاستشارات العلمية، والفنية لمؤسسات المجتمع، تتمثل في تقديم خدمات نموذجية في المجالات التربوية، أو الزراعية، وغيرها، وكذلك المساهمة في تطوير أساليب العمل بمؤسسات الدولة، وتقديم الاستشارات الفنية للعاملين بمؤسسات المجتمع.

3 - زيادة الاهتمام بتناول قضايا المجتمع ضمن المناهج الدراسية، وتنمية ثقافة الطلاب لتوسيع آفاقهم عن طريق الزيارات العلمية الميدانية للمجتمع.

4 - تقديم إعانات مادية ومكافآت لأعضاء هيئة التدريس لحثهم ومساعدتهم على القيام بالبحوث التي تخدم القضايا المجتمعية.

5 - توفير آليات وقنوات اتصال منظمة، ومتفق عليها بين الجامعات، والمؤسسات الانتاجية والخدمية بالمجتمع.

#### المقترحات:

1 - تقديم الخدمات المختلفة لفئات المجتمع في مجال مواصلة التعليم، ورفع مستوى التأهيل العلمي والفني، وتنمية الخبرة، والثقافة العامة.

2 - إنشاء وحدات إنتاجية داخل الجامعة تساهم في سد احتياجات مجتمع الجامعة، والمناطق المحيطة به.

3 - تقديم المشورة، والنصيحة إلى المجتمع بمؤسساته المختلفة، مع ضرورة التخطيط المسبق والتنسيق بين الجامعة، والهيئات المختلفة، والتي تهتم بمشكلات المجتمع المحلي.

4 - تنظيم المحاضرات، والندوات بهدف نشر الوعي الصحي، والديني، ومكافحة إنتشار المخدرات والظواهر الهدامة.

5 - المشاركة في الأنشطة الترفيهية الهادفة كالحفلات والمسرحيات.

## مراجع البحث:

- 1 – Peter, Jarvis 1999( International Dictionary of Adult Continuing Education, London, Kogan.
- 2 – جوردن، مارشال (2000)، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة – مج 1 .
- 3 – Kuper, Adam and Kuper Jessica. ) 1999( The Social Science Encyclopedia, 2nd ed, London, Routledge .
- 4 – خليل، خليل أحمد (1984)، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- 5 – حسان، حسن محمد، وآخرون (2007)، التعليم الجامعي الخاص التطور والمستقبل، دار الجامعة الجديدة.
- 6 – عامر، طارق عبدالرؤوف (2011)، الجامعة وخدمة المجتمع - توجهات عالمية معاصرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
- 7 – عامر، طارق عبدالرؤوف، مرجع سبق ذكره.
- 8 – عبدالحميد، أحمد ربيع (1996)، دور الجامعة في مجال خدمة المجتمع، دراسة مطبقة على كلية المنصورة، مجلة كلية التربية، العدد 58، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة.
- 9 – أحمد، زينب عبد النبي (1996)، دور جامعة قناة السويس في خدمة المجتمع المحلي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- 10 – محمد، عنتر لطفى وحسن، فاطمة عبدالقادر (1996)، دور الجامعة في خدمة المجتمع دراسة تطبيقية على بعض كليات الإسكندرية، مجلة التربية والتنمية، السنة الرابعة، العدد العاشر المكتب الاستشاري للخدمات التربوية، القاهرة .
- 11 – الخميسي، السيد سلامة (2003)، بعنوان دور كليات التربية في خدمة المجتمع والبيئة بين النجاحات، والإخفاقات، وخيارات المستقبل ( دراسة حالة لكلية التربية - جامعة الملك سعود)، ورقة عمل، قسم التربية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، السعودية.
- 12 – عبدالناصر، محمد رشاد (2004)، أداء الجامعات في خدمة المجتمع وعلاقته باستقلالها - دراسة مقارنة في جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية والنرويج، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- 13 – أبوزيد، وفاء أحمد محمد حسن (2005)، دور الجامعة في تنمية المجتمع - دراسة حالة لجامعة القاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم تعليم الكبار، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة.

- 14 - شرقي، ساجد (2008)، دور الجامعات في تطوير وتنمية المجتمع، مركز الدراسات الايرانية جامعة البصرة.
- 15 - الرواشده، علاء زهير (2011)، دور الجامعة في خدمة المجتمع المحلي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات الشخصية لديهم جامعة البلقاء التطبيقية نموذجاً، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، المجلد الثالث، العدد الأول، يناير.
- 16 - البلادي، منى بنت سعد ابن حضيضى (2015)، دور الاستاذ الجامعي في خدمة المجتمع من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية بمنطقة مكة المكرمة- الواقع والمأمول، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية الاسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية.
- 17 - ليلة، علي وآخرون (2009)، التعليم الجامعي والحراك الاجتماعي - دراسة في الواقع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة .
- 18 - الشائع، علي وآخرون (2012)، التعليم العالي وتحديات المستقبل، دار الزهراء الرياض.
- 19 - حسان، حسن محمد وآخرون، مرجع سبق ذكره ..
- 20 - حجي، أحمد اسماعيل (2012)، الجامعة والتنمية البشرية - أصول نظرية وخبرات عربية وأجنبية مقارنة، علاء للكتب، القاهرة.
- 21 - إبراهيم، حميدة عبدالعزيز (1992)، الإقبال على التعليم الجامعي في مصر، عوامله وانعكاساته، دراسات تربوية، القاهرة، رابطة التربية الحديثة - المجلد السابع، الجزء 42.
- 22 - عابدين، محمود عباس (2003)، قضايا تخطيط التعليم واقتصادياته - بين العالمية والمحلية الدار المصرية اللبنانية.
- 23 - عامر، طارق عبدالرؤوف، مرجع سبق ذكره.
- 24 - عبدالرحمن، عبدالله محمد (1991)، سوسيولوجيا التعليم الجامعي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية.



# الاستراتيجية الإيطالية في تأكيد أسس الاستيطان وبرامجه على الأرض الليبية (1911 - 1943 م)

د. موسى محمد دبوبة\*

## ملخص البحث

كانت السياسة الإيطالية تهدف إلى ترسيخ برامج الاستيطان على الأرض الليبية، ووجدت لذلك الهدف الدعاية الصحفية ليكون متقبلاً بين أوساطها الشعبية والرسمية، كما اعتمدت على تقارير الرحالة، التي أكدت على أن هذا المشروع الاستعماري المتمثل في الاستيطان سيعود على بلادهم بنتائج ايجابية لعل من أهمها احتواء جاليتهم الإيطالية الموجودة في ليبيا، يضاف إلى ذلك إيجاد مستعمرة خارج حدودهم تكون منفذاً للتخلص من الفائض السكاني بغية تحقيق توازن ديموغرافي مع أبناء الشعب الليبي، ومورداً لخزائنها المالية، ولا تتأتى تلك الأمنيات إلا بخلق تنمية زراعية على التراب الليبي لينتج عنها تحقيق الأهداف الاستيطانية، وعملت الدولة الإيطالية على تلك الاستراتيجية وكلفت العديد من الولاة لإدارة المستعمرة الليبية ومنهم جيوزيبي فولبي ودي بونو والمارشال بادليو والمارشال بالبو، وحاول كلا منهم وضع بصمته على برامج الاستيطان لتكون سجلاً خالداً في مذكرته الشخصية وعملاً متميزاً أمام بنى جنسه من الإيطاليين، غير أن تلك الجهود وما صاحبها من رعاية وتمويل من الدولة الإيطالية لترسيخ برامج الاستيطان لم تفض إلى ما كان مؤملاً لها من غايات، واصطدمت بثبات ومقاومة أبناء الشعب الليبي لتلك الهيمنة الاستعمارية والاستيطانية، وأخفقت بأن تكون ليبيا منفذاً لفائضها السكاني ومورداً حيوياً لدخلها الاقتصادي.

\* متعاون في الجامعات الليبية

## المقدمة:

رفعت إيطاليا شعارات احتلال ليبيا بدوافع سياسية واقتصادية متحججة بحماية مصالحها فضلاً عن حقها التاريخي، الذي سيعيد مجدها الروماني من جديد على ترابها، ويجسد قوتها كدولة أوروبية تملك مستعمرة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط أسوءً بجيرانها الفرنسيين الذين احتلوا الجزائر في سنة 1830م وتونس في سنة 1881م، والبريطانيين الذين احتلوا مصر في سنة 1882م، كل تلك المعطيات أدت إلى تنامي آمالها بالسيطرة على ليبيا، لتكون شاطئاً رابعاً لتنفيذ استراتيجيتها الاستعمارية، المتمثلة في تنفيذ برامجها الاستيطانية، والتخلص من فائضها السكاني وأزمته الاقتصادية.

## السياسة الإيطالية في تأكيد مفهوم الاستيطان وسبل تنفيذه.

جندت السلطات الإيطالية الوسائل الرسمية والصحفية لتعميم الاستيطان، وطرح أبجدياته في كتب الرحالة والمقالات موضحة، بأن التوسع الإيطالي سيعود بالمنفعة السياسية والاقتصادية الكبيرة على بلادهم، لذا لم تكن أصوات المعارضين لتكبح جماح التوسعيين للمغامرة بالتوجه لليبيا واحتلالها بغية تحقيق الاستيطان (سيجري، 2006م، ص60). واعتبروا أن التنمية الزراعية إحدى الضرورات المهمة لنجاح تلك العملية الاستعمارية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بإيجاد قاعدة زراعية منتجة. وقدم مازيتي «Mazitti» مقترحاته حول ذلك، التي أسسها على تشابه المناخ بين شمال طرابلس الغرب وتونس موضعاً النجاح الذي حققه الصقليون فيها (فاولر، 1988م، ص62).

وعلق الخبير الإيطالي لشؤون الهجرة اوسونيو فرانزونى «AusoniFranzoni» بأن المستعمرة الليبية إذا حققت حلم الإيطاليين بأن تكون منفذاً لتوطينهم فيها، فلا تحسب التضحيات التي تكفل تحقيق تلك الأمنية (سيجري، 2006م، ص87).

وفي إطار احتواء الإيطاليين الموجودين على الأرض الليبية، قام الملك فيكتور عمانويل بإصدار الأمر الملكي المؤرخ في 5 نوفمبر 1911م رقم 1247، والذي تحول إلى قانون في 25 فبراير 1912م رقم 83. ومضمونه يدور حول منح الحقوق الشخصية لكل فرد خارج إيطاليا وتحديداً في ولايتي: طرابلس وبرقة قبل التاريخ المذكور وبعده، كما يضمن لهم حق المواطنة الإيطالية، التي تكفل حقهم بالالتحاق بالجيش الإيطالي، وممارسة الأنشطة التجارية، والقيام بالوظائف المدنية المتعلقة بالإدارة الاستعمارية (ملف بحوث ومقالات، وثيقة رقم 93، ص250). إلى جانب ذلك تكررت مقترحات فرانزونى حول ترسيخ

الاستيطان الزراعي، مشدداً فيها على دور الحكومة بأن تتخذ الإجراءات العملية وتقف بكل شجاعة ضد السكان المحليين حتى تتحقق النظرة العميقة للاستيطان المعتمدة على إقامة المستوطنات في المنطقة المحصورة ما بين طرابلس وجنזור وسواني بن آدم وقصر بن غشير وتاجوراء، ومنطقة ثانوية أخرى يكون مركزها مدينة الخمس، على أن تتخذ تلك المستوطنات قواعد للانطلاق نحو الدواخل من سهل الجفارة حتى جبل نفوسة، وبذلك سيتم توطين (7000) أسرة إيطالية تحتل (247000) ألف فدان من الأراضي (فاوتر، 1988م، ص64).

ويتبين مما سبق، تيقن الخبير الإيطالي بالرفض التام من قبل الليبيين، الذين يرون أن ذلك هو تعدي مباشر على أرضهم، وبالتالي أعلنوا المقاومة، ودفعوا أرواحهم وممتلكاتهم ثمناً لها، لذا أوصى حكومته بالحزم ضدهم حتى يتم بسط السيطرة على أكثر مساحة من الأراضي بالمناطق الساحلية.

وتعهدت السياسة الإيطالية البرنامج الاستيطاني عن طريق تغلغلها العميق للسيطرة على مقدرات الاقتصاد الليبي المتمثل في قطاعي: الزراعة والرعي اللذين يمثلان المورد الرئيس لحياة أبناء المجتمع الليبي، لذا سعت السلطات الإيطالية لفرض سيطرتها أولاً على القطاع الزراعي، وحاولت بسط نفوذها على أكبر مساحة من الأراضي لاستيعاب المستوطنين الجدد، والوصول إلى قيام توازن ديموغرافي مع السكان المحليين (انتليسي، 1973م، ص15). وتم الاعتراف بمقترحات فرانزوني بأنها تحمل الحل الأمثل في تحديد المناطق المستهدفة من الاستيطان بعد بسط النفوذ عليها، وحمل المستوطنين على الاستقرار فيها استناداً على قانون الأراضي المعمول به خلال العهد العثماني الثاني في طرابلس الغرب (نوفل، الدستور، مج1/15).

ولتأكيد مفهوم الاستيطان وضمان نجاحه، قامت الجمعية الإيطالية لدراسة ليبيا بإرسال مجموعة متخصصة في ديسمبر 1912م، لدراسة الأحوال الاقتصادية بجبل نفوسة، وأرسلت البعثة الثانية برعاية وزير المستعمرات بيترويرتوليني «Pitro Pertoloni» في مارس 1913م (فاوتر، ص76). وتم عرض ملخص تقريرها الموصوف بالدقة والشمولية حول المعطيات العامة للزراعة في شمال طرابلس الغرب، عن طريق وزير المستعمرات على مجلس النواب في 3 نوفمبر 1913م، وتمت المصادقة عليه بانطلاق مسيرة الاستيطان التجريبي (فاوتر، ص77-90).

### الآراء الفنية والقوانين الوضعية في تجربة الاستيطان:

استجابة لتخوفات اللجان العلمية من ظهور المضاربات في الأراضي، تم اعتماد الآلية التي وردت في مقترحاتهم، وهي على النحو التالي :

- 1 - إقامة مزارع صغيرة مخصصة للزراعة المروية.
- 2 - إقامة مزارع كبيرة تتراوح مساحتها ما بين 200 - 300 هكتار وتحتوي على زراعة مختلطة مروية وبعلية، وتركزت على زراعة الحبوب.
- 3 - تخصيص مساحات محددة للرعي (سيجري، ص77-90).

وفي شهر فبراير 1913م، صدر المرسوم الملكي الذي يعطي للحكومة الحق في الاستحواذ على الأراضي في ولاية طرابلس الغرب (ليبيا) تحقيقاً للمنفعة العامة طبقاً للمنشور الصادر بالجريدة الرسمية في 18 مارس 1913م المدرج تحت رقم 175 (ملف بحوث ومقالات، وثيقة رقم 81؛ قوانين الجريدة الرسمية، 1913م).

وتم استحداث مكتب للتسجيل العقاري في أوائل سنة 1913م، استكمالاً لتدعيم الأراضي الليبية، وتوثيقها بالسند القانوني (فاور، 1988، ص74). كما صدر المرسوم الملكي في يوليو 1914م، الذي نص على شرعية استغلال الأراضي الأميرية التي كانت تحت سلطان الحكم العثماني للإيطاليين الذين توفرت لديهم الرغبة في الحصول على أراضي لغرض زراعتها واستصلاحها (الشركسي، 1976م، ص68).

وتم تخصيص مساحات من الأراضي كانت تتراوح ما بين 50 إلى 60 هكتاراً وأخرى صغيرة من 3 إلى 30 هكتاراً، وبالنسبة للمساحات الكبيرة، فكان يتم تطويرها واستصلاحها عن طريق الاستعانة بالعمالة الليبية، ويبدو أن ذلك يعود لرخص الأجور المدفوعة لاستخدامها، بينما تستصلح المساحات الصغيرة بالسواعد الإيطالية على أن تسخر جهودها الذاتية في زراعتها وتحسين إنتاجها، على الرغم من أن جُل أرباب الأسر من الموظفين الحكوميين ورجال الأعمال، لم يكن من بينهم أي مهاجر لأجل التعمير والعمل الفلاحي، وكان إجمالي المزارع (40) مزرعة (سيجري، 2006م، ص94).

وبلغت المساحة الإجمالية من الأراضي التي آلت ملكيتها للسلطات الإيطالية نحو (9313) هكتاراً، وزع منها (3613) هكتاراً بين عامي 1914 - 1915م، وما تبقى من المساحة المذكورة تم توزيعه ما بين سنتي 1920 - 1921م (ديبوا، 1968م، ص75).

ويبدو أن الذي عطل ذلك بوادر الحرب العالمية الأولى، فضلاً على عدم فرض السلطات الإيطالية وجودها على كافة المناطق في البلاد الليبية، الأمر الذي دفعهم للتظاهر بمهادنة الزعماء المحليين لعل ذلك يساعدهم على تهدئة الأوضاع الحربية في ليبيا (البربر)، 1990م، ص 68 - 69). فأعلن والي طرابلس الغرب مينزغر «Mizengar» (بيشون، 1991م، ص 185) في سنة 1919م، أن حكومته تتعهد بإقرار مبادئ الحرية والحقوق الشخصية، التي نص عليها القانون الأساسي للقطر الطرابلسي (فاوتر، 1987م، ص 266 - 268).

ويظهر السؤال حول ماهية تلك الحقوق ومضمونها؟ فهل احترام الحقوق يعني التعدي على أراضيهم، واستقدام المستوطنين لتعميرها؟ وهل ذلك يكفل الحكم الذاتي ويعزز حريتهم، أم أنه يتجاوزها، ويجعل تلك المراسيم بمثابة ترضية لتهدئة الخواطر وكسب الوقت؟ إلى أن تحين الفرصة لإشعال نار الفتنة بين أبناء المجتمع الليبي لاسيما زعمائهم، مستخدمين سياسة فرق تسد شعار كل مستعمر بغيض؟

وعندما تولى الوالي جيوزيبي فولبي «GuzpiVolbi» (سيجري، 2006م، ص 95 - 96) مهامه في 3 أغسطس 1921م مفوضاً من الحكومة الإيطالية؛ لتوطيد الأمن والاستقرار وإعداد الخطط التي تعزز التنمية الاقتصادية، وترسخ الاستيطان (فاوتر، 1988م، ص 132). ولكي يتحقق ذلك الأمر، كان لزاماً عليه فرض سلطته العسكرية على المناطق، التي تقع تحت سلطاته، لذلك قام بتوسيع هجماته الحربية في 26 يناير 1922م، وتحققت له السيطرة على المنطقة الزراعية المحصورة ما بين زوارة ومصراتة بما فيها جبل غريان، وما أتت سنة 1928م حتى وصلت الرقعة الجغرافية الخاضعة لسلطاته من الحدود التونسية غرباً حتى منطقة تاورغاء شرقاً، وواحتي: سيناون وغدامس (سيجري، 2006م، ص 96 - 97).

ولإضفاء الشرعية على المساحات الزراعية الشاسعة، التي تعد محور الاستيطان وركيزته المهمة، أصدر فولبي قراراً في 18 يوليو 1922م، يقضي بأيلولة الأراضي غير المزروعة إلى أراضي عامة من حق السلطات استغلالها فضلاً عن حصر الأراضي الأميرية (الحكومية فترة العهد العثماني)، ومنحها للمستوطنين الإيطاليين (الجريدة الرسمية، وثيقة رقم 3، 1922، ص 150؛ بيشون، 1991م، ص 194؛ هويدي، 1988م، ص 79). ولكسر شوكة المقاومة ضد الاحتلال وبرنامجه الاستيطاني حول القرار السابق، قامت المحاكم الإيطالية بإصدار أحكامها القضائية بمصادرة أملاك العصاة (المجاهدين)، سواء كانت ثابتة أو منقولة (الجريدة الرسمية، وثيقة رقم 3، 1922م، ص 154).

ومن المفارقات في القوانين الإيطالية التي يحق بالفعل تقييمها أن يعطي من لا يملك لمن لا يستحق، وهو المستوطن، بينما ابن البلد هو خارج عن نوايس القوانين، لذا وجب عقابه حتى يكون عبرة لبقية أبناء مجتمعه.

واستناداً للقانون الصادر في 11 إبريل 1923م، قام فولبي باتخاذ الإجراءات العملية في مصادرة أملاك الثوار (المجاهدين) كعقوبة على إعلان الرفض والمقاومة لبرامجهم الاستعمارية، وتسري المصادرات على ما تطاله سلطاتهم من ممتلكات ثابتة ومنقولة (الوثائق الاقتصادية رقم 42، وثيقة رقم 49؛ حقيق، 1992م، ص145).

وللاستدلال على ممارسة الظلم والتعدي على الأملاك الخاصة ومصادرتها، نورد ما قام به وكيل الحكومة الإيطالية ماركو جوسيبى «Marko Gousibe» بصفته عميداً لبلدية يفرن ببيع الممتلكات المصادرة من سالم بن أحمد المخترش من قبيلة العميان بالزنتان، والمصادرة بموجب المرسوم الملكي الصادر في 15 يناير 1924م (ملف الأحكام رقم 32، وثيقة رقم 17). وحرصت السلطات الإيطالية على التديس في النصوص القانونية وتطويرها بما يضمن أكبر قدر من الاستحواذ على الأراضي لبناء استيطان قوي وناجع التي بلا شك يكون عمودها الفقري الأرض، وعليها تقوم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وليس ذلك فحسب بل اعتبروا أن تلك القوانين تتماشى مع النصوص الشرعية الدينية، التي تكفل الغطاء الشرعي في إدارتها والاستيلاء عليها بحجة أن الأرض لله، ويستخلف عليها السلطة الحاكمة (سلطة الاحتلال) (بتشوي، 1993م، ص40-41). وما يثير الاستغراب هو هل الشرع الإسلامي يعطي الحق في استلاب أملاك الآخرين، أم أنه يجعل ذلك محرماً في عقيدتهم؟ لعل ما أقره معلم أمتنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: أنه من يمتّ دون دينه وعرضه وماله فهو شهيد، ونراها كافية لدحض إدعاءاتهم الجوفاء.

ولسلوك الحياد والموضوعية نورد ما صرح به المؤرخ الإيطالي سيجري حول مصادرة أراضي الليبيين، إذ يقر بأن ذلك يعد سلباً حقيقياً تخجل السلطات الحكومية من التصريح والاعتراف به، ويرى بأنه نهبٌ لأملاكهم (سيجري، 2006م، 104-105). ويقول بروشين: إن السلطات قد تلجأ للشراء، ولكن بالثمن الذي تريد، ويستشهد بمنطقة غريان عن تلك الحالة، حيث كان يتم تكليف لجنة إيطالية طبعاً لوضع قيمة الأرض، ثم يتم استدعاء صاحبها بحضور شيخ قبيلته، لقبض ثمنها الزهيد، وإذا رفض قبض ثمنها يتم تحويله لحساب مصرف التوفير، ويؤكد أن هذا النهج قد تم إتباعه على كافة المناطق الساحلية

الممتدة من الحدود التونسية حتى منطقة سرت (بروشين، 1988م، ص215؛ ميخائيل، 1970م، ص104). أما بريتشارد فيرى أنّ ذلك الرفض، أو القبول بالثمن البخس لأراضيهم، لا يعني للسلطات شيئاً إلا بوضع قبضتها على أملاكهم، وتحويلها لمشاريعهم الاستيطانية (بريتشارد، د.ت، 373-374).

حيث بلغت نسبة الأراضي المصادرة في عهد فولبي عام 1925م حوالي (68.000) ألف هكتار ويعتبر ذلك الرقم قياسياً، إذا ما تمت مقارنته مع المساحة التي تم الاستيلاء عليها في العشر سنوات الأولى من الاحتلال، حيث بلغت (3,600) هكتار (سيجري، 2006م، ص100). ويوضح الجدول التالي تضاعف مساحة الأراضي، التي تم الاستيلاء عليها بالأرقام والسنوات (ابونقمة، 1998م، ص15).

السنة	الأراضي المستولى عليها بالهكتار	الأراضي التي تم توزيعها على المزارعين
1911 - 1922م	9313	3612
1923م	26100	3970
1924م	27100	9949
1925م	4887	17619
المجموع	67400	35150

وإلى جانب تلك الإجراءات، عمد فولبي للشروع في برنامج الاستيطان بعد ضمان توفير الأراضي ودون الاعتماد على الحكومة في صرف الأموال الطائلة، وتوافقت آراؤه مع فيليبوكافازا "FilippoKavazza" مدير المكتب الاستيطاني بطرابلس الغرب، حول رؤيته لقيام الشركات الخاصة في إيطاليا بتولى برامج الاستيطان وتسييرها، وأن هذا سيعطي نتائج إيجابية (وثائق المركز الزراعي ج2، وثيقة رقم 13، 1929م، ص5)، مستدئين في تأكيد ذلك على نجاح التجربة الفرنسية في تونس المعتمدة على الرأس المال الخاص، والذي حقق نجاحه في الاستثمار الزراعي الاستيطاني، فضلاً عن تشابه الظروف المناخية بينهما، بعد أن يتم إغراء المستثمرين الإيطاليين بعرض الأراضي عليهم بأسعار زهيدة

مع تقديم التسهيلات المتعلقة بالإعفاءات الضريبية تشجيعاً لهم على خوض تلك التجربة (وثائق المركز الزراعي ج2، وثيقة رقم 13، 1929م، ص5). وفي رأينا إن تلك الحوافز والتسهيلات، لم تكن كافية لاستقطاب المستثمرين الإيطاليين على المغامرة برؤوس أموالهم وإنفاقها على تجربة استيطانية ربما يكون الفشل فيها أقرب من النجاح، فالاستقرار والشعور بالأمن والأمان هو أحد الأساسيات المهمة في ترسيخ الاستيطان بفرض السيطرة الكاملة على الأرض الليبية؛ لتكون في خدمة سلطة الاحتلال، ولكن هذه الأخيرة أخطأت في حساباتها فالنزهة البحرية نحو ليبيا كلفتها عشرين سنة من المواجهة والقتال.

وجاء المرسوم الملكي رقم 1307 الصادر في 18 يوليو 1924م، الذي تم بموجبه تحويل إجراءات البنك الزراعي العثماني السابق لصندوق توفير طرابلس الغرب، وتلاه المرسوم رقم 1671 بتحويل أموال المصرف العثماني إلى صندوق توفير برقة؛ ليكونا عاملاً مشجعاً على التمويل، وتقديم التسهيلات المالية للمستثمرين (الساقزي، 1965م، ص30؛ بتشوي، 1993م، ص49).

وقد اهتمت الحكومة الإيطالية بتعمية وتطوير المناطق الساحلية والجبلية، بعد أن تأكدت من صلاحيتها للاستيطان بالجبل الأخضر، والجبل الغربي، والشريط الساحلي معولة على توجيه رؤوس الأموال الإيطالية ومنحهم مساحات شاسعة من الأراضي لاستثمارها، ومساعدة الحكومة في تهيئتها؛ لاستقبال أكبر عدد من المستوطنين الإيطاليين (أبوشارب، 1981م، ص64)، واستغلال العمالة الوطنية الليبية التي تبحث عن أي فرصة عمل حتى وإن كانت أجزتها لا تتناسب مع ساعات العمل والجهد المبذول لعلها تكسب قوت يومها، وتضمن لها الحياة هي ومن تعول (أبولقمة، 1998م، ج2/428؛ اجدير، 1985م، ص12 - 59). فصاحب الأرض هو الأجير لدى المحتل المغتصب للأرض والبلد، وبالتالي فلا يخجل من سرقة عرق أبناء المجتمع الليبي دون إقرار أبسط الحقوق التي تقرها قوانين العمل لهم، إن الآلية التي أقرتها السلطات في التعامل مع نظام الامتيازات الزراعية تمثلت في محورين: الأول - يختص بتحديد مساحات كبيرة من الأراضي، إذ حددت قيمة استصلاحها المالي ما بين 1500 إلى 3500 ليرة إيطالية عن الهكتار الواحد، وكل مستثمر يتهاون في عملية الاستصلاح للأرض موضوع الامتياز سيتم إلغاء عقد الامتياز الممنوح له (سيجري، 2006م، ص109 - 110).

أما المحور الثاني. فيتعلق بمساحات الأرض الصغيرة، وعلى المستثمر دفع قيمتها المالية



بواقع النصف من قيمتها الكلية، ويستكمل الباقي حال الانتهاء من عمليات الاستصلاح الشامل لحفر الآبار وغرس الأشجار، وإقامة المباني، ويحق له توطين عدد من العائلات الإيطالية للاستفادة منها، وهذا يتوافق مع ما طرحه بيرتولوني « Biertoloni ويحقق نمط الاستيطان التجريبي (سيجري، 2006م، ص110).

وتتركز ملامح السياسة الاستيطانية لفولبي على استقطاب المستثمرين الإيطاليين وإغرائهم بالحصول على مساحات كبيرة من الأراضي والسماح لهم باستقدام أكبر عدد من المستوطنين لإحداث توازن ديموغرافي مع السكان المحليين. ولم تسعفي المصادر بإحصائيات دقيقة عن أصحاب تلك الامتيازات وكذلك أعداد المستوطنين الذين تم استقدامهم للعمل في المساحات الممنوحة لهم (أبوتممة، 1998م، ص16 - 23).

وعلى العموم، كان عهد فولبي مميزاً في تأسيس قاعدة عريضة من الأراضي لقيام استيطان حقيقي مقترناً بتسيخ السلطة والنفوذ الإيطالي عليها، وجذب رؤوس الأموال الإيطالية لاستغلالها، غير أن تشبته بالتركيز على استبعاد الدعم الحكومي لمشروع الاستيطان جعله يقع في تصادم مع مبادئ الحكومة الفاشية التي اعتلت عرش السلطة في عام 1922م، وهذا ما جعله يُقدم على تقديم استقالته في عام 1925م. ليحل خلفاً له الجنرال دي بونو (يونيو 1925 - ديسمبر 1928م)، الذي وصف بأنه أحد زعامات الحزب الفاشي ليستكمل مشوار سلفه الاستيطاني، ولكن برؤية جديدة للاستيطان المبني على الاستعمار الديموغرافي، الذي يتوافق مع ما طرحه موسوليني في زيارته الأولى لليبيا (بيشون، 1991م، ص80 - 81؛ ديبوا، 1968م، ص80 - 81). ويتضح ذلك من الخطاب الذي ألقاه في ميدان السرايا الحمراء ( ميدان الشهداء حالياً) في 18 مارس 1927م، وكشف فيه عن نيته في تحويل ليبيا وأهلها لمستوطنة إيطالية (ملف بحوث ومقالات، وثيقة رقم 69، ص5)، واعتبرها المنفذ الحقيقي لإيطاليا باعتبارها امتداداً لها فضلاً على أنها ستكون البؤرة في القضاء على البطالة والتخلص من التضخم السكاني ببلاده (سيجري، 2006م، ص124). وتززت فكرته بالذاكرة التي قدمها وزير المستعمرات لويجي فيدروزني «LoigiFidrozini» (سيجري، 2006م، ص117) لمجلس النواب في شهر مارس 1927م، التي تنادي بأن يكون استعمار ليبيا وسيلة وليس غاية، ولا بد أن تتخذ موطناً لاستيعاب المهاجرين الإيطاليين الذين سيصل عددهم على المدى البعيد 300,000 ألف إيطالي، وبوجودهم سيتحول البحر المتوسط بحراً إيطالياً، ويعملون بعد ربع قرن ويزدهرون في

ليبيا) وثائق المركز الزراعي ج2، الوثيقة رقم 21، ص 2-3؛ بيشون، 1991م، ص 195؛ ديبوا، 1968م، ص 208). واختتم فيدروزوني مذكرته بالتريث والتحلي بالصبر، فالعمل الاستعماري يحتاج إلى وقت وإرادة لا تلين ومداومة لا تمل، وتلك هي قيم وفضائل الفاشية (وثائق المركز الزراعي ج2، الوثيقة رقم 21، ص 9).

وفي نهاية سنة 1926م، وأوائل سنة 1927م، وقفت الظروف المناخية عائقاً كبيراً أمام المستوطنين بالرغم من القروض، والتسهيلات الممنوحة لهم فضلاً على عدم الاستقرار، والصراع المتجدد بين المجاهدين وقوات الاحتلال في ولاية برقة، وما بقى منهم سوى (14) عائلة وصفت بالشجاعة والثبات، وتعود أصولهم لمدينة صقلية ليكونوا حجر الأساس في مشروع القوارشة الزراعي، والمكلفة بالإشراف عليه مؤسسة الاتحاد الاستيطاني الإيطالي، غير أن الظروف السابقة أجبرت بعضهم على عدم الاستمرار فتوجهوا إلى مدينة بنغازي للبحث عن العمل، ولم تبقى إلا (8) عائلات، وعدتها الحكومة بتطوير نظام الري ومنح التسهيلات، ولكن ذلك لم يفض لأي نتيجة تذكر باعتراف صريح من ممثل المؤسسة المشرفة على المشروع (سيجري، 2006م، ص 155-156).

#### اجتهادات دي بونو القانونية لتعزيز الاستيطان:

يعد مبدأ التوطين من أهم المرتكزات التي تقوم عليها سياسة الاستيطان لتحقيق غايات عديدة منها احتكار الأنشطة الاقتصادية التجارية، والزراعية، والصناعية على المستوطنين الإيطاليين، وهذا ما يحقق الرؤية العرقية فضلاً عن الارتباط الوثيق بتحقيق السيطرة الاقتصادية من خلال الاعتماد الذاتي، الذي ستقدمه المستعمرة من أموال، وكذلك اتخاذها سوقاً رائجاً لتصريف البضائع الوافدة من إيطاليا، أما الغاية السياسية فتتحصر في بروز القوة الاقتصادية كشريك مهم في حوض البحر الأبيض المتوسط مع القوات البريطانية، والفرنسية، والغاية الأخيرة تتوافق مع توفير قوة بشرية تحفظ أمن المستعمرة على الصعيدين: الداخلي، والخارجي (فاوتر، 1988م، ص 161).

وتمشياً مع مبادئ زعيم الفاشية، ووزيره، قام الوالي دي بونو باتخاذ الإجراءات المطلوبة، التي تمثلت في إصدار قانونين: الأول: صدر في يونيو 1928م تحت رقم 1895، والثاني: صدر في يوليو 1928م تحت رقم 2433 (بيشون، 1991م، ص 194-195). تتكون بنود القانون الأول من ثلاث عشرة مادة، تنص المواد الثلاثة الأولى منها على تحديد الأراضي المملوكة للدولة في كل من طرابلس وبرقة، وتجزئتها لها استغلالها في

أغراض التنمية الزراعية، وتمكين المستوطنين بممارسة أنشطتهم عن طريقها، وإلزام الجهات الحكومية بإجراء البحوث والدراسات المتخصصة لتحديد الأراضي الصالحة للاستصلاح، وتوفير مخزون كافٍ من المياه الجوفية، والتعهد بتوفير الخدمات العامة التي يحتاجونها، والتي ستفضي لخلق مناخ مشجع على العمل والبقاء (فاو، 1988م، ص 167). وبذلك ستكون تلك الأراضي جاهزة في كل من طرابلس، وبرقة لتطبيق خطة الاستيطان الزراعي، وسيشكل المستوطنون القاعدة فيها للتعمير والاستقرار (ديبوا، 1968م، ص 84-85).

وتم تكليف لجنة مختصة لإعداد الخطوات العملية؛ لتنفيذ البرنامج الاستيطاني، واختيار المناطق التي سيقام عليها مع مساهمة الدولة وفق الخطوات التالية :

- 1 - اعتماد برنامج موسع؛ لتأسيس الأشغال العامة في مواقع الاستيطان.
- 2 - مساعدة المستوطنين؛ لنجاح تنمية وحداتهم الزراعية.
- 3 - تقديم التسهيلات المالية لكل مستوطنة، ولمدة خمس سنوات.
- 4 - تقديم المساعدات في دعم أعمال التنمية غير الزراعية.

إضافة للوعود التي قطعتها الحكومة لأصحاب الامتيازات، وتقديم كافة التسهيلات المالية، التي من شأنها أن تساعدهم في القيام بواجباتهم تجاه التنمية، زد على هذا دورهم في استقطاب المستوطنين الإيطاليين (فاو، 1988م، ص 167-168).

كما تم تحديد المناطق المستهدفة بالاستيطان، والتنمية الزراعية، وتشمل الشريط الساحلي من وسط وغرب طرابلس، وتمتد شرقاً حتى مدينة الخمس، ومن الجنوب الجبل الغربي وترهونة، واشترط على كل صاحب امتياز توطين عائلة إيطالية كحد أدنى لكل 100 هكتار، وحدد سعر الهكتار الواحد في ما بين 40 - 50 ليرة إيطالية، باستثناء منطقة ترهونة، التي تم حساب سعر الهكتار فيها ما بين 20 - 30 ليرة إيطالية. بينما خصصت الأقاليم التي تقع جنوب وشرق طرابلس للتنمية الزراعية، والرعية، والصناعية، وشملت مدن مصراتة وزليتن ووسط سهل الجفارة. وتم تحديد ما بين 300 - 400 هكتار لكل عائلة مستوطنة، وحددت القيمة المالية في ما بين 20 - 30 ليرة إيطالية عن كل هكتار (سيجري، 2006م، ص 135).

وتم فرض الشروط على أصحاب الامتيازات المتمثلة بالتعهد بتوطين العائلات

الإيطالية، مع الالتزام بمقدرتهم المالية في تنفيذ برامج الاستصلاح للأرض موضوع الامتياز، والقيام ببناء المساكن، وحفر الآبار ودفع القيمة المالية بواقع النصف من ثمن الأرض الكلي، على أن يتم تسديد الباقي في ظرف عشر سنوات، والشرط الذي لا يقبل النقاش أن يكون صاحب الامتياز مؤيداً للمبادئ الفاشية، وموالياً لدعواتها (أبولقمة، 1998م، ص 62-63).

وقد أقرت قوانين سنة 1928م أحكاماً مترابطة تتطلب أخذ الحيطة، والحذر عند تنفيذها؛ لأنها مستوحاة من تطبيق مبدأ الاستيطان جوهرًا ومضمونًا، وترتب عنها تحديد الترتيبات العملية في التطبيق من خلال تقسيم الأراضي المستهدفة للزراعة، والمخصصة للتمية (بتشوي، 1993م، ص 168). وازدادت المساحات الزراعية من 3.600 هكتار في سنة 1922م إلى أكثر من 60.000 ألف هكتار في سنة 1925م بفضل الوالي فولبي، وتضاعفت إلى 160.000 ألف هكتار في سنة 1928م بفضل جهود الوالي دي بونو، وفي برقة كانت هناك مئات قليلة من الهكتارات حتى عام 1926م وتضاعفت إلى 20.000 ألف هكتار في أواخر سنة 1928م (وثائق المركز الزراعي ج2، الوثيقة 21، 1929م، ص 4).

ويتضح من هذا، أن برامج الاستيطان، وخططه العملية باتت تختلف عما كانت عليه في عهد الكونت فولبي، الذي تبنى فيها الاعتماد على الرأسمال الخاص، وعول على دوره في القيام بتلك المهمة، ولكن عهد دي بونو انحرف عن تلك الاستراتيجية وصار لزاماً على الحكومة الالتزام بتقديم المساعدات والتسهيلات لأصحاب الامتيازات، والمستوطنين بغية إنجاح برنامجها الاستيطاني.

وشكلت المقاطعات الإيطالية الشمالية النسبة الكبيرة من أصحاب الامتيازات، الذين تتحدر أصولهم من بيدمونت وليجوبيا ولومباردي، وفينيسيا، وكانت نسبة الامتيازات الممنوحة لهم قد بلغت 25 ٪ بما يوازي 41,211 هكتاراً، بينما وصلت نسبة الصقليين إلى 15 ٪ بما يوازي 14,179 هكتاراً (سيجري، 2006م، ص 127). ولكن تشريعات دي بونو أسهمت في تضاعف نسبتهم حتى وصلت 47 ٪، وكانت أصولهم تعود لجزيرة بانتيريا. أما بالنسبة للإيطاليين القادمين من تونس فحصلوا على ما نسبته 14 ٪ من أراضي الامتيازات (بوكا، 2010م، ج2/179-180). وفي شهر ديسمبر 1928م، كانت نهاية ولاية دي بونو لحكومة طرابلس وبرقة، قبل أن يشهد ما أقره من قوانين حول برنامج الاستيطاني (بوكا، 2010م، ج2/174)، والازدياد الذي طرأ على عدد المستوطنين بينغازي

وأثناء الجبل الأخضر، حيث وصل عدد الأسر المستوطنة بهما نحو 3654 أسرة، ومنهم 82 أسرة ولد أفرادها في ليبيا، وكانت مساهمة مقاطعة صقلية من أكثر المناطق الإيطالية وبلغت 1902 عائلة طبقاً للجدول التالي (أيليو، 2005م، ص170).

الرقم	عدد العائلات	أصل العائلات
1	1902	صقلية Sicilia
2	214	كمبانيا Campania
3	193	لمبادريا Lampardia
4	147	تسكانا Toscana
5	133	بدليا Puglia
6	124	فينيتو Veneto
7	139	بيمونت piemonte
8	105	لاسيو Lazio
9	101	اميليا Emilia
10	62	كلابريا Calabria
11	59	ابروزي Apuzzi
12	45	سردينيا Sardegna
13	51	ليقوريا Liguria
14	50	مارلي Marcle
15	37	امبريا Umpria
16	19	باسكالكتا basilicat
17	19	فنيسيا جوليا Venezigiulia
18	11	فنيسيا تريدينتينا Vrnezitridentina

بينما كان عدد سكان طرابلس يزيد عن 550,000 نسمة، منهم 27,000 إيطالي

يقيمون في مدينة طرابلس، وازداد عددهم إلى 60314 نسمة بحلول سنة 1929م. وكانت نتائج الإحصائيات التي أعدتها الحكومة الإيطالية، ألقت نظر القارئ بأن تركيزي كان منصباً على بيان أعداد المستوطنين الإيطاليين لأن ذلك يمس بحثي بشكل مباشر وفقاً للجدول التالي الذي يتضمن أعداد المستوطنين الإيطاليين بالفترة من 1926م، وحتى سنة 1929م. (أيليو، 2005م، ص172).

ر.م	الجنسية	1926م	1927م	1928م	1929م
1	إيطاليون	11,651	14,213	16,150	18,300

ويتركز الوجود الإيطالي في منطقة سهل الجفارة نظراً لخصوبة أراضيها، وقربها من مركز البلاد حيث سجلت الإحصائيات وجود (737) عائلة، وسجل ارتفاع معدل الجنس الإيطالي في ليبيا بنحو (1,719) نسمة، نتيجة للحراك السكاني المتضمن المواليد الجدد وسجل (617) حالة ولادة، بينما انخفض معدل الوفيات إلى (179) حالة، ووصل لليبيا نحو (2,132) وافداً جديداً من إيطاليا، وغادرها (851) شخصاً (ريتيشي، 2005م، ص185). كما أكد المقال الوارد في مجلة المستعمرات عن ارتفاع معدلات السكان الإيطاليين في ليبيا، وسجل (20,000) نسمة مقيمين بصفة دائمة في طرابلس، وسجلت نسبة الزيادة فيها بواقع (10,000) نسمة، وفي برقة كان معدلهم أكثر بقليل من (10,000) نسمة، بينما بلغت نسبة ازديادهم بنحو (8,000) نسمة (وثائق المركز الزراعي ج2، الوثيقة رقم 13، 1929م، ص4). وأشادت النشرة الاقتصادية الإيطالية للمستعمرات في سنة 1929م، عن الجهود التي بذلها دي بونو واعتبرت أعماله مثلاً سامياً للتاريخ الاستيطاني، بفضل عمله الشجاع لترسيخ ذلك المفهوم على الأرض الليبية (وثائق المركز الزراعي ج2، الوثيقة رقم 13، 1929م، ص5).

#### المارشال بادليو راعي الاستيطان المنهج:

قام موسوليني بتعيين المارشال بادليو والياً على ليبيا (ديسمبر 1929م - ديسمبر 1933م)، والياً وحيداً على ولايتي طرابلس، وبرقة (روشا، 2005م، ص91). فاتخذ من الأولى مقراً لممارسة سلطاته العسكرية والإدارية، وكلف سيشلياني مفوضاً عنه في برقة، ونائباً له فيها (بيشون، 1991م، ص187). وفرض بادليو لتسلم أمور الحكم في ليبيا شروطه على موسوليني، ومنها أن يحتفظ بمنصبه في شغل رئاسة الأركان، والسماح له بتسيير الإدارات، والأجهزة الرسمية في كل من الولاياتين وفقاً لما يراه، فضلاً على تمتعه بالمرتب نفسه الذي كان يتقاضاه عندما كان سفيراً لبلاده في البرازيل، والتكريم عليه بلقب

شريف له، لتتوارثه أسرته من بعده (بوكا، 2010م، ج2/ 174).

ووصل الوالي الجديد بادليو طرابلس في 24 يناير 1929م، فقام بإصدار منشورين: الأول - خصصه للإيطاليين الموجودين في المستعمرة الليبية، قائلاً لهم: إن التعمير الاستيطاني في ولاية طرابلس لم يعد رغبة مجردة، بل هو حقيقة ملموسة، وهذا ما سيحدث سريعاً في برقة، أما المنشور الثاني - فخصصه لليبيين، وجاء بعبارات الترغيب، والتهديد في آن واحد، فكل من يذعن للسلطات، ويعلن الطاعة التامة لها سيحظى بالعمو والسماح، أما من سيعلم المقاومة والمواجهة، ويرفض أوامر السلطات الإيطالية، سيكون مصيره القمع والبطش دون رحمة أو شفقة (بوكا، 2010م، ج2/ 175). مختتماً قوله « إذا ما أرغمنا على القتال فإنني سوف أخوضها حرباً شعواء بأساليبي، ووسائل جبارة، بحيث تبقى ذكراها عالقة بالأذهان، ولن يتذوق أي تآثر واحد لا هو ولا أسرته، أو قطعانه وورثته طعم الهناء والسلام، إنني جازم على تحطيم كل شئ، رجالاً وأرزاقاً، ومتاعاً» (روشا، 2005م، ص91 - 92).

وتعني العبارات السابقة لأبناء المجتمع الليبي أحد الأمرين: إما القبول بالمستعمر والخضوع والإذعان لخططه وقراراته، أو الاستعداد لأبشع أنواع الاضطهاد، التي تطال كل من يعلن الرفض ويقوم بالمقاومة في ذاته، بل وتتعداه لتشمل أفراد أسرته وممتلكاته، التي تعد محلاً قانونياً للتأميم والمصادرة، لأنه يعد عاصياً للسلطات، وخارجاً عن قوانينها المنادية بترسيخ الاستيطان والاستملاك الحقيقي للأرض الليبية؛ لأنها حسب وجهة نظرهم تمثل العود الطبيعي لأحياء أمجاد روما في الأزمنة الغابرة.

واعتبر بادليو أن ذلك يعد من أولويات الواجبات القومية، التي تحتم عليه إيلاءها كل عناية واهتمام، من خلال دراسة أوضاع المستوطنين وفق أسلوب منفرد يحاكي التعرف على مشاكلهم، والمعوقات التي تعترض طريقهم، قبل الخوض في بحث الواجبات المطلوبة منهم، والتعهد لهم بتقديم الدعم المادي والمعنوي للمساهمة في نجاح رسالة الاستيطان، والذين يمثلون أهم ركائزها (ديبوا، 1968م، ص90).

ومنحت الحكومة امتيازاً لشركة التبغ الإيطالية «Aziende Tabacchi Italiani»، وخصصت لها مساحة 1000 هكتار بمنطقة تغرنة بمدينة غريان بغية استغلالها لزراعة التبغ لمدة 30 سنة، على أن تقوم الشركة بتوطين 500 عائلة إيطالية (ملف بحوث وفصول مترجمة، وثيقة رقم 40؛ بروشين، 1988م، ص217 - 218). وتتعهد بنقل المستوطنين، وتوفير احتياجاتهم خلال السنة الأولى من استلامهم للمساحات المخصصة لكل مستوطن وستؤول ملكيتها له حال رفع الامتياز عن المشروع (ملف بحوث وفصول مترجمة، وثيقة رقم 40؛ فاوتر، 1988م، ص177).

وبالرغم من ذلك، فإن العدد المستهدف لم يصل لمداه المعقود، ففي سنة 1931م، وصلت (22) عائلة ضمت (166) نسمة، وفي سنة 1937م، وصل حده التوسعي إلى (299) عائلة ضمت (1,794) نسمة، كما أثرت على تلك الزراعة العوامل المناخية المتمثلة في رياح القبلي الجافة فضلاً عن ندرة المياه والحياة المنعزلة، التي تتطلب تقديم الإعانات بشكل مستمر (بوكا، 2010م، ج2/ 182؛ سيجري، 2006م، 151).

وعند نهاية سنة 1931م، كان عدد أصحاب عقود أراضي الامتياز، والملاك بولاية طرابلس (442) موزعين على (99,000) ألف هكتار (بوكا، 2010م، ج2/ 180). وكانت مساهمة المقاطعات الإيطالية في عملية الاستيطان الزراعي بطرابلس الغرب طبقاً للإحصائية التالية (بتشولي، 1993م، ص108).

والتي توضح أصول المستوطنين وأعدادهم والأراضي المخصصة لهم:

اسم المقاطعة	عدد المزارعين	مساحة الأرض بالهكتار
بيامونتي pymonti	24	65.701
لومبارديا Lombardia	14	87.375
فينيتو Venituo	23	80.609
ليغوريا Ligorya	4	3.725
ايميليا Emilia	13	28.426
توسكانا Toskana	26	51.466
ماركي Marki	6	22.268
أومبريا Oumbrya	5	4.342
لاتزيو Latizyo	15	175.413



15,955	8	أبرتزو Ebrozzo
19,214	17	كمبانيا Kambanya
15,955	17	بوليا Bolya
19,124	12	كلابريا Kalbrya
34,788	2	سردينيا Sardinia
5,875	186	صقليا Ciklyha
985	23	بانتييريا Bantaliryha
229,111	12	طرابلس الغرب
141,164	32	من الخارج تونس
11,011	3	دول أخرى
99,780	442	المجموع

وشملت التجربة الثانية للاستيطان، تخصيص مزرعة سواني بن آدم لأصحاب القمصان السود(فاوئر، 1988م، ص178)، وهم فلاحون من الجنود الفاشست، ومهنتهم الأصلية في بلادهم الزراعة، وقد عملوا على استصلاح 350 هكتاراً بالمجهود الذاتي، مقابل الدعم المالي المقدم لهم من الحكومة الإيطالية، ولمدة خمس سنوات، على أن يتعهد صندوق ادخار طرابلس تحمل العبء الأكبر بما يعادل 75 ٪ من قيمة المشروع الذي سيوزع عليهم بعد انقضاء المدة المتعاقد عليها، ويكون نصيب كل واحد منهم 10 هكتارات تسلم له عن طريق المكتب الزراعي المكلف بالإشراف، وإتمام عمليات التسليم لذلك المشروع، وخولت له أيضاً مهمة استكمال المرحلة الثانية حيث قام بتسليم 550 هكتاراً، واسند مهمة تدميرها، واستصلاحها إلى 45 جندياً(أبولقمة، 1998م، ص34-35). وقد لعب صندوق التوفير، أو الادخار بطرابلس دوراً مهماً في تقديم التسهيلات المالية، للقطاعين: الزراعي والإنشائي، في مجال التسليف العقاري بشكل خاص (شكري، 1999م، ص167/1).

وهنا يَجْدُرُ إجراء مقارنة حول مساحة الأرض ما قبل عهد فولبي مروراً بفترة دي بونو، ونختتمها بولاية الماريشال بادليو وفقاً للجدول التالي (أبولقمة، 1998م، ص 20).

الفترة	الأراضي المستولي عليها بالهكتار	الأراضي المزروعة	الأراضي المتبقية
ما قبل ولاية فولبي	9,314 هكتار	3,612 هكتار	5,602 هكتار
ولاية فولبي	57,087 هكتار	31,538 هكتار	25,549 هكتار
ولاية دي بونو	95,114 هكتار	66,614 هكتار	28,500 هكتار
ولاية بادليو	39,817 هكتار	24,418 هكتار	15,399 هكتار
المجموع	201,332	126,182	75,150

بينما سارت وتيرة الاستيطان ببطء شديد في ولاية برقة نتيجة لعدم الاستقرار، وتجدد المعارك واستمرارها بين المجاهدين الليبيين والقوات الإيطالية، والتي استغرقت مدة زمنية بلغت عشرين سنة وأسفرت عن ترحيل أهالي برقة لمعتقلات الإبادة، ويعد ذلك الحدث سابقة خطيرة لم يقدم أي مستعمر على القيام بها في سبيل توطيد سلطته، وبسط نفوذه، وبالقبض على رمز المقاومة الوطنية شيخ الشهداء عمر المختار، وإعدامه يوم 16 سبتمبر 1931م في معتقل سلوق، ويعتبر ذلك الحدث إيذاناً بارتياح الحكومة الإيطالية والمستوطنين والشعور بالأمن، والاستقرار، وتجدد الأمل في تملك الأرض واستغلالها.

وفي نهاية سنة 1931م، كان هناك حوالي 105,000 هكتار معدة للاستيطان الزراعي، ولكن لم يتم استغلال سوى 14,000 هكتار، أما عن عدد المستوطنين فقد وصل إلى (429) عاملاً بالقطاع الزراعي (سيجري، 2006م، ص 154 - 155). بينما يذكر انجيلو ديل بوكا أن الأراضي المؤممة بلغت 120,790 هكتاراً، والمستغل منها للزراعة 16,714 هكتاراً في كل من بنغازي والمرج ودرنة وسلوق والأبيار وتوكرة والصليعاية وطبرق، وكان عدد الملاك 71 مالكاً يزرعون 2,138 هكتاراً، وأصحاب عقود الامتياز 26 مالكاً يتصرفون في 14,576 هكتاراً (بوكا، 2010م، ج 2/181). ولمعرفة المزيد عن تفاصيل أماكن وعدد المستوطنين (المعمرين)، وأفراد عائلاتهم في ولاية برقة نورد الجدول التالي (بتشوني، 1993م، ص 257).

ويوضح مجموع العائلات الإيطالية، وعدد أفرادها، والمستخدمين منهم

المنطقة	عائلات المعمرين	عدد أفراد عائلات المعمرين	أجراء إيطاليون	العدد الكلي للمعمرين
بنغازي	54	277	7	284
المرج	15	58	24	82
الأبيار	12	46	3	49
أماكن أخرى بالمستعمرة	1	4	10	14
مستخدمون إيطاليون تابعون للمكتب الزراعي	39	140	47	187
المجموع	121	525	91	616

وبموجب المرسوم الملكي رقم 696 الصادر في 11 يونيو 1932م، تم إنشاء مؤسسة تعميم برقة (الأنتي) خصص لها من المؤسسات والمصارف 38 مليون ليرة إيطالية (بوكا، 2010م، ص 334/2 - 335؛ سيجري، 2006، ص 175). وتمت المصادقة على نظامها الأساسي في 16 نوفمبر 1932م، الذي نص على أن الهدف من تلك المؤسسة هو تنمية الأراضي، واستصلاحها، ومن ثم توطين الإيطاليين فيها، واتخذت مقراراً لمباشرة عملها في مدينة المرج في شهر ديسمبر من نفس العام (ديبوا، 1968م، ص 175). وتكفلت تلك المؤسسة بتجهيز الأراضي، ومدها بالخدمات الضرورية كالطرق والمساكن... إلخ على أن يتم تحميل نفقاتها المالية على المستوطن، وفق آلية حددت سقفها الزمني بخمس سنوات مقسمة على ثلاث مراحل: الأولى هي فترة الاختبار، ومدتها سنتان يكون الإنتاج فيها بالكامل للمؤسسة، ويصرف للمستوطن معاشاً شهرياً، أما الفترة الثانية فيتم فيها قسمة الإنتاج مناصفاً بين المستوطن والمؤسسة ولمدة سنتين، وتتحمل المؤسسة كافة النفقات، أما المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التملك، فيجب فيها على المستوطن دفع أقساط المزرعة كل رأس سنة في مدة لا تقل عن 25 سنة، ولا تزيد عن 30 سنة، ويحق له بيع الإنتاج والاستفادة من عوائده دون أن يعطي للمؤسسة منه شئ (برروشين، 1988م، ص 217؛ أبوشارب، 1981م، ص 67 - 68).

وتشير الإحصائيات إلى وصول حوالي (5,600) نسمة من الإيطاليين حتى نهاية 1932م متكونة من أصل (1,125) عائلة، واستقرت بالمزارع المقامة على الأراضي

المملوكة للدولة والأراضي الممنوحة للامتيازات (بتشوي، 1993م، ص170). كما تم استقدام 378 عائلة في سنة 1933م، تم توزيعها على 36,000 فدان بما يعادل 18,000 هكتار (فهمي، 1974م، ص3). وفي نهاية ولاية بادليو ازداد عدد المهاجرين الإيطاليين للمستعمرة الليبية، حيث وصل عددهم 1,500 عائلة تضم 7,000 نسمة (بوكا، 2010م، ج2/166). ويرى فاوهر بأن الجهود التي بذلت من أجل الاستيطان البشري في ولاية طرابلس، تعد مبعثاً للفخر، والتفاؤل إذا ما تمت مقارنتها بالمستعمرات الإيطالية في أفريقيا، وكذلك التوسع الذي حظيت به ولاية برقة نتاجاً لقوانين سنة 1928م، وثمارها تأتي بالصبر والعزيمة لتحقيق النجاح المطلوب (فاوهر، 1988م، ص185).

وبالرغم من النجاحات التي تحققت في ولاية بادليو فإنها لم ترتق للأرقام المؤمل تحقيقها بالجانب الاستيطاني بسبب عدم ركون المقاومة الوطنية للسلم مع القوات الإيطالية، وهذا ينعكس على انعدام الاستقرار والأمن بالنسبة للمستوطنين، وكذلك الحكومة، أضف إلى ذلك ارتفاع سقف المصروفات المالية على البرامج الاستيطانية، الذي بلغ 35 مليون ليرة إيطالية في الفترة ما بين 1929م وحتى 1933م (سيجري، 2006م، ص138-139).

إذن فالمراحل الاستيطانية السابقة بما فيها فترة الوالي بادليو كشفت عن الوقوع في الخطأ نفسه، إذا تم النظر إليها بعمق في المردود الاقتصادي والمالي، ولعل من أهمها التقديرات الخاطئة لسقف التكاليف المعدة للبرامج الزراعية، فضلاً على تبني الدولة تقديم التسهيلات، والإعانات لأصحاب الامتيازات، الذين تحولوا إلى مضاربين من أجل الكسب المادي وجني الربح السريع، وكان الحل دائماً الذي يقضي على تلك المشاكل هو اللجوء إلى طلب التمويل، ورفع سقف المصروفات لمشروعات الاستيطان، حتى وإن كانت لا تحقق مؤشراً اقتصادياً في ميزان الدولة الاقتصادي، فالمهم أن تظل صورة الاستيطان الذي تبنته الفاشية الإيطالية في ليبيا معنية بالاحترام والقبول (بوكا، 2010م، ج2/336؛ سيجري، 2006م، ص157).

#### المارشال بالبوروية جديدة للاستيطان:

تسلم المارشال بالبو مقاليد السلطة في الفترة ما بين (ديسمبر 1933م - 1940م) في ليبيا، وأصبح الحاكم العام لولايتي طرابلس وبرقة، وكان يمثل أحد أقطاب الفاشية في تبني سياسة جديدة للنهج الاستيطاني وتطبيقه على الأرض الليبية، التي صارت كحقل التجارب للتوسع وتحقيق مصالح الاستعمار وغاياته المختلفة (بوتومة، 1998م، ج2/411). لقد

كان برنامج الاستيطان المكثف هو توطين ليبيا بكتل بشرية من الإيطاليين ليتحقق الحلم المنشود بأن تصبح ليبيا جزءاً من المملكة الإيطالية. فقام المارشال بالبو بعرض فكرته على زعيمه موسوليني وأقنعه بأن ذلك العمل الجبار سيحقق عدة غايات سياسية وإستراتيجية واجتماعية، فعلى الصعيد السياسي، ستكون ليبيا تلقائياً تابعة وبشكل رسمي للمملكة الإيطالية استناداً إلى مرسوم ضمها لإيطاليا، وهذا سيكون غير مجدٍ إذا لم يقترن بتحقيق توازن ديموغرافي مع السكان المحليين، وذلك عن طريق استقدام مئات الألوف من الإيطاليين ليكونوا من مؤسسي المحافظات الليبية الجديدة. أما عن الإستراتيجية العسكرية، فتتجلى في توفير قوة عسكرية تحمي الوجود الإيطالي في ليبيا على المستوى الداخلي، واستخدامها كقوى مساندة لأي صراع يهدد الأمن الخارجي لإيطاليا، وتكون في أوقات السلم عناصر لإنتاج الغذاء، بينما تكون الغاية الاجتماعية في حماية المستوطنين وضمان فرص العمل، ومنح حقوقهم لا سيما حق التملك لتعزز مكانتهم وتحفظ كرامتهم (وثائق المركز الزراعي ج2، الوثيقة رقم 9؛ زيادة، 1978م، ص120).

ويتوافق مع تلك الرؤيا ليسونا على أن ليبيا يمكن أن تعطي الأراضي الزراعية الكافية لامتناس 100 ألف عائلة، ويمكن أن تتضاعف على المدى البعيد حتى تصل لاستيعاب 500,000 نسمة، واعتبر أن الاستيطان المكثف سيحقق الغايات السياسية والاقتصادية والديموغرافية (سيجري، 2006م، ص181). وفي عام 1934م صدر القانون الأساسي رقم 2012 الذي يقضي بتوحيد ولايتي: طرابلس وبرقة؛ لتصبح فعلياً مستعمرة واحدة تحت اسم ليبيا (بريتشارد، د.ت، ص340).

وبموجب المرسوم الملكي بالقانون رقم 2038 الصادر في 11 أكتوبر 1934م، تم فيه تمديد اختصاصات مؤسسة تعمیر برقة (الأنتي) إلى ولاية طرابلس، وأنشأت مقرأ لها في سنة 1935م، واستهلت عملها بإنشاء قرى زراعية في منطقة ترهونة، على مساحة زراعية قدرها 5,00 هكتار، وفندق التوغار بمساحة 1,235 هكتار، والعزيزية على مساحة 5,569 هكتار (الشركسي، 1976م، ص74)، ومستوطنة جودائم (أوليفيتي) ومساحتها 1657 هكتاراً، وقسمت على 50 مزرعة تم إنجاز المشروع، وسلم للعائلات الإيطالية في أواخر 1938م (ديبوا، 1968م، ص206؛ أبونقمة، 1998م، ص21).

ويبدو أن الحكومة الإيطالية، قد فضلت الاعتماد على المؤسسات، والشركات في تنفيذ

خطتها المعدة لبرنامج الاستيطان المكثف، الذي سار في الاتجاه نفسه بالمنطقة الشرقية، حيث تم منح الامتيازات الزراعية لشركة الأنتي، وطبقاً للإحصاء الزراعي الصادر في 1937م، أصبحت تسيطر على 50 % من إجمالي الامتيازات الممنوحة هناك، والتي قدرت مساحتها الزراعية 60,738 هكتار (مور، 1989م، ص56).

وشرعت الشركة الرائدة في المجال الاستيطاني والمسماة الإنبس (المعهد الفاشستي للضمان الاجتماعي)، في نشاطها الاستيطاني، في سنة 1935م، وخصص لها 4700 هكتار بمنطقة بئر ترينة، وتبعد عن طرابلس حوالي 30 كيلو متراً (سيجري، 2006م، ص179). كما شاركت الأنتي في إقامة مستوطنة كريسي (طمينة)، وانطلق العمل فيها سنة 1935م، وخصصت لها 10,000 هكتار تقوم الشركة بتقسيمها على 470 مزرعة، وتمتاز بكثرة المخزون الجوي من المياه، وهو ما يسهم في نجاح التنمية الزراعية، ويضمن إنتاجيتها العالية (مجلة ليبيا المصورة، 1937م، ص7). أما مستوطنة جودا (الكراريم) الواقعة جنوب شرق مصراتة، فقد باشر العمل بها في سنة 1935م، وخصص لها 2228 هكتاراً، وقسمت إلى 100 مزرعة على أن تكون مساحة كل مزرعة محصورة ما بين 10 إلى 15 هكتاراً (ديبوا، 1968م، ص205-206). ولبيان نشاط شركة الأنتي نورد الجدول التالي (أبولقمة، 1998م، ص65).

ويختص ببيان المناطق الزراعية المخصصة لشركة الأنتي:

عدد المزارع	مساحة غابات	المساحة بالهكتار		المركز	
		المستغل	المجموع	الاسم الحالي	الاسم
49	50				
129	5	1,470	1,657	جودائم	أوليفيتي
27	150	500	715	خططت فقط	المعمورة
30	20	810	1,235		التوغار
100	20	1,200	5,569		العزيزية
370	50	1,220	2,228	الكراريم	جودا
314	314	3,700	9,140	طمينة	كريسي

168	168	9,420	19,869	الدافنية	غاريبالدي
--	--	8,400	14,085	الخضراء	بريفيليري
--	--	----	500	خططت فقط	نعيمة
1,187	1,187	26,720	55,058		المجموع

أما ما قامت به الإنبس فيتضمن المناطق الواردة في الجدول التالي (أبولقمة، 1998م، ص 66).

المناطق الزراعية المخصصة لشركة الإنبس في غرب ليبيا:

عدد المزارع	مساحة غابات	بالهكتار	المساحة	الاسم الحالي	المركز
		المستغل	المجموع		الاسم
72	5	1,282	1,393	جودائم	أوليفيتي
19	417	239	354	الحشان	الحشان
167	105	4,163	6,621	الزهراء	بيانكي
189	410	4,725	5,207	الناصرية	جوردانيا
168	400	3,758	4,843	العامرية	ميكا
65	----	1,625	2,200	القره بولي	كاستيلفري
666	----	2,560	2,973	غنيمة	كوارديني
150	----	6,684	8,282	القصيعة	ماركوني
180	----	1	55	سيدي الصيد	ترهونة
1,676	1,337	36,093	46,628		المجموع
2,863	1,692	62,813	101,686		المجموع العام

ويلاحظ القارئ من الجدولين السابقين، الاستحواذ على الأراضي الخصبة في غرب ليبيا، وهذا يأتي في إطار إنجاز البرنامج الاستيطاني، وتحقيق الغايات الاقتصادية المرجوة منه، أما فيما يخص نشاط شركتي: الأنتي والإنبس فكانت نسبة نجاح الأولى

في تنفيذ برامج الاستصلاح الزراعي بنسبة 50 ٪ من المساحة الإجمالية، بينما وصلت الإنبس إلى 60 ٪ من المساحة الإجمالية.

أما بالنسبة للمنطقة الشرقية، فقد قامت شركة الأنتي سنة 1933م بتنفيذ قرية بيدا ليتوريا «Beda Littoria» ولويجي دي سافوي «Luigi de savoia» وفي سنة 1934م، أسست قرية لويجي رازا «Luigi raza» وجيوفاني بيرتا «Givoani Berta» وعند تولي بالبو منصبه حققت الشركة توطين (150) عائلة، وعندما اكتملت القرى الأربع كانت موطناً لاستيعاب (300) عائلة، كما أسست قرية مادالينا «Madalena» في سنة 1936م (بوكا، 2010م، ج/2-335-337؛ سيجري، 2006م، ص178). ويوضح الجدول التالي الأماكن والمساحات المخصصة لها، وعدد السكان (المستوطنين) بها (أبولقمة، 1998م، ص56).

عدد السكان		عدد المزارع		المركز	
2429	1549	337	14670	بطة	أوبران
1063	1016	112	2857	مسه	راتزا
1767	1735	168	4038	زاوية البيضاء	ت.ليتوريا
1106	961	137	4140	قرنادة	باتيستا
256	- - - - -	70	2190	عمر المختار	ماميلي
1114	1107	122	2335	الأبرق	سافويا
225	237	90	2771	القبه	ج.برتا
814	- - - - -	120	7290	الحمده	فيليري
228	- - - - -	39	1170	بوزويتينه	ساورو

وبالنظر في الجدول السابق، يتضح للباحث أن السلطات المختصة أوكلت مهمة تنفيذ تلك القرى الزراعية لشركة الأنتي، وكانت مساهمتها منفردة في شرق ليبيا، وانعكس ذلك النجاح في تكوين مزارع للمستوطنين، والتي قاربت ألفين مزرعة؛ لتكون مساهمتها ناجعة على الصعيدين: الاقتصادي والاستيطاني من خلال الزيادة الواضحة في أعداد المستوطنين، بما يوازي 30 ٪ في ظرف ستة أشهر، فالغاية هي توطين الجنس الإيطالي



على أجود الأراضي الليبية، والتعمم بخيراتها، والسيطرة على منتجاتها؛ لتمثل الرافد المادي الداعم لوجودهم، وتحت حماية قواتهم العسكرية.

وكانت المفاهيم التي تأسست عليها الشركات الاستيطانية من بنات أفكار أرماندو موجيني «Armando Maugini» (سيجري، 2006م، ص128)، وهو من الخبراء الزراعيين، الذين عملوا في ولاية برقة فترة الحرب العالمية الأولى (1914 - 1919م)، وقام بتنظيم الخدمات الزراعية فيها، أما عرابها فهو السياسي لويجي رازا «Luigi Zara»، وله باع طويل في تنظيم واستغلال العمالة بالنشاط الزراعي (سيجري، 2006م، ص180).

وكل تلك المعطيات السابقة كانت بمثابة الأسس بالنسبة للحاكم بالبو لكي يقوم بعرض مشروعه الكبير والإعلان عن انطلاق برنامج الاستيطان المكثف، الذي نادى به منذ الوهلة الأولى، وفي أواخر سنة 1937م، اغتتم فرصة زيارة زعيم الفاشية موسوليني، وعرض عليه الأمر، فكانت الموافقة صريحة بالتنفيذ خاصة بعدما شاهد أثناء زيارته لليبيا المزارع الخضراء بمدينة المرج (ديبوا، 1968م، ص204).

وانطلقت العملية يوم 17 مايو 1938م، وصدر المرسوم الملكي رقم 701 ونص صراحة على الاستعجال والسرعة لتبني التدابير، والإجراءات التي تكفل ضمان الدعم المادي، والمعنوي لنجاح التعمير الاستيطاني المكثف، وتمت الاستعانة بمؤسستي: تعمير ليبيا الأنتي، والإنس اللتين كانتا لهما الخبرة في هذا المضمار لتجسيد المشروع الضخم، والحلم الكبير لبالبو، ليصبح حقيقة ملموسة على أرض الواقع، وبالتالي قام الحاكم العام بمنح الأراضي لتلك المؤسسات دون أي مقابل للبدء في استصلاحها كما لم يبخل على تقديم الدعم المادي لهما لبناء المنازل، والخدمات الضرورية لكل قرية مستهدفة للاستيطان، بغية توفير المناخ الملائم وما يتطلبه المستوطن، وأفراد عائلته من مدارس، وخدمات صحية وأماكن للعبادة والترفيه؛ لأنهم هم عماد التجربة، وعليها يتوقف الفشل أو النجاح (وثائق المركز الزراعي ج2، الوثيقة 9؛ بوكا، 2010م، ج2/339).

ولم يكن الاستيطان البشري هو الهدف المنفرد فقط، وإنما سيتحقق في ظلّه نتائج أخرى لها ارتباط وثيق بنجاحه، مثل تدعيم الوجود العسكري على الأرض الليبية، وقطع الطريق على الدول الأوروبية المحيطة بليبيا، والتريص بها من شرقها وغربها (العقاد، د. ت، ص45). وبذلك يتضح أن خطة الاستعمار الإيطالي تشير لتحقيق التمرکز والبقاء بالأرض

الليبية، وحرصها الشديد للسيطرة على مناطقها الخصبة والصالحة للزراعة، وبالتالي التحكم في قدرتها الإنتاجية، فضلاً على امتصاص الفائض السكاني من الوطن الأم إيطاليا، وتوجيههم لمستعمرتهم الذين حرصوا على أن تكون إحدى المقاطعات الإيطالية وصبغها باللون الإيطالي ليتكيف فيها المستوطنون ولا يضجرون من وجودهم فيها (أبوشارب، 1981م، ص69).

ولضمان نجاح المشروع الاستيطاني، تم وضع شروط على المواطنين الإيطاليين المستهدفين بتطبيقه، وتم تعيين موظفين ونقابيين أرسلوا للمحافظات الإيطالية لانتقاء الأفضل بالتعاون مع متصرفية الهجرة الداخلية، وقام الحزب الفاشي عن طريق أمنائه بالمحافظات بتسهيل عملهم وضمان سيره بكل دقة، ومن تلك الشروط:

1 - أن تكون العائلات المستهدفة لها الخبرة في العمل الفلاحي، ومستعدة لتحمل مشاق الحياة وخدمة الأرض.

2 - تم منح الأولوية للعائلات الكبيرة الغنية بتوفر العناصر البشرية القادرة على العمل والإنتاج، مع مراعاة أن يكونوا متعلمين، وبخاصة فئة الشباب منهم.

3 - أن تكون العائلات منضوية تحت الحزب الفاشي، ومؤمنة بأفكاره، وتطلعاته (ملف وثائق المركز الزراعي ج2، وثيقة رقم 9).

وقد تجاهل الحزب الفاشي، وممثله بالبو إقرار توازن بين المناطق الإيطالية في ذلك المشروع وحظيت مناطق الشمال بنسبة 79٪ وبما يوازي 1800 عائلة، بينما كانت نسبة الجنوب الإيطالي 21٪ وبما يوازي 367 عائلة، وقسمت الأسر بين مؤسستي التعمير، وأخذت الأنتي على عاتقها توطين 1400 عائلة، بينما خصصت للإنبس توطين 400 عائلة (بوكا، 2010م، ج2/342؛ بيشون، 1991م، ص196). وتعود أصول جميع العائلات لسبع أقاليم طبقاً للجدول التالي (سيجري، 2006م، ص262).

الذي يوضح المدن التي ينحدر منها المستوطنون:

الإقليم والمقاطعة	عدد العائلات	الإقليم والمقاطعة	عدد العائلات
إقليم البندقية		إقليم ابرزوي	
بادوفا	223	اكويلا	39

23	كيبي	228	روفيجو
22	بيسكارا	5	ترينتو
8	تيراموا	100	تريفنز
	إقليم بولي	45	أودينا
57	باري	211	البندقية
30	فوجيا	101	فيرونا
13	ليتشي	119	فيتشينزا
	إقليم كلابريا		إقليم لومباردي
28	كاتنزارو	13	بيرجامو
16	كوزينزا	25	بريشا
15	ريجيوكلابريا	51	مانتوفا
	إقليم صقلية		إقليم اميليا
13	أجريجينيوتو	27	بولونيا
17	كالتانيسستا	135	فيرارا
19	كاتانيا	21	فورلي
16	أنا	57	مودينا
8	ميسينا	11	بارما
23	راجوزا	61	ريجيواميليا
20	سيراكوزا		

وفي يوم 28 أكتوبر 1938م، كان موعد السفر الموعود لليبيا احتفاءً بالعيد السادس عشر للزحف على روما من قبل الحزب الفاشي (بيشون، 1991م، ص196؛ سيجري، 2006م، ص203)، حيث أبحرت خمس عشرة سفينة من مينائي: جنوة ونابولي، وكان على متنها عشرون ألف مستوطن إيطالي، وحرص موسوليني على أن يكون من ضمن المودعين

للقافلة المتجهة نحو ليبيا قائلاً لهم: بأنهم سيشكلون كتائب العمل الجديد بالمستعمرة الليبية، وإليهم سيعود الفضل في إحياء الإمبراطورية الرومانية الجديدة (مور، 1989م، ص87 - 91). ووصلت القافلة البشرية من المستوطنين إلى طرابلس في مستهل نوفمبر 1938م، وكان في مقدمة المستقبلين المارشال بالبو، الذي حرص على إقامة حفل كبير في ساحة قصر الوالي احتفاءً بقدمهم (بوكا، 2010م، ج2/ 343؛ شكري، 1999م، مج1/ 169). وتم توزيعهم على تسع قرى زراعية خمس منها في طرابلس، والبقية في سهول الجبل الأخضر، وكانت التكلفة المادية في تجهيز كل ما يحتاجه أولئك المستوطنون من مزارع وخدمات قد بلغت ما يعادل 20 مليون دولار أمريكي (مور، 1989م، ص87 - 91).

وحمل شهر يناير 1939م مرسوماً ملكياً، تم فيه الإعلان على أن ليبيا جزء لا يتجزأ من المملكة الإيطالية، وأصبحت محافظات الأربع: طرابلس، وبنغازي، ودرنة، ومصراة تحت السيادة الإيطالية، حتى لا يشعر المستوطنون بأنهم تركوا ديارهم وانتقلوا لأرض مجهولة، وغريبة عن بيئتهم، بل صارت ليبيا تعني لهم ولحكومتهم الشاطئ الرابع لروما (بروشين، 1988م، ص224؛ بريشارد، د. ت، ص361؛ فاوتر، 1988م، ص255 - 256). إذاً كل شيء يجب أن يكون في خدمة المستوطن الإيطالي، القوانين والتشريعات والأراضي والتسهيلات وتوفير الخدمات، تتحد كلها لتخلق مناخاً مناسباً ومشجعاً على توافد الجنس الإيطالي وبروزه بالمجتمع الليبي.

وانطلقت الهجرة الثانية في أواخر أكتوبر 1939م، بعد أن قامت مؤسسة الأنتي بتشيد تسع قرى لاستقبال المستوطنين الجدد، ست منها في طرابلس، والثلاث الباقية في برقة، وتتضمن جميعها 1600 مزرعة، لتؤمها 1100 عائلة جديدة وصلت لليبيا (ديبوا، 1968، ص206؛ سيجري، 2006م، ص214). حيث تم توجيه 5,586 مستوطن إلى برقة، وفي مستهل 1940م، بدأت المشاورات حول إرسال الدفعة الثالثة للمستوطنين المقدر عددهم بألف عائلة، غير أن دخول إيطاليا في الحرب العالمية الثانية جعل هذا المخطط غير قابل للتفيذ (بوكا، 2010، ج2/ 346؛ ديبوا، 1968م، ص206؛ فاوتر، 1988، ص258). فتقلص برنامجها الاستيطاني بعد أن دخلت في الحرب العالمية الثانية لجانب ألمانيا ليشكلاً محوراً مشتركاً ضد دول الحلفاء، الذين كتب لهم النصر والقضاء على النازية الألمانية، والفاشية الإيطالية، وتخرج الأخيرة جارة معها ذيول الهزيمة من الأرض الليبية بعد أن حلمت بأنها ملك قديم وتراث تليد لحضارتها الرومانية.

## الخاتمة:

لقد أفرزت سياسة الاستيطان الإيطالية، الاستيلاء على أغلب الأراضي الخصبة، ونتج عن تلك العملية نزوح الكثير من الأهالي لمدنهم وقراهم وأريافهم، وجعلت الطريق فسيحاً للمستوطنين الإيطاليين الذين مكنتهم من امتلاكها، وعلى الرغم من الدعم المادي لبرامج الاستيطان من قبل الحكومة الإيطالية، غير أنه لم يصل للمستوى المطلوب وتكوين توازن ديموغرافي مع السكان الليبيين الذين تم الاستحواذ على أراضيهم وممتلكاتهم، بل واستغلال جهدهم وعرقهم في تأسيس تلك المشاريع الاستيطانية.

وخلاصة القول إن الإيطاليين لم تنجح سياستهم الاقتصادية بأن تكون ليبيا الشاطئ الرابع لدولتهم الرومانية ومخرجاً للتخلص من فائضهم السكاني ومورداً لدعم خزنتهم المالية.

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولاً فهرس الوثائق

1 - الوثائق المحفوظة بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ( الوثائق غير المنشورة )

أ - الوثائق العربية

- ملف الأحكام رقم 32.

- ملف الوثائق الاقتصادية رقم 42.

ب - شعبة الوثائق الأجنبية

- مجموعة من قوانين الجريدة الرسمية.

- ملف بحوث ومقالات وفصول مترجمة.

- ملف وثائق المركز الزراعي ج 2.

- ملف نوبا انتولوجيا رقم 2.

### ثانياً فهرس الرواية الشفوية

1 - ابريدان، السنوسي ابريدان، رواية شفوية، ضمن موسوعة روايات الجهاد رقم 13، تاريخ المقابلة 1982م، إعداد مصطفى سعد الهانين، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م.

2 - اجدير، علي المبروك، رواية شفوية، ضمن موسوعة روايات الجهاد رقم 3، تاريخ المقابلة 1 - 7 - 1797م، إعداد خليفة محمد الدويبي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،

طرابلس، 1985م.

3 - حقيق، محمد حقيق، رواية شفوية، ضمن موسوعة روايات الجهاد رقم 33، تاريخ المقابلة 28 - 5 - 1797م، إعداد خليفة اسماعيل الخرز، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1992م.

### ثالثاً فهرس الكتب العربية والأجنبية المترجمة

- 1 - أبولقمة، الهادي مصطفى، دراسات ليبية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998م.
- 2 - أبولقمة، الهادي مصطفى، « الاستيطان الإيطالي في ليبيا »، ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911 - 1943م، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعة الحسناوي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م، ط2، ج2.
- 3 - بثشولي، انجلو، إيطاليا ما وراء البحار الجزء المتعلق بليبيا، ترجمة شمس الدين عرابي، مراجعة صلاح الدين السوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م.
- 4 - بروشين، ن. أ.، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، ترجمة عماد حاتم، مراجعة ميلاد المقرحي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.
- 5 - بريشارد، ا. ا. ايفانز، السنوسيون في برقة، ترجمة عمر الديراوي أبوحجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ( د . ت ).
- 6 - بوكا، انجيلو ديل، الإيطاليون في ليبيا، ترجمة محمود علي التايب، مراجعة عمر محمد الباروني، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2010م، ج2.
- 7 - بيشون، جاك، المسألة الليبية في تسوية السلام، ترجمة علي ضوي، مراجعة صالح المخزوم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م.
- 8 - التليسي، خليفة محمد، معجم معارك الجهاد، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1973م.
- 9 - التليسي، خليفة محمد، ما بعد القرضابية، دار الكتاب العربي، طرابلس، 1987م، ط2.
- 10 - دييوا، جان، الاستعمار الإيطالي في ليبيا طرقه ومشاكله، ترجمة حيدر هاشم، بنغازي، 1968م.
- 11 - روشا، جورجو، « قمع المقاومة في برقة 1927 - 1931م » ضمن كتاب عمر المختار وإعادة الاحتلال الإيطالي الفاشي لليبيا، ترجمة سالم عبدالرحمن العجيلي، تقديم عقيل محمد البربار، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.
- 12 - الساقزلي، عبداللطيف سليمان، الضمير البشري المثالي هو الطريق لتحقيق السلام العالمي الأمثل، دار ممفيس للطباعة، القاهرة، 1965م، ج1.

- 13 - سيجري، كلوديو، الشاطئ الرابع الاستيطان الإيطالي في ليبيا، ترجمة عبدالقادر مصطفى الوحيشي، مراجعة عقيل محمد البربار، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م.
- 14 - الشركسي، محمد مصطفى، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1976م.
- 15 - شكري، محمد فؤاد، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1999م، ط 11، مج 1.
- 16 - العقاد، صلاح، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ( د . ت ).
- 17 - فاوئر، جيرى لين، الاستيطان الزراعي الإيطالي في ليبيا منطقة طرابلس، ترجمة عبدالقادر مصطفى المحيشي، مراجعة عبدالله إبراهيم على، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.
- 18 - فهمي، عايده، يوميات من تاريخ عمال ليبيا، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، 1974م.
- 19 - مور، مارتن، الاستيطان الزراعي الشامل في ليبيا، ترجمة عبدالقادر مصطفى المحيشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م.
- 20 - ميخائيل، هنري أنيس، العلاقات الإنجليزية الليبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1970م.
- 21 - نوفل، أفندي نعمة الله نوفل، مجموعة التنظيمات العثمانية ( الدستور)، مراجعة خليل أفندي الخوري، المطبعة العربية، بيروت، مادة 4 من قانون الأراضي، مج 1.

#### رابعاً فهرس الدوريات

- 1 - أبوشارب، محمد علي، « مراحل الاستعمار الاستيطاني في ليبيا 1911 - 1943م»، مجلة الشهيد، العدد الثاني، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1981م.
- 2 - البربار، عقيل محمد، «المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي 1911 - 1932م دراسة في الأسباب والأنماط»، مجلة البحوث التاريخية، العدد 1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1990م.
- 3 - ايليو، جوزيبي ماركوس، « التوطن الأوربي في أفريقيا الشمالية» من بحوث المؤتمر الأول للدراسات الاستعمارية بفرنسيا 1931م، دراسة وتحقيق خليفة سالم الأحول، مجلة البحوث التاريخية، السنة 27، العدد الثاني، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.
- 4 - ريتشي، ايتوري، « دراسة نقدية وتحليلية لخارطة طرابلس السكانية» من بحوث المؤتمر الأول للدراسات الاستعمارية بفلورنسا، دراسة وتحقيق خليفة سالم الأحول، مجلة البحوث التاريخية،

## صعوبات التعلم النمائية وعلاقتها بالسلوك المشكل لدى عينة من أطفال الروضة بمنطقة الأصابعة

أ.وليد كريم المنتصر فرفر\*

### ملخص البحث

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة مدى العلاقة بين صعوبات التعلم النمائية، والسلوك المشكل لدى عينة من أطفال الروضة بمنطقة الأصابعة، وتكونت عينة الدراسة من (22 طفلاً) بواقع (13 طفلاً، 09 طفلات) تم اختيارهم من ثلاث مدارس للروضة وهي (الأجيال - أطفال المستقبل - فيلادلفيا). وقد طبق على العينة ثلاثة مقاييس هي (بطاريات صعوبات التعلم النمائية سهير كامل 2010، واختبار السلوك المشكل لبطرس حافظ سنة 2010، واختبار (رأفن) لمصفوفات الذكاء وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين صعوبات التعلم النمائية، والمشكلات السلوكية لدى أفراد العينة. وأنه كلما كان الطفل يعاني من صعوبات تعلم نمائية كانت هناك احتمالية كبيرة في زيادة المشكلات السلوكية لديه .



## المقدمة:

تعتبر صعوبات التعلم من المجالات الحديثة نسبياً التي أزداد مفهومها تبلوراً، ووضوحاً للدلالة على خصائص محددة بدأ من ستينيات القرن العشرين الميلادي، وقد ظهرت كمجال مستقل ضمن ميدان التربية الخاصة، بعد أن ظلت لفترة ليست بقصيرة عرضة للتداخل مع غيرها من المفاهيم والمجالات سواء من حيث التشخيص أم العلاج، وقد أسهمت علوم كثيرة في دراسة صعوبات التعلم كعلم النفس، والطب، والتربية، والاعصاب. وتعددت وجهات نظرهم بتعدد هذه التخصصات وأدى ذلك الى عدم الوصول الى اتفاق معنى صعوبات التعلم، ويعود الفضل الى صمويل كيرك في اشتقاق مصطلح صعوبات التعلم. (القماطي:2012،7)

ولصعوبات التعلم آثار سلبية على سلوكيات الطفل نتيجة لما يحس به من مظاهر الفشل المختلفة مقارنة بزملائه مما تجعله يعاني من بعض الانحرافات السلوكية مثل العناد، والغضب والعدوانية، وغيره وفي بعض الاحيان يلجأ الآباء إلى محاولة تعديل سلوك ابنائهم بالعنف تارة واللين تارة. ويتم تعديل السلوك المشكّل غالباً دون معرفة الأسباب التي أدت إليه، فتكون النتيجة تعديلاً مؤقتاً للسلوك وتكرار السلوك المشكّل بعد الانتهاء من التعزيز المطلوب. وتتفاقم المشكلة لا شعورياً عند الطفل نتيجة لشعوره بالحرمان من إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية، والحاجة إلى إثبات الذات، والحاجة إلى التقبل، والحاجة إلى احترام مشاعره. ويمكن اشباع هذه الحاجات الملحة بسهولة ويسر في مراحل النمو المختلفة من الأبواب المعروفة والأنشطة الضامنة لنمو شخصيته؛ كالنشاط اللعبي، ولعب الأدوار الاجتماعية. كما أوضحت بحوث ونظرية فيجوتسكي. وإذا أشبعت هذه الحاجات ينجح الطفل في التفاعل الاجتماعي، وتشبع لديه متطلبات نمو الشخصية. ولا بد للوالدين أن يكون لهما دور واضح في تعليم أطفالهما المهارات التي تمكنهم من الاندماج في المجتمع، والتعاون مع رفاقهم والاشترك في الأنشطة المختلفة. حتى يكتسبوا الخبرات المختلفة ويتعلموا كيف يكونون أعضاء نافعين في المجتمع ويتمتعون بشخصية راشدة ناضجة سوية نفسياً، ولديها حب وتقبل وثقة بالنفس، وانفتاح، وتواصل مع الآخرين لذا لا بد من الوالدين أن يكون سبيلهما لإشباع متطلبات نمو شخصية طفلها من خلال التواصل، والاستثمار، وتوظيف قدرات الطفل في سلوكيات مشبعة للاحتياجات النمائية في هذه المرحلة. والدراسة الحالية تتمثل في معرفة مدى العلاقة بين صعوبات التعلم النمائية، والسلوك المشكّل لدى طفل الروضة.

**مشكلة الدراسة :**

وتتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤل التالي :

س / هل توجد علاقة بين صعوبات التعلم النمائية، والسلوك المشكل لدى أطفال الروضة؟.

اهداف الدراسة : تتمثل أهداف الدراسة الحالية في الآتي :

- 1 : التعرف على بعض المشكلات السلوكية لدى أطفال الروضة.
- 2 : الكشف على صعوبات التعلم النمائية لدى أطفال الروضة .
- 3 : التعرف على مدى العلاقة بين المشكلات السلوكية وصعوبات التعلم النمائية.

**أهمية الدراسة**

● تقدم الدراسة الحالية تراثاً نظرياً يوضح تعريفات لصعوبات التعلم النمائية أسبابها وتطبيقاتها، وتشخيصها، والنظريات المفسرة لها، والاستراتيجيات المستخدمة في التعامل مع ذوي صعوبات التعلم النمائية. والسلوك المشكل كالعدوان، والغضب، والخجل، والعدا.

● وكما تساعد أيضاً على التعرف على أهم المشكلات السلوكية وتبين أثرها في تعلم الطفل في الروضة .

● وتهتم هذه الدراسة في توجيه أنظار الأساتذة، والمربين، والمسؤولين، والقائمين على رياض الأطفال . وذلك بإعطاء صورة واضحة عن صعوبات التعلم النمائية، والسلوك المشكل لدى الأطفال في الروضة؛ لأن الطفولة يسهل بناؤها، وتشكيلها جسمياً، وحركياً، ونفسياً.

**فروض الدراسة :**

توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية عند مستوى ( 0.05 ) بين بعض المشكلات السلوكية وصعوبات التعلم النمائية لدى أطفال الروضة .

**حدود الدراسة:**

تقتصر الدراسة الحالية على دراسة صعوبات التعلم النمائية، وعلاقتها بالسلوك المشكل لدى اطفال الروضة الذين تتراوح اعمارهم بين 4 - 6 سنوات بمنطقة الأصابعة للعام الدراسي 2017/2016

### مصطلحات ومفاهيم الدراسة :

1. تعريف صعوبات التعلم النمائية: هي عبارة عن اضطراب في جانب، أو أكثر في الوظائف العقلية، أو النفسية التي تشمل الذاكرة، والادراك، والانتباه، والتخيل، وحل المشكلات، وفهم واستخدام اللغة، والتعبير بالكلام والكتابة والقيام بالعمليات الحسابية وان الاضطراب لا يكون ناتجاً عن وجود إعاقات ظاهرة عند الفرد. (حسني: 2007، 41)
2. تعريف الإدراك: هو قدرة الفرد على القيام بتنظيم تلك المثيرات التي سبق انتقاؤها، والتركيز عليها، والانتباه لها وبالتالي فهو عملية عقلية تالية للانتباه، ومكملة له في سبيل التمكن من معالجة المثيرات ذهنياً في إطار ما يمكن قد مر به من خبرات سابقة والتعرف عليها وتميزها وهو الامر الذي يمكن من إعطائها معانيها الصحيحة ودلالاتها المعرفية المختلفة
3. تعريف الذاكرة : هي القدرة على الاحتفاظ بما مر بالفرد من خبرة ومعلومات ومواقف وأحداث مختلفة ومتعددة وغيرها، ثم القيام باستدعائها جزئياً، أو كلياً وقت الحاجة إليها سواء تم ذلك بصورة متسلسلة، أو حرة
4. تعريف الانتباه : هو قدرة الفرد على انتقاء المثيرات وثيقة الصلة بالموضوع من بين مجموعة كبيرة من المثيرات والإحساسات المتنوعة التي يتعرض لها الافراد كالمثيرات السمعية والبصرية، واللمسية وغيرها من المثيرات الحسية المختلفة التي يصادفها، والتركيز عليها للمدة الزمنية التي تتطلبها تلك المثيرات، والاستجابة لها. (عبدالله 2006 : 136 )

### التعريف الإجرائي لصعوبات التعلم :

يقصد بصعوبات التعلم النمائية إجرائياً هي الدرجة التي يتحصل عليها المبحوث في بطارية صعوبات التعلم التي تتعلق بالوظائف المخية، أو الدماغية، وبالعمليات المعرفية. (الانتباه، المعالجة المعرفية المتتابعة، المعالجة المعرفية المتزامنة، التخطيط) (أعداد: سهير كامل، بطرس حافظ، 2010)

ثانياً. السلوك المشكّل : يعرف بأنه سلوك يتضح عندما يسلك الفرد سلوكاً منحرفاً بصورة واضحة عن السلوك المتعارف عليه في المجتمع الذي ينتمي اليه الفرد. بحيث يتكرر هذا السلوك باستمرار ويمكن ملاحظته، والحكم عليه من قبل الراشدين الاسوياء ممن لهم علاقة بالفرد .

1 - **العناد**: هو ظاهرة مشهورة في سلوك بعض الأطفال، وفيه لا ينفذ الطفل ما يؤمر به، أو يصر على تصرف ما، ويعتبر العناد من بين النزعات العدوانية عند الأطفال، وكما هو من اضطرابات السلوك الشائعة، وقد يحدث لفترة وجيزة، كما هو ظاهرة سلوكية تبدأ في مرحلة مبكرة من العمر. (مصطفى: 2012، 108)

2. - **العدوان**: هو كل سلوك نشط فعال تهدف العضوية من ورائه الى سد حاجاتهم الأساسية، أو غرائزهم، وبهذا المعنى الواسع يشمل العدوان كل الفعاليات الإنسانية المتجهة نحو الخارج المؤكدة للذات، الساعية وراء سد حاجات الذات الأساسية، أكانت هذه الحاجات من بين حاجات الجنس، البناء، التملك، أم غير ذلك. (القمش، المعاينة: 2013، 202).

3 - **الخجل**: يعرف بأنه خبرة عدم الراحة، الكف، عدم الموائمة في المواقف الاجتماعية، وخاصة في المواقف مع الافراد غير المؤلفين. (القمش، المعاينة: 2013، 223)

4 - **الغضب** يمكن التعرف عليه من خلال الاشارات مثل (الشد علي الاسنان وضغط الشفاه أو تكشيرها عن الاسنان، واحمرار الوجه والعبوس وربما تضيق فتحتا العينين ويتوسع المنخران وتشدد عضلات الرقبة ويكثر البكاء ويعلوا الصراخ، ويبداء الضرب، والركل أو حتي العض ومما يدل ايضاً علي الغضب الانسحاب بحزن وكآبة). (كريمان ومحمد بدير، 2012: 119)

#### التعريف الاجرائي للسلوك المشكل.

يشير اليه في هذه الدراسة بانه الدرجة التي يتحصل عليها الطفل في اختبار السلوك المشكل. (أعداد: سهير كامل، بطرس حافظ)

#### إطار نظري ودراسات سابقة :

أستعرض الباحث في هذا الفصل متغيرات الدراسة في مبحثين حيث أتناول في المبحث الأول صعوبات التعلم النمائية، وما هي اسبابها، وأنواعها، وعلاقتها ببعض المتغيرات، وفي المبحث الثاني تناول متغير السلوك المشكل، وأرى ضرورة تناول هذه المتغيرات من أجل نظرة أكثر عمقاً: لتوضيح متغيرات الدراسة .

#### المبحث الأول: صعوبات التعلم :

يحتل مجال صعوبات التعلم في الآونة الاخيرة مكاناً بارزاً بين المجالات المختلفة

لميدان التربية الخاصة. وذلك نتيجة للاهتمام المتزايد في الربع الاخير من القرن العشرين. من قبل الاباء، والمعلمين، واخصائيي التربية الخاصة، وعلماء النفس والتربية، والاطباء واخصائيي العلاج الطبيعي، والاختصاصيين النفسيين، وغيرهم من المهتمين بتربية وتعليم الاطفال، في محاولات دائمة ومستمرة للتعرف على حالات من يعانون صعوبات في التعلم وتقديم برامج التدخل العلاجي الملائمة للتغلب على صعوباتهم أو التخفيف من حدتها قدر الامكان .

### تعريف صعوبات التعلم:

يوجد اختلاف بين المهتمين بموضوع صعوبات التعلم سواء من الأكاديميين أم من المهتمين حول التعريف الدقيق لهذه الفئة، وقد يرجع هذا الاختلاف إلى عدم الاتفاق حول بعض الأسس النظرية الأساسية المكونة للمصطلح، وعلى الرغم من اختلاف العلماء في صياغة التعريفات إلا أنهم يتفقون على خصائص الأطفال ذوي صعوبات التعلم إن البدايات المبكرة لمحاولات وضع تعريف محدد لمفهوم صعوبات التعلم على يد ( صموئيل كيرك) (Samuel kirek) حيث عرف (صعوبات التعلم بأنها الحالة التي يظهر صاحبها مشكلة أو أكثر من الجوانب التالية، القدرة على استخدام اللغة وفهمها، والقدرة على الإصغاء، والقدرة على التفكير والكلام، والقراءة والكتابة، واستبعاد الحالات التي تعاني من مشكلات تعلم بسبب التأخر العقلي، أو الحرمان الحسي، أو البيئي، أو الثقافي، وأرجع الصعوبة في بعض أسبابها إلى الاضطرابات السلوكية والانفعالية، ولم يضع محكات إجرائية لتشخيص ذوي صعوبات التعلم. (ملحم 2002 : 281) وكما يشير للأطفال ذوي صعوبات التعلم بأنهم هؤلاء الأطفال الذين يظهرون اضطراباً واضحاً بين مستوى الأداء العقلي المتوقع وبين المستوى الفعلي المرتبط بالاضطرابات الأساسية، وقد تنشأ تلك الاضطرابات عن الاختلال الوظيفي للعصب المركزي، في حين أنها ترتبط بالتخلف العقلي العام والاضطراب الوجداني أو الثقافي أو غياب الحواس. (سالم، الشحات، 2006 : 24) وكما يشير للأطفال الذين تم تشخيص حالتهم على أنهم يعانون من خلل وظيفي بسيط في المخ، وهم أولئك الذين يقع معدل ذكائهم ضمن المعدل الطبيعي للذكاء، ويعانون من صعوبات في التعلم، أو السلوك، وتتراوح ما بين خفيفة وحادة، وتنتج هذه الصعوبات عن انحرافات بسيطة ناتجة عن متغيرات جينية، أو شذوذ كيميائي حيوي، أو أذى للمخ قبل الولادة، أو أمراض، أو إصابات تحدث خلال مرحلة نمو الجهاز العصبي المركزي

ونضجه، والتي تؤثر على الإدراك واللغة وعلى كبت الحوافز والتحكم في الجوانب الحركية. وكما يشير إلى مصطلح الصعوبات النفس عصبية للتعلم التي تحدث في أي سن، والتي تنتج عن خلل في وظائف الجهاز العصبي المركزي والتي لا ترجع إلى التخلف العقلي، أو الإعاقات الحسية، أو إلى أصول سيكولوجية. (إبراهيم، 2007: 24، 25)

وأرى من خلال عرض التعريفات السابقة بأن إمكانية حدوث صعوبات التعلم في مختلف الأعمار، وقد تصاحب صعوبات تعلم حالات من الإعاقة، وتتفق أغلب التعريفات في النقاط التالية:

- تختلف صعوبات التعلم في درجتها ومدى شدتها.
- أن ذوي صعوبات التعلم يتمتعون بذكاء عادي ومتوسط.
- وجود جوانب متعددة لصعوبات التعلم منها صعوبة الانتباه، والإدراك، والتذكر، والقراءة.

كما جمع بعض التعريفات كل الخصائص والعناصر التي اتفق عليها معظم الأخصائيين والمتمثلة في، أن تكون الصعوبة نفسية، أو تعليمية، وغير ناتجة عن إعاقة، والصعوبة ذات صفة سلوكية مثل : النطق، وتكوين المفاهيم، والتفكير.

#### أسباب صعوبات التعلم النمائية :

لا تزال أسباب صعوبات التعلم النمائية غامضة، وذلك لحدثة الموضوع، وللتداخل بينه وبين الإعاقة العقلية من جهة، وبين صعوبات التعلم، والاضطرابات الانفعالية من جهة أخرى. إن الدراسات والتعاريف السابقة الذكر أجمعت على ارتباط صعوبات التعلم بإصابة المخ البسيطة، أو الخلل الوظيفي المخي البسيط، وترتبط هذه الإصابة بواحدة، أو أكثر من العوامل أو الأسباب التالية .

#### 1. إصابة المخ المكتسبة :

إن إصابة المخ البسيطة، أو الخلل الوظيفي البسيط في الدماغ، من أكثر الأسباب شيوعاً حول وجود صعوبات التعلم، وإن هذه الإصابة المخية يتعرض لها الطفل أما قبل الولادة، أو إثنائها، أو بعدها .

#### 2. العوامل الوراثية :

وهي تشير إلى تلك العوامل والاستعدادات التي تنتقل من الوالدين إلى الأبناء أثناء

عملية الإخصاب عن طريق الجينات التي تحملها الكروموزومات. فقد أوضحت دراسة Arial2000 انتشار صعوبات القراءة والتي أجريت على عينة قوامها (276) وتوصلوا بنتائج الدراسة الي أن 88 ٪ من هؤلاء الأطفال ينتمون إلى اسر لها نفس التاريخ المرضي، كما أكدت نتائج الدراسة على أهمية الدور الجيني في حدوث كل من صعوبات التعلم في القراءة، والكتابة بين الاطفال ذوي صعوبات التعلم. (( Paivid Peler Hallgran – 2000 (Ariel – 2000)) وكما أوضحت نتائج بعض الدراسات ايضاً التي أجريت على القوائم المتماثلة خاصة انتشار صعوبات التعلم بين الأطفال في عائلات معينة، مما يرجح أن صعوبات التعلم يمكن أن تعزى في الحالات إلى أسباب وراثية، وقد ذهب ديفيد سنتر وزملاءه (2003) إلى أن صعوبات التعلم تقع لدى الذكور بنسبة اعلي إذا كان الأب قد عانى مشكلات مثيلة، كما أنها ترتبط بتشوهات مختلفة في الكروموسومات مثلما هو الحال في متلازمة كلاينلنز، ومتلازمة داون تبرز لدى الإناث. (القريطي، 2005: 416)

ويكثر انتشار صعوبات التعلم النمائية بين الأقارب من الدرجة الأولى عنه من عامة الناس. فعلى سبيل المثال فان الأطفال الذين يفتقدون بعض المهارات المطلوبة لسماع الأصوات المميزة والمفصلة للكلمات، من المحتمل أن يكون أحد الآباء يعاني من مشكلة مماثلة، وهناك بعض التفسيرات من أسباب انتشار صعوبات التعلم في بعض الأسر، منها أن صعوبات التعلم تحدث أساساً بسبب المناخ الأسري. فعلى سبيل المثال فان الآباء الذين يعانون من اضطراب التعبير اللغوي تكون قدرتهم على التحدث مع أبنائهم اقل، أو تكون اللغة التي يستخدمونها مشوهة وغير مفهومة، في هذه الحالة فان الطفل يفتقد النموذج الجيد، أو الصالح للتعلم، واكتساب اللغة. (محمد، عبد الرؤوف، 2008: 38)

### 3. التأخر في النضج :

يؤدي التأخر في بعض مجالات النمو لدى بعض الأطفال إلى ظهور صعوبات التعلم، إذا ما حدث ذلك أصبح العلاج أمراً ضرورياً، ومن الأفضل في الفترة التي تحدث فيها طفرة في النمو أن يكون إلى جانب الطفل من يعتنى به ليعطي هذه الطفرة الأهمية اللازمة، ويتخذ التأخر النمائي إشكالاً عديدة، فقد يتأخر نمو دماغ الطفل فينمو أبطاء من المعتاد أو يتأخر النمو الحسي لديه بما يجعله غير قادر على السيطرة على توازن وتوافق حركاته عندما يقف، أو يجلس، أو يمشي، وقد يتأخر في النطق فلا يقدر إلا في العام الرابع أو الخامس، أو قد يعاني من تأخر في بعض مجالات النمو كالإدراك

السمعي، الإدراك البصري، والقدرة على التجريد، أو التذكر، أو بعض الوظائف الأخرى مما يؤثر بالضرورة في ظهور صعوبات التعلم. (عدس، 2000: 41، 42)

#### 4. العوامل البيئية :

وهي العوامل الخاصة بالوسط الذي ينشأ فيه الطفل وينمو، ومن أبرز مظاهرها ما يلي:

##### • البيئة الاجتماعية والثقافية:

للبيئة أثرٌ على صعوبات التعلم. فمن الملاحظ أن أكثر الحالات شيوعاً في أوساط الأطفال الذين ينتمون للطبقات الاجتماعية الأقل حظاً، إذ يتناول الطفل بتشكيل والتعديل وإكسابه العديد من النماذج السلوكية والمهارات، بحيث يمكن القول بان الملامح الرئيسية للطفل تحدد بدرجة كبيرة من خلال الأسرة، ومن هذه الفترة العمرية، تتفق آراء العلماء على أن الأسرة تشكل عاملاً أساسياً في إعداد الطفل للمدرسة بوجه خاص والمجتمع بوجه عام، وتحديد اتجاهاته وميوله نحو التعلم. (القماطي: 2012، 24)

فقد أثبت علماء النفس، والتربية، والاجتماع أن تدني المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة لا يوفر للطفل المثيرات التربوية الكافية والإمكانات التي تساعد على نمو شخصيته، وقد توصلت الدراسات إلى أن أبناء الأسر ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المنخفض ظهرت لديهم صعوبات التعلم اقل من أبناء اسر ذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع. (عبد الغفار، 2004: 25)

وفي هذا الاتجاه كشف نبيل السيد في دراسته (2000) عن وجود فروق داله بين الأطفال ذوي صعوبات التعلم الموجودين في المناطق الريفية والموجودين في المناطق الحضرية في عوامل الانتباه والتوافق وعوامل التعلم البيئي لصالح الأطفال الموجودين في المناطق الحضرية. وتتمثل في الاضطرابات النفسية، الميل السلبي للتعلم، والتوتر والقلق، وعدم الثقة بالنفس، والانطواء، والتسرع، والاعتماد على الآخرين. (Gates & Beacock, 1997: 19) كما يرى بعض الباحثين أن صعوبات التعلم تكون نتيجة لتأخر في بعض العمليات النفسية واللغوية psycholinguistic processes وهم ينظرون إلى هذه العمليات بالمعنى الواسع . ولذا فإن تقديم برنامج لغوي نفسي علاجي يؤدي إلى تنمية القدرات النفسية اللغوية التي تساعد على التعلم . (إمام، 2001: 104)



### خصائص الأطفال ذوي صعوبات التعلم :

يتميز ذوو الصعوبات التعليمية عادة بمجموعة من السلوكيات التي تتكرر في العديد من المواقف التعليمية والاجتماعية، والتي يمكن للمعلم والأهل ملاحظتها بدقة عند مراقبتهم في المواقف المتنوعة، ومن أهم هذه الصفات ما يلي:

#### 1 . خصائص سلوكية :

يتميز التلاميذ ذوو صعوبات التعلم بالكثير من الخصائص السلوكية، والتي تمثل انحرافا عن السلوك السوي لأقرانهم العاديين، ويظهر تأثير هذه الخصائص علي تقدم التلميذ في المدرسة، وتميز هؤلاء التلاميذ بعدة خصائص سلوكية وهي:

1 . العدوانية المرتفعة، والقلق، والاندفاع

2 . العجز عن مسايرة الاقران

3 . الاعتماد عن الاخرين، والاتكالية

4 . النشاط الحركي الزائد ( المفرط ) دون مبرر

#### 2 . خصائص عقلية ومعرفية :

علي الرغم من أن التلاميذ ذوي الصعوبات التعلم يعانون بصفة هامة من مشاكل دراسية الا ان منهم ذوي صعوبات تعلم قراءة أو كتابة، أو حساب، أو أي مادة دراسية اخري. وقد تميز هؤلاء التلاميذ عن غيرهم بعدة خصائص اهمها:

1 . قصور الانتباه، وقصور التآزر الحسي

2 . اضطرابات واضحة في العمليات العقلية المعرفية مثل الادراك، الانتباه، الذاكرة

3 . عجز واضح في القدرة على تحويل، وتشفير وتخزين المعلومات

#### 3 . خصائص نفسية :

أجريت العديد من الدراسات بهدف تحديد الخصائص النفسية التي تميز هؤلاء التلاميذ علي اساس انها من الممكن ان تستخدم كمحك لتشخيص صعوبات التعلم، ووسيلة للتعرف علي هؤلاء التلاميذ، ووجد انهم يتميزون بالخصائص التالية:

1 . انخفاض تقدير الذات.

2 . انخفاض الدافعية للإنجاز.

3. انخفاض مستوى الطموح.

4. يظهرون ضعفاً ملحوظاً في تقدير السلوك (عبد الواحد، 2007: 100، 102) 4.

#### خصائص اجتماعية :

يرتبط اكتساب المهارات الأكاديمية المختلفة بالتطورات، والقدرات السلوكية، والاجتماعية فغالباً ما يرتبط التوتر، والاكتئاب، والغضب بالفشل في التحصيل الأكاديمي مما يدفع طلبة صعوبات التعلم إلى تطوير مشاعر سلبية نحو ذواتهم مما يجعل تطوراتهم الانفعالية تتطور بصورة مختلفة عن غيرهم من الأسوياء، ومن خصائصهم الاجتماعية مايلي:

- 1 - صعوبة تحمل المسؤولية الشخصية، أو الاجتماعية .
- 2 - الانسحاب الاجتماعي فهم يمتازون بالكسل غير مباليين بالعمل، وقلة الاتصال الاجتماعي.
- 3 - العدوانية تجاه الآخرين لأسباب غير مبررة أو موجهة.
- 4 - تشتت الانتباه.
- 5 - مفاهيمهم عن ذاتهم ضعيفة فهي في العادة دائماً سلبية، أو متدنية . (البطانية، الرشدان، السبيلية، الخطاطبة، 2012: 74، 75) يتضح مما سبق ان الافراد ذوي صعوبات التعلم، لديهم عدة خصائص سلوكية، وعقلية، ومعرفية، ونفسية، واجتماعية، تميزهم عن اقرانهم العاديين، والذي يظهر تأثيرها واضحا علي مستوي تقدم الفرد المدرسة، بل وتؤثر أيضاً علي شخصيته، وقدرته علي التعامل مع الاخرين سوء كان ذلك في المدرسة أم خارجها.

#### المبحث الثاني . السلوك المشكل لدى الطفل :

تتعدد المشكلات السلوكية، أو السلوك المشكل وفقاً لتعدد جوانب النمو النفسي للطفل، وكما أن جوانب النمو الجسمية، والعقلية، والمعرفية، والانفعالية تتكامل معاً ويؤثر كل جانب في الآخر، بحيث إنه إذا حدث خلل، أو اضطراب في الأداء الوظيفي لأي جانب من الجوانب، فإنه يتسبب في حدوث مشكلة في بعض الجوانب الأخرى . ولكن خبراء وعلماء النفس والصحة النفسية يقسمونها إلى مشكلات عقلية معرفية، ومشكلات متعلقة بالنمو الاجتماعي مثل: الخجل وعدم المشاركة ومشكلات مرتبطة بالنمو الانفعالي مثل:

الخوف والغضب والعدوان والعناد ومشكلات جسمية وحركية مثل: الافراط في الحركة وغيره . (بدير، 2007: 14، 15)

### 1 - تعريف السلوك المشكل :

المشكلة السلوكية تعرف بأنها سلوك متكرر الحدث غير مرغوب فيه يثير استهجان البيئة الاجتماعية، ولا تتفق مع مرحلة النمو التي وصل إليها الطفل، ويجدر تغييرها لتدخله في كفاءة الطفل الاجتماعية، والنفسية، أو كلاهما، ولما لها من آثار تنعكس على قبول الفرد اجتماعياً وعلى سعادته ورفاهيته، ويظهر في صورة عرض، أو عدة أعراض سلوكية متصلة ظاهرة، ويمكن ملاحظتها مثل السرقة، والكذب، والتدمير، والتشاجر، وغيرها .» (الفقي: 200، 23)

وكما تعرف بالمشكلات التي تسبب ازعاجاً للأسرة فقد يكون لدى كثير من الاطفال تعبيراً يتناسب مع الفتر الزمنية التي يمر بها الطفل ومن ثم فانه لا يجوز وصفها بالشذوذ، أو المرض أو المشاكسة إذ أن هناك كثيراً من المشكلات التي تصدر عن الاطفال لا تكون مطلباً من مطالب النمو ولا تتسجم مع التطور الزمني للطفل، وما يصاحبه من تطور انفعالي، أو عقلي واجتماعي، ومثل هذه المشكلات التي قد يتفاقم بعضها لدرجة ممكن وصفها بالاضطراب أو الشذوذ تتزايد تزيدهم مخيفاً . (ابراهيم: 2000، 381، 380) وبناء علي ما سبق أعرف المشكلات السلوكية علي أنها أفعال، واستجابات تصدر من الطفل بشكل متكرر، وهي لا تتوفق مع اسرته ومجتمعه . وتشير هذه السلوكيات ألي اهمال الوالدين لاحتياجات الطفل واهتماماته، واتجاهاتهما الخاطئة نحو التنشئة الاجتماعية لطفلها .

### - أسباب المشكلات السلوكية

ترجع المشكلات الي تاريخ طفولة الأهل أنفسهم ،ونوعية شخصياتهم، وأسلوب حياة الآباء والأمهات، ومن العوامل المسببة للمشكلات السلوكية :

#### عوامل خاصة بالطفل :

### 1 - الاحتياج إلى الحب والأمان :

يحتاج الطفل الي الحب، والحنان بعد عامه الاول، وتلمسه في الحاجة الي الاهد، ودائم الطلب لهم للبقاء معه، وخاصة إذا انتابه مرض، أو تعب وأحياناً إذا تعرض الي أحلام مزعجة ويحتاج الي الحب، والحنان لتأكيد ذاته، وأن له كيان مميز، ومحدد في المنزل بين اشخاصه، ويزداد هذا الاحتياج كلما قل اهتمامهم به، فالأطفال يميزون قسماً، وجه

والديهم لذا يجب ان نعطي اطفالنا مزيداً من الحب، والحنان، ومزيداً من الثقة بالنفس ونستعمل معهم كلمات مشجعة ولطيفة . مثل: جيد، أحسنت، لأبأس، ليس معني ذلك ان نعطي الطفل كل ما يحتاجه، أو نلبي له كل رغباته. (خلف الله 2004، 122). فهناك العديد من الدراسات التي أهتمت بدور الآباء في سلوكيات أطفالهم، والتي منها . دراسة تسنخ غوانغ (2007) والتي هدفت إلى معرفة مدي انتشار المشكلات السلوكية في بعض الولايات المتحدة الأمريكية، كانت علي عينة قوامها ( 1675 ) أب وأم واستخدمت الدراسة استطلاع رأى للآباء، والأمهات عن طريق الروضات التي يتعلم فيها الطفل وأكدت على أهمية إعطاء الاهتمام المناسب لنمو الطفل اجتماعياً وعاطفياً، وأسهمت هذه الدراسة في تفعيل قانون عدم إقصاء، أو استبعاد أى طفل من التعليم لعام 2001م وكان لها أثر إيجابي على التوجهات المستقبلية لسياسات التعليم في الولايات المتحدة.

## 2- الانفصال عن الطفل :

إن انفصال الطفل عن أهله لفترات طويلة يؤدي ذلك إلى حرمانه من العاطفة فكلمًا طالت فترة الانفصال ادي ذلك الي تأثيرات سلوكية من الصعب أزالته، فاذا ارادت ألام أن تتفصل عن طفلها لفترات قصيرة لأبد ان تتركه تحت رعاية أشخاص يحبونه . مثل الجدة، أو الخالة مثلاً.

## 3- الرفض والتصرفات العكسية :

من محددات السلوكيات ايضاً - الرفض لدى الطفل - لأنه يشعر بانه هو محط اهتمام الجميع ومركز عنايتهم، لذا تتتابه نزعة الانانية، من الخطأ الفادح ان يكبح الوالدان هذه الصفة؛ لأنها تلعب دوراً هاماً في صنع الارادة الانسانية إن اسلوب الرفض، والتصرفات المخالفة تظهر كأحد الملامح المميزة لشخصية الطفل، فالأطفال يجنحون في ذلك السن الي المعاكسة . (خلف الله، 2004: 123).

وأشارت المدرسة السلوكية لـ (جون واطسون) إلى أن الغالبية العظمى من سلوك الطفل تكون مكتسبة عن طريق التعليم، ولكي نفهم سلوك الطفل علينا ملاحظة سلوكياته؛ فالعديد من الظواهر الموجودة في بيئة الطفل تؤثر على سلوكه. (بدير، 2007: 18)

## 4- الاختلافات الشخصية لدى الأطفال :

لكي نفهم المشكلات السلوكية لأبد من إدراك طبيعة تلك الاختلافات الشخصية؛

فبعض الأطفال يتميزون بالوداعة والهدوء، وبعضهم يتميزون بالنشاط الزائد والحركة المستمرة، والبعض عنيد، والبعض يميل إلى أن ينقاد، والبعض حذر ويخاف، والبعض الآخر لا يخاف، ويختلفون أيضاً في النوم، وفي استجابتهم الاجتماعية. (خلف الله 2004 : 125)

وتشير النظرية المعرفية للسلوك إلى أن فهم الطفل لبيئته يتغير كيفاً وكماً كلما ازداد نموه. فقد يكون الطفل قادراً على القيام بفعل ما، إلا أنه غير قادر على تحليل الخطوات التي شكلت هذا الفعل؛ فالطفل في الخامسة لا يمتلك تصوراً عقلياً لسلسلة الأفعال التي قام بها، بينما طفل السابعة يتبع ذلك ولديه تصور عقلي كلي لكل ما حدث من أفعال.

#### إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة: استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي للملائمة لطبيعة الدراسة.

مجتمع الدراسة يتكون مجتمع الدراسة من أطفال الروضة الذي يتراوح أعمارهم ما بين 4,6 سنوات بمنطقة الأصابعة.

جدول ( 1 ) يوضح مجتمع الدراسة وأسماء الروضات

اسم الروضة	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
الاجيال	26	30	56
أطفال المستقبل	25	33	58
فيلاذفيا	22	32	54
المجموع الكلي	73	95	168

#### عينة الدراسة :

اعتمدت الدراسة على اختيار العينة بطريقة عمدية تبعاً لطبيعة متغيرات الدراسة، وبعد قيامي بدراسة استطلاعية على عدد من الروضات، وتطبيق بطارية تشخيص صعوبات التعلم وقد بلغ عدد عينة الدراسة الحالية ( 22 ) طفل ممن يعانون صعوبات التعلم النمائية من أطفال المستوى الأول والثاني من رياض الاطفال بعدة روضات في منطقة الأصابعة، والجدول التالي يوضح عدد أفراد العينة التي تم اختيارها.

جدول ( 2 ) يوضح عدد أفراد العينة

اسم الروضة	الذكور	الاناث	المجموع
فيلا دلفيا	6	3	9
أطفال المستقبل	2	4	6
الأجيال	5	2	7
المجموع	13	9	22

## أدوات الدراسة

- 1 : بطاريات صعوبات التعلم النمائية ( سهير كامل ) 2010
  - 2: اختبار السلوك المشكل ( بطرس حافظ : 2010 )
  3. اختبار المصفوفات للذكاء Raven. وهو صورة من العمليات العقلية التي تتمثل في تكملة سلاسل عددية، والتمييز بين الأشكال، ادراك المعاني، ادراك علاقات قائمة بين سلسلة من الحروف والارقام.
- أولاً : بطارية صعوبات التعلم النمائية :
- استخدم في هذه الدراسة بطارية صعوبات التعلم من إعداد سهير كامل \_ بطرس حافظ 2012 واستخدم في العديد من الدراسات في ليبيا منها دراسة عمر القماطي 2012. وتتكون البطارية من اربعة أبعاد رئيسية وهي : الانتباه - المعالجة المعرفية المتتابعة - المعالجة المعرفية المتزامنة - التخطيط .

## صدق الأداة :

للتحقق من صدق الاداة تم أستخدام الصدق الظاهري؛ أي عرض البطارية علي مجموعة من المختصين في علم النفس بجامعة الجبل الغربي من ذوي الخبرة والكفاءة. حيث أقر المحكمون أن البطارية تتضمن أبعاد هامة لقياس صعوبات التعلم النمائية. وقد كانت نسبة الاتفاق بين المحكمين 85 %

### ثبات الاختبار:

للتحقق من ثبات البطارية تم حساب معامل الثبات علي عينة استطلاعية تكونت من (20) طفلاً وقد احتسب معامل الثبات على معادلة ألفا. وبلغت (0.75) مما جعلها ملائمة لتطبيق هذه الدراسة.

### ثانياً: اختبار السلوك المشكّل

استخدم في هذه الدراسة اختبار السلوك المشكّل لدي اطفال الروضة وهو اداة تقيس عدد من المشكلات السلوكية. مثل العدوان - الكذب - الغضب - الخجل - العناد .

### صدق الاداة:

للتحقق من صدق الاداة ثمّ عرض الاختبار على مجموعة من المحكمين المختصين في مجال علم النفس بجامعة الجبل الغربي. حيث كانت نسبة الاتفاق 100 % .

### ثبات الاختبار:

لقياس معامل الثبات قامت بتطبيق الاختبار علي عينة استطلاعية تكونت من (25) طفلاً وقد احتسب معامل الثبات بمعادلة «ألفا» وقد بلغت (0.68) وهو معامل ثبات مقبول مما يجعله يستخدم في هذه الدراسة.

### طريقة تطبيق أدوات الدراسة:

بعد توزيع أداتي الدراسة (بطارية تشخيص صعوبات التعلم النمائية، واختبار السلوك المشكّل) علي عينة الدراسة وتوضيحها لمعلمات رياض الاطفال ومن ثم تطبيقها علي افراد العينة (الاطفال ذوي صعوبات التعلم) وأشرف الباحث بنفسه على تطبيق الادوات، وقراءة التعليمات وكيفية اختيار إحدى العبارات الملائمة لفقرات الاختبار وذلك بوضع علامة (نأ) للفقرة الملائمة. الاساليب الاحصائية المستخدمة في الدراسة:

لمعالجة بيانات الدراسة، والتحقق من صحة فروضها تم استخدام الأساليب الاحصائية الوصفية الاستنتاجية، والمتمثلة في المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الارتباط بيرسون واختبار ( t. test )، وباستعمال الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية. (SPSS).

### عرض النتائج وتفسيرها:

يتم في هذا البحث عرض النتائج، ومناقشتها، وتفسيرها في ضوء ما اسفرت عنها المعالجة الاحصائية، حيث جاءت النتائج مرتبة بترتيب فرضياتها علي النحو التالي:-

### أولاً النتائج المتعلقة بفرض الدراسة والتي تنص على الآتي :

توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.05) بين صعوبات التعلم النمائية والمشكلات السلوكية. وبقبول، أو رفض هذا الفرض تم حساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري واقل حتمية واعلى قيمة على اختبار السلوك المشكّل وبطارية صعوبات التعلم لدى اطفال الروضة وفي الجدول رقم (3 - 4) تم التوصيف الاحصائي لعينة الدراسة الكلية في السلوك المشكّل وبطارية صعوبات التعلم .

جدول (3) التوصيف الاحصائي لمتغير صعوبات التعلم

المتغير	حجم العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	عدد الفقرات	المتوسط الفرضي	اقل درجة	اعلي درجة
صعوبات التعلم	22	102,02	8,77	75	65	75	255

فالجداول رقم (3) يوضح قيمة المتوسط الحسابي لصعوبات التعلم لأفراد العينة الكلية الذي بلغ (102,02) ويتضح من ذلك ان قيمة المتوسط الحسابي لأفراد عينة الدراسة كان مرتفعاً وهذا يشير الى أن مستوى صعوبات التعلم النمائية لدى اطفال الروضة كان مرتفعاً، وعند مقارنته بالمتوسط الفرضي. وهذا ما يدل على وجود قصور في الانتباه، وليس لهم القدرة على نقل الانتباه بين المثيرات المعروضة عليهم، وكما لهم قصورا في التناسق الحركي والبصري وليست لهم القدرة على التمييز بين المثيرات البصرية.

جدول (4) يوضح التوصيف الاحصائي لعينة الدراسة لاختبار السلوك المشكّل

المتغير	المتوسط	الانحراف المعياري	عدد الفقرات	المتوسط الفرضي	اقل قيمة	اعلي قيمة
اختبار السلوك المشكّل	32.33	8.77	40	52	40	120

ويوضح جدول رقم (4) قيم المتوسط، والانحراف المعياري حيث كانت قيمة المتوسط (32.33) قريبة من المتوسط الفرضي، وهي مرتفعة عند مقارنتها بالحد الأعلى للدرجة التي يتحصل عليها في هذا الاختبار. وللتعرف على مدي الارتباط بين السلوك المشكّل



وصعوبات التعلّم ثم استخدام معامل الارتباط بيرسون كما يبين بالجدول التالي.

جدول (5) حساب معامل الارتباط بين متغيري الدراسة

السلوك المُشكّل		صعوبات التعلّم النمائية
مستوي الدلالة	قيمة معامل الارتباط	
0.01	0.88	

عند حساب معامل الارتباط بين متغيري الدراسة صعوبات التعلّم النمائية، والسلوك المُشكّل. اتضح أن قيمة معامل الارتباط بلغت (0.88) وهي قيمة توضح بأن هناك علاقة بين صعوبات التعلّم النمائية والسلوك المُشكّل ويمكن تعليل ذلك بأنه كلما كان الطفل يعاني من صعوبات تعلّم ينعكس على مدى وجود مشكلات سلوكية لدى اطفال الروضة وعدم قدرته على إشباع حاجاته النفسية، والاجتماعية، والاذن انفعالي، ولا يستطيع تكوين علاقات اجتماعية، وهذا يتفق مع الدراسات السابقة .

#### التوصيات والمقترحات

- 1 : إعداد برنامج قائم لخفض صعوبات التعلّم النمائية، والسلوك المُشكّل لدى اطفال الروضة .
- 2 : عقد دورات تدريبية للمعلمين رياض الاطفال على اكتشاف الاطفال ذوي صعوبات التعلّم النمائية للعمل على علاج هذه الصعوبات .
- 3 : اشتراك مؤسسات المجتمع المدني في تربية، ورعاية الاطفال وذي صعوبات التعلّم النمائية وفي تقديم الخدمات اللازمة .
- 4 : حث وزارة التعلّم بتزويد رياض الاطفال بوسائل ملموسة بصرية، وسمعية لتحسين العملية التعليمية .
- 5 : العمل على إعداد دورات تدريبية لأسر الاطفال ذوي صعوبات التعلّم لمعرفة كيفية التعامل مع مشكلات أبنائهم التعليمية والسلوكية .

## قائمة المراجع :

## أولاً: المراجع العربية :

- 1 - أسامة محمد البطانية، مالك أحمد الرشدان، عبيد عبد الكريم السبيلية، عبد المجيد محمد الخطاطبة (2012) صعوبات التعلم. عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة .
- 2 - أسامة فاروق مصطفى. (2012) مدخل الى الاضطرابات السلوكية والانفعالية الاسباب - التشخيص - العلاج . عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة
- 3 - أشرف عبد الغفار عبد البر محمد (2004).فاعلية برنامج سلوكي لعلاج صعوبات التعلم الاجتماعية الانفعالية لدي تلاميذ المرحلة الابتدائية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس.
- 4 - السيد عبد الحميد السيد : (2007) صعوبات التعلم النمائية، عالم الكتب، القاهرة .
- 5 - بطرس حافظ : (2008) صعوبات التعلم النمائية والاكاديمية . الرياض. الزهراء .
- 6 - ربيع محمد، طارق عبدالرؤوف (2008). الادراك البصري وصعوبات التعلم ،عمان، اليازوري للنشر والتوزيع.
- 7 - سامي ملح (2002) صعوبات التعلم ،عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- 8 - سعده احمد ابراهيم (2006) سيكولوجية التعلم والتعليم، دار المسيرة، عمان
- 9 - سعيد حسني. (2007) صعوبات التعلم ،المفهوم - التشخيص - الاسباب ،أساليب التدريس واستراتيجيات العلاج .عمان الاردن
- 10 - سلمان خلف الله (2004) المشكلات السلوكية الاكثر شيوعا لدى اطفال الروضة وعلاقتها بالمناخ الاسري بالجمهورية اليمنية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، رسالة دكتوراه.
- 11 - سليمان ،عبد الواحد: (2007) المخ وصعوبات التعلم، القاهرة مكتبة الأنجلو
- 12 - سهير كامل أحمد ،بطرس حافظ بطرس (2010) ،بطارية ذوي صعوبات التعلم النمائية التدخل والتشخيص ،القاهرة، الأنجلو المصرية .
- 13 - عادل عبدالله محمد : (2006) المؤشرات الدالة علي صعوبات التعلم لأطفال الروضة، القاهرة، الرشاد .
- 14 - عبد الستار ابراهيم .(2000) مدخل الي رياض الاطفال عمان الاردن
- 15 - عبد المطلب امين القريطي (2005) سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم، القاهرة . دار الفكر العربي.
- 16 - عمرو علي عمر القماطي (2012) برنامج ارشادي لتنمية الدافعية للإنجاز للأطفال ذوي

- صعوبات التعلم . جامعة القاهرة - رسالة دكتوراه منشورة.
- 17 - فقيهي، محمد ( 2006 ). " المشكلات السلوكية لدى المراهقين المحرومين من الرعاية الأسرية في المملكة العربية السعودية " دراسة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض: السعودية
- 18 - كريمان بدير(2007) مشكلات طفل الروضة، واساليب معالجتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- 19 - كريمان محمد بدير : (2012) مشكلات طفل الروضة واساليب معالجتها، دار المسيرة، عمان .
- 20 - كريمة امام عثمان (2001) مدي فاعلية برنامج ارشادي للأطفال ذوي صعوبات تعليمية، رسالة دكتوراه. معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
- 21 - محمد عبد الرحيم عدس (2000) صعوبات التعلم، عمان ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 22 - محمد عوض، أمل زكي : (2009) صعوبات التعلم والتنظيم الذاتي، مكتبة إيتراك، القاهرة .
- 23 - محمود عوض الله سالم، مجدي محمد الشحات . (2006) صعوبات التعلم التشخيص والعلاج. عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- 24 - مصطفى نوري القمش، خليل عبد الرحمن المعايطه . (2013) الاضطرابات السلوكية والانفعالية عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة .
- 25 - نبيل السيد حسن .(2000) أثر التعليم البيئي على صعوبات التعلم النمائية لدى أطفال الروضة في مرحلة ما قبل المدرسة.

ثانياً :المراجع الأجنبية :

- 1 - (Gatesb . & Beack ,1997) Dimension of Learning London : Balleretinall )
- 2 ( paivid peler Hallgran – 2000) ( Ariel 2000 ) .

## المواطنة وآليات تعزيزها في المجتمع الليبي

أ. صبحي ميلود عبدالحفيظ \*\*

أ. ابراهيم عبدالله مسعود \*

### ملخص البحث

أستهدف البحث قراءة أولية لمفهوم المواطنة الذي احتل حيزاً مهماً في الدراسات الفكرية والسياسية باعتباره مدخلاً لإرساء أنظمة ديمقراطية، و أساساً لعملية الاندماج الوطني، وحجر الزاوية في بناء الدولة الليبية، فالمواطنة بوصفها شعوراً وجدانياً تعدّ حاجة ماسة في المجتمع الليبي لأنها تمثل واحدة من أهم ركائز الديمقراطية التي أتاحت الفرصة إلى قيامها في المجتمع الليبي بعد التغيرات الاجتماعية والسياسية التي حدثت. وكانت إشكالية البحث قد تمحورت في سؤال محوري مفاده: ما هي المواطنة وما أهم مقوماتها وآليات تعزيزها في المجتمع الليبي؟ وللإجابة عن سؤال البحث وتحقيق أهدافه، فقد استُخدم المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها كيفياً بوصفها وتوضيح خصائصها.

وتوصل البحث إلى عدة استنتاجات أهمها:

أنّ المواطنة كمفهوم له دلالات: جغرافية - اجتماعية، وإن الفكر الإسلامي قدم أفضل الصور للدولة المدنية التي من خلالها يمكن تطبيق المواطنة على أرض الواقع. إن المساواة وتكافؤ الفرص، والمشاركة في الحياة العامة والانتماء والولاء للوطن من أهم قيم المواطنة التي تعمل على ترسيخ الأمن والاستقرار في المجتمعات، كما أن هناك آليات سياسية، ودستورية، واجتماعية ثقافية لا بد منها لدعم المواطنة. فالمواطنة لا يمكن تحقيقها في أي دولة لا تحترم حقوق مواطنيها، ولا توفر متطلباتهم الأساسية، وغياب التعددية والحريات السياسية يُضعف مشاركة المواطن.

\* كلية الآداب. الأصابعة / جامعة الجبل الغربي

\*\* كلية الآداب. الأصابعة / جامعة الجبل الغربي

## المقدمة

ليس هناك من المفاهيم أكثر شيوعاً من مفهوم المواطنة في الوقت الراهن، فهو يعد من المفاهيم الجديدة القديمة، التي من الممكن تناولها واتباع مسارها منذ عهد الإغريق قبل الميلاد وحتى بداية الألفية الثالثة، فمن الطبيعي أن يكون هذا المفهوم قيد التداول، والنقاش الرسمي، والشعبي بشكل متواصل؛ لأنه لا يوجد هناك مجال في الحياة دون أن يمس المواطنة بطريقة، أو بأخرى، مباشرة، أو غير مباشرة، وقد كثفت وفرعت العولمة من أطر العناية بهذا المفهوم، فلم يعد له انشغالات قانونية، وسياسية، ومدنية، واقتصادية محضة، إذ لا يخلو حقل من الحقول دون إشارة له، بما فيها قضايا البيئة والإدارة، فهو يعدّ من المفاهيم المتجددة والمتغيرة على دوام الحال، وتفرق به الطرائق لحظة التعريف والضبط المفاهيمي، لأنه وإن كان ذا خصائص وصفات عامة مشتركة، فإنه في مضامينه التفصيلية يعدّ نتاج البيئة الثقافية والوطنية التي ينشأ ويترعع بها، وفي نظام الحقوق، والواجبات للمواطنين لديها، أو التوجهات الأيديولوجية والآليات الديمقراطية التي تنظمها (نوقيان، 2008: ص3).

وتبرز اليوم أهمية الوطنية والمواطنة، من أجل الحفاظ على الهوية الخاصة للمجتمع الليبي في ظل ما يتهدده من أخطار، وهذا لا يعني أن الحل يكمن في الانكفاء على الذات، والابتعاد عن العالم الذي أصبح قرية صغيرة، إنّما يعني إكساب المناعة لكل فرد من خلال تربيته تربية وطنية تركز على تزويده بالمعارف، والقيم، والمبادئ، والمهارات التي يستطيع بها التفاعل مع العالم المعاصر دون أن يؤثر ذلك على شخصيته الوطنية.

وبما أن المواطن العربي بصورة عامة، والليبي بصورة خاصة - وهو يطالب بحقوق مواطنته - يقارن نفسه بما حققه نظيره في الدول الديمقراطية، فإن مراجعة مفهوم المواطنة وأهم المفاهيم المرتبطة بها، وأهم مبادئها ومقوماتها وآليات تعزيزها، يعدّ موضوعاً مهماً للبحث، والتقصي في ظل الظروف الحالية التي يمر بها المجتمع الليبي.

## أولاً - تحديد مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في التعرف على مفهوم المواطنة، وما ينطوي عليه من دلالات وأبعاد سياسية واجتماعية، فللمواطنة عدة دلالات يراد بها أحياناً الانتماء النشط إلى طائفة دينية، أو جماعة مصالح أو طبقة اجتماعية، أو عضوية في أي مجتمع سياسي مستقل، غير أن فكرة المواطنة تحيل في معناها الدقيق إلى فكرة المشاركة السياسية، وحق

المساهمة في تشكيل الإرادة العامة (ونديب، 2011: 49)، فالمواطنة تعكس علاقة بين طرفين، الأول هو الفرد، والتعبير السياسي عنه هو المواطن، والطرف الثاني هو الوطن والتعبير السياسي عنه هو الدولة، وحتى تكون هناك علاقة عضوية يشترط في الفرد الذي يحمل صفة المواطن التواجد المادي، وأن يتوفر في الوطن الحضور المعنوي والوظيفي للدولة، وترتبط هذه العلاقة بشرطين رئيسين:

أولهما : الشعور بالانتماء لهذا الوطن ويشترط كذلك في الطرف الثاني - أي الدولة - ليس مجرد التواجد المادي، وإنما التواجد بالمعنى الحضاري، فلا يكفي أن تتوفر لهذا الوطن أركان الدولة ومقوماتها، وإنما يجب أن تتوفر لهذه الدولة مجموعة من الخصائص الحضارية كإطار أوسع للانتماء إضافة إلى وجود المؤسسات التي تعبر عن استمراريتها، وتشمل المواطنة عناصر ثلاثة هي:

**العنصر الأول القانوني:** ويُعنى بالحقوق التي يجب أن تكفلها الدولة لمواطنيها على قدم المساواة دون تمييز على أساس الدين، أو الجنس، أو العرق، أو الثروة، ويقابل هذا التنظيم القانوني الالتزامات التي يجب أن يفي بها المواطن تجاه الدولة وغيره من المواطنين.

**العنصر الثاني السلوكي:** ويعنى بجملة من الممارسات التي تعكس درجة النضج الثقافي الذي يتمتع به المواطنون، وقدرة الدولة على أن توفر للفرد متطلبات الحياة الملائمة.

**العنصر الثالث الوجداني:** ويعني شعور الفرد بالانتماء والولاء للدولة بما يؤدي إلى الاحترام والالتزام الطوعي للقانون، والرغبة في القيام بأعمال تطوعية لخدمة المجتمع، الذي يعيش فيه حتى لو تطلب الأمر التضحية بالنفس في سبيل الدفاع عن الدولة ضد ما تتعرض له من تهديدات (عمار، 2014: 7). وتشهد ليبيا اليوم كدولة تغير جذري، تمثل بإعادة بناء شبه كامل لدولة ليبية جديدة، إلا أنّ هذا البناء الجديد ترافق مع انحسار الشعور بالمواطنة والانتماء لليبيا، من خلال صعود جملة من الولاءات الفرعية (الولاء القبلي، الولاء الجهوي، الولاء المناطقي) التي كانت لها تأثيراتها السلبية على انتماء ووطنية الليبي، إلا أنّه بالمقابل يمكن استرجاع هذا الانتماء من خلال معرفة مصادر التأثير على هوية الفرد ومعالجتها.

#### ثانياً - أهداف البحث:

يهدف البحث إلى محاولة التعمق في مفهوم المواطنة وتحليل مضامينه وأبعاده السياسية والاجتماعية من خلال إبراز حقوق المواطنة وتطورها عبر المجتمعات والوقوف

عند مفهومها في الفكر الغربي والإسلامي والدول العربية وذلك عن طريق تحقيق الأهداف الآتية:

- 1 - إزالة اللبس والاضطراب حول مفهوم المواطنة.
- 2 - التعرف على أهم مقومات المواطنة.
- 3 - محاولة الكشف عن آليات تعزيز مفهوم المواطنة لدى المواطن.

#### ثالثاً - أهمية البحث:

في ظل تسارع التغيرات الذي يعيشها عالم اليوم في جوانب الحياة المختلفة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية - فإن الحاجة تمس إلى تحرير عدد من المصطلحات التي غالباً ما تكون عرضة للتساؤل. ولعل مفهوم المواطنة من أكثر هذه المصطلحات حاجة إلى الإثارة والدراسة والفهم ومن ثم التجسيد. ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث كونه يلقي الضوء على المواطنة كمبدأ اجتماعي وقانوني وسياسي يسهم في تطور المجتمع الإنساني بشكل كبير، إضافة إلى الارتقاء بالدولة إلى المساواة والعدل والإنصاف، وإلى الديمقراطية والشفافية، والشراكة الحقيقية وضمان الحقوق والواجبات التي تعد أساس المساواة والمشاركة السياسية، وتسهم في نشر ثقافة الديمقراطية.

#### رابعاً - مفاهيم البحث:

##### 1 - المواطنة

المواطنة مأخوذة في العربية من وطن، والوطن: المنزل تقيم به وهو « موطن الإنسان ومحلّه»، وطن يطن وطناً : أقام به، وطنٌ البلد : اتخذه وطناً، وتوطن البلد: أتخذه وطناً، وجمع وطن أوطان: منزل إقامة الإنسان ولد فيه ولم يولد (ابن منظور، 1993: 338)

وتعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها: اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة ووطن، وتعرف دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها: علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات في تلك الدولة، وعرفتها موسوعة كولير الأمريكية، بأنها أكثر أشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالاً (فشار، 2012: 7). وقد عرفها قاموس علم الاجتماع بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي، ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة

يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون (غيث، 1995: 56).

## 2- المواطن:

من الناحية الأصلية: المواطن هو الإنسان الذي يستقر في بقعة أرض معينة وينتسب إليها، ولا يسمى الساكن في بقعة أرض معينة مواطناً إذا كان سكنه فيها ظرفياً عابراً، أو مؤقتاً (ناصف، 2000: 15).

3- الوطن: مكان إقامة الإنسان ومقره، ولد به أو لم يولد (الرازي، ( د . ت )، مادة ( وطن ).

وتعرفه آمنة حجازي: بأنه بشكل عام قطعة الأرض التي تعمرها الأمة، وبشكل خاص هو المسكن فالروح وطن؛ لأنها مسكن الإدراكات، والبدن؛ لكونه مسكن الروح، والثياب وطن لكونها مسكن البدن فالمنزل، والمدينة، والدولة، والعالم كلها أوطان لكونها مساكن (حجازي، 2000: 80).

## 4- الوطنية:

الوطنية ظاهرة نفسية اجتماعية مركبة قوامها حبّ الوطن أرضاً وأهلاً، والسعي إلى خدمة مصالحه، أو بعبارة أخرى ظاهرة فردية وجماعية تدور على التعلق بالجماعة الوطنية وأرضها ومصالحها وتراثها والاندماج في مصيرها (ناصف، 2000: 16).

## 5- الانتماء:

يُعرّف الانتماء: بأنه «النزعة التي تدفع الفرد إلى الدخول في إطار اجتماعي فكري معين، بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير، وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى (راتب، 1999: 57).

وتعرفه سناء حامد زهران: بأنه «شعور يتضمن الحب المتبادل، والقبول والتقبل والارتباط الوثيق بالجماعة وهو يشبع حاجة الإنسان إلى الارتباط بالآخرين، وتوحده معهم؛ ليحظى بالقبول ويشعر بكونه فرداً يستحوز في مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي، وتتمثل أوجه الانتماء في ارتباط الفرد بوطنه الذي يحيا فيه وبمن يقيمون في هذا الوطن، ويظهر في تبني مجموعة الأفكار والقيم والمعايير التي تميز هذا المجتمع عن غيره (زهران، 2004: 137).



## المواطنة... التطور التاريخي والمفهوم

## أولاً - السياق التاريخي لمفهوم المواطنة

يدور مفهوم المواطنة حول الحقوق والواجبات منذ الوهلة الأولى في اكتشاف مبدأ المواطنة في زمن الحكومات البدائية في وادي الرافدين، وفارس، والفينيقيين، والكنعانيين، والإغريق، والرومان، ويدور هذا المبدأ حول الكفاح والنضال من أجل استقلال الإنسان وسعادته والاعتراف بحقوقه، ومعرفة واجباته ومشاركته في القرارات التي تؤثر على حاضره ومستقبله (الكواري، 2001: 107)، وحتى نصل إلى فهم أكثر لمفهوم المواطنة لابد لنا من تناول التطور التاريخي لهذا المفهوم، لذلك سنقوم بدراسته في إطار الحضارة اليونانية، ثم في إطار الدين الإسلامي وفي العصر الحديث، مع التعرّيج على الحالة العربية عامة والليبية خاصة.

## I - المواطنة في إطار الحضارة اليونانية (دولة المدينة)

رسمياً لم يكن أمام المواطنين أي عقبات على صعيد الانخراط في الشؤون العامة من متطلبات المرتبة والثروة، فكان الديموس (الشعب) ممسكاً بزمام سلطة السيادة، أي: المرجعية العليا من حيث المبادرة إلى التشريع وأداء الوظائف القضائية، والمواطنة في المفهوم الأثيني هو «انطوي على امتلاك حصة من هذه الوظائف، عبر المشاركة المباشرة في شؤون الدولة، فقد كانت الديمقراطية الأثينية مطبوعة بنوع من الالتزام العام بمبدأ الفضيلة المدنية، أو الأهلية: *civic virtue* بالولاء لدولة المدينة الجمهورية وإخضاع الحياة الخاصة لمقتضيات الشؤون العامة والخير المشترك (العام) و(الخاص) متضافران على الرغم من أن التسامح يبقى، كما يشير بريكليس جوهرياً كي يتمكن الناس من الاستمتاع ب(أسلوبهم الخاص) ومهما يكن، فإن ديمقراطيي أثينا كانوا ميالين إلى الرأي القائل "إن فضيلة الفرد مطابقة لفضيلة المواطن" فالأفراد ليسوا قادرين على تحقيق ذواتهم والعيش بكرامة إلا كمواطنين، ومن خلال المدينة (البوليس): لأن الأخلاق والسياسة ذاتبتان معاً في بوتقة حياة الجماعة السياسية، حيث إن المواطن يتمتع بحقوق ومكلف بواجبات، إلا أن هذه الحقوق لم تكن منسوبة إلى أفراد بعينهم، وهذه لم تكن مفروضة من قبل دولة لا هم لها سوى الحفاظ على إطار صالح لحماية أهداف خاصة لأفراد معينين بالأحرى كانت حقوق المواطن، وواجباته مرتبطة بحالته، وكانت نابغة من وجوده بوصفه مواطناً: كانت حقوق وواجبات (هيد، 2006: 34-35). وقد كانت المواطنة اليونانية حقاً وراثياً محصوراً في

أبناء أثينا من الرجال، ولم تكن الإقامة مؤهلاً يعتد به لنيل حق المواطنة، فقد استثنى من المواطنة الغرباء المقيمين والأطفال والنساء، والعبيد المحررين، فقد كانوا جمعياً محرومين من الحق في المواطنة (عبد التواب، 2010: 24).

والملاحظ أنه بالرغم من وجود بدايات لظهور مبدأ المواطنة في الحضارة اليونانية إلا أنه يؤخذ عليها أنها كانت مقصورة على الرجال دون باقي الفئات الأخرى كالنساء والأطفال والغرباء المقيمين في أثينا.

## 2- المواطنة في الإسلام

المواطنة لفظة غربية المنبت فهي مترجمة وجديدة على الفكر الإسلامي، فقد دخل هذا المصطلح اللغة السياسية العثمانية بصيغة أعم هي (وطن) مع بداية دخول الحداثة الأوروبية إلى الإمبراطورية العثمانية، فقد أشار بعض المستشرقين مثل: (برنالد لويس) إلى أن مفهوم المواطنة غريب تماماً عن الإسلام بحجة أن لفظة مواطن بالمفهوم الغربي الذي يعني المشارك في الشؤون المدنية غير موجود في اللغة العربية، وقد رفض هذا الاتهام باحثون عرب وبينوا أن هناك لفظة تحمل مضمون المواطنة من حيث هي حقوق وواجبات بين عناصر المجتمع، هذه اللفظة هي (مسلم) فيكون إسلام الشخص مؤهلاً إياه للتمتع بحقوق المواطنة.

إن غياب مصطلح المواطنة كما يردد المستشرقون عن الأدبيات الإسلامية لا يعني غياب جوهره، فكما لكل مصطلح تاريخ مفهومي وحدود واضحة، فإن لمبدأ المواطنة جذوراً نظرية في الإسلام فما أقره الرسول (صلى الله عليه وسلم) في صحيفة المدينة من أحكام تقوي مبدأ العدالة ومبدأ المساواة ومبدأ الحرية يجعل لهذا المفهوم جذور واضحة في الفقه الإسلامي (عبد التواب، 2010: 26-28)، كما أن ما جاء به الله - تعالى - في كتابه المجيد (القرآن الكريم) من آيات من ذلك قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء، الآية {1}) وقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية {13})، وقد أكد الرسول الكريم ﷺ على ذلك حيث قال: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" يوضح عدم التمييز بين المسلمين

فلا طائفية، ولا مذهبية في الإسلام، فالإسلام دين العدالة، والمساواة، والإحسان، فالكل سواسية في الحقوق والواجبات، وبذلك يكون الإسلام قد حقق توازناً في المجتمع على الرغم من التنوع العرقي، والديني، والثقافي، فقد ضمن لجميع المواطنين حقوقهم المتمثلة بحقوق الإنسان لقيامها على قاعدة التسامح. ويتضح هنا أن الإسلام صور مبدأ المواطنة تصويراً واضحاً وأعطى الحقوق وحمل الواجبات بالتساوي بين المواطنين القاطنين في مكان معين، فالمواطنة في الدين الإسلامي أسلوب، ونظام للعيش يتجسد بدستور القرآن الكريم، الذي ينظم الحياة الإنسانية خير تنظيم ويقوم على الحرية والعدالة والمساواة، وهذه الأركان الثلاثة من أهم أركان ومرتكزات المواطنة.

### 3- المواطنة في العصر الحديث

تطور مفهوم المواطنة في الدولة الحديثة نتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في معظم دول العالم، إضافة إلى تأثير العولمة وثورة الاتصالات والانترنت، لتصبح الديمقراطية وإشراك الشعب في الحكم وتحقيق مبادئ المساواة، والتعددية السياسية، وحقوق الإنسان ركائز المواطنة المعاصرة والدولة الحديثة (بيرة، 2007: 30).

وقد لعب التأسيس الدستوري للمواطنة دوراً بارزاً ومقررًا في النظم السياسية الحديثة، بل تُقنعنا الثورات الكبرى الناجحة في التاريخ، كيف شكلت (إعلانات حقوق الإنسان والمواطن) نصوصاً تأسيسية متزامنة ومكملة لبيانات الثورات ومواثيقها، فقد حدث هذا في الثورتين الأمريكية (1774م) والفرنسية (1789م)، ولم تبتعد موجات التغيير اللاحقة لهما عن هذه الروح، غير أن ما هو أهم في عملية التأسيس، أن تكون الدساتير نتاج توافق مؤسس على حوار مجتمعي، يُتيح للناس أو من يمثلونهم بنزاهة إمكانيات التعبير عن آرائهم بحرية، والمشاركة الجماعية في صياغة الوثائق الدستورية، ثم إن المواطنة علاوة على حاجتها إلى دساتير توافقية، تستلزم جهداً كبيراً لتمثل قيمها، واستيعاب مضامينها وأبعادها، وهو ما يشترط بالضرورة عملية بيداغوجية، وتربوية منتظمة وناجعة، كي يستبطنها الناس ويمتلكون كفاءة أعمالها في الممارسة دون تردد، أو مقاومة (ماكي، 2013: 34). ويحدد عالم الاجتماع الانجليزي توماس همفري مارشال ثلاث مراحل أساسية لتطور المواطنة في العصر الحديث كالآتي:

المرحلة الأولى: المواطنة المدنية التي تم التوصل إليها في القرن الثامن عشر، وتعريف هذه المواطنة يتلخص في ممارسة الحقوق - الحريات ( الحرية الشخصية، وحرية التعبير،

وحرية التملك ) تلك الحقوق التي تضمنها دولة القانون التي يعظم فيها دور العدالة. المرحلة الثانية: هي المواطنة السياسية التي تم التوصل لها في القرن التاسع عشر وتعرف بممارسة الحقوق السياسية ( الحق في أن يصوت الشخص، أو ينتخب، وأن يشارك في الحياة السياسية وأن يحصل على المعلومات)، وتؤمن هذه الحقوق ممارسة الانتخاب المباشر والدور المرجح للبرلمان، وتمثل المواطنة الاجتماعية التي نشأت في القرن العشرين. المرحلة الثالثة: هي رجحان الحقوق غير المادية ( وهي الحق في الحماية الاجتماعية والصحة والتعليم) التي تضمنها مؤسسات الدولة (شنابر، باشوييه، 2016: 128 - 129).

وعموماً يمكن القول إنّ المواطنة في العصر الحديث « تؤكد على مبدأ المواطنة وإقراره كحق ثابت من خلال السماح لجميع المواطنين ودون تمييز في المشاركة في اتخاذ القرارات الجماعية تعبيراً عن أنّ الشعب هو مصدر السلطة وأساس شرعيتها، كما أنّ المواطنة الأوربية ليست نموذجاً مثالياً يحتذى به إلى الأبد وإنما تاريخ، فمواطن 1789م ليس مواطن 1848م، كما أنّه ليس مواطن عام 2000م، فالملاحظ أنّ ممارسات المواطنة تأخذ اليوم أشكالاً ملموسة تختلف باختلاف البلدان الديمقراطية» (شنابر، باشوييه، 2016: 17)

#### 4- المواطنة في الوطن العربي

من بين بعض ملامح الدولة الثيوقراطية، والدولة المختصرة بسلطة الحاكم، ضلت فكرة الدولة في الوطن العربي محدودة، وكذلك فكرة المواطنة، إذ يستحيل إطلاق المواطنة وترسيخ مقوماتها أمام ضعف مؤسسة الدولة، إضافة إلى العامل الخارجي في القرن الماضي، الذي واكب نشأة دولنا المستقلة حديثاً (حسين، 2008: 15). فالاستعمار في البلاد العربية استهدف الهوية، وما يرمز إليها من: دين وقيم ولغة وتعليم وليس تجزئة الأرض وتقسيمها فقط. ولأنّ إعادة بناء الشخصية الجماعية أعقد من استرداد وحدة التراب فقد فعلت السياسة الاستعمارية فعلها في إضعاف لُحمة المجتمعات العربية، وتعقيد إمكانات تلاحم الشعوب واندماجهم في منظومة قيمية وثقافية واحدة، بل إنّ الاستقلال الذي ناضل الجميع من أجل انتزاعه سرعان ما فتح الباب أما رؤى متباينة لإشكالية بناء المواطنة، من حيث فلسفتها واستراتيجيتها. (ماكي، 2013: 15). فقد نصت دساتير أغلب الدول العربية على الحقوق والواجبات ذات الصلة بالمواطنة إما من خلال إقرار المواد وسن القوانين المحددة لهذه الحقوق والواجبات، أو من خلال الاعتراف بحق الجنسية الذي يعد من وجهة النظر القانونية اعترافاً ضمناً بحق المواطنة، فنص الدستور الجزائري في

المادة 29 على أن المواطنين الجزائريين سواسية أمام القانون، ولا يمكن أن يتذرع بأي تمييز يعود بسبب إلى المولد، أو العرف، أو الجنس، أو الرأي، أو أي شرط أو ظرف آخر، شخصي أو جماعي. وأشار الدستور التونسي إلى أنّ جميع المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات (الفصل السادس)، ولم يشذ دستور المملكة المغربية عن القاعدة، حيث نص في الفصل الخامس منه على أنّ جميع المغاربة سواء أمام القانون (وديب، 2010: 237)، كذلك أكدت التشريعات الأولى المنظمة للجنسية في مصر والتي بنيت عليها بحق فكرة " المواطنة المصرية " على التعبير عن - أو حتى - تشكيل الفضاء الاجتماعي، من خلال مفاهيم الهوية والانتماء المؤسسة للعلاقة الأفقية للمواطنة، بمعنى حرص تلك التشريعات على ضم العناصر التي تحوز بالفعل إمكانيات الاندماج في النسيج الاجتماعي، أو تلك التي تشكل جزءاً قابلاً للاندماج في الجماعة (الرفاعي، 2005: 408).

كذلك أقر الدستور الليبي الذي أصدرته الجمعية الوطنية الليبية في (7 أكتوبر 1951م) تكوين دولة ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، تؤمّن الوحدة القومية، وتصون الطمأنينة الداخلية، وتهيئ وسائل الدفاع المشتركة، وتكفل إقامة العدالة، وتضمن مبادئ الحرية، والإخاء، وترعى الرقي الاقتصادي والاجتماعي والخير العام.

جاء في المادة (11) ما يلي: الليبيون لدى القانون سواء، وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية، وفي تكافؤ الفرص وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الدين، أو المذهب، أو العنصر أو اللغة، أو الثروة، أو النسب، أو الآراء السياسية والاجتماعية (دستور ليبيا 1951). وفي الفترة منذ العام 1969م حتى العام 2011م ظهرت مجموعة من القوانين تؤكد على المواطنة وحقوق المواطن، فقد أشارت الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان الصادرة بتاريخ ( 12 الصيف 1988م) في بندها الرابع وبشكل لا لبس فيه ولا غموض على الحق في المواطنة، فالمواطنة في المجتمع الجماهيري ( سابقا) حق مقدس لا يجوز إسقاطها أو سحبها (الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان 1988م)، كذلك أشار الإعلان الدستوري (2011م) المعدل (2012م) الذي وضعه المجلس الوطني الانتقالي المؤقت؛ ليكون أساساً للحكم في المرحلة الانتقالية في المادة (6) إلى أنّ الليبيين سواء أمام القانون، ومتساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفي تكافؤ الفرص، وفيما عليهم من الواجبات والمسؤوليات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الدين أو المذهب أو اللغة أو الثروة أو الجنس أو النسب أو الآراء السياسية أو الوضع الاجتماعي أو الانتماء (الإعلان الدستوري، 2011).

ويلاحظ أنّ المواطنة من حيث الجوهر والأساس ( بوصفها تعبيراً عن ضرورة ضمان حقوق الأفراد والجماعات وتسطير واجباتهم) في مجتمعاتنا العربية على وجه العموم والمجتمع الليبي على وجه الخصوص، مازالت من الضالة بمكان، فالغالبية العظمى من أبناء «الوطن الواحد وإن كانوا يحملون صفة المواطنة من الناحية القانونية، فإنهم ليسوا بمواطنين في الجوانب الاجتماعية للمواطنة، فغالب الدساتير العربية في واقعها النظري لا يعكس الواقع العملي، فهي وإن أعطت الكثير من الحقوق، ولكن هذه الحقوق لا تجد تطبيقها في الواقع.

وعلى الرغم من ذلك فإنّ في المقابل هناك ومضات حصلت مؤخراً جديرة بالمتابعة والعناية من شأنها إشاعة مفهوم المواطنة الرسمي والشعبي، إضافة إلى ندوات عُقدت، ومحاضرات نُظمت في غير عاصمة عربية حول قضية المواطنة.

أخذ مصطلح المواطنة طريقه إلى الخطاب الرسمي العربي من خلال توجيهات عدد من القادة، أو عبر بيانات حكومية. فقد أطلقت المملكة المغربية المبادرة الوطنية للتنمية الشاملة في المغرب، وبدأت في حملة توعية شاملة على فكرة المواطنة، حيث لا يمكن إنجاح هذه المبادرة بدون مشاركة فاعلة للمواطنين المغاربة، بل ثمة تركيز على المواطنة المسؤولة، أو المواطنة الإيجابية، التي تتحول إلى سلوك اجتماعي وسياسي وثقافي ووطني دون أن تختزل التعدد والتنوع المجتمعي، أو تلغي تجلياته على مختلف الصعد وعُقد في مصر مؤخراً مؤتمر القاهرة الأول لتفعيل المواطنة، توخياً لتجنب الفتنة الطائفية، على أن يستكمل ببرامج سياسية، وثقافية، وأمنية منسجمة مع حرية الفكر والمعتقد (حسين، 2008: 16).

### ثانياً - مفهوم المواطنة

تعد المواطنة أساس الرباط الاجتماعي، ففي المجتمع الديمقراطي الحديث لم يعد الرباط بين الأفراد دينياً، أو سلالياً، وإنما سياسياً، فعيش الأفراد معاً لا يعني بالضرورة اعتناقهم ذات الدين أو اشتراكهم في التبعية لذات الملك الحاكم أو خضوعهم لذات السلطة وإنما كونهم مواطنين تابعين لذات النظام السياسي (شنابر، باشوييه، 2016: 11).

ويعود تاريخ هذا المفهوم إلى زمن الديمقراطية المباشرة الإغريقية التي تعتبر أساس الديمقراطية في عالم اليوم حيث يرجع أصل استعمال مفهوم المواطنة للحضارتين اليونانية والرومانية. فقد استعملت المواطن (CIVIS) والمواطنة (Civities) في هاتين الحضارتين

لتحديد الوضع القانوني والسياسي للفرد اليوناني والروماني (عبد انتواب، 2010: 24)، أو أن مفهوم هذه الكلمة ينطلق - عندهم من مفهوم المساواة (L'égalité) بين المواطنين، وهذا ما تدل عليه كلمة "Homoï" التي كانت تطلق على المواطن في دولة اسبرطة في بلاد اليونان، وهي تعني المساواة، والتكافؤ بين جميع مواطني المدينة. فالجميع في المدينة متساوون أمام القانون وأنظمة الدولة (النجوي، 2010: 69).

ويشير فرانسوا أوديجي (François Audigier) إلى أن مفهوم المواطنة مفهوم غير ثابت وديناميكي ويرجع هذا المفهوم إلى الفضاء العام (L'espace Public)، كما يرجع إلى المجال السياسي (...). وكثيراً من المفكرين توصلوا إلى النتيجة التي مفادها أن هذا المفهوم غير واضح المعالم والحدود، ولكن الخلفية المرجعية تشير إلى عدم ثبات مفهوم المواطنة، أي: أنه مفهوم يتسم بالحركية (فشار، 2012: 10). ويذهب بعضهم إلى أنّ المواطنة مصطلح مستحدث في اللغة العربية للتعبير عن كلمة (Citizenship) الانجليزية.

إنّ الترجمة العربية لمصطلح (Citizenship) بالمواطنة يمكن اعتبارها ترجمة مقبولة وموفقه، حيث رأى فيها الباحثون والمفكرون العرب تأصيلاً للمفهوم، وتقريباً له في ذهن الإنسان العربي وربطه بفكرة الوطنية ذات الأهمية المركزية في العمل المشترك بين جميع المواطنين، من أجل النهضة الحضارية، ومن أجل تحقيق الاندماج الوطني وبناء الدولة باعتبارها مؤسسة مستقلة عمن يحكمها، يتساوى جميع المواطنين في القرب والبعد منها، ويتمتعون جميعاً بحقوق مدنية، وسياسية، واجتماعية كما يتحملون واجبات متساوية دون تمييز (الكواري، 2001: 104-126).

ويمكن تحديد أهم معاني مفهوم المواطنة كما ما يلي (فوزي، سامح، 2007: 9-23):

1 - الوضع القانوني: أبسط معاني المواطنة هو أن تكون عضواً في مجتمع سياسي معين أو دولة بعينها، فالقانون يؤسس الدولة ويخلق المساواة بين مواطنيها، ويرسي نظاماً عاماً من حقوق وواجبات تسري على الجميع دون تفرقة، وعادة ما تكون رابطة الجنسية معياراً أساسياً في تحديد من هو المواطن. ويترتب على المواطنة القانونية - أي حمل جنسية دولة ما ثلاثة أنماط من الحقوق والواجبات: السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية، تشمل الحقوق السياسية الحق في الانتخاب والترشيح والتنظيم. وأهم الواجبات دفع الضرائب المستحقة على كل مواطن وفقاً



للقوانين المعمول بها، وتتطوي الحقوق المدنية على كل الحريات الشخصية، والحق في الأمان، والخصوصية، والاجتماع، فضلاً عن حرية الاعتقاد والتعبير، وأما الحقوق الاقتصادية - الاجتماعية فهي تشمل ليس فقط الحق في الملكية، ولكنها تمتد إلى الحقوق المرتبطة بممارسة العمل.

2 - مشاركة في الحياة العامة: ثاني معاني المواطنة يتمثل في المشاركة في الحياة العامة، وعادة ما يشار إلى ذلك ( بالمواطنة الفاعلة ) وتشمل مجالات كثيرة يمكن تصنيفها كالآتي:

■ انتخابات حرة ■ حرية المرشحين ■ انتخابات نزيهة

3 - لعضوية السياسية: ثالث معاني المواطنة هو العضوية في مجتمع سياسي معين، وهو ما يعادل الانتماء الوطني إلى دولة، أو كيان سياسي بعينه. ويمس ذلك قضية سيكولوجية مهمة هي الشعور بالانتماء للوطن، وليس مجرد الإقامة فيه.

4 - الرفاهة الاجتماعية: ويشمل حق كل مواطن في الحصول على فرص متساوية لتطوير جودة الحياة التي يعيشها. ويتطلب ذلك توفير الخدمات العامة للمواطنين، وإيجاد شبكة أمان اجتماعي لحماية الفئات المستضعفة في المجتمع.

5 - سلوك تعليمي: يشير خامس معاني المواطنة إلى ( الأنشطة التعليمية ) التي تساعد المواطنين على أن يكونوا مواطنين فاعلين، مشاركين، يتصرفون بمسؤولية تجاه مجتمعهم وشركائهم في المواطنة.

ويتضح هنا أن مفهوم المواطنة مفهوم قديم يرجع إلى أقدم الحضارات الإنسانية، كما أنه مفهوم يختلف باختلاف الزمان والمكان، وله عدة معاني متداخلة ومتكاملة يصعب الفصل بينها فالسلوك التعليمي يدفع للعضوية في المجتمع، والمشاركة في الحياة العامة، وبالتالي تطوير الحياة الاجتماعية.

ثالثاً - مبادئ المواطنة:

للمواطنة مبادئ رئيسة أهمها:

مبدأ فكري رؤيوي يقوم على النظرة للناس بوصفهم متساوين في القيمة والاعتبار، مجرد انتمائهم إلى النوع الإنساني، فلا الجنس، ولا اللون، ولا الموطن، ولا النسب، يعطي لأي منهم ميزة على الآخر.



ولها مبدأ تشريعي وهو عبارة عن ترجمة للمبدأ الرؤيوي على الصعيد الحقوقي، من خلال النص على المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات أمام القانون. ولها مبدأ إجرائي يقوم على تحديد جهات في المجتمع السياسي للسهر على تطبيق المساواة المشار إليها وتحديد آليات للمطالبة بإصلاح أي خلل في ممارسات هذه الإجراءات (يوسف، 2013: 44).

#### رابعاً - ممارسة المواطنين للمواطنة:

يتميز المواطنون فيما بينهم في وطنيتهم ومواطنتهم بحسب تربيتهم وثقافتهم، وتأثير التعليم في سلوكهم ويمكن وضعهم في فئات كما يلي (النجوي، 2010: 53):

1 - الفئة الأولى: وهي تشتمل على المواطن الذي تقل لديه صفات الوطنية والمواطنة إلى حد وصفه بأنه سلبي في مواطنته، وغير منتم في وطنيته، وهذا الصنف من الناس لا يقدم الخير لأمته، ولا يشجع من يعمل الخير، ولا يلتزم بسلوك الجماعة السوي.

2 - والفئة الثانية: وهي تشتمل على المواطن الذي يرتفع لديه مستوى سلوك المواطنة، إلا أن انتماؤه وحبه للوطن منخفض، فهو لا يظهر محبته لوطنه، إلا أنه في الغالب يتقيد بأنظمة الوطن ويؤدي ما عليه من حقوق وواجبات تجاه وطنه إما رغبة، أو رهبة.

3 - والفئة الثالثة: وهي تشتمل على المواطن الذي يرتفع لديه مستوى الوطنية، إلا أن سلوك المواطنة عنده منخفض، فهو يشعر بانتمائه وحبه للوطن، ويعتز بذلك، لكنه قد يقصر في أداء ما عليه من حقوق وواجبات تجاه وطنه، كما أنه لا يلتزم بالسلوك والقوانين التي يقرها ولي الأمر أو ترضيها الجماعة.

4 - أما الفئة الرابعة فهي تشتمل على المواطنين الذين يرتفع لديهم مستوى الوطنية (الانتماء للوطن) كما يرتفع عندهم أيضاً مستوى المواطنة (السلوك الايجابي في خدمة الوطن). فالمواطن في هذه الفئة معزز بوطنه، منتم إليه، متمسك بالسلوك السوي للمواطنة، بحيث إنه يعرف واجباته وحقوقه، ويدخل في ذلك حقوقه في مدرسته أو جامعته أو دائرته أو مؤسسته التي يعمل فيها أو مصنعه الذي يشغل فيه، كما يعرف الفرد من هذه الفئة حقوق غيره من فئات المجتمع وغير ذلك ممن

لهم حقوق ينتظرون من الآخرين أداءها. وهذه الفئة من المواطنين هم الذين يمثلون (النموذج الأفضل) وهو ما تسعى إلى تنشئته الأمم والشعوب، وهو الورقة الرابعة في منظومة التنمية والتطوير التي تهدف إليها كل الأمم.

#### خامسا - مقومات المواطنة

المواطنة ليست وضعية جاهزة يمكن تجليها بصورة آلية عندما تتحقق الرغبة في ذلك، وإنما هي صيرورة تاريخية، ودينامية مستمرة، وسلوك يكتسب عندما تنهض له الظروف الملائمة، وهي ممارسة في ظل مجموعة من المبادئ والقواعد، وفي إطار مؤسسات وآليات تضمن ترجمة مفهوم المواطنة على أرض الواقع؛ وإذا كان من الطبيعي أن تختلف نسبياً هذه المتطلبات من دولة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر بسبب اختلاف الثقافات والحضارات، ومستوى النضج السياسي، فإنه لا بد من توفر مجموعة من المقومات الأساسية المشتركة، ووجود حد أدنى من الشروط التي يتجلى من خلالها مفهوم المواطنة في الحياة اليومية للمواطنين، وفي علاقاتهم بغيرهم، وبمحيطهم السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي والثقافي. ومن أهم المقومات والشروط التي لا مجال للحديث عن المواطنة في غيابها (جنكو، (ب، ت: 35).

#### 1 - المساواة وتكافؤ الفرص:

المواطنة هي استبطان استقلالية الفرد، وحرية الأساسية ومسؤوليته الأصلية عن مصيره، ومساواته في مواجهة الفرد الآخر وفي مواجهة السلطة معاً. وتعني المساواة مشاركة في القيمة القانونية والأخلاقية أي جوهر الأدمية، كما تعني حداً أدنى من التقارب في شروط المعيشة والحياة المادية والمعنوية، فلا مساواة من دون حرية وسيادة فردية، وسلطة قانونية، ولا تقارب من دون حد أدنى من العدالة الاجتماعية توحد بين أعضاء المجتمع وتجعل منهم جماعة متضامنة، ولا سيادة من دون دولة قانونية تتعامل معهم على قدر من الاحترام والإنصاف والندية (غليون، 2006، 14).

#### 2 - المشاركة في الحياة العامة:

المواطنة تعني المشاركة في الحياة العامة والمشاركة تستلزم المسؤولية، والمسؤولية تتطلب الحرية فالحرية والمسؤولية هم جناحان للمواطنة. وحرية الإنسان مقدسة كحياته سواء، وهي الصفة الطبيعية التي يولد بها الإنسان، وهي مستمرة ليس لأحد أن يعتدي عليها، ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، ولا يجوز تقييدها أو الحد

منها ألا بسططان الشريعة، وبالإجراءات التي تقرها(مدكور،2014:9). إن إساءة استخدام مفهوم الحرية، لهو من أكبر البواعث على انتشار الفوضى والفساد المطلق، فكل إنسان له الحق في الحرية والاستقلالية الذاتية في التفكير واتخاذ القرارات التي يراها مناسبة له، ولكن يجب أن تكون في إطار قوانين منظّمة بالمجتمع يجب الاقتداء بها وعدم التعدي عليها.

### 3- الانتماء والولاء للوطن:

الانتماء إلى الوطن قضية أساسية يغذيها الشعور بالارتباط بالجذور والمنابع والأصول، ولا نعني بالانتماء إلى الوطن التغني بالأناشيد والشعارات، وليس الوطن مجموعة من المواد في الدستور تكفي بتسجيل حقوق المواطن، إنما الوطن هو المرادف لمعنى الأمن وتوفير الدفء النفسي والاطمئنان الاجتماعي، وهو مساحة من العدل والحنان. وعليه فالمواطنة تكون بصدق الانتماء للأرض والتاريخ، وبها يتعزز الارتباط الوجداني، حيث إنّ قضية الانتماء تتطلب التسلح بالشجاعة والمصادقية انطلاقاً من القناعة بالوجود والمصير(العربي،2014:53). وتكون رابطة الانتماء والولاء للوطن فوق كل الروابط القبلية والمناطقية والعشائرية الأخرى، فالانتماء والولاء يتجلّى في جانب الروح والوجدان، وإدراك الفرد لواجباته نحو الوطن، وأنّه لا بد لكل مواطن من مواجهة الأخطار التي قد تهدد الوطن الذي ينتمي إليه ويكون الانتماء بعدة وسائل وطرق يمكن إجمال أهمها فيما يلي (ابو شريعة،2014:550):

أ - التضحية من أجل الوطن في كل وقت وزمان وفي الخير والشر. وهذا يدل على الانتماء الحقيقي.

ب - أن يقوم الأفراد بواجباتهم في المجالات المختلفة كافة بصدق وأمانة، ليكون دليل وطنية صادقة وانتماء قوي.

ج - القيام بالأعمال التطوعية، والخيرية كافة، لتعود على المجتمع بالنفع والفائدة.

د - المحافظة على العادات، والتقاليد والقيم الاجتماعية، والتراث الثقافي التي يرضى عنها المجتمع.

ويمكن القول أن هذه المقومات لا بد أن تكمل بعضها البعض حتى يمكن الوصول إلى المواطنة الفعالة الحقّة التي من خلالها يمكن بناء الأوطان. ويمكن القول أن هذه المقومات

لابد أن تكمل بعضها البعض حتى يمكن الوصول إلى المواطنة الفاعلة الحقّة التي من خلالها يمكن بناء الأوطان فالمشاركة في الحياة العامة تستلزم المساواة وتكافؤ الفرص هذا يزيد من قوة الإلتناء والولاء للوطن

#### سادساً - آليات تعزيز المواطنة:

لبناء الدولة لابد من ترسيخ مفهوم المواطنة والمواطن، وهذا يتطلب وجود منظومة من الآليات التي تتضمن وسائل قاعدية تُعدّ الأساس الموضوعي لاسترجاع مبنى ومعنى المواطنة والمواطن، ومن هذه الوسائل والآليات ما يأتي:

#### 1 - التربية المدنية (التربية على المواطنة)

إنّ مفهوم التربية المدنية يتداخل مع مفاهيم تربوية كثيرة يجعلها بمثابة مفهوم عام تتضوي تحته المفاهيم الأخرى، أو على الأقل عدد كبير منها، وهو ما يعنى أن التربية المدنية - أو التربية المواطنة أو التربية من أجل المواطنة - كصيغة تربوية تمثل رؤية متكاملة لبناء الإنسان. ويعرّف كارين أيفانز ( Evans ) التربية من أجل المواطنة ( Education for citizenship ) هي تلك التربية التي تتطلب وفقاً لأدنى التفسيرات، تقديم المعرفة الأساسية بالقواعد المؤسسية التي تتعلق بالحقوق والالتزامات، وتتضمن وفقاً لأقصى التفسيرات، تعليماً ينمي القدرات الضرورية للمشاركة النشطة في العمليات الاجتماعية والسياسية.

للتربية المدنية أربعة محاور أساسية: حقوق الإنسان، والديمقراطية، والتنمية والسلام، يركز المحور الأول على تمكين المواطنين من المشاركة بقوة وفعالية في تعزيز وفرض وحماية حقوق الإنسان كأساس أخلاقي للممارسة الاجتماعية وسيادة القانون، في حين يركز المحور الثاني على المشاركة السياسية والمدنية الفعّالة، ويركز المحور الثالث على التنمية البشرية كأساس لحقوق الإنسان والديمقراطية ويشدد المحور الرابع على تحقيق السلام على جميع المستويات المحلية والقومية والعالمية (قاسم، 2006: 82-86). وتبقى المؤسسات التعليمية، الوسيلة الأكثر نجاعة لإنجاح التربية على المواطنة، فالمؤسسات التعليمية تأتي في مقدمة الوسائط التربوية - لاسيما في مراحل التنشئة الأولى - من خلال المقررات الدراسية والأنشطة المدرسية... الخ، التي يمكن من خلالها إكساب الأفراد قيم المواطنة ( قيم الحوار، التسامح، العقلانية... الخ)، ولكنّ التربية على المواطنة لا ينبغي حصرها في البيئات المدرسية فحسب، بل ينبغي تضافر كافة المؤسسات التي لها صلة بالموضوع،

فالبينة العائلية والمحيط الاجتماعي والمحيط المهني ومختلف وسائل الإعلام، كلها وسائط تلعب دورا كبيرا في التربية على المواطنة، سواء قبل المدرسة أو موازاة معها، أو بعدها. إن التعاون والتواصل والتنسيق بين أداء وأدوار المؤسسات التربوية، ضرورة لا مناص منها لإدراك مجتمع المواطنة. إن بناء المجتمع الخَيْر يحتاج إلى مساهمة كافة أفرادها، وبهذه الطريقة لا تتعارض النزعة الفردية والنزعة الجماعية، بل تساند كل منهما الأخرى (مينش، 2009: 123). وما أحوجنا اليوم إلى تربية مدنية - في وطننا الذي انعدمت فيه المواطنة الحقيقية وتقلصت فيه حقوق الإنسان، وتضاءلت فيه العدالة - من أجل تأهيل ناشئتنا تأهيلا أخلاقيا وديمقراطيا لقيادة البلاد على ضوء رؤية إبداعية ديمقراطية قائمة على أسس النظام والمسؤولية والانضباط، وبناء الدولة والأمة على معايير الإبداع والإنتاج والابتكار قصد الوصول إلى مصاف الدول المتقدمة والأمم المزدهرة حضاريا وعلميا وتكنولوجيا.

## 2 - التأسيس الدستوري للمواطنة:

يلعب الدستور في الدولة المعاصرة دوراً في ميدان تعزيز المواطنة بقدر ما يتعرض لأفراد الدولة كمواطنين، ويحدد حقوقهم، وواجباتهم. وليس الدستور مجرد مبادئ وقواعد تروم تنظيم السلطة، بحسبها القدرة على فرض احترام النظام، وحماية استقراره وديمومته، إنه أعمق من هذا المعنى. فهو تعبير عن روح الأمة، بواسطته يتوافق الناس على الفلسفة الناظمة لمؤسساتهم، وعبره يكرسون الحقوق والحريات التي يُقدِّرون أهميتها لتعايشهم، ويحددون في الآن معاً الضمانات والآليات التي تُسعفهم في ممارسة هذه الحقوق. لذلك ليست المواطنة مجرد إعلان دستوري للحقوق والحريات، إنها عملية توافقية حول المضمون والضمانات والوسائل، ولن تستقيم ممارسة المواطنة، وتتوطن قيمها في الثقافة السياسية بمجرد إقرارها في نصوص الدساتير، حتى وإن حظيت صياغتها بالحوار، والتوافق الوطنيين. فيقدر ما يلعب القانون أدواراً مفصلياً في التنظيم والضبط (Regulation) ( وفرض حكم المؤسسات، يحتاج بالقدر نفسه إلى روح الإرادة العامة التي تُحوّل قواعده ومبادئه إلى قيم جماعية مُنبئة في العقول والنفوس. لذلك تحتاج المواطنة بهذا المعنى إلى تربية، وإلى مِراس دعوب، واختبار منتظم لقيمتها) (ماكي، 2013: 34-36).

## 3 - الوعي السياسي والمشاركة السياسية:

يشكل الوعي السياسي المرتكز الأساسي لتحقيق المواطنة، وقدرة المواطن في الحصول

على المعلومة والتفاعل بها وتحليلها والتأكد من صحتها، من أجل اتخاذ القرار المناسب من خلال إدراكه ووعيه بالتغيرات المختلفة النابعة من البيئة الداخلية، والخارجية وقدرته على التكيف معها وذلك ليتمتع المواطن بالنضوج المعرفي لمنحه تحمل المسؤولية، والدفاع عن وطنه، ومجتمعه، إن لكل دولة نهج معين في تنظيم أبناء شعبها، وتعد السياسة ضمن مرحلة معينة هي: تأهيل الفرد ليؤدي دوره في المؤسسة بشكل حسن (أبوشريعة، 2014: 552)، وهنا لا بد من الانتباه إلى وجود فجوة واسعة بين المستوى المعرفي للنخب السياسية (الوصي) والمستوى المعرفي للمواطنين العاديين، فذلك يعكس مشكلة حقيقية تواجه كل رغبة جديدة لتحقيق المشاركة السياسية، وتحقيق أكمل وجه للمواطنة، ولكن يمكن تدارك ذلك بالتقليل من سعة الفجوة عبر استحداث مؤسسات جديدة تعد ضرورية لتكيف الديمقراطية وفق خصوصية المجتمع والوعي السياسي داخله (دال، 2005: 363). فمن المشاكل الحقيقية التي أفرزتها حالة انهيار مؤسسات الدولة عام (2011) وجود فجوة إدارية وقانونية وسياسية والتي ساهمت في تفجير الحساسيات، مترافقاً ذلك مع فوضى سلاح، وسعي بعض الجماعات للتسلح، مما مهد لانزلاق الأمور إلى منزلقات خطيرة، واستمرار دوامة العنف الداخلي لذلك يصبح من الملزم عودة هذه المؤسسات للتقليل من الفجوة الناتجة عن غياب المؤسسة، ليس فقط لاعتبارات الحفاظ على كيان الدولة، والمجتمع في مرحلة إعادة بناء الدولة وإنما لاستيعاب التغير الاجتماعي المتسارع، فالمؤسسية في أبسط معانيها « أحد أهم آليات النظام السياسي في أداء وظائفه المتنوعة وهي في ذات الوقت إحدى مقتضيات نمو وتطور نظام سياسي يكون قادرًا بدرجة عالية على الاستجابة لمطالب بيئته ففي الوقت الراهن يمكن اختزال ( المؤسسات القاعدية ) البنى التحتية للمؤسسات الواجب توافرها بالحد الأدنى بالجيش والداخلية، فوجود هذه المؤسسات ضروري ليس فقط لمعالجة المشكلة الأمنية، وإنما استخدامها كبوتقة صهر لمكونات الشعب، وهنا يمكن تشبيه دور هذه المؤسسات بالمؤسسات التربوية للتأهيل لثقافة سياسية واجتماعية موحده، وهنا لا بد من التأكيد على أن هذه المؤسسات ككيان مجرد بذاتها لن تعمل على تعزيز المواطنة ما لم تكن مقرونة بمبدأ الالتزام بمبنى ومعنى الحكم الصالح، وعلى مستوى النخب، والسلطة السياسية، فالحكم الصالح حكم قيمي لممارسة السلطة السياسية إلا أنه يتمحور بشكل مركزي حول قيادات سياسية منتخبة، وكوادر إدارية ملتزمة تعمل على إدارة شؤون المجتمع.

## النتائج

من خلال العرض النظري توصل البحث إلى نتائج عدة وهي كالآتي:

- 1- أن المواطنة كمفهوم هو من المفاهيم التي شهدت تطوراً متوازياً مع تطور المجتمعات والدول، وهو مرتبط بمكونات الدولة، له دلالات: (جغرافية) (الإقامة بشكل مستمر في بقعة جغرافية محددة تشكل إقليم لدولة معينة)، (اجتماعية) (عضوية الفرد في المجتمع، والتي تتجسد ليس عن طريق الجنسية، ولكن من خلال الهوية والشعور بالانتماء). ويمكن للمواطنة أن تبنى في المجتمع على أسس علمية ومنظمة وتشرف عليها الدولة وتسهر على حمايتها.
- 2- المواطنة في الفكر الإسلامي مضمونة من خلال مبادئ الدين الحنيف، والذي من أهم قواعده العدل والمساواة بين الجميع حكماً ومحكومين، إذ أن أفضل نموذج للدولة المدنية هو دولة الخلافة الرشيدة في صدر الإسلام.
- 3- يتميز المواطنون فيما بينهم في وطنيتهم ومواطنتهم بحسب تربيتهم وثقافتهم، وتأثير التعليم في سلوكهم، فمنهم من تقل لديه صفات الوطنية والمواطنة إلى حد السلبية، منهم من يرتفع لديهم مستوى الوطنية إلى حد المثالية.
- 4- لا يمكن إنجاز مبدأ المواطنة في فضاءنا الاجتماعي والوطني، إلا عن طريق تطبيق آليات معينة تعمل على تعزيز مفهوم المواطنة لدى المواطن، وأهم هذه الآليات هي التربية على المواطنة، وزيادة الوعي السياسي بها، التأسيس الدستوري لها.
- 5- تعاني ليبيا اليوم من غياب المؤسسة (الجيش والداخلية) التي تعتبر أحد أهم آليات النظام السياسي في أداء وظائفه المتنوعة. فوجود هذه المؤسسات ضروري ليس فقط لمعالجة المشكلة الأمنية، وإنما لتعزيز مفهوم المواطنة، الذي يعتبر من الأسس لبناء الدولة الحديثة.

## التوصيات والمقترحات

يرى الباحث أن النقاط المقترحة الآتية جديرة بالأخذ بنظر الاعتبار في حالة دراسة هذه العلاقات، أو التوسع في دراستها، أو العمل على ترسيخ نتائج هذه الدراسات التي يمكن إن تجرى في المستقبل فيوصي بما يأتي:

- 1- العمل على تأصيل مفهوم المواطنة من خلال دمج المفهوم في المقررات الدراسية،

والأنشطة المدرسية وخاصة في المراحل التعليمية الأولى. فالمؤسسات التعليمية تعتبر الوسيلة الأكثر نجاعة لإنجاح التربية على المواطنة التي يمكن من خلالها إكساب الأفراد قيم المواطنة ومبادئه.

2 - يجب تفعيل المؤسسة ( الجيش - الشرطة) التي يمكن من خلالها تفعيل سلطة القانون، لأنه لا مواطنة بدون قانون ينظم العلاقة والمسؤوليات، ويحدد الحقوق والواجبات، ويردع كل محاولات التجاوز والاستهتار.

3 - تفعيل المشاركة السياسية باعتبارها تمثل طيقاً واسعاً من الحقوق يمتد من حق الانتخاب، والترشيح إلى حل أزمة استيعاب القوى الاجتماعية الصاعدة، وخلق نوع من الإحساس بالملكية الجماعية للعملية السياسية عن طريق عقد مصالحة على المستوى الفوقي، لضمان توفير بيئة أكثر استقراراً للمصالحة على المستوى التحتي.

### المصادر والمراجع

#### المصادر

1 - القرآن الكريم - السنة النبوية

#### المراجع

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م.
- 2 - أبو شريعة، حمزة إسماعيل، المواطنة ودورها في بناء ثقافة الديمقراطية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، ملحق 1، 2014م.
- 3 - جنكو، علاء الدين عبد الرزاق، المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة، جامعة التنمية البشرية السليمانية، (ب.ت)، [www.google.com](http://www.google.com).
- 4 - حجازي، آمنة، الوطنية المصرية في العصر الحديث، القاهرة، ط 1، 2000م.
- 5 - حسين، عدنان السيد، المواطنة في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، بيروت، 2008.
- 6 - دال، روبرت، الديمقراطية ونقادها، ترجمة نيمير عباس، دار الفارس للنشر، ط 2، بيروت، 2005م.
- 7 - راتب، نجلاء عبد الحميد، الانتماء الاجتماعي للشباب المصري، القاهرة، 1999م.
- 8 - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (د.ت)، الصحاح، المركز العربي للثقافة والعلوم،



- طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مادة ( وطن ) -
- 9 - الرفاعي، يحيى، وآخرون، المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية رؤية جديدة لعام متغير، مركز البحوث السياسية، القاهرة، 2005م.
- 10 - زهران، سناء حامد، إرشاد الصحة النفسية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2004م.
- 11 - شنابر، دومنيك، باشوليه، كريستان، ما المواطنة، ترجمة سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط1، 2016م.
- 12- عبد التواب، ياسر حسن، المواطنة في الشريعة الإسلامية، دار المحدثين للنشر، القاهرة 2010م.
- 13 - العربي، بوحسون، الأسرة والمدرسة والتربية على المواطنة، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد 9، 2014م.
- 14 - عمار، رضوى، التعليم والمواطنة والاندماج الوطني، مركز العقد الاجتماعي، مصر، 2014م.
- 15- غليون، برهان، بيان من أجل الديمقراطية، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006م.
- 16 - غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
- 17 - فشار، عطاء الله، وآخرون، الوطن العربي والتحويلات الديمقراطية، منشورات مركز الحكمة، مجلة دراسات وأبحاث، العدد الأول، 2012م.
- 18 - فوزي، سامح، المواطنة، القاهرة، مركز القاهرة لحقوق الإنسان، 2007م.
- 19 - قاسم، مصطفى عبدالله، التعليم والمواطنة، مركز القاهرة لحقوق الإنسان، القاهرة، ط1، 2006م.
- 20 - الكواري، علي خليفة، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مجلة المستقبل العربي، العدد 264، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الأول، 2001م.
- 21 - ليلة، علي، المجتمع المدني العربي، قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، ط1 القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 2007م.
- 22 - مالكي، امحمد، الاندماج الاجتماعي، وبناء مجتمع المواطنة في المغرب الكبير، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث، ودراسة السياسات، قطر، 2013م.
- 23 - مذكور، علي أحمد، التعليم، وتأسيس المواطنة لدى الإنسان العربي، مجلة العلوم التربوية، العدد الأول، 2014م.

- 24 - مينش، ريتشاد، الأمة والمواطنة في عصر العولمة، ( ترجمة ) عباس عباس، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة السورية للكتاب، 2009م.
- 25 - ناصف، سمير، في التربية والسياسة ( متى يصير الفرد في الدولة العربية، مواطناً)، دار الطليعة بيروت، 2000م.
- 26 - النجولي، أحمد، المواطنة في الإسلام واجبات وحقوق، دار الكتب المصرية، 2010م.
- 27 - هيلد، ديفيد، نماذج الديمقراطية، ترجمة فضل جتكر، بغداد، ط1، 2006.
- 28 - الوقيان، فارس مطر، المواطنة في الكويت، مكوناتها السياسية والقانونية - تحدياتها الراهنة، مركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية، جامعة الكويت، 2008.
- 29 - ولد يب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، دار كنوز المعرفة، المملكة الأردنية، 2010م.
- 30 - ينظر الإعلان الدستوري، ليبيا 2011م.
- 31 - ينظر الدستور الليبي، الجمعية الوطنية الليبية، 7 أكتوبر 1951م.
- 32 - ينظر الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان، ليبيا، 1988م.
- 33 - يوسف، علي، المسلمون بين المواطنة الدينية والمواطنة السياسية، دار المعارف الحكيمة، 2013م.

# ظاهرة الربط وتأثير الجوار في العربية (القراءات القرآنية أنموذجاً)

د. محمد عبدالسلام الفقي\*

## ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة الربط وتأثير الجوار في العربية (القراءات القرآنية أنموذجاً)، لما لظاهرة الربط هذه من أهمية للكشف عن دلالة النص ومرامييه، ومساعدته على فهم المغايرة بين الأساليب في اللغة، وخير نموذج لهذا الكشف أساليب القرآن الكريم من خلال القراءات القرآنية المتعددة، فالقرآن الكريم له طريقتاه الخاصة في الربط بين الجمل، أو بداخلها من ناحية، ودلالاتها من ناحية أخرى، حيث لعبت هذه الروابط دوراً متميزاً في تحليل المغايرة في القراءات القرآنية، من خلال الجمل وتراكيبها في السياق القرآني، وهذا ما نجده في الدراسات النحويّة الحديثة، إذ تتجه إلى فهم الجملة وأبنيتها وطرائق الربط بين أجزائها.

وقد تم تقسيم البحث إلى مباحث .. وهي :

1. تنوع الروابط المعنوية
2. الربط بالواو بين المفردات في التركيب
3. الربط الظاهر بالواو وبين الجمل.
4. تنوع الروابط بين اللفظي والمعنوي.
5. الخلاصة: والتي تناولت ابرز النتائج التي توصل إليها البحث.
6. قائمة المصادر والمراجع.

## المقدمة:

إن النظام النحوي في شكله العام نظام معقد، مكون من شبكة ضخمة من العلاقات ((Relations)) المركبة المتداخلة من أجل بناء نظام لغوي متكامل من شأنه أن يؤدي كل الوظائف المنوطة به وعلى هذا الأساس فإنه " لا ينبغي أن ننظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الظواهر التركيبية المنفصلة كالكلمات، والأصوات، وكلام الأشخاص، ولكن باعتبارها نظاماً عضوياً تتداخل فيه كل الأجزاء : ويؤدي فيه كل جزء دوره وفقاً للعمليات التوليدية التي تكون البنية العميقة "، (عمايرة: 1987: 97) ومن ذلك نجد ( أن تذوق اللغة ليس أمراً عشوائياً، ولكنه نابع من فهم العلاقات اللغوية بين المفردات على الحقيقة والمجاز، ووضع هذه المفردات في بناء الجملة، ووسائل ترابطها مع العناصر الأخرى المكونة لبناء الجملة (حجازي: 1970: 64) .

ولذا نجد أن نظام العناصر اللغوية داخل الجملة والتراكيب خلال جملة من العلاقات يعدّ أمراً أساسياً في أي لغة وهذا النظام هو الذي يسهم في وحدتها وتماسكها وتأدية وظائفها .

وتعدّ الروابط من أهم الوسائل التي تكشف عن دلالة النص ومراميه، وتساعد على فهم المغايرة بين الأساليب في اللغة، وخير نموذج لهذا التغير أساليب القرآن الكريم، فالقرآن له طريقته الخاصة في الربط بين الجمل أو بداخلها من ناحية، ودلالاتها من ناحية أخرى، فلكل دلالة أسلوبها وشكلها المتميز .

وقد لعبت الروابط دوراً متميزاً في تحليل المغايرة في القراءات القرآنية من خلال الجملة وتراكيبها في السياق القرآني، وهذا ما نجده في الدراسات النحوية الحديثة إذ تتجه إلى فهم الجملة وأبنيتها وطرائق الربط بين أجزائها، وأثر ذلك على ما تصفه من دلالات، ونعني بمصطلح رابطة (Connector)، (قيام علاقة سياقية بين المعاني النحوية داخل التراكيب ؛ وذلك عن طريق الربط التلقائي (FROM-ITHJHJN) أو باستعمال أداة تدل على تلك العلاقة وتبين تفسير كثير من الظواهر في التراكيب القرآنية، سواء أكانت بين أجزاء الجملة من ناحية، أم بينها، وبين الجمل الأخرى من ناحية ثانية )، (وهران: 2009: 265) .

ولا تختلف دراسة الروابط عند النحويين وعند البلاغيين، فقد ركزوا في دراستهم للروابط في الجملة على الوظائف المعنوية بين التراكيب والقوة التأثيرية والسياق، كما

عرضوا في درسهـم البلاغي عن الناحية التعبيرية الجمالية في اتساق الخطاب التي تضيفها الروابط على الكلام يقول عبد القاهر: "واعلم أن العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف منها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة" (عبد القاهر: 1984: 222).

فعبد القاهر كان له السبق في التمهيد المبكر، وتوطئة مقدمة في الزمن، مما أصبح معروفاً اليوم باسم قواعد التماسك النحوي، (خيل: 2001: 213).

ومن المعروف أن التماسك النحوي، أو نقول عنه التماسك السياقي يُعدُّ جزءاً من النظام للغوي، وقوة التماسك تنتج عن العلاقات التي تنشأ بواسطة الروابط التي تبين في داخل اللغة نفسها .

وفي دراستها هذه الروابط في القراءات القرآنية كنموذج لظاهرة الربط نحاول أن نقدم وصفاً من خلال التحليل لبعض القراءات القرآنية من خلال كتب المفسرين وتوجيه القراءات والاحتجاج لها باعتبار هذه التحليلات من أهم الوسائل التي تساعد على تماسك النص بيان قيمته الدلالية، والروابط التي سيتم تحليل نماذج عليها وهي كالتالي :

تنوع الروابط المعنوية – الربط بالواو بين المفردات في التركيب .

الربط بالواو بين الجمل – تنوع الروابط بين اللفظي والمعنوي .

أولاً: تنوع الروابط المعنوية :

المقصود بالروابط المعنوية :

المقصود بالروابط المعنوية تلك التي تستغني بها الجمل حال التباس بعضها ببعض عن الربط الظاهر بالواو، أو بغيرها، ويترتب هذا الوجه في تحليل القراءة على التغيرات الإعرابي الذي يتعاقب على بعضها الآخر، ولا يقف تأثير هذه الظاهرة على الكلمة المفردة فحسب، بل يمتد إلى مواقع الجمل وعلاقات بعضها ببعض، ومن الشواهد ما ألمح إليه (مكي: 437هـ) في الربط المعنوي بين المشاركة الإعرابية مع تنزيل الجملة ما قبلها منزلة البدل، أو البيان عند توجيهه لقراءتي (أني أخلق لكم) بفتح همزة أن وكسرها في قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 49].

فبين أن قراءة الكسر لنافع، وقراءة الفتح للباقيين، ثم بين حجة من فتح بقوله: " فمن

فتح جعل الكلام متصلاً، فأبدل (أن) من (الآية) فصار التقدير جئتم بأني أخلق، ف(أن) في موضع خفض، وهو بدل الشيء من الشيء وهو هو ”(مكي:344).

فنسق الآية يترابط معنوياً، غاية ما في الأمر وجهة هذا الترابط تتنوع بالتحول في تركيب الآية فتحاً وكسراً، ففي قراءة الفتح تقوم على المشاركة الإعرابية بإيقاع جملة (أني أخلق لكم) موقع المفرد المنسبك . ويرى مكي أن قراءة الفتح هي الاختيار لاجتماع القراء عليه ولصحة معناه (مكي: 1/354).

في حين أن قراءة الكسر تجعل الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ومع ذلك تنتزل مما قبلها منزلة البدل في التفسير والبيان وهذا ما ذهب إليه مكي عند توجيهه لكسر همزة (إن) بقوله : ”ومن كسر جعل الكلام مستأنفاً، مبتدأ به، فكسر (أن) ويجوز أن تكون (أن) وما بعدها تفسيراً لما قبلها، فيكون في المعنى بمنزلة من الفتح، وأبدل من (ية) وتكون بمنزلة قوله: (وعد الله الذين آمنوا) ثم فسر الوعد فقال: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [البقرة:9] ”(مكي: 1/344، 345).

ومما يجري على هذه الشاكلة في نظر علماء التراث في توجيههم للقراءات القرآنية قراءتا (أنا صببنا) بفتح الهمزة وكسرها . من قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ \* أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿ [عبس: 24، 25] .

ذكر أبو حيان (ت745هـ) أن القراءة بالكسر، فهي على الاستئناف بقوله: ” فالكسر على الاستئناف في ذكر تعدد الوصول إلى الطعام ” (أبو حيان 8/42).

أما قراءة الفتح ” الفتح قالوا : على البدل ورده قوم لأن الثاني ليس الأول، قيل : وليس كما ردوا، لأن المعنى فليُنظر الإنسان إلى أنعامنا في طعامه فترتب البدل ،... كأنهم جعلوا البدل كل من كل، والذي يظهر أنه بدل الاشتمال “ (أبو حيان 8: 421).

وهذا ما أكده مكي قبل أبي حيان وذلك بشيء من التفصيل والتوصيف إذ يقول:(قرأه الكوفيون بفتح الهمزة، على بدل الاشتمال من الطعام، لأن انصباب الماء وانشقاق الأرض سبب لحدوث الطعام، ومعنى (إلى طعامه) إلى كون طعامه، أو إلى حدوث طعامه فهو موضع الاعتبار، وليس النظر إلى الطعام اعتباراً، إنما الاعتبار في النظر إلى الأشياء التي يتكون منها الطعام، وهو صب الماء، وانشقاق الأرض، والإنبات، ثم حدوثه وانتقاله من حال إلى حال ولا يكمل إلا بذلك، فهذا مما اشتمل فيه الثاني على الأول في البدل، وهو كثير في الكلام ف(أنا) في موضع خفض، أجاز بعضهم أن يكون (أنا) في موضع رفع على معنى : هو أنا صببنا، أي : هو صببنا الماء والأول أحسن وأقوى، وقرأ الباقر بالكسر على الاستئناف،

جعلوا الجملة تفسيراً للنظر، أي حدوث الطعام كيف يكون) (مكي 2: 362، 363).

ويستفاد من تحليل أبي حيان وتوصيف مكي أنّ الربط المعنوي قائم ومعتبر على القراءتين كليهما .

ويتنوع الرابط المعنوي عند أبي علي الفارسي (ت 337هـ) بين المشاركة الإعرابية، ووقوع الجملة الثانية مما قبلها موقع التأكيد عند تحليله لقراءتي (إنهم لا يعجزون) بكسر الهمزة وفتحها من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأَنْفَال: 59]، إذ يقول: "... وكما أن بعد هذه الآية من قوله تعالى: (ما يحكمون) منقطعة من الجملة التي قبلها، كذلك يكون ما بعد هذه، فتكون إن مكسورة على أنها استئناف كلام، كما كان (ساء ما يحكمون) كذلك، ووجه قول ابن عامر - أنهم لا يعجزون - أنه جعله متعلقاً بالجملة الأولى فيكون التقدير: لا تحسبنهم سبقوا؛ لأنهم لا يفرقون فهم يجزون على كفرهم" (الفارسي 2/306) .

وقد تأثر مكي بتحليل أبي علي منوهاً على الربط المعنوي بين تراكيب الجمل بغية التوكيد والتوضيح حيث قال: "قرأ ابن عامر بفتح الهمزة، على إضمار اللام، وحذفها، أي: سبقوا؛ لأنهم لا يعجزون، والمعنى: لا يحسبن الكفار أنفسهم فاقوا؛ لأنهم لا يعجزون، أي: لا يفرقون ف(أن) في موضع نصب لحذف اللام، أو في موضع خفض على إعمال اللام؛ لكثرة حذفها مع (أن)... وقرأ الباقون بكسر (إن) على الاستئناف، والقطع مما قبله، وهو الاختيار لما فيه من معنى التأكيد" (مكي: 494/1)، وهذا ما ذهب إليه القرطبي (ت 671هـ) بقوله: "وقرأ الباقون بكسر (إن) على الاستئناف والقطع مما قبله وهو الإخبار" (القرطبي: 34/8) .

فقراءة الفتح - أنهم لا يعجزون - لها ارتباط بنسق الآية قبلاً، وهو ارتباط المفرد بجملته، أما على قراءة الكسر فلا محل لها من الإعراب، ولكنها وقعت مما قبلها موقع التنزيل والتفسير .

#### ثانياً: الربط بالواو بين المفردات في التركيب:

محل هذا الربط الظاهر هو تغاير إعراب ما بعد الواو في القراءة؛ مما يؤدي إلى تحول في التركيب، وهو تغير المعطوف عليه تارة؛ ومن ثم تتنوع الاعتبارات المعنوية المترتبة عليه، وقد يسلم تارة إلى تنوع معنى الواو بين دلالتها على الربط الظاهر ودلالتها على الاستئناف، (الفارسي: 1/127) .

وعند النظر في هذا الاستئناف وإن كان دالاً على الابتداء بمعنى جديد، فهو لا يدل على أن هذا المعنى منبث الصلة مما قبله .

ومن الأمثلة على ذلك تحليل مكّي لقراءتي (وحوور عين) بالرفع والجر من قوله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة: 22]، إذ يقول : " من رفعهما : أنه حمل الكلام على العطف على (ولدان) أي : يطوف عليهم ولدان، ويطوف عليهم حور عين، ويجوز أن ترفع (حوراً) حملاً على المعنى ؛ لأنه لما علم أنه لا يطاف بالحوور عليهم، وكان معنى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب)، فيها أكواب، أو عندهم أكواب، أو لهم أكواب، أو ثم أكواب فعطف (وحوور عين) على هذا المعنى، كأنه قال : وثم حور عين، أو فيها حور عين، أو عندهم حور عين، أو لهم حور عين، فحمل ذلك على المعنى، ولا يحمل الكلام على لفظ (يطاف)، إذ الحور لا يطاف بهنّ عليهم " (مكي: 304/2) .

غير أن الفارسي يرى وجهاً آخر لحمل الرفع على قوله: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ [الواقعة: 15]، يريد وعلى سرر موضونة حور عين، أو : وحوور عين على سرر موضونة ؛ لأن الوصف قد جرى عليهنّ فاخصصن، فجاز أن تقع بالابتداء، ولم يكن كالنكرة إذا لم توصف نحو: ﴿ فِيهَا عِينٌ جَارِيَةٌ ﴾ [الغاشية: 12]، يريد : " وعلى سرر موضونة حور عين، أو حور عين على سرر موضونة ؛ لأن الوصف قد جرى عليهن فجاز أن تقع بالابتداء " (نفاresi: 20/4) .

ومكي بين حجة قراءة الكسر بقوله : " وحجة من خفض أنه عطفه على ( جَنَاتِ النَّعِيمِ) [الواقعة: 12]، والتقدير : أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حور عين، وفي مقاربة حور، ثم حذف المضاف، وأجاز قطرب أن يكون معطوفاً على (الأكواب والأباريق) فجعل (الحور) يطاف بهنّ عليهم، ولا ينكر أن يكون لأهل الجنة لذة في التطواف عليهم بالحوور، والرفع أحبّ إليّ ؛ لأن الأكثر عليه، ولصحة وجهه " (مكي: 304/2) .

ويلاحظ أن تحليل كل من مكّي والفارسي على الاستئناف لم يأت بحكم جديد مغاير لما قبله، بل هو مرتبط بسياق الآية أوثق ارتباطاً، فالتحول في هذا التركيب مقصود لتوضيح القيمة الدلالية، فالله عزّ وجلّ ذكر في هذه الآية الكريمة العطاء الذي منحه لأهل الجنة، فبدأ بالمعلوم وختمه بما تشاق له النفس بعد إشباع الرغبة بذهاب الجوع، يتحول إلى إشباع الرغبة من الحور العين، وهو ما أحدثه التحول من الجر إلى الرفع، وذلك مألوف وطبيعي في النفس البشرية ؛ إذ الجوع أسبق من غيره في تلبيته لذا قدمته



الآية، ثم أتمت العطاء بالحوار العين، وقد تعددت أمور العطاء بتعدد التراكيب بين الرفع والجر، وهذا ما ذهب إليه علماء التفسير (الرازي: 669هـ - 155/29) .

ومن الشواهد على أن الاستئناف - وإن كان يدل على الابتداء بمعنى جديد - فهو لا يدل على أن هذا المعنى منبت الصلة عما قبله ما تردد في تحليل قراءتي (والعمرة) بالنصب والرفع من قوله تعالى: ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة: 196] .

جاء في تفسير البحر المحيط أن قراءة الرفع على الابتداء والخبر فخرج العمرة عن الأمر، وينفرد به الحج، (أبوحيان: 80/2) .

فقد أدى هذا التغاير إلى تنوع معنى الواو بين عطف العمرة على الحج وإشراكها في حكمه، وقطعها مما قبلها واستئنافها بحكم جديد، وهذا التغاير أدى إلى خلاف فقهي حول حكم العمرة، والذي يعيننا في هذا البحث هو الوقوف على علة الربط بين الحج والعمرة على هذا النحو الذي أثارته قراءة الجمهور، ومن المعلوم أن هناك علاقة تلازم تربط بين الشعيرتين لاشتراكهما في بعض المناسك، ولا يؤثر على الترابط المعنوي بين المنسكين قراءة (العمرة) بالرفع على الاستئناف التي جاز معها الوقف الحسن على (الحج) بل نبتين بهما على استحباب العمرة لا وجوبها .

وقد يساعد تنوع إعراب المعطوف في القراءة إلى تنوع المعطوف عليه دون تغاير دلالة الواو، مما يؤدي إلى تنوع الاعتبار المعنوية المترتبة عليه ويتضح ذلك جلياً في تحليل وتوجيه مكي لقراءة (والأرحام) بالنصب والجر من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: 1]، إذ يقول: " والأرحام قراءة حمزة بالخفض على العطف على الهاء في به وهو قبيح عند البصريين، قليل في الاستعمال، بعيد في القياس، لأن المضمرة في (به) عوض عن التتوين، ولأن المضمرة المخفوض لا ينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف، ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر ويقبح في الآخر، فكما لا يجوز واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام، فكذلك لا يحسن: تسألون به والأرحام فإن أعدت الخافض حسن" (مكي: 375/1) .

وبيّن حجة قراءة النصب (والأرحام) بقوله: " بالنصب على العطف على اسم الله جلّ جلاله، على معنى واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور؛ لأن المعنى (مررت بزید) لا بست زیداً، فهو في موضع نصب، فحمل والأرحام

على المعنى، فنصب وهو الاختيار (مكي:1/376) .

وبنفس المعنى جاء تفسير أبي حيان لقراءتي النصب والجر (أبو حيان:3/165) .  
وما ذكره مكي وأبو حيان نجد فيه تغييراً لنسق التعاطف بينهما وبين ما قبلها حيث  
قرنت تارة بتقوى الله، وقرنت تارة أخرى بسبب من أسبابهما .

### ثالثاً : الربط الظاهر بالواو وبين الجمل :

يترتب على تغيير قراءات ما بعد الواو، سواء أكان فعلاً أم اسماً أم حرفاً، تنوع معنى  
الواو بين دلالتها على إشراك ما بعدها في حكم ما قبلها، ودلالاتها على الاستئناف، غير  
أن أثر ذلك لا يقف عند حدود الكلمة المفردة، بل يمتد إلى مواقع الجمل في التركيب،  
وعلاقات بعضها ببعض، مما يؤدي إلى تحول في تركيب الجملة، وإلى كثير من السياقات  
ذات قيمة بلاغية مناط بها حكم شرعي .

ومن الشواهد على ذلك قراءة (يكفر) بالياء والنون رفعاً وجرماً من قوله تعالى : ﴿لَنْ تَبَدُّوا  
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:271]، فقد ذهب أبو علي الفارسي إلى أن : " ويكفر من  
سيئاتكم، فرفع كان رفعه من وجهين أحدهما : أن يجعله خبر مبتدأ محذوف وتقديره ونحن  
نكفر عنكم من سيئاتكم والآخر : أن يستأنف الكلام ويقطعه مما قبله ، فلا يجعل الحرف  
العاطف للإشراك ولكن لعطف جملة على جملة، وأما من جزم فقال : (ونكفر عنكم) فإنه  
حمل الكلام على موضع قوله : (فهو خير لكم) ؛ لأن قوله : (فهو خير لكم) في موضع جزم،  
ألا ترى أنه لو قال : (وإن تخفوها) يكن أعظم لأجركم لجزم، فقد علمت أن قوله : (فهو خير  
لكم) في موضع جزم، فحمل قوله : (ونكفر) على الموضع ... " (الفارسي:481) .

وقد أدى هذا التغيير لمعنى الواو إلى اختلاف كثير بين المفسرين حول أظهر الوجهين،  
وأبلغهما في الدلالة على مراد الآية في سياقها، فابن جرير (ت310هـ) يذهب إلى اختيار  
الجزم ؛ لأنه : " يؤذن بجزمه أن التكفير، أعني تكفير الله من سيئات المصدق، لا محالة  
داخل فيما وعد الله المصدق أن يجازيه على صدقه ؛ لأن ذلك إذا جُزم مؤذن بما قلنا  
لا محالة ولو رفع كان يحتمل أن يكون داخلاً فيما وعد الله أن يجازيه به، وأن يكون  
خيراً مستأنفاً أنه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازة على صدقهم " (ابن  
جرير:62/3) .

في حين يذهب أبو حيان إلى أن الرفع أبلغ بقوله : ” الرفع أبلغ وأعمّ ؛ لأن الجزم يكون على أنه معطوف على جواب الشرط الثاني، والرفع يدل على أن التكفير مرتب من جهة المعنى على بذل الصدقات أبدية، أو أخفيت ؛ لأننا نعلم أن هذا التكفير متعلق بما قبله، ولا يختص التكفير بالإخفاء فقط، والجزم يخصه به، ولا يمكن أن يقال أن الذي يبدي الصدقات يكفرهن سيئاته فقد صار التكفير شاملاً للنوعين من إبداء الصدقات وإخفائها، وإن كان الإخفاء خيراً من الإبداء ” (أبو حيان: 329/2)، وهذا ما أشار إليه السمين الحلبي (ت756هـ: 652/1).

” فالرفع يجعل التكفير مقطوعاً عما قبله، وبه يكون الكلام مستأنفاً ” (القرطبي: 336/3). وعند التأمل في تحليل المفسرين، وتوجيه القراءتين نجد أن أبا علي عطف الجمل فاكتمى بما يناسب السياق العام، أما أبو حيان فقد ربطه بنسق الآية، إذ هو - كما قال - متعلق بما قبله .

وقد يتغير معنى الواو ويتنوع حركات الاسم بعدها، مثال ذلك : ما تردد في تحليل قراءتي (والجروح) بالرفع والنصب من قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: 45].

فبين مكى حجة رفع (الجروح) بقوله : ” وحجة من رفع أنه عطفه على موضع (النفس)، لأن (إن) دخلت على الابتداء، فلما تمت بخبرها وهو (بالنفس)، عطف (والعين) على موضع الجملة، وموضعها الابتداء، والخبر، فهو عطف جملة على جملة، وعطف ما بعد العين عليها ” (مكي: 409/1).

كما بين حجة من نصب بقوله : ” إنه عطف على لفظ (النفس) فهو ظاهر التلاوة وأعمل (أن) في النفس، وفيما عطف على (النفس) ولم يقطع بعض الكلام من بعض، وجعل (قصاصاً) هو خبر (أن)، إذا نصب (الجروح)، فإن رفعت الجروح فعلى الابتداء و(قصاص) خبره، وخبر أن في المجرور في قوله : بالنفس وبالعين وبالأنف وبالأذن كل مخفوض خبر لما قبله ” (مكي: 409/1).

ثم يضيف في حجة الرفع (الجروح) بأن ” من رفع (الجروح) أنه عطف على ما قبله، إن كان يقرأ برفع ما قبله، وإن كان يقرأ بنصب ما قبله، فإنما رفعه على الابتداء والقطع مما قبله و(القصاص) خبره، فيكون إذا قطعت مما قبله ليس مما كتب عليهم في التوراة، فإنما هو استئناف شريعة لأمة محمد ﷺ، وقد أجمعوا على الرفع على القطع ” (مكي: 410/1).

والمتمعن فيما ذكره مكي يجد أن الرفع قوي من جهة الإعراب والنصب قوي من جهة المعنى، واتصال بعض الكلام ببعض، غير منقطع ومحمول على أنه كله مكتوب في التوراة، فقراءة الرفع أحدثت تحولاً في التركيب، وكشفت الواو الاستثنائية عن معنى مستقل عما قبله جزئي وجديد في معناه، وبهذا يظهر تركيب يخالف مما سبقه يحول الكلام من العطف بالمفرد إلى جملة اسمية مختصة بحكم شرعي آخر مضاف إلى الحكم الذي سبقه .

### ثالثاً : تنوع الروابط بين اللفظي والمعنوي :

يتعاقب على الموضوع الواحد إثبات الرابط اللفظي، وحذفه في القراءة القرآنية، فيترتب على ذلك تنوع الروابط في تراكيب الجمل، فتكون لفظية تارة، أي بلفظها، وتكون معنوية تارة أخرى، ونعني بذلك جهات الربط الأخرى التي يتحقق بها الالتباس بين الجمل سواء أكانت بالمشاركة الإعرابية أم بغيرها .

وإثبات الرابط وحذفه ورد في تحليل بعض القراءات وهو ما يشار إليه بتنوع الروابط، ومن الشواهد على ذلك تحليل قراءتي (وقالوا) بإثبات الواو وحذفها من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ ﴾ [البقرة:116].

بين مكي قراءة ابن عامر بغير واو(قالوا) على الاستئناف إذ يقول : " جعله مستأنفاً غير معطوف على ما قبله . وقد علم أن المخبر عنه بهذا القول هو المخبر عنه، بمنع ذكر الله في المساجد، والسعي في خرابها، وكذلك في مصاحف أهل الشام بغير واو " (مكي:1/260) .

ومن تحليل مكي وأبو حيان لقراءة حذف الواو يستشعر الترابط المعنوي بين جملة (قالوا اتخذ الله ولداً) وما قبلها في نسق واحد .

كما بين مكي القراءة بالواو (قالوا) بقوله: " وقالوا : بالواو على العطف على ما قبله؛ لأن الذين أخبر الله عنهم بمنع ذلك في المساجد، والسعي في خرابها هم الذين قالوا: اتخذوا الله ولداً، فوجب عطف آخر الكلام على أوله؛ لأنه كله إخبار عن النصارى، ... وإثبات الواو هو الاختبار لثباتها في أكثر المصاحف؛ ولأن الكلام عليه كله قصة واحدة " (مكي:1/260) .

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان من أن قراءة إثبات الواو أكد في الربط، إذ يقول : " والجمهور على قراءة وقالوا بالواو وهو أكد في الربط، فيكون عطف جملة خبرية على

جملة مكانها، وقيل : هو عطف على قوله : (وسعى في خرابها )، فيكون معطوفاً على معطوف على صلة، وفصل بينهما بالجمل الكثيرة وهذا بعيد جداً ينزه القرآن عن مثله ” (أبوحيان:1/532) .

فقراءة إثبات الواو جرت على التأكيد والربط بلفظه ظاهر، ومن الأمثلة على تنوع الرابط اللفظي، والمعنوي إثبات الفاء وحذفها رفعاً وجزماً في قراءتي (فيغفر)، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:284] .

فوجه الجزم وإثبات الفاء عند الفارسي على ” أنه أتبعه ما قبله ولم يقطعه منه، وهذا أشبه بما عليه كلامهم، ألا ترى أنهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها ... فكذلك ينبغي أن يكون الجزم أحسن ؛ ليكون مشاكلاً لما قبله في اللفظ، ولم يخل من المعنى بشيء ... ومن لم يجزم قطعه من الأول، وقطعه منه على وجهين: إما أن يجعل الفعل خبراً لمبتدأ محذوف فيرتفع الفعل لوقوعه موقع خبر المبتدأ، وإما أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمهما ” (الفارسي:1/524) .

وبنفس هذا المعنى بين مكى حجة الجزم بقوله : ” وحجة من جزم أنه عطفه على (يحاسبكم) الذي هو جواب الشرط، فهو أقرب للمشاكلة بين أول الكلام وآخره ” (مكي:1/323) .

كما بين حجة من رفع على ” أن الفاء يستأنف ما بعدها، فرفع على القطع مما قبله، إما أن يكون أضمر مبتدأ على تقدير: فالله يغفر ويعذب فيكون جملة من ابتداء وخبر معطوفة على جملة، من فعل وفاعل، ويجوز أن يكون الفعل متعدداً فتكون معطوفة من فعل وفاعل على مثلها، والتقدير على هذا : فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، والجزم هو الاختيار لاتصال الكلام ” (مكي:1/323) .

والملاحظ على تحليل الفارسي ومكي للقراءتين أن : ظاهر الربط واضح إلا أنه على قراءة الجزم أوضح؛ وذلك ليكون مشاكلاً لما قبله في اللفظ، وهذا ما يعرف عند البلاغيين بتحسين العطف، وقد ذكره السكاكي (ت626، 153) .

أما قراءة الرفع فأجري العطف على الفصل، ونعني به القطع والاستئناف .

## الخلاصة

- توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التي يمكن أن نوجزها فيما يلي :
- إن ظاهرة الربط المعنوي تعني المشاركة الإعرابية من خلال تنزيل الجملة مما قبلها منزلة البدل، أو البيان .
  - إن الربط بالواو بين المفردات في التركيب يلاحظ تنوع الاعتبارات المعنوية المترتبة على مغايرة الإعراب ما بعد الواو في القراءة بين دلالتها على الربط الظاهر ودلالتها على الاستئناف، وإن كان على الابتداء بمعنى جديد .
  - عند الربط بالواو بين الجمل يؤدي التغير إلى تنوع معنى الواو بين دلالتها على إشراك في حكم ما قبلها ودلالتها على الاستئناف .
  - قد تتنوع الروابط اللفظية والمعنوية على الموضوع الواحد، فتكون لفظية تارة وتكون ومعنوية تارة أخرى، أي بجهة من جهات الربط الأخرى .

## المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الكوفي .
2. الإيضاح العضدي للفارسي، تحقيق د. حسن فرهود، مصر ط: 1389هـ .
3. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2001م .
4. لتحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي د. خليل عمايرة، مكتبة المنار، الأردن، ط: 1987م .
5. لتوجيه اللغوي للقراءات السبع عند أبي علي الفارسي، تأليف د. عمرو خاطر وهدان، مكتبة الآداب، ط: 2009م .
6. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، دار الحديث، القاهرة، ط: 1987م .
7. الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت) .
8. الحجة للقراء السبعة للطبري، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير خويجاني، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: 1987م .
9. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط: 1986م .
10. دلائل الإعجاز للجرجاني، تحقيق محمود محمد شاکر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1984م .
11. علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، د. محمود فهمي حجازي، المكتبة الثقافية (العدد 249)، القاهرة، 1970م .
12. في اللسانيات ونحو النص د. إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط: 2009م .
13. مفتاح العلوم للسكاكي، مكتبة مصطفى الحلبي، ط: 1990م .

# إعادة النظر في استراتيجيات الوقاية من جرائم تعاطي الخمور والمخدرات والمؤثرات العقلية

أ. وسام أحمد سالم البكوش \*

## ملخص البحث

من الملاحظ اليوم أن مختلف المجتمعات تعاني من تزايد كبير في معدلات ارتكاب جرائم تعاطي الخمور، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، وهذا هو مكن المشكلة ...، باعتبار أن تزايد معدلات ارتكاب هذه الجرائم يعني أن هناك تزايداً متصاعداً في أعداد المتعاطين، وهو ما يعني أيضاً تزايد معدلات ارتكاب الجرائم الأخرى المرتبطة بظاهرة التعاطي، كجرائم الانتاج والاتجار والترويج ... وغيرها من الجرائم الأخرى التي تضمنتها غالبية التشريعات الجنائية كالتشريع الجنائي الليبي من خلال القانون رقم « 4 » لسنة 1423 ميلادية بشأن تحريم الخمر وتعديلاته، والقانون رقم « 7 » لسنة 1990 بشأن المخدرات والمؤثرات العقلية وتعديلاته .

كما نلاحظ أن السياسة الجنائية بمجاليها: التجريم، والعقاب، التي تضمنتها هذه القوانين لم تكن كافية وحدها للحد من ارتكاب تلك الجرائم ، فكان لابد من الاتجاه نحو التركيز على استراتيجيات الوقاية في هذا الخصوص - وهذا ما يتعلق به موضوع البحث - ، فالوقاية دائماً خير من العلاج، إلا أنه عند الإطلاع على استراتيجيات وخطط الوقاية التي تتبعها غالبية المجتمعات وخاصة المجتمعات العربية نجد أنها استراتيجيات ضعيفة لم تحقق النجاح الكامل في مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة، ويبدو أنها لم تتمكن من اقناع جميع الأفراد المستهدفين بتجنب تعاطي تلك المواد، بحيث تتمكن فعلاً من هدفها المتمثل في الحد من تزايد أعداد المتعاطين والمدمنين، الأمر الذي يتطلب من جميع المؤسسات المعنية بمواجهة هذه الظاهرة أن تعيد النظر في خطط وبرامج الوقاية، وأن تبحث عن استراتيجيات بديلة تكفل تحقيق هذا الهدف ومعرفة مواضع القصور، والخلل في الاستراتيجيات الحالية، والوقوف على أسباب عدم كفايتها في وقاية أكبر عدد ممكن من الافراد من الوقوع في هاوية التعاطي والإدمان .

وبناءً على ما تقدم ذكره فإن مواجهة هذه الظاهرة تتطلب من كافة المهتمين، بالمساهمة في بناء استراتيجيات وقاية علمية جديدة، تتفادى أوجه النقد وجوانب الخلل والقصور التي اعترت خطط وبرامج الوقاية المتبعة حالياً .

\* كلية التربية، يفرن / جامعة الجبل الغربي

## تقديم وتقسيم :

تعد ظاهرة تعاطي الخمر والمخدرات والمؤثرات العقلية من أخطر الظواهر التي حلت بالإنفس البشرية على مر تاريخ الإنسانية القديم والحديث، لما لها من تداعيات صحية، واقتصادية واجتماعية ....، وغيرها ... ( انظر: عبد الخالق، رمضان، 2001: 327 وما بعدها ) .

ونتيجة لحجم الأضرار الناجمة عن تعاطي تلك المواد الضارة، اتجهت مختلف المجتمعات إلى مواجهتها بهدف مكافحتها، وذلك من خلال :

■ اتباع أساليب السياسة الجنائية المتمثلة في سياسة التجريم، وسياسة العقاب، لمواجهة سلوكيات العرض والطلب المتعلقة بالاتجار والتعاطي غير المشروع للخمر، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، كسياسة التجريم والعقاب التي تضمنها التشريع الجنائي الليبي ضمن القانون رقم « 4 » لسنة 1423 ميلادية بشأن تحريم الخمر وتعديلاته، والقانون رقم « 7 » لسنة 1990 بشأن المخدرات والمؤثرات العقلية وتعديلاته .

■ إتباع جملة من الخطط والبرامج الوقائية التي تستهدف الوقاية من تعاطي تلك المواد المحظورة ... وهذا الجانب بالتحديد هو ما يتعلق به موضوع بحثنا ...

ولكن قبل الخوض في ذلك يتعين بيان المقصود بمصطلحات: الخمر، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، حيث يعرف جمهور العلماء الخمر بأنه: كل شراب أسكر . ( لوكة، 1994: 25 ) . وتعرف المخدرات بأنها: كل مادة من شأنها أن تؤثر على الإنسان بديناً، أو عقلياً، أو نفسياً، بالسلب، أو الإيجاب، بحيث يصبح الإنسان بعد تعاطيها بأي شكل كان في حالة غير فطرية . ( أبو عيطة، ب - س: 16 ) . أو تعرف بأنها: المواد الخام، أو المزروعة، أو العقاقير المصنعة التي يتعاطاها الأفراد بغرض تبديل الواقع لديهم، ورفع معاناتهم، ليصلوا بها وعن طريقها إلى حالات نفسية أخرى مغايرة، وتشعرهم براحة أكثر حيث تؤدي إلى سلوك تلقائي يأتونه، يختلف بهم عن سلوكهم العادي . ( أبو حمرة، 1425: 14 ) منها الهيروين، والكوكايين، والأفيون، والحشيش، والقات ... وغيرها . أما المؤثرات العقلية فتعرف بأنها: كبسولات أو مساحيق تصنع من مواد كيميائية، يختلف تأثيرها من مادة إلى أخرى، فمنها ما له تأثير منبه للجهاز العصبي، ومنها ما له تأثير مهبط، ومنها ما له تأثير منشط، ومن بين المؤثرات العقلية « الإيفيتامينات » . ( أبو حمرة، 1425: 16 ) .



وليس خافياً على أحد اليوم أن متعاطي الخمر، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، في تزايد سنوي مستمر ويزداد خطورة . ( عبد الحليم، 2008، 87 )، وأن فعل التعاطي انتشر بين مختلف الفئات العمرية، ومن مختلف الطبقات الاجتماعية، ( لا بروس، 1993 : 48 ) . فظاهرة انتشار تعاطي الخمر مثلاً في تزايد مستمر ...، حتى ولو لم توجد إحصاءات سنوية حديثة ترصدها على النطاق الدولي — باعتبار أن تعاطيها يعد مباحاً في العديد من الدول —، وذات الأمر بالنسبة لظاهرة تزايد تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية، غير أن رصدها أصبح أمراً متاحاً كل سنة تقريباً، وذلك من خلال التقارير السنوية الصادرة عن مكتب الأمم المتحدة المعني بمكافحة المخدرات والجريمة، وبالإطلاع على التقرير السنوي الصادر سنة 2016، ( WWW. Arageek . com ) سنلاحظ حقائق الأرقام الصادمة التي توضح التزايد المفزع في أعداد المتعاطين، ولعل أبرزها :

- أن هناك نحو 247 مليون شخص تعاطوا المخدرات والمؤثرات العقلية هذا العام .
  - أن هناك حوالي 29 مليون شخص يعانون من اضطرابات مرتبطة بتعاطي تلك المواد .
  - أن 12 مليون شخص يتعاطونها باستخدام الحقن، مع ما يترتب عن ذلك من انتشار للأمراض الفيروسية المعدية، كالإيدز، والتهاب الكبد الوبائي .
  - أن هناك 207400 حالة وفاة مرتبطة بالتعاطي لأشخاص تتراوح أعمارهم بين 15 \_ 64 سنة .
  - ويتوزع متعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية ( بحسب نوع المادة التي يتم تعاطيها ) إلى :
  - 182 مليون شخص يتعاطون " الحشيش والماريجوانا " المستخرجة من نبتة القنب الهندي .
  - 55 مليون ومائة ألف شخص يتعاطون المؤثرات العقلية، أبرزها: " الإيفيتامينات " .
  - 33 مليون شخص يتعاطون " الأفيون، المورفين، الهيروين " المستخرجة من نبتة الخشخاش .
  - 18 مليون وستمائة ألف شخص يتعاطون " الكوكايين " المستخرج من نبتة الكوكا .
- فمن خلال مطالعة هذه الإحصاءات يتبادر إلى الذهن مباشرة أن هناك مشكلات

تتعلق بآليات مواجهة هذه الظاهرة، خاصة تلك المتعلقة بخطط وبرامج الوقاية من تعاطي الخمر والمخدرات، والمؤثرات العقلية، التي لم تحقق النتائج المنتظرة منها، مما يثير التساؤلات حول مدى جدوى وفعالية استراتيجيات الوقاية لمنع هذه الجرائم قبل وقوعها، وبالتالي إمكانية منع وقوع أكبر عدد من الأفراد ضمن دائرة التعاطي ثم الاعتماد أو الإدمان؟ فلماذا لم تتجح تلك الإستراتيجيات في تحقيق الأهداف المحددة لها؟ وكيف يمكن تلافي أوجه القصور والضعف الذي اعتراها، ومحاولة بناء استراتيجيات جديدة فعالة أكثر جدوى، قد تتجح في التوعية من خطر تعاطي كل ما يغيب العقل ويضر بالفرد، والمجتمع ككل؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها نقترح أن نقسم البحث إلى مبحثين اثنين، وكل مبحث يتضمن مطلبين اثنين، وذلك على النحو التالي :

**المبحث الأول:** أهم مظاهر الضعف العام في استراتيجيات الوقاية .

**المطلب الأول:** عدم نجاعة أساليب وبرامج الوقاية .

**المطلب الثاني:** إغفال أغراض التعاطي .

**المبحث الثاني:** محاولة تفعيل أساليب وبرامج استراتيجيات الوقاية .

**المطلب الأول:** ضرورة الأخذ في الاعتبار أغراض التعاطي .

**المطلب الثاني:** الاتجاه نحو تبديل سلوك التعاطي .

**المبحث الأول:** أهم مظاهر الضعف العام في استراتيجيات الوقاية

للاطلاع على أهم مظاهر الضعف العام لخطط واستراتيجيات الوقاية المتبعة داخل المجتمعات التي تعاني من تفاقم ظاهرة تعاطي الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية نقترح تقسيم هذا المبحث الأول إلى مطلبين اثنين، وذلك على النحو التالي :

**المطلب الأول:** عدم نجاعة أساليب وبرامج الوقاية :

طالما أن أعداد متعاطي الخمر والمخدرات والمؤثرات العقلية في تزايد سنوي مستمر، وطالما أن ظاهرة الاتجار بتلك المواد في تعاظم ورواج، فإن ذلك يلفت الانتباه مباشرة إلى أساليب الوقاية المتبعة، هل هي أساليب ناجعة وفعالة، أم أنها أساليب يعترها الخلل والقصور ... ؟

لا شك أن هناك أوجه خلل وقصور في أساليب وبرامج الوقاية، فقد أثبتت إحدى الدراسات

التي أجريت على ( 935 شاب ومراهق ) ممن تابعوا برامج تربوية ووقائية عن تعاطي الكحول والمخدرات، والمؤثرات العقلية، أن تلك البرامج تسببت في أثر مضاد لأهدافها؛ لأنها زادت من المعارف المكتسبة لديهم، والتي سهلت عليهم أفعال التعاطي . ( شابرون، 2001: 98 ) .

وأيضاً عند البحث في أساليب وخطط الوقاية المتبعة، سنلاحظ أن غالبية أجهزة مكافحة في معظم الدول، قد اكتفت بمجرد نصائح تحذيرية لمكافحة التعاطي، ووجهت عبر بعض الإعلانات، والملصقات، والمنشورات، واللافتات، والمقولات المدونة على بعض المنتجات والتي تضمنت في مجملها عبارات نمطية تقليدية، ربما أفرغها تغير الزمن والتكرار من محتواها الوقائي ... !! منها: ( الخمر مضره بالجسم، الخمر مغيبة للعقل، المخدرات طريقك إلى الهلاك، لا للمخدرات نعم للحياة، المخدرات تهلك الأبدان وتشرذم الأسر وتتلغ الأموال المخدرات تسبب الوفاة، المخدرات والمؤثرات العقلية من أسلحة الدمار الشامل، المخدرات آفة العصر ...، وغيرها ) . فمجموع العبارات المستخدمة في تلك النصائح، أو النداءات تأخذ في الاعتبار فقط ( أخطار وأضرار التعاطي )، أي أنها تتمحور حول النتيجة السلبية المستقبلية المتوقعة التي قد تحدث نتيجة للتعاطي ... والتساؤل المطروح هنا: ما مدى مساهمة هذه الأساليب في إبعاد الأفراد عن دائرة التعاطي ؟

الإجابة عن هذا التساؤل تتطلب منا توضيح دور هذه المساهمة الوقائية خلال فترتين فترة ما قبل بدء التعاطي، وفترة بدء التعاطي وحتى الوصول إلى مرحلة الاعتماد النفسي أو الجسدي أو كليهما معاً ( الإدمان ) :

#### الفرع الأول: خلال فترة ما قبل بدء التعاطي :

ربما أثرت أساليب وبرامج الوقاية أياً كان نوعها وطبيعتها على بعض الأفراد، ونجحت في إبعادهم عن تعاطي تلك المواد المحظورة ( بالتضافر مع العوامل الكابحة الأخرى، كالوابع الديني، والقدوة الحسنة، والدور الأسري ... وغيرها ) بحيث استطاعت تلك الفئة أن تستوعب خطر أضرار التعاطي، ومن ثم تمكنت من تجنبه ...، ولكن تلك الأساليب لم تؤثر في غالبية الفئات المستهدفة بها ... !! لذا فإن دورها الوقائي يظل دوراً محدوداً ...؛ لأن واقع الإحصاءات المذكورة ضمن تقرير مكتب الأمم المتحدة المعني بمكافحة المخدرات والجريمة تثبت التزايد الكبير في أعداد المتعاطين ...، مما يعني أن الأفراد المتأثرين بأساليب وبرامج الوقاية قبل بدء التعاطي هم فئة قليلة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن هناك دوافع ومرغبات أخرى تدفع بقوة أكبر نحو التعاطي !! ولم تؤخذ في الاعتبار عند بناء استراتيجيات الوقاية .

ففي الاتجاه المضاد للنصائح التحذيرية، نلاحظ مدى قوة وفعالية برامج الدعاية والترويج والترغيب في تعاطي الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية، والتي تبحث باستمرار عن المتعاطين ( خاصة المستهلكين الجدد )، والتي تطورت تطوراً سريعاً، وسخرت لها كافة معطيات التقنيات الحديثة، الأمر الذي ساهم بدوره في تفرغ استراتيجيات الوقاية التقليدية من محتواها، فمثلاً هناك دور كبير لوسائل الإعلام المختلفة في الترويج للتعاطي ( عبد الخالق، رمضان، 2001: 316، 317 )، حيث يتم عرض إعلانات تجارية للخمر تبث يومياً على شاشات وسائل الإعلام، وهناك دعاية كبرى لوسائل الدعاية والإعلان المختلفة، التي تروج للأدوية النفسية المتنوعة، بتشجيع من الشركات المصنعة لها . ( الحجار، 1998: 190 )، وهناك أيضاً إنتاج لأنواع جديدة من تلك المواد . ( لاوسون، 2008: 24 )، كما أن هناك أسواق متاحة للتجار غير المشروع بمختلف أنواع المخدرات والمؤثرات العقلية ضمن مواقع شبكة المعلومات الدولية الإنترنت ( بن يونس، 2004: 21 وما بعدها )، تتضمن شرحاً وافياً لكل مكوناتها، وكل خصائصها، وطرق زراعتها، ووسائل تصنيعها، وكيفية استخدامها (تعاطيها لأول مرة، عدد جرعات، المدة بين كل جرعة وأخرى )، وأية معلومات أخرى جديدة متعلقة بها، دون تحكم أو رقابة، وبدون أي مجهود يذكر... ( بن يونس، 2004: 33 ) .

#### الضرع الثاني: ما بعد بدء التعاطي وحتى الوصول إلى مرحلة الاعتماد « الإدمان » :

بمجرد بدء التعاطي ( الذي لم تتجح أساليب وبرامج الوقاية السابقة في إبعاده ) باستهلاك المواد المحظورة أياً كان الدافع لذلك ( بالصدفة، أو بدافع التجربة أو الفضول، أو حب الاستطلاع، أو لدواعي طبية ) لا تحدث النتائج البدنية الخطيرة التي تتحدث عنها أساليب الوقاية التقليدية عبر النصائح والنداءات التحذيرية سائلة الذكر، فاضرار وأخطار التعاطي لا تظهر خلال هذه المرحلة، التي يشعر الفرد خلالها بأنه لا يزال في حالة طبيعية، وقليلاً ما تحدث له آثار مزعجة، وأن بإمكانه أن يستمر في التحكم بالتعاطي ( عبد الخالق، رمضان، 2001: 320-321 )، وإنما يظهر تأثير أضرار التعاطي خلال فترة لاحقة، تتراوح ما بين ستة أشهر وعدة سنوات، بحسب نوع المادة ( خمر، أو مخدر، أو مؤثر عقلي)، وبحسب التكوين الجسدي والنفسي للفرد ... ( عبد الخالق، رمضان، 2001: 320 ) .

وبعد بدء التعاطي ...، تبدأ مرحلة ( التعاطي المقصود ) . ( عبد الخالق، رمضان، 2001: 321 )، التي يبدأ خلالها التأثير الكيميائي لتلك المواد على الفرد، وهذا التأثير تترتب عنه آثار فسيولوجية جسدية، ونفسية عديدة . ( أبو حمرة، 1425 م: 95 )، فمثلاً الخمر سائل

يحتوي على نسب متفاوتة من الكحول، تترتب عنه آثار جسدية، فكلما ارتفعت نسبة الكحول في الخمر، ارتفع مقدار تأثيرها على الجهاز العصبي للفرد، وبالتالي ظهور آثار السكر في وقت قصير جداً . ( نوكة، 1994: 36 وما بعدها )، كما أن له آثار نفسية أخرى تلي حدوث السكر، منها الحصول على النشوة، ونسيان الهموم، والعجز عن كبح جماح الرغبات، وهي آثار نسبية تختلف من شخص إلى آخر . (عزمي، 2010: 170) . وكذلك المخدرات والمؤثرات العقلية لها عدة آثار، فتصنف حسب تأثيرها الكيميائي (أبو حمرة، 1425 م: 16 وما بعدها) إلى منبهات أو منشطات: تنشيط الجهاز العصبي وتطرد النوم منها الكوكايين، والبنزدرين، والمسكالين، والأمفيتامينات . ومسكنات: تؤدي إلى الخمول والركود والنوم، أو تسكن الآلام، منها الأفيون ومشتقاته ( المورفين، والهيريون )، والحشيش .

وبعد حدوث التأثير الكيميائي المذكور بفترة، تبدأ أخطر مرحلة يمر بها المتعاطي، حيث يبدأ في الانتقال تدريجياً من مرحلة مجرد التعاطي المقصود إلى مرحلة ( الاعتماد النفسي، أو الجسدي، أو كليهما معاً )، وذلك بحسب نوع المادة المسكرة، أو المخدرة، أو المؤثرة عقلياً، ويقصد بالاعتماد: آثار نفسية تعاش إيجابياً وتتجلى في الرغبة الملحة في تكرار التعاطي للشعور بحالة عقلية لذيذة، أو لطرد الشعور بالضيق ( شابرون، 2001: 9) . كما يعرف بأنه: الحالة الناتجة عن تعاطي المادة المحظورة بما يسبب الشعور بالارتياح والإشباع، وتولد الدافع النفسي لتناول المادة بصورة متصلة، لتجنب الشعور بالقلق، أو لتحقيق اللذة . (عبد الخالق، رمضان، 2001: 296) . أما الاعتماد الجسدي فيقصد به: حصول ارتباط وثيق بين تعاطي المواد المحظورة وأداء أعضاء الجسد لوظائفها، بحيث يؤدي الانقطاع عنها إلى اختلال في وظائف الجسم الحيوية . (أبو حمرة، 1425 م: 112) . أو هو الحالة التي ينتج عنها تكيف وتعود الجسم على المادة، مما يؤدي إلى ظهور اضطرابات عضوية شديدة لدى المتعاطي عندما يمتنع عن تناول العقار بصورة مفاجئة، حيث تظهر أعراض انسحاب تأثير المادة من الجسم عند التوقف عن استخدامها ... (عبد الخالق، رمضان، 2001: 297) . أما الاعتماد النفسي والجسدي معاً، أو ما يسميه البعض الإدمان . (عزمي، 2010: 77)، فيعرف بأنه: الحالة النفسية والعضوية التي تنتج عن تفاعل العقار في جسم الكائن الحي بحيث ينتج عن ذلك أنماط سلوكية واستجابات مختلفة، تشمل دائماً الرغبة الملحة في تعاطي المادة، للشعور بآثارها النفسية، أو ملاقات الآثار المقلقة نتيجة عدم توافرها . (عبد الخالق، رمضان، 2001: 297) .

وخلال مراحل الاعتماد بأنواعه، يصبح المتعاطي تحت تأثير عوارض المواد التي يتعاطاها، وتدرجياً يتطلب الأمر العودة للتعاطي، وربما زيادة في الجرعة، للحصول على تأثير المادة، أو استبدال المادة بمادة أخرى أقوى منها، للوصول إلى اشباع الأغراض التي يحققها المتعاطي أثناء سريان مفعول تلك المادة .

والملاحظ هنا أنه خلال هذه المراحل المختلفة للتعاطي، لم تتحقق بعد النتائج السلبية والمخاطر المتنوعة جراء تعاطي تلك المواد ( كالشعور بالضياع، أو الإحساس بالألم، أو حصول الاضطراب المرضي، أو حدوث الهلاك )، وبالتالي فلن يكون للنصائح والنداءات التحذيرية الوقائية الموجهة للأفراد من خلال الإعلانات، والملصقات، والمنشورات، ووسائل التوعية الأخرى ...، أي تأثير في نمط شخصية المتعاطي، فالذي حصل خلال هذه المراحل هو تحقيق المتعاطي للأغراض المتنوعة التي استهدفها من التعاطي ...

#### المطلب الثاني: إغفال أغراض التعاطي :

لعل من أوجه قصور ونقص استراتيجيات الوقاية من جرائم تعاطي الخمر، والمخدرات والمؤثرات العقلية، أنها أهملت جانباً مهماً من جوانب هذه الظاهرة، والمتمثل في أغراض أو أهداف التعاطي، حيث أنها أنكرتها، ولم تأخذها بعين الاعتبار عند إعداد اساليب وبرامج الوقاية، مع أن لجوء الفرد – المتعاطي – إلى تحقيق هذه الأغراض النفسية والاجتماعية، أو الجسدية بدأ منذ اكتشاف التأثير الكيميائي لتلك المواد، أي منذ آلاف السنين وحتى يومنا هذا وهو ما يتطلب منا توضيح بعض أغراض التعاطي التي يسعى المتعاطي للوصول إليها :

#### الضلع الأول: أغراض ذات طبيعة « نفسية واجتماعية » :

استعملت المواد المحظورة لتحقيق العديد من الأغراض النفسية، أو الاجتماعية، لعل أبرزها :

#### 1 - الحصول على الغبطة والنشوة :

من أكثر الأغراض التي تستهلك الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية للوصول إليها هي الحصول على بعض الآثار النفسية، كالفرح والغبطة، فمتعاطي الخمر التي يسميها البعض: المشروبات الروحية . (الحجان، 1998: 186 )، يسعى للوصول إلى ما يعتقد أنه منافع شرب الخمر ( النشوة، السرور، والارتياح، والنسيان، وطرد الملل )، فمنذ زمن بعيد انتشر شربها عند العرب قبل الإسلام، حيث كانت سبيلهم للبهجة، واللهو، والمتعة والراحة النفسية، سواءً من خلال شربها، أم من خلال خلطها بالطعام . (الذبياني، 1428م:

182)، ولذلك فهي لم تحرم عليهم دفعة واحدة، — وهو ما سنبينه لاحقاً — وإنما حرمت عليهم بالتدرج: لأنها كانت متمكنة منهم ... (لوك، 1994: 50 وما بعدها).

وكذلك الأمر بالنسبة للمواد المحظورة الأخرى ...، فهناك اعتقاد بأن الرومان هم من زرعوا الخشخاش في سهل البقاع اللبناني منذ أكثر من 2000 سنة، حيث وجدت رسوم نبتة الخشخاش منحوتة على خرائب هياكل: باخوش، وجوبيتير، في بعلبك حيث سميت: نبتة النشوة. (لابروس، 1993: 99)، كما انتشر تعاطي مخدر الحشيش في عصر المماليك بين الفقراء والمضطهدين؛ لتخفيف آلامهم النفسية، وبعث السعادة في نفوسهم التي خيم عليها اليأس والقنوط. (أبو عيطة، ب-س: 18)، وحتى اليوم يلجأ الأفراد في الوقت الحالي إلى تعاطي هذا المخدر لتحقيق أغراض عدة، منها الحصول على المتعة، والنشوة، والحبور والترفيه، وحب السرور، خاصة إذا تم تعاطيه في مجموعات يشعر خلالها الفرد بفاعلية العلاقات الودية والصدقة. (أبو حمرة، 18: 1425)، والتي تعرف بمجموعات (الفرز). (الساماتي، 1992: 237).

وأيضاً تستهدف هذه الأغراض عند تعاطي أنواع أخرى من المخدرات والمؤثرات العقلية كمخدر « القات » الذي ينتشر تعاطيه على نطاق واسع في اليمن والصومال؛ لأنه يثير شعوراً بالعظمة لدى الفرد، عندما يوصله إلى النشوة، والبهجة، والانسجام. (أبو عيطة، ب-س: 40)، ومخدر « الكراك » المستخرج من مادة الكوكايين الذي ينتشر تعاطيه في الولايات المتحدة الأمريكية عبر التدخين، حيث يصل تأثيره إلى خلايا الدماغ بسرعة، فيشعر متعاطيه شعوراً قوياً بالغبطة والسعادة لمدة 15 دقيقة، ثم يليها مرحلة اضطراب وهيجان تحمله على تناول جرعة أخرى على الفور، وهكذا يتكرر الأمر مجدداً ... (لابروس، 1993: 187)، ومشتقات المؤثرات العقلية « كالأمفيتامينات »، التي زاد استخدامها حديثاً لأنها أرخص ثمناً وينتج عن تعاطيها تنفيساً عن الغم، وحبلاً للغبطة، لمدة تدوم حوالي 16 ساعة. (لابروس، 1993: 194).

ونتيجة لتعاطي تلك المواد وحدوث تأثيرها النفسي، وإحساس الفرد بالنشوة، والغبطة والتفاؤل، يصبح الفرد متعوداً عليها (الاعتیاد Habituation على المخدر: هي الحالة يتكون فيها تشوق للتعاطي، بسبب ما يحدثه من شعور بالراحة، وهذا التشوق ليس وراءه قوة مكرهة، وهو ما يميزه عن التعود والإدمان ... (عبد الخالق، رمضان، 2001: 296)، فيكرر فعل التعاطي كلما أراد الحصول على هذه الأغراض، أي استعادة الخبرة، وتكرار الممارسة بعد مرور فترة زمنية معينة، للحصول على تلك الأغراض التي تلذذ بها المتعاطي تلذذاً بالغاً. (الساماتي، 1992: 215).



## 2- أداء بعض الطقوس الدينية :

نظراً للتأثير النفسي والفسولوجي للخمور، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية، فقد انتشر استخدامها من قبل مختلف الشعوب منذ القدم، وخاصة للأغراض الدينية، حيث حمل السومريون منذ 6000 سنة قبل الميلاد، مادة الأفيون إلى اليونان، الذين كانوا يوحدون بين هذه النبتة المقدسة لديهم وآلهة الليل نوكس (Nox)، وآلهة الأحلام مورفه (Morphee). (لابروس، 1993: 20)، كما استخدمت حضارات قديمة أخرى مخدر " الماريجوانا " منذ ما يقرب 5000 سنة. (أبو عيطه، ب-س: 16)، وحتى اليوم تستخدم العديد من المواد لهذه الأغراض، ففي تايلاند تتضرع قبائل « الليزو » و« اللاهو » في بعض المناسبات الدينية إلى « روح الأفيون » كي تمنح العائلة حمايتها، كما كان يقدم في المراسم الجنائزية، ويدفع معاشاً لرجل الدين. (لابروس، 1993: 149)، وفي أماكن أخرى كانت تقدم كقربان للآلهة، وتوضع في أفواه الموتى، لتؤمن لهم دخول الجنة، ولازالت تستخدم في هذه الأغراض حتى يومنا هذا، خاصة في دول: بوليفيا، والبيرو، وكولومبيا، نظراً لما تحدثه من غيبوبة وتخيل... (أبو حمرة، 1425: 20). ونفس هذا التوجه كان سائداً في مناطق شرق أفغانستان، الذين اعتبروا أن استهلاك مخدر الحشيش عن طريق التدخين يمثل « الدليل إلى الجنة »... (لابروس، 1993: 78)، وأيضاً في باكستان يؤكد أكثر المتعاطين أن غرض تعاطي مادة الهيروين يرجع إلى التصاعد الحديث للسلوك الديني المتشدد... (لابروس، 1993: 48). وفي إيران، والعراق، والشام، ومصر، انتشر تعاطي مخدر الحشيش على أساس ديني، مما أدى إلى تقديسه، حيث أوصى أحد شيوخ الطريقة الصوفية تلاميذه وتابعيه بتعاطيه.. (أبو حمرة، 1425: 55)، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يسمح للهنود الحمر بتعاطي عقاقير مهلوسة لأداء طقوسهم الدينية، تمشياً مع مبدأ حرية الديانة. (أبو حمرة، 1425: 25)، وأيضاً في الصين، واليابان، ولدى قبائل أفريقيا، انتشر استخدام تلك المواد لتحقيق نفس الغرض عند أداء الطقوس الدينية، باعتبار أن حدوث الغيبوبة والتخيل الناتجة عن التعاطي، يؤدي في النهاية إلى إطلاق الروح من قيد البدن... (أبو حمرة، 1425: 58 وما بعدها).

## 3- المشاركة في المناسبات الاجتماعية :

فالتعاطي قد يكون وسيلة للقيام بدور اجتماعي معين، أي أن تعاطي المواد المسكرة، أو المخدرة، أو المؤثرة عقلياً، قد يرتبط بنوع معين من العرف الشائع لدى بعض الجماعات



حيث يحتم عليهم تقديم هذه المواد في المناسبات الاجتماعية التي تشيع فيها البهجة، والفرحة وهي مناسبات كثيرة على امتداد السنة... (الساعاتي، 1992: 224)، فمثلاً: الخمر يعتبر شربه في المجتمعات الأنجلوساكسونية بمثابة أعراف وعادات. (الحجار، 1998: 194)، وعادة لا يتم شربه بشكل فردي إلا نادراً، بل يتم التعاطي كسلوك جماعي ( لا نشرب فقط عند اللقاء، بل نلتقي أيضاً لنشرب ... ) . (شابرون، 2001: 33) . ومخدر القات الذي ينتشر تعاطيه في اليمن، والصومال، ودول أفريقية أخرى، له بعد اجتماعي « موروث اجتماعي »، ففي المجتمع اليمني يسمى القات « قوت الصالحين » أو « زهرة الجنة »؛ لأنهم يعتقدون بأنه يساعد على الصلاح، لذا يتم تعاطيه خلال جلسات اجتماعية عبر مضغه وامتصاص أوراقه، ومناقشة القضايا الاجتماعية، التي يحس المتعاطي خلالها بروح المحبة والتآخي، والقبول الاجتماعي، الأمر الذي يعطي عملية تعاطي مخدر القات بعداً اجتماعياً وثقافياً... (أبو حمرة، 19: 1425)، ومخدر الهيروين الذي ينتج ويروج ويستهلك بكثرة في باكستان، له أيضاً بعد اجتماعي، فليس مستغرباً أن تجد مخدر الهيروين في لاهور ممزوجاً بأوراق التبوت « نبات يمضغ » يوزع بمناسبة الاجتماعات الشعبية بعد الانتهاء من وجبات الطعام (لابروس، 1993: 49)، ومخدر الكوكايين الذي يتم تعاطيه في لبنان خلال المناسبات الكبرى بالرغم من غلاء ثمنه . (لابروس، 1993: 104)، ومخدر الحشيش الذي أصبح فاكهة الأفراح والتجمعات . (عبد الحليم، 2008: 86)، ومخدر الماريجوانا الذي ينتشر تعاطيه في أمريكا، والذي يستعمل بكثرة خلال المناسبات المختلفة، كالحفلات الموسيقية، للوصول إلى أقصى درجة استمتاع بها، وذلك من خلال إحداث الشعور ببطء مرور الوقت، مما يمكن العازف من قوة العزف وباسترخاء عصبي . (أبو حمرة، 1425: 58 وما بعدها)، ومخدر الخشخاش الذي يزرع في هنغاريا على نطاق واسع لأغراض غذائية ويحضر مع أقراص الحلوى التقليدية الخاصة بعيد الميلاد والفصح . (لابروس، 1993: 113) .

#### 4- الانفصال عن الواقع « تحقيق الأهداف في الخيال » :

يمثل التعاطي أحد الأساليب التي يستعملها الفرد للهروب من الواقع المعاش — نتيجة الصراع القائم بين الفرد والمجتمع — أي الفرار الوهمي من الواقع، وهمومه، ومشكلاته التي لا يستطيع الفرد تحملها، ولا يفلح في إيجاد الحلول لها، وبتعاطيه لتلك المواد، كالكحول، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية، يقوم بملء الثغرات النفسية التي لا يمكن لسلكه أن يملأها . (أبو حمرة، 1425: 104 وما بعدها) . وهذه الأغراض يستهدفها العديد

من المتعاطين، فمثلاً في باكستان هناك تصاعد في تعاطي مادة الهيروين لدى الطبقات المتوسطة، والسبب يرجع إلى رغبتهم في الهروب من الواقع . ( لا بروس، 1993: 50 )، وتحقيق الأماني والرغبات والأهداف في خيال المتعاطين، بعد أن عجزوا عن تحقيقها في الواقع المعاش، كما أن هناك مخدرات ومؤثرات عقلية أخرى تستخدم لهذا الغرض، كمخدر الحشيش الذي يؤدي إلى الهدوء والسكينة، والانعزال . (عزمي، 2010: 173 )، وتنشيط خيال المتعاطي، وترك العنان له ليجول في فردوس النعيم الذي يود له الاستمرار والدوام . ( اساعاتي، 1992: 225 )، حيث يصبح التعاطي وسيلة الهروب من الواقع التعس المريع (أبو عيطة، ب-س: 33 ) وتصحيح مشاعر الدونية، واضطرابات فشل التكيف الاجتماعي (شابرول، 2001: 89) وكذلك بعض الإمفيتامينات والعقاقير المهلوسة الأخرى، التي تصاعد اللجوء إلى تعاطيها حديثاً لتحقيق هذا الغرض؛ لأنها تؤثر تأثيراً بالغاً على الحواس، بما تسببه من هلوسات بصرية وسمعية، حيث يفقد المتعاطي القدرة على ادراك الزمان والمكان، ويؤدي بالفرد إلى الانفصال عن الواقع الخارجي، ويتجاوز حدود الذات إلى عالم أكبر بكثير من العالم الذي كان يعيش فيه . ( أبو حمرة، 1425: 24 ) .

##### 5- التخلص من الاضطرابات النفسية :

لطالما لجأ الإنسان إلى تعاطي مختلف المواد المحظورة، بهدف التخلص من أوضاع نفسية معينة، كالقلق، والتوتر، والإحباط، لأن الفرد قد لا يستطيع تحمل ضغط أعباء الحياة ومشاغها، وبالتالي ينشد الخلاص من هذا الوضع التعس، إلى حال أخرى هادئة النفس صافية الحس . ( اساعاتي، 1992: 215 ) . فهذه المواد تعد وسيلة دفاعية للتخلص من القلق النفسي، والإحباط، والاضطرابات الوجدانية والعاطفية، وكل ما يترتب عليها من اضطرابات جسدية ... ( أبو حمرة، 1425: 100 ) . ومن ذلك ما يقوم به غالبية أفراد أقلية « الهمونغ » بتايلاند للترويج عن أنفسهم من خلال تدخين التبغ، أو شرب الخمر، أو تدخين الأفيون في آخر النهار . ( لا بروس، 1993: 149 )، وما يقوم به غالبية المتعاطين الأمريكيين لمادة الهيروين لإزالة حالة الانهيار التي تعترى المدمن بعد تعاطيه مادة الكوكايين . ( لا بروس، 1993: 193 )، وأيضاً ما يسعى إليه متعاطي مادة الأفيون التي تزرع نبتتها في أفغانستان، باكستان، لاوس، تركيا، من ازالة للتوتر والإحباط، والتي أصبح يطلق عليها « بسم النسيان » . ( أبو حمرة، 1425: 22 ) .

لذلك من المرجح أن يعود الفرد للتعاطي مجدداً ليس فقط لغرض التخلص والهروب من القلق أو الألم، ولكن أيضاً لتفادي حدوث القلق، والإحباط، والألم . ( السخيل، 1990: 114 ) .

## الضرع الثاني: أعراض ذات طبيعة جسدية « بيولوجية » :

بالإضافة إلى انتشار استخدام الخمر، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، لتحقيق أغراض ذات طبيعة نفسية واجتماعية، يسعى المتعاطين أيضاً للوصول إلى تحقيق عدة أغراض أخرى ذات طبيعة جسدية بيولوجية، من بينها :

### 1 - تسكين الآلام العضوية :

كثيراً ما تستخدم المخدرات والمؤثرات العقلية كمسكن للآلام، فقد عُرف مخدر الحشيش منذ آلاف السنين عند شعوب مصر القديمة، والهنود، واليونانيين، والفينيقيين، ومع أن أكثر استخداماته كانت للأغراض الدينية، إلا أنه استخدم أيضاً كمسكن للآلام، خاصة أثناء القيام بالعمليات الجراحية . ( أبو حمرة، 1425: 17 ) .

ولازالت المواد المخدرة، أو المؤثرة عقلياً تستعمل حتى يومنا هذا في الأغراض ذات الطبيعة الطبية والعلاجية، لما لها من خصائص كيميائية مسكنة، أو مهدئة ...، فمثلاً يوصف الأفيون ومشتقاته لتسكين الآلام، وتوصف المستحضرات الكيماوية من حامض الباريتيوريك لتهدئة الأعصاب، ويوصف البنزدرين « من الإمفيتامينات » لتثبيط الجهاز العصبي، حيث يشعر متعاطيه بالحيوية والطاقة . ( الساعاتي، 1992: 228 )، ويستخدم المورفين كمسكن للآلام مرضى السرطان . ( لاوسن، 2005، 143 )، كما يستعمل المورفين أيضاً لتخفيف الآلام الأخرى ( من خلال تعاطيه بواسطة الحقن حتى يحدث مفعوله بسرعة )، لأنه يؤدي إلى ضعف الإحساس والشعور، مع ما يصاحب ذلك من صعوبة في الحركة، ثم نعاس، ثم نوم عميق . ( أبو حمرة، 1425: 23 )، ( وانظر أيضاً: لا بروس، 1993، 31 ) .

### 2 - شفاء بعض الأمراض الجسدية :

استخدمها أطباء العالم القديم مثل هيبيوقراط، وجالينوس، وديوسقوريدس، لمعالجة عضة الأفعى، والربو، والمغص . ( لا بروس، 1993: 20 ) . ولا يزال يعتقد البعض اليوم أن الخمر مفيدة للبدن من خلال تقوية المعدة، وهضم الطعام وجلب الصحة الفانية . ( بوكة، 1994: 45 )، لذا تستعمل الكحول، والمخدرات، والمؤثرات العقلية بكثرة في الصناعات الدوائية، لأغراض علاجية، كالتعقيم، والتخدير، وعلاج الصرع، أو كمضاد للقلق، والأرق، والسمنة . ( عبد الخالق، رمضان، 2001: 301-302 ) . وفي باكستان حتى عام 1947 كان الأطباء يصفون الأفيون لشفاء الأرق، والإسهال، والزحار الأميبي، والسكري، وداء المفاصل، والسعال، والاضطرابات الهضمية لدى الأطفال ... ( لا بروس، 1993: 21 ) . كما اعتمد « د .

ابولينير بوشاردا « الدهن والكحول كبديل عن الكربوهيدرات بالنسبة لمرضى السكري، باعتبار أن الكحول لا يحتاج إلى الأنسولين كي يتحول إلى طاقة، لذا استعمل الكحول على نطاق واسع في غذاء مرضى السكري كبديل للكربوهيدرات . ( نخبة من الأطباء، ترجمة: إلهام محمود عثمان، 1991: 47 وما بعدها ) .

كما اتسع مجال استعمال الخشخاش لأغراض علاجية . ( لا بروس، 1993: 113 ) . وكذلك المشتقات الأخرى المستخرجة منه، كالأفيون، الذي يستعمل على نطاق واسع في المجتمع الجبلي بتايلاند لأغراض طبية، كعلاج الإسهال، ومضاد للسعال، ومسكن للأوجاع والآلام العضلية . ( لا بروس، 1993: 149 ) .

### 3 - إشباع الرغبة الجنسية :

منذ زمن طويل يلجأ الأفراد لاستخدام الخمور بهدف زيادة نشاطهم الجنسي ( عبد الخالق رمضان، 2001: 311)، أو ما يطلق عليه البعض « المسرة الجنسية » (الحجار، 1998: 214) . وكذلك في الوقت الحاضر قد تستعمل المخدرات والمؤثرات العقلية بكثرة لإثارة المشاعر والعواطف، حيث تنطلق الشهوات والغرائز من قيودها ...، أو لمواجهة مشاكل غياب القدرة الجنسية لدى الفرد، خاصة تلك المشكلات الناشئة عن السحر . ( أبو حمرة، 1425: 59، 98)، كما يؤكد بعض المتعاطين الأمريكيين أنهم يلجئون لتعاطي مادة الكوكايين، لما لها من تأثير منبه، يجعل متعاطيها واعياً يقظاً، مع اثارها للشهوة الجنسية، لذلك فهي مادة منتشرة بين مختلف شرائح المجتمع . ( لا بروس، 1993: 183)، كما تستخدم مخدرات أخرى لأحداث هذا التأثير، ففي أفغانستان مثلاً، لا يزال يستعمل الأفيون حتى يومنا هذا كمثير للشهية الجنسية . ( لا بروس، 1993: 21) .

بينما يعتقد البعض عكس هذا الإتجاه تماماً، أي أن تعاطي تلك المواد سيساهم في خمول الرغبة الجنسية وإخمادها لدى الفرد، من ذلك أن مخدر الأفيون يتميز بأنه يفقد متعاطيه الرغبة الجنسية، لأنه يخفض مباشرة إفرازات الغدة النخامية من الهرمونات الخاصة بنمو الغدة التناسلية، ونفس هذا التأثير تسببه أيضاً حبوب الهلوسة كالباربيتورات والمهدئات . ( عبد الخالق رمضان، 2001: 311)، وكذلك مخدر الماريجوانا المستخرج من نبتة القنب الهندي يعتقد أنه ليست له علاقة بتثبيط الرغبة الجنسية لدى المتعاطي، ( شابرول، 2001: 60) وأيضاً مخدر الحشيش، له تأثير في إخماد الرغبة الجنسية، حيث يقول الحسن بن محمد في كتابه (السوانح الأدبية في مدائح القنبية ) أن الفقراء إنما يقصدون استعمال هذا المخدر لاستبدال اللذة الجنسية باللذة التخديرية حتى لا يقعوا في الزنا . (السماعتي، 1992: 232) .

## 4- رفع معدلات أداء الجسم وزيادة قوة التحمل :

منذ القدم استعمل الهنود الحمر مخدر الكوكا للحصول على اللذة، ومواجهة التعب، والجوع والعطش، أثناء السير الطويل، وذلك من خلال مضغ أوراق نبتة الكوكا . (أبو حمرة، 20:1425) . كما تستعمل أنواع أخرى من المخدرات والمؤثرات العقلية في أغراض: مغالبة النوم ومقاومة التعب، ومواجهة الإعياء، وزيادة معدلات الأداء البدني والعقلي، وحل عقدة اللسان والتخلص من الخجل، واكتساب الجرأة، والتحكم في وزن الجسم، ومقاومة السمنة . (أبو حمرة، 25:1425) . يضاف إلى ذلك أن تعاطي تلك المواد قد يعطي الشجاعة ولو مؤقتاً للفرد، لكي يبدي سلوكاً مقبولاً ممن حوله . (السخيل، 1992:114) ، وكثيراً ما استخدمت في دفع الخوف عن الجنود (لا بروس، 1993:21) . وفي أفغانستان لا يستخدم الخشخاش كمادة مخدرة فقط، بل يستعمل أيضاً لتحقيق هذه الأغراض، من خلال اعتماده كعنصر أساسي في طعام المزارعين . (لا بروس، 1993:79) ، وفي اليابان يرجع سر انتشار تعاطي المؤثرات العقلية، تحديداً الإمفيتامينات، إلى طبيعة المجتمع الياباني المغرم بالتنافس (لا بروس، 1993:175) ، وكذلك الأمر في كوريا الجنوبية تزايد تعاطي الإمفيتامينات المعروف محلياً باسم ( Hiroppon ) لدى المزارعين، والطلاب، والموظفين وريبات البيوت، حتى قيل أن بعض الحانات تضع هذه المادة في طلبات الزبائن، لأنه يموه تأثير الكحول، وينشط القابلية لتناول المزيد . (لا بروس، 1993:176) . وكذلك هناك توجه واسع النطاق اليوم لاستعمال مضادات الإرهاق بكميات كبيرة لتحمل ما لا يحتمل . (لا بروس، 1993:105) ، بالإضافة إلى استعمال المواد المنشطة والهرمونية، خاصة عقاقير الأسترويد البنائية، لزيادة القدرة على الأداء العضلي والبدني للرياضيين ولاعبي كمال الأجسام . (لا وسون، 2008:23، 153) .

## 5- جلب النشاط والاسترخاء والارتياح :

لعبت الخمر والمواد المخدرة والمؤثرة عقلياً دوراً بارزاً في العديد من الأحداث، خاصة في الحروب، كالحرب العالمية الثانية، وحرب فيتنام . (لا وسن، 2008:126) ، وقد انتشرت بين أفراد الميليشيات خلال الحروب والنزاعات المسلحة، كالحرب الأهلية اللبنانية مثلاً فهي مواد محرّضة أثناء الاشتباكات، ومواد مهدئة أيام الهدنة والسكينة ... (لا بروس، 1993:95) . ومن ذلك مشتقات الأفيون التي يدفع إلى الإدمان عليها أثرها المهدئ للشعور العدواني (شابروول، 2001:94) ، ومشتقات نبتة الخشخاش التي تستعمل مع بعض الأدوية كمنشط قوي . (لا بروس، 1993:114) ، وأيضاً عقاقير L . S . D والترامادول، والكبتاجون

... وغيرها، التي انتشر استخدامها اليوم خلال الحروب، لأنها تساعد على مقاومة التعب، وتحمل الجوع، وبعث النشاط والراحة، وطرد النعاس والنوم لفترات طويلة ... بالإضافة إلى جلب الإحساس الذاتي بالارتياح . ( شابرول، 2001: 83 ) .

#### 6 - استعادة أعضاء الجسم لأداء وظائفها :

بعد وصول المتعاطي إلى مرحلة الاعتماد أو الإدمان، تصبح أعضاء الجسم في حاجة للتأثير الكيميائي للمواد المحظورة، فإذا انقطع المدمن عن تناول تلك المواد، فستحدث له اضطرابات عقلية ووظائفية عنيفة، مع أوجاع في مختلف أجزاء الجسم، وتشنجات عضلية، وتقيؤ، وإسهال . ( عبد الخالق، رمضان، 2001: 298 ) كما تظهر عوارض أخرى نفسية منها القلق، والانزعاج، والكآبة . ( عبد الخالق، رمضان، 2001: 297 )، وتسمى هذه العوارض أعراض الانسحاب أو الانقطاع عن التعاطي ( Withdrawal Symptoms ) . ( أبو حمرة، 1425: 111 )، ويبدأ ظهور هذه الأعراض بعد 4 - 6 ساعات بعد توقف التعاطي لتصل إلى ذروتها خلال مدة تتراوح بين 36 - 72 ساعة . ( الحجار، 1998: 202 )، أي أن أنسجة الجسم تستجيب كيميائياً للمواد المحظورة، بفعل ما تحدثه من تغيرات في مكوناتها، فإذا قلت المادة المخدرة في الجسم، فإن ذلك يؤدي إلى اختلال التوازن الكيميائي والحيوي، فلا يستطيع الجسم القيام بوظائفه ومهامه بصورة طبيعية . ( لا وسون، 2008: 30 ) ، مما ينتج عنه آلام لا تزول إلا بالعودة إلى التعاطي؛ مجدداً، فإذا تم التعاطي من جديد زالت هذه الآلام، وعاد التوازن لأعضاء الجسم، وشعر المتعاطي بالراحة، وهذا ما يفسر التأثير العكسي لتعاطي مادة " المورفين " مثلاً، فلو تعاطاها شخص غير متعاطي، فإن ذلك يسبب له غثياناً، وقيئاً، وشعوراً بالدوخة، وانخفاض في ضغط الدم، بينما الشخص المعتمد، أو المدمن إذا تعاطى هذه المادة فسيشعر بالغبطة والانتعاش . ( أبو حمرة، 1425: 117 - 118 ) .

ويعتقد البعض أنه كلما ربط المتعاطي بين الاضطرابات المذكورة ( التي تحدث نتيجة التوقف عن التعاطي) والمادة التي يتعاطاها، كلما رجع للتعاطي؛ ليتخلص من تلك الأعراض والاضطرابات العضوية والنفسية، وليستعيد التوازن لأعضاء جسمه بفعل التعاطي، وبمجرد التعاطي تزول عنه الاضطرابات والآلام التي تسبب فيها انتهاء مفعول المواد المحظورة من جسده . ( أبو حمرة، 1425: 115 - 116 )، ( وأيضاً: لا وسون، 2008: 30 ) .

### المبحث الثاني: محاولة تفعيل أساليب وبرامج استراتيجيات الوقاية

لبيان بعض الأساليب اللازمة لتباعها لجعل استراتيجيات الوقاية أكثر نجاعة في مواجهة ظاهرة تعاطي الخمر، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، يتطلب منا الأمر ضرورة الأخذ في الاعتبار أغراض التعاطي ...، ثم الاتجاه نحو تبديل سلوك التعاطي ...، وذلك على النحو التالي :

#### المطلب الأول: ضرورة الأخذ في الاعتبار أغراض التعاطي :

من المعلوم أن تعاطي الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية له أضرار خطيرة جداً ... فهذه حقيقة ...، ولكنها ليست الحقيقة الكاملة ... !! فقد لاحظنا فيما سبق أن المتعاطين يستهدفون من فعل التعاطي الحصول على عدة أغراض مختلفة ...، بدليل أن هناك العديد من المتعاطين المبتدئين استمروا في طلب هذه الأغراض إلى أن وصلوا لمرحلة الاعتماد النفسي، أو الجسدي أو كليهما معاً، كما أن هناك تزايد كبير في أعداد المتعاطين الجدد « مع ما يصاحب ذلك من تعاطم سلوكيات الزراعة، والانتاج، والترويج، والاتجار في تلك المواد المحظورة ...

#### الفرع الأول: عدم إنكار أغراض التعاطي :

لاحظنا خلال المراحل المختلفة للتعاطي، والتي تسبق مرحلة الاعتماد، أو الإدمان أن المتعاطي يحقق جملة من الأغراض التي استهدفها من التعاطي، وبالتالي فهو لا يرى الأضرار والنتائج السلبية التي تنتج عن التعاطي، في حين أننا نعلم حجم المخاطر التي ولج بابها، فالمتعاطي لا يرمي بنفسه داخل دائرة التعاطي، أو الاعتماد والإدمان هكذا ...، هذا إن كان فرداً عاقلاً ...، فإن لم يكن كذلك فهو ليس محل بحثنا هنا ...

وبالتالي فإن غالبية أفراد المجتمع من المتعاطين قد لا يفقهون معنى النصائح، والنداءات التحذيرية الموجهة إليهم ضمن استراتيجيات الوقاية المتبعة في العديد من المجتمعات، فهي تحذيرات غير ملموسة العواقب ؛ لأن المتعاطي خلال الفترة التي تسبق الإدمان يحصل على ما يعتقد أنه منافع وفوائد، ولا يدرك النتائج غير المرغوب فيها. (شابرون، 2001: 54). بدليل أننا لو منحنا المتعاطي مادة سامة تؤدي للوفاة مباشرة عقب تعاطيها — وهو يدرك ذلك — لما تعاطاها أبداً ... !! فلماذا إذاً يتعاطى الفرد الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية مع أنه ربما شاهد أو قرأ النصائح التحذيرية عبر الملصقات، أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وما تتضمنه من تحذير من أضرارها



المستقبلية ؟ !! الجواب: إن هناك أغراض يحصل عليها المتعاطي كنتائج ايجابية ( على الأقل من وجهة نظره ) من تعاطيه الخمر، أو المخدر، أو المؤثر العقلي .

إذاً متعاطي الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية ينتفع ويستفيد من تعاطي هذه المواد لا شك في ذلك، ولكن الشك يكمن في مدى استمرارية ودوام هذه الأغراض والمنافع، فمن المعلوم لدينا أن تحقق هذه الأغراض مؤقت بزمن قصير ...، وهنا يجب أن تكون خطط وبرامج الوقاية فعّالة وقادرة على بيان هذه الحقيقة، وقادرة أيضاً على اقناع المتعاطي وغير المتعاطي بذلك ...، وهو ما لم يتحقق في استراتيجيات الوقاية المتبعة في العديد من المجتمعات، خاصة المجتمعات العربية والإسلامية، التي تركز خططها وبرامجها الوقائية على الأضرار الناتجة عن التعاطي فقط، كالتي تضمنتها النصائح، أو النداءات التحذيرية السابقة، ولا تأخذ في الاعتبار الأغراض والفوائد الآنية التي تنتج عن شرب الخمر، أو تعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية، وبالتالي فهي تنكّر أغراض التعاطي ...، في الوقت الذي يحصل فيه المتعاطي عليها شئنا أم أبينا ... !! ومما يعكس حصول المتعاطين على تلك الأغراض أنهم يتواصلون فيما بينهم بصلات نمطية إيجابية، بعكس النمطية السلبية التي يتسمون بها في مواجهة غير المتعاطين ... ( أبو حمرة، 1425: 46 ) .

إن نجاح خطط وبرامج الوقاية من تعاطي تلك المواد المحظورة يتطلب إعادة بناءها من جديد بعد الإلمام بمختلف الظروف المحيطة بظاهرة التعاطي، خصوصاً أغراض التعاطي والعوامل الدافعة إليه، بحيث يمكن لهذه الخطط والبرامج الوقائية أن تقنع جميع أفراد المجتمع، سواء كانوا من المتعاطين ( لكي يقلعوا عن التعاطي ) أم من غير المتعاطين ( لكي لا يدخلوا دائرة التعاطي ) وتوضح لهم بأن تلك الأغراض، أو الفوائد هي مجرد ملذات آنية، وفوائد وقتية زائلة وأن عقب حصوله عليها ستنتهي بزوال التأثير الكيميائي للمادة، وسينتقل الفرد بعدها إلى مرحلة الاعتماد بأنواعه المختلفة، وعندها ستظهر أضرار التعاطي التي حذرت منها النصائح التحذيرية، وسيحل محل أغراض التعاطي ألم يطول مداه ...، ولا يستطيع المدمن الفكاك منه بعد فوات الأوان، إلا ببرامج علاجية مكثفة داخل مصحات متخصصة، خاصة عند تعاطي الأنواع الخطيرة من المخدرات والمؤثرات العقلية التي ينتج عنها الاعتماد الجسدي، كالهروين والكوكايين، والأفيون، والمورفين ... ولا يساورنا شك في أن اعتماد أغراض التعاطي كمدخل لبناء خطط استراتيجية لمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة سيكون فعّالاً في مواجهة تلك الجرائم، من خلال الإقناع



الذي يتمحور حول أغراض التعاطي، وإظهار أن هذه الأغراض هي مجرد أغراض وهمية مؤقتة، وتخفي خلفها تبعات وأضرار محضة .

وبالتالي يجب أن تدرك برامج الوقاية الفرد قبل دخوله دائرة التعاطي، وإذا بدأ في التعاطي فيجب ادراكه قبل وصوله إلى مرحلة الاعتماد بأنواعه، أي خلال المرحلة التي تسمى « التعاطي المقصود »، لأنه لن يعي خطورة ما يتعاطاه إلا بعد وصوله لمرحلة الإدمان، وعندها سيكون الأوان قد فات ولن يستطيع الفكاك من الإدمان ببرامج الوقاية، وإنما بالعلاج المكثف جسدياً ونفسياً، وبالتالي فإن أي استراتيجيات للوقاية يجب أن تسعى إلى اقتناعه بأن أغراض التعاطي ستتحقق لفترة مؤقتة، تعقبها آلام شديدة عند وصوله إلى مرحلة الاعتماد بأنواعه، لا يستطيع خلالها المتعاطي أن يتخلص منها إلا بالرجوع للتعاطي من جديد .

نحن نعتقد أن بناء استراتيجيات علمية للوقاية من هذه الجرائم، يجب أن تتم وفقاً لمعطيات الكشف عن حقيقة الأغراض الوقتية للتعاطي، وهو ما سيساهم أيضاً في مواجهة بعض الجرائم الأخرى التي لها علاقة بالتعاطي، كالاتجار بالمخمر، والمخدرات والمؤثرات العقلية، لأن خفض معدلات التعاطي يعني خفض الطلب على تلك المواد...، وهذا لن يتحقق إلا بعد ضمان نجاح استراتيجيات الوقاية الجديدة في اقتناع الأفراد بتجنب تعاطيها، باعتبار أن التعاطي ستترتب عنه أضرار خطيرة، ولو سبق ذلك الحصول على بعض الأغراض الوقتية، فمن الواضح أن سياسات التجريم والعقاب التي اعتمدت ضمن التشريعات الجنائية، لم تتجح وحدها في القضاء على جرائم التعاطي، لأن محاولة منع المتعاطي من تعاطي تلك المواد بواسطة تشديد العقوبات الجنائية لن يجدي وحده، فالمتعاطي سيحاول بشتى الطرق الحصول عليها مهما حاول المجتمع منعه من ذلك، الأمر الذي يساهم في اتساع هوة الصراع بينه وبين المجتمع، مما يدفع المتعاطي إلى اتخاذ ردود فعل انتقامية .

وللوصول إلى بناء هذه الاستراتيجية الجديدة يتعين الاستعانة بمختلف التجارب المتبعة في هذا المجال، والخطط الأنجع في مواجهة هذه الجرائم هي التي يجب أن تتبع دون غيرها .

#### الفرع الثاني: الأساليب المتبعة في الشريعة الإسلامية :

بالرجوع إلى مصادر التشريع الإسلامي المتنوعة، نجد أن المنهج التربوي الإسلامي يسعى دائماً إلى ترسيخ كل ما يحقق للفرد جلب المصالح ودرء المفسد عنه في الدنيا

والآخرة، وبخصوص جانب الوقاية من السلوكيات الضارة، سنلاحظ أن المنهج التربوي الإسلامي اتبع أساليب وخطط متميزة في مواجهة جميع الظواهر السلبية التي كانت سائدة في بدايات تكوين المجتمع الإسلامي الجديد، ومن بين الظواهر السلبية التي كانت منتشرة في ذلك العصر ظاهرة شرب الخمر، حيث تمت مواجهتها باستراتيجيات وقائية علمية واضحة المعالم، أخذت في الاعتبار الأغراض المستهدفة منها؛ لأن ظاهرة تعاطي الخمر كانت منتشرة بين عرب الجاهلية آنذاك، فقد كانت عادة شرب الخمر تمثل لديهم « موروثاً اجتماعياً »، ولها موضع خاص في نفوسهم، لما لها من تأثير قوي في وجدانهم ... يقول شاعرهم أبو محجن الثقفي . ( ابن قتيبة، 1977: 431 ) :

إذا مُت فادفني إلى جنب كرمةٍ تُروِّي عظامي بعد موتي عروقتها

ولا تدفّني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أدوقها

ويقول قيس بن عاصم المنقري: ( القرطبي، ب-س: 181 ) :

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما

ولذلك كانت الخمر مباحة في بداية عهد الإسلام، لعدم قابلية النفوس لتحریمها دفعة

واحدة، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه: ( القرطبي، ب-س: 182 ) :

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسدأ ما ينهنها اللقاء

وحتى عندما ورد تحریمها في فترة لاحقة ( نظراً لنتائجها الضارة ) حرمها الله عز

وجل بالتدرج؛ لأن ظاهرة شرب الخمر وقتها كانت من العادات المتأصلة فيهم ...، ولكي

ينقاد الناس للتحریم بيسر ودون ضيق أو تبرم، بعد التهيئة النفسية اللازمة للمتعاظين؛

لأن الله تعالى يعلم طبيعة نفوسهم . ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ . المص 15 .

ولذلك فقد نزلت أول آية في الخمر بقوله تعالى: ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب

تتخذون منه سكرأ ورزقأ حسناً إن في ذلك لأية لقوم يعقلون ﴾ سورة النحل 67 . ولم تحرم

الآية الكريمة شرب الخمر، حتى مع ترتب بعض النتائج السلبية الضارة لشرب الخمر،

إلى أن لاحظ الصحابي الجليل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الأضرار

المتماثلة في: ( إذهاب العقل، ضياع المال )، والتي تداخلت مع منافع الخمر، فقال رضي الله عنه:

اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافياً، فنزلت آية أخرى تتحدث عن المنفعة والمفسدة لتعاطي

الخمر، فقال تعالى: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس

وإثمهما أكبر من نفعهما ﴿ . سورة البقرة 217 . وهنا يرى القرطبي أن الله تعالى لم يسم الخمر إثماً في هذه الآية، وإنما قال: ﴿ قل فيهما إثم كبير ﴾ ولم يقل هما إثم كبير. (انظر القرطبي، ب-س: 184)، (وانظر أيضاً: نوكة، 1994: 52)، ونظراً للأغراض التي كان يحصل عليها متعاطي الخمر في ذلك الوقت...، قال بعض القوم الذين تركوها بعد نزول الآية: لا حاجة لنا لشيء فيه إثم، وتغاضوا عن تلك الأغراض والمنافع « بالوازع الديني »، بينما قال قوم آخرون: ما حرّمت علينا الخمر، فكانوا يشربونها اعتماداً على ورود قوله تعالى: ﴿ ومنافع للناس ﴾، وقالوا: نأخذ بمنفعتها ونترك إثمها... (نوكة، 1994: 52).

ثم نزلت آية أخرى تغلب الإثم على الأغراض، أو المنافع خلال أوقات الصلاة، وتنتهي عن الصلاة في حالة سكر، قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ . سورة النساء 43 . وبعد مرور فترة من الزمن حرّمت الخمر تحريماً باتاً في جميع الأوقات، قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ . المائدة 92-93 .

ونلاحظ هنا أن التشريع الإسلامي اتبع أساليب، وخطط متميزة في التعامل مع ظاهرة شرب الخمر، فتدرج في التحريم على مراحل حتى تنتهى الأنفس لقبول التحريم البات النهائي، كما ميز بين أغراض التعاطي وأضراره، وسعى لإقناع شاربي الخمر بالوازع الديني الذي عزز ثقتهم بأنفسهم، وملأ الفراغ في نفوسهم، وقد تم ذلك بأسلوب علمي ناجع وفعال يوضح بأن أثم وأضرار ورجس تعاطي الخمر أكثر بكثير من أغراضه ومنافعه الوقائية .

### المطلب الثاني: الاتجاه نحو تبديل سلوك التعاطي :

للووقاية من جرائم تعاطي الخمر، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، يجب أن تتجه إستراتيجيات الوقاية إلى السعي نحو تعديل أو استبدال سلوك التعاطي الضار، بأنماط سلوكية أخرى نافعة تحقق الأغراض المطلوبة، بعد دراسة تأثير النتائج الإيجابية أو السلبية لسلوك التعاطي، باعتبار أن السلوك يتأثر بما يتبعه :

### الفرع الأول: قاعدة « السلوك يتأثر بما يتبعه » :

إن ما يحصل للمتعاطي بعد قيامه بفعل التعاطي « لأي مادة من المواد المحظورة »

هو العنصر المهم في العملية السلوكية، والذي يحصل هنا هو « نتيجة فعل التعاطي ... »، فالنتيجة المترتبة على تعاطي المادة المحظورة وما يتبعها مباشرة هو ما يؤثر على ما سيحدث في المستقبل لسلوك التعاطي « لأن السلوك يتأثر بما يتبعه »، فإذا أتت النتيجة الإيجابية مباشرة بعد سلوك التعاطي، فإن لها تأثير وفعالية أكثر من النتيجة السلبية التي تتبع السلوك بعد مضي وقت معين، وعندما يكون للتعاطي أكثر من نتيجة ( نتيجة ايجابية تتمثل في أعراض التعاطي، ونتيجة أخرى سلبية تتمثل في أضرار التعاطي )، فإن النتيجة التي تلي فعل التعاطي فوراً هي التي يكون لها فعالية أكبر من النتيجة التي تلي فعل التعاطي بعد حين، وهنا أعراض التعاطي هي النتيجة التي تحصل مباشرة عقب تعاطي المواد المحظورة، وهذا ما يفسر التكرار المستمر في تعاطي الفرد للخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية، بالرغم من أضرار وأخطار تعاطيها التي قد تحدث في فترات لاحقة ... (الدخيل، 1992، 39-40) .

فمن وجهة نظر الفرد فإن التعاطي يوفر له نتيجة ايجابية تتمثل في تحقيق أغراض معينة، كالشعور بالنشوة، أو الراحة والنشاط، أو تسكين الألم، أو شفاء بعض الأمراض، أو غيرها من الأعراض الأخرى التي بينها في السابق، وهذه النتيجة ستقوي سلوك التعاطي في المستقبل، وستجعله سلوكاً متكرراً باستمرار، لأن أي سلوك يؤدي إلى حدوث شيء ايجابي أو إيقاف شيء سلبي سيتكرر فعله في المستقبل، وكلما زاد السلوك من المتعاطي، فإن ذلك يعني أنه يحصل على نتيجته الايجابية خاصة وأن النتيجة السلبية للتعاطي بعيدة من حيث وقت حدوثها أو احتمالية حدوثها من عدمه، الأمر الذي يجعل تأثير النتيجة السلبية على أفعال التعاطي ضئيلاً إن لم يكن منعدماً تماماً (الدخيل، 1992: 40) . (وانظر أيضاً: شابرون، 2001: 24، 25) .

كما أن النتيجة الإيجابية « المتمثلة في تحقق بعض الأغراض » التي تدفع إلى التعاطي، ربما تدفع إلى العودة للتعاطي من جديد حتى بعد اتمام عملية العلاج النفسي والعضوي داخل المصحات العلاجية المتخصصة « حيث تسمى العودة للتعاطي بعد العلاج: الانتكاس »، طالما أن تلك النتيجة الايجابية المتحققة من التعاطي لا زالت قائمة . (أبو حمرة، 1425: 137) وهذا ما يجب أن تراعيه أساليب وخطط وبرامج الوقاية، التي يجب أن تستهدف بطريقة ما اقناع جميع الأفراد من المتعاطين وغير المتعاطين بأن النتيجة السلبية هي التي ستتحقق في النهاية، سواء تحققت أعراض التعاطي أم لم تتحقق، فمن المهم أن تتم

محاولة ربط النتيجة السلبية الفورية بالتعاطي حتى يتناقص قبولها الاجتماعي . ( شابرول، 2001: 99 )، ولينبع رفض التعاطي من داخل المتعاطي نفسه . ( لاوسن، 2008: 102 )، ومن ثم التوجه إلى المرحلة التالية، وهي محاولة تبديل سلوك التعاطي .

#### الضلع الثاني: استبدال سلوك التعاطي « السلبي » بسلوك آخر « ايجابي » :

يعد استبدال السلوك، أو ما يعرف لدى الكثير من الباحثين « بتعديل السلوك » أسلوباً متميزاً من أساليب العلاج، والإرشاد النفسي، بهدف مساعدة الأفراد المستهدفين على الإتيان بسلوكيات مناسبة في المواقف المختلفة . ويعرّف البعض تعديل السلوك بأنه: « استخدام وتوظيف أساليب وفنيات تغيير السلوك بصورة علمية، بغرض تحسين سلوك الفرد، والوصول به إلى وضع أفضل من ذلك الذي يميزه في الوقت الراهن » . ( عبد المعطي، عواد، شاش، 2013: 16 )، أو هو: « تغيير السلوك غير المرغوب بطريقة مدروسة، وهو نوع من العلاج السلوكي، يعتمد على التطبيق المباشر لمبادئ التعلم والتدعيمات الإيجابية والسلبية، بهدف تعديل السلوك غير المرغوب » . ( عبد المعطي، عواد، شاش، 2013: 16 ) .

ولتواجه المجتمعات المختلفة جرائم تعاطي المواد المحظورة، لا بد أن تضع كل ما سبق بيانه في الاعتبار خلال بناء استراتيجيات الوقاية، ثم بعد ذلك يجب عليها أن تحاول إيجاد بدائل لتعديل السلوك السلبي، بأن تضع بدائل سلوكية يومية أخرى، يحصل خلالها المتعاطي على النتيجة الإيجابية نفسها التي يحصل عليها من تعاطي المواد المحظورة، وبدون أن تترتب أية أضرار أو مخاطر ...

فمن المعلوم أن معظم السلوك « الإيجابي أو السلبي » يأتي من الاكتساب والتعلم والتفاعل مع البيئة المحيطة بالفرد . ( ادخيل، 1992: 92 )، وبالتالي يجب أن تتضمن أساليب وبرامج الوقاية من تعاطي المخدرات، والمؤثرات العقلية، ما يضمن استبدال أنماط سلوك التعاطي بأنماط سلوكية إيجابية أخرى، تمكّن المتعاطي من أن يحل مشاكله بعيداً عن أفعال التعاطي، أي محاولة تحقيق ذات الأغراض المستهدفة من التعاطي بسلوكيات أخرى غير خطيرة، والذي يندرج لدى البعض تحت مسمى: العلاج النفسي السلوكي، أو التثقيف المبدل للسلوك الإدماني ... (الحجار، 1998: 204) . بحيث يتم تدريب المتعاطي بطريق الاكتساب، والمحاكاة، والتعلم، والتفاعل، على القيام بهذه السلوكيات للحيلولة دون لجوئه للتعاطي، وتقديم المساعدة له، ومنحه المشورة الفعلية اللازمة . ( طائب، 2001: 137 ) .

إن أسلوب تعديل وتبديل السلوك السلبي بآخر ايجابي، يقوم على فكرة حصول الفرد على النشوة، والبهجة، والتفاؤل، والقبول الاجتماعي، وإزالة القلق، والتوتر، والإحباط، وجلب الراحة والنشاط، وتحقيق الأهداف في الواقع ... وغيرها من الأغراض الأخرى، من خلال عدة أنماط من السلوكيات اليومية الأخرى غير تعاطي الخمر، أو المخدر، أو المؤثر العقلي ...، ويمكن أن تتم الاستعانة بجهود المختصين من علماء التحليل السلوكي، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع وغيرهم، في تحديد حزمة متنوعة من أنماط السلوك البديل لتتناسب مع كل حالة على حدة.

فالمهم أن تركز برامج الوقاية على اعتماد أساليب تتضمن تعليم الأفراد المتعاطين عدة مهارات سلوكية جديدة لم تكن ضمن سلوكياتهم من قبل، بحيث تبقى معهم دائماً تحت تصرفهم (الدخيل، 1992: 119)، ليستعينوا بها للحصول على كل ما يحقق لهم المنافع والمصالح، ويبعد عنهم المساوئ والمفاسد، سواءً اتخذ هذا التعليم شكلاً فردياً أو جماعياً (طائب، 2001: 137)، المهم أن تكون هذه السلوكيات مضادة لسلوك التعاطي، وتضمن تمكين الفرد من الحصول على استجابات كافية من بيئته تعطيه مقدار السعادة الكافية في حياته (الدخيل، 1992: 120).

إن تعليم المتعاطي سلوكيات يومية جديدة، تكسبه رضا غير مشروط عن النفس (درايدن، ماتويتشك، 2006: 93)، وتعزز الذات والرضى عن قيمه الشخصية، وتسهل الاندماج الاجتماعي، وتتمى المهارات الإجتماعية في الاتصال وحل المشكلات (شابرون، 2001: 103)، وتقتل رغبة التعاطي في داخله (لاوسن، 2008: 108)، وتزيل كافة المعوقات والمثبطات للسلوك المرغوب كبديل للسلوك الضار، تعتبر وسائل في غاية الأهمية لتعديل وتبديل هذا السلوك الخطر بسلوكيات وأنشطة جديدة خلاقة، خاصة إذا تم استبدال سلوك التعاطي بسلوك آخر تحت اشراف مرافق معد إعداداً جيداً، وربما يكون المرافق متعاطي سابق تم إعداده اعداداً خاصاً لهذا الغرض (شابرون، 2001: 99)، كما يجب على شخص المتعاطي أن يؤدي دوراً حاسماً ويجابياً في تبديل سلوكه... (الحجار، 1998: 43).

ومن بين تلك السلوكيات التي يقترحها علماء السلوك، وعلماء النفس، لتحقيق بعض النتائج الإيجابية عبر تبديل السلوك، السلوكيات الآتية :

1 - ليتخلص الفرد من القلق والتوتر والإحباط « كدافع من دوافع البدء في التعاطي »، يمكن أن يتجاهل الذكريات المؤلمة السابقة، ويستحضر صورة منظر مريح، أو

ذكريات أو أحداث سعيدة مفرحة . (الدخيل، 1992: 119) ، وسيكون الفرد قريباً من التخلص من التعاطي والاعتماد بأنواعه، كلما استطاع تغيير نمط تفكيره عندما يتعرض لمشكلة أو عقبة ما، وأن يقتنع بأن الضغوط التي تعرض لها « وما يصاحبها من تأثيرات » ناتجة من صنع أفكاره اللامنطقية، وليست ناتجة عن تلك المشكلة أو العقبة، فالفترض أن المتعاطي يستطيع أن يتحمل مثل هذه الضغوط والمشاق ...، وبالتالي يتعين عليه ألا يهرع إلى الهروب منها عبر تعاطي الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية، فأن لم يتحمل كل ذلك فهو الذي يعتبر مسؤولاً عما يعتره من مشاعر الانهزام ... (درايدن، ماتويتشك، 2006: 28، 39) .

2- اقتران سلوك التعاطي غير المرغوب فيه بمنبه مؤلم، أو مؤذي ( Noxious ) مثل صدمة كهربائية، فيؤدي ذلك إلى النفور من التعاطي، وقد يمتد ذلك النفور إلى مجرد التفكير في تعاطي المواد المسكرة، أو المخدرة، وإلى رائحتها، وإلى شكلها .. (الحجار، 1998: 40) .

3- استعمال مادة ديسولفيرام Disulfiram ، وذلك بعد مرحلة البدء في التعاطي، فإذا تناول المتعاطي برغبته هذه المادة التي يدوم مفعولها 12 ساعة، ثم بعدها تعاطى الخمر مثلاً، فسيشعر بالألم، والدوار، ثم القيء، ثم الإغماء، الأمر الذي يجعل المتعاطي لا يتجرأ على تعاطي أيّاً من المسكرات بعد تناول الديسولفيرام . (الحجار، 1998: 200-201) .

4 - استعمال ما يعرف بالمخدرات البديلة، التي ليس لها التأثير السلبي الضار للمخدرات المألوفة أو استبدال تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية الثقيلة بتعاطي مواد أخرى خفيفة أقل ضرراً، « وذلك في المجتمعات التي تبيح تعاطي بعض الأنواع .. »، من ذلك: نقل المتعاطي من تعاطي مخدر الأفيون إلى تعاطي مادة « الميثادون »، لتجنب آثار الأفيون الخطرة، وتجنب وصول المتعاطي إلى مرحلة تعاطي الأفيون بالحقن الوريدي ( الحجار، 1998 : 202 )، أو استعمال مستحضر نالتريكسون Naltrexone كمضاد لتأثير الهيروين والأفيون . (الحجار، 1998: 204)، أو استعمال مخدر الحشيش كبديل للهيروين ...، وغيرها، أو استعمال أدوية تدعم برنامج متكامل للأقلاق عن التعاطي (لاوسن، 2008: 91، 103، 120) .

5 - إثابة أو مكافأة المتعاطي على قيامه بالسلوك المرغوب، وابتعاده عن السلوك غير

المرغوب فيه « التعاطي »، خاصة عند مقاومة الرغبة الداخلية العارمة، وضغوط الدعاية وإغراءات التعاطي « والاستجابة المتعاقبة للتعاطي »، أو عند مقاطعة رفقاء السوء . ( شابرول، 2001: 99 ). ( وانظر أيضاً: عبد الحليم، 2008: 104-105 ) .

وفي جميع الأحوال عند تبديل وتعديل السلوك يجب أن يدرك المتعاطي « مبتدئ أو مدمن » طبيعة السلوك الجديد المرغوب فيه، كما يجب أن يكون قادراً عليه ...، ليتبعه بثبات واتساق . ( ادخيل، 1992: 52 )، وكذلك يجب أن تتوصل كافة السلوكيات المرغوبة التي ستقترح كبديل لسلوك التعاطي إلى تحقيق الغرض أو النتيجة الإيجابية نفسها التي يحصل عليها الفرد من التعاطي، بحيث يجد المتعاطي أن هناك سلوكاً آخر هو دائماً أفضل من فعل التعاطي طالما أنه يحقق النتيجة نفسها وبجهد أقل . ( ادخيل، 1992: 52 ) .

( خاتمة البحث )

في ختام هذا البحث نعرض جملة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو التالي :

أولاً: النتائج :

- إن عدد متعاطي الخمر والمخدرات والمؤثرات العقلية في تزايد سنوي مستمر، وهذا الأمر يصاحبه تزايد في عرض المواد المحظورة، بحيث تصبح جريمة التعاطي مرتبطة بجرائم أخرى كالاتجار والانتاج والترويج ... والتي لها دور مباشر أيضاً في إيجاد متعاطين جدد ... وهكذا ..
- إنَّ هناك جهوداً كبيرة تبدل من تجار، ومروجي الخمر، والمخدرات، والمؤثرات العقلية، تفوق بكثير جهود الدول المبذولة من خلال اتباع استراتيجيات الوقاية التقليدية، التي لم تستطع مواجهة ظاهرة التعاطي بأساليب وبرامج فعّالة، تؤدي فعلاً إلى خفض معدلات جرائم التعاطي .
- إن سياسة التجريم والعقاب ( بالرغم من التوسع في التجريم، والتشدد في العقاب ) المعتمدة ضمن مختلف القوانين الجنائية، كالتشريع الجنائي الليبي « من خلال القانون رقم « 4 » لسنة 1423 ميلادية بشأن تحريم الخمر وتعديلاته، والقانون رقم « 7 » لسنة 1990 بشأن المخدرات والمؤثرات العقلية وتعديلاته » لم تتجح وحدها في مواجهة جرائم تعاطي الخمر والمخدرات والمؤثرات العقلية، ولم تستطع القضاء كلياً على هذه الجرائم، خاصة وان هذه الظاهرة ذات أبعاد محلية، وإقليمية، ودولية .



■ إن المتعاطي خلال فترة ما بعد بدء التعاطي وفترة التعاطي المقصود، يحصل على أعراض التعاطي المختلفة، إما ذات طبيعة نفسية، أو اجتماعية، أو ذات طبيعة جسدية، ولا تحصل له خلالها أية أضرار من التعاطي، وهذا ما يشجعه على تكرار التعاطي إلى أن يصل إلى مرحلة الإعتاد بأنواعه المختلفة، وعندها تحصل للمتعاطي الأضرار التي حذرت منها النصائح الوقائية، ويكون أوان الوقاية منها قد فات .

■ إن من أسباب فشل استراتيجيات الوقاية المتبعة حالياً في أبعاد الأفراد عن جرائم التعاطي انكارها لأعراض التعاطي، فانتشار تعاطي مختلف المواد المحظورة يعتمد على أساس نفعي يتمثل في الحصول على إشباع أغراض معينة، وهي علة الإقبال عليها .

#### ثانياً: التوصيات :

● يجب على كافة المجتمعات التي تعاني من انتشار ظاهرة التعاطي أن تعيد النظر في استراتيجيات وأساليب الوقاية الضعيفة التي لم تنجح في تخفيض أعداد المتعاطين، وأن تبدأ في بناء استراتيجيات وقائية جديدة على أسس علمية صحيحة، لا تركز فيها فقط على النتائج السلبية وأضرار التعاطي، وإنما تأخذ في الاعتبار أيضاً أعراض التعاطي، والدوافع التي ترغب الأفراد في تعاطي الخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية .

● يجب أن تتم مواجهة تعاطي الخمر والمخدرات والمؤثرات العقلية ابتداءً من برامج الدعاية والترويج، ومروراً بأعراض التعاطي المختلفة، وفق استراتيجية مشابهة لتلك التي اتبعتها الشريعة الإسلامية عندما واجهت العديد من الظواهر السلبية بعد الأخذ في الاعتبار المنافع والمفاسد الناجمة عنها، فهذا الذي سيمكّن المؤسسات المختصة من إبعاد العوامل المختلفة التي تشجع على التعاطي .

● إن بناء استراتيجيات وقائية جديدة فعالة، يتطلب بالضرورة الأخذ في الاعتبار كافة المراحل التي يمر بها الفرد، ابتداءً من مرحلة الوقاية المبكرة قبل بدء التعاطي، فإذا بدأ الفرد في التعاطي يتعين إدراكه وانقاذه قبل وصوله لمرحلة الإعتاد والإدمان، أي أن تتمحور خطط وبرامج الوقاية حول اقناع جميع الأفراد بأن الحصول على بعض أعراض التعاطي لفترة مؤقتة سيعقبه الدخول لمرحلة الإعتاد النفسي، أو الإعتاد الجسدي، أو كليهما معاً « الإدمان » التي ستتجلى فيها مخاطر النتائج السلبية الضارة لتعاطي الخمر، أو المخدر، أو المؤثر العقلي .

- يجب على كافة الجهات والمؤسسات المعنية بمواجهة تعاطي الخمر والمخدرات والمؤثرات العقلية أن تضع في اعتبارها تأثير النتائج الإيجابية أو السلبية للتعاطي؛ لأن السلوك يتأثر بما يتبعه من نتائج، ويتعين عليها أن تضع برامج مشتركة ضمن استراتيجيات الوقاية توضع ضمنها مختلف الأساليب الإرشادية والعلاجية التي يقترحها علماء السلوك، وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، التي تستهدف تعديل أو استبدال سلوك التعاطي الضار، بأنماط سلوكية أخرى مفيدة نافعة، تحقق الغرض أو النتيجة الإيجابية نفسها التي يحصل عليها الفرد من تعاطيه للخمر، أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية، وبما يضمن رفض الفرد للتعاطي من داخله .
- يجب على جميع الدول أن تتوسع في إنشاء المراكز، والمصحات العلاجية لعلاج المتعاطين والمدمنين، بشكل يتناسب مع حجم هذه الظاهرة، على أن تراعى ضمن برامجها العلاجية الاستراتيجيات الجديدة المقترحة؛ لأن بناء استراتيجيات وقاية فعالة يحتاج الى وضعها موضع التنفيذ، كما أن مواجهة ظاهرة التعاطي بوجه عام يجب أن يكون جهداً تكاملياً منظماً .

#### المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم: برواية قالون عن نافع، دار الفجر الإسلامي، دمشق، الطبعة العاشرة، 2012 .

ثانياً: كتب تفسير القرآن الكريم :

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن تحقيق: محمد بيومي، عبد الله المنشاوي، المجلد الثاني، مكتبة جزيرة الورد، جامعة الأزهر، مكتبة الأيمان، المنصورة، ( ب - س ) .

ثالثاً: كتب الشعر :

ابن قتيبة، ، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1977 .

رابعاً: الكتب المتخصصة :

1 - أبو حمرة، الهادي علي، المعاملة الجنائية لمتعاطي المخدر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، 1425 م .

2- أبو عيطة، السيد، نحو نظرية إسلامية جنائية للقضاء على ظاهرة المخدرات، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ( ب . ط )، ( ب، س ) .

- 3 - الحجار، محمد حمدي، المدخل إلى علم النفس المرضي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998 .
- 4 - الدخيل، عبد العزيز بن عبد الله، سلوك السلوك، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1990 .
- 5 - الذيباني، عبد المجيد عبد الحميد، التشريع الجنائي الإسلامي المقارن، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، 1428 م .
- 6 - الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع بحوث في علم الاجتماع الجنائي، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، الطبعة الثانية، 1992 .
- 7 - بن يونس، عمر محمد، المخدرات والمؤثرات العقلية عبر الإنترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 2004 .
- 8 - درايدن، ويندي — ماتويتشك، والتر، كيف تتخلص من الإدمان 5، ترجمة: خالد العامري، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006 .
- 9 - شابرول، هنري، الإدمان في سن المراهقة، ترجمة فؤاد شاهين، عويدات للنشر والطباعة، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، 2001 .
- 10 - طالب، أحسن، الوقاية من الجريمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001 .
- 11 - عبد الحليم، أنوار حافظ، مشاكل البطالة والإدمان، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ( ب - ط )، 2008 .
- 12 - عبد الخالق، جلال الدين — رمضان، السيد، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ( ب . ط )، 2001 .
- 13 - د . عبد المعطي، حسن — وآخرون، تعديل السلوك، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ( ب . ط )، 2013 .
- 14 - عزمي، محمد مدحت، نظرات في ظاهرة الجريمة في ضوء مبادئ علم الإجرام، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2010 .
- 15 - لا بروس، آلان، حرب الهيروين المخدرات والمال والسلاح، ترجمة أنطوان هاشم، دار عام ألفين، باريس، الطبعة الأولى، 1993 .
- 16 - لا وسن، سارة، كل ما يجب أن يعرفه الآباء عن المخدرات، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 2008 .
- 17 - لوكة، المنير أحمد، أحكام شرب الخمر في الشريعة الإسلامية « دراسة مقارنة » الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، 1994 م .

18 - نخبة من الأطباء، مرض السكر، ترجمة: إلهام محمود عثمان، دار الفرجاني القاهرة، الطبعة الأولى، 1991 .

خامساً: التشريعات والقوانين :

مجموعة التشريعات الجنائية (الجزء الأول « العقوبات »)، الإدارة العامة للقانون، ليبيا 2001 ف  
سادساً: شبكة المعلومات الدولية « الانترنت » :

[WWW.Arageek.com / 2016 / 07 / 04 / world – drug – report – 2016 html](http://WWW.Arageek.com/2016/07/04/world-drug-report-2016.html)

# الصلة بين الوظيفة النحويّة، والدلالة اللغويّة ومدى تفاعلها في فهم النص وكشفه

د. عبدالكريم جمعة سلامة \*

## ملخص بحث

إنّ المشتغلين بالنحو العربي والجادين فيه يتفقون على حقيقة بيّنة مؤدّاه أن الوصف النحوي ليس وصفا مفرّغا من الدّلالة، بل هو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة بعضها ببعض، فالنحو هو علم بأصول يعرف بها صحّة الكلام، وفساده .

وإذا كان النحو يضع حدودا صارمة، وأصولا محدّدة بهدف الحفاظ على سلامة الجملة والعبارة، وبالتالي على صحّة الأداء اللّغويّ، فإنّ الإعراب يأتي لتوضيح وظيفة الكلمة في الجملة وعلاقاتها بغيرها من الألفاظ في السياقات المختلفة كي يصل المعنى من المرسل إلى المرسل إليه على وجهه الصحيح الفصيح، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ هناك علاقة وثيقة متينة بين النّحو والدّلالة، أو بين الإعراب والمعنى، ومن هنا يُفهم قول ابن جنّي بأنّ « الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ » .

إذن عندما تتواءم الكلمات في علاقات نحوية بحيث تكون كلّ منها من خصائص الأخرى مع تحقّق الصّحة النطقية يكون التركيب والترابط في هذه الجملة في درجة عالية من الصّحة النحويّة والدّلالية، أمّا إذا تكسرت قاعدة اختيار موثمة الكلمات في الجملة، وفقدت الجملة قواعد التّصنيف الدّقيق فإنّ الجملة حينئذ ستخرج في درجة أقل من الصّحة النحويّة وهذا بالتالي يؤثّر على الصّحة الدلالية ...

والبحث غنيّ بالأمثلة التي توضّح العلاقة الوطيدة بين الوظيفة النّحويّة والدّلالة اللّغويّة ليصل إلى نتيجة مؤدّاه أنّ كشف النّص يحتاج إلى تضافر الوظيفة النحويّة، وصّحة دلالة المفردات، فلا بدّ من الأمرين معا .

\* كلية التربية. ككلة / جامعة الجبل الغربي

## المقدمة

لا شك أن هناك صلة قوية بين الوظيفة النحوية، والدلالة اللغوية، وكلتاهما تتعاونان في جلاء المعنى، وبالتالي فهم النص وكشف أبعاده. وهذا بحث متواضع يبحث في الوظيفة النحوية والدلالة اللغوية، ودورهما في إحكام نسيج النص، وسبر أغواره.

منذ ما ينيف على ألف عام عرّف العلامة ابن جنّي (ت 392هـ) اللغة بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » (ابن جنّي، 1986: 33/1) والملاحظ أنّ الصوت يصدر عن إنسان ليصل إلى أذن إنسان آخر. إذاً هناك علاقة قائمة بين الصوت وهو (الرمز) والمدلول وهو مايشير الرمز إليه من دلالات.

ف (الأغراض) - الواردة في تعريف ابن جنّي للغة - هي المعاني، أو الحقائق الفكرية أو الدلالات المعنوية التي يراد نقلها من خلال الصوت من متكلّم إلى مستمع. (أنيس، 1980: 38-39). ولو أنعمنا النظر في تعريف اللغة لابن جنّي، لوجدنا أنّ مفهوم هذا النص يطابق المفهوم نفسه الذي قدّمه (أرسطو) قبل ذلك بمئات السنين، عندما رأى أنّ الألفاظ « هي منتج صوتي مصحوب بعمل الخيال من أن يكون التعبير صوتاً له معنى » (أنيس، 1980: 86). ولكنّ نص ابن جنّي أكثر وضوحاً ودلالة.

وفي فترة مبكرة من تقعيد النحو العربي كان علماء مدرسة الكوفة يتهمون سيبويه (ت 180هـ) - رحمه الله - بأنه « عمل كلام العرب على المعاني، وخلّى عن الألفاظ » (حماسة، 2000: 40)، أي أنّ سيبويه اهتم بالجانب الإدراكي على حساب الجانب الصوتي، بمعنى آخر: فقد اهتم بالدلالة وليس بالدال، أي اهتم بالمعنى الداخلي وليس بالمظهر الخارجي... ولكنّ المشتغلين الجادين بالنحو يتفقون على حقيقة وهي: أنّ الوصف النحوي ليس وصفاً مفرّغاً من الدلالة بل هو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة بعضها ببعض، فالنحو هو: « علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده » (ابن جنّي، 1986: 53/1)

وبمعنى آخر: فإن النحو هو العلم الذي يعنى بدراسة الجملة التي تقاطرت فيها الألفاظ لتكوّن التركيب الكلامي، وعليه فإنّ وظيفة النحو قائمة على توضيح العلاقة التي تربط بين كل لفظة بأختها، والعلاقة التي تربط كل لفظة بأختها مستمدة من أمرين :

الأول - لغويّ يحكمه وضع الألفاظ بطريقة معيّنة، وفي سياقات معيّنة أيضاً.

الثاني - إدراكيّ عقليّ، ونعني به المعاني المترتبة على الوضع السابق من حيث ارتباط

كل سياق تركيبى بدلالة وضعية معيّنة.

وهذان الأمران متعاونان ومتداخلان بحيث لا يمكن استقلال أحدهما عن الآخر، بل هما محكومان بالتعاون والتداخل، وعدم الانفصال . وإذا أنعمنا التأمل في الوصف النحوي فسوف نكتشف أنّ الجانب اللغوي للعلاقة الموصوفة في القواعد النحوية عقليّ في ناحية من نواحيه، فعلى سبيل المثال ليست علاقة الفاعلية والمفعولية والإضافة، وغيرهما من العلاقات إلا علاقة يقيمها العقل الإنساني للمتكلمين والرمز بها لدلالة معيّنة . (أبو الرضا، لات:136)

ولاشكّ أنّ علم الدلالة، أو ما يسمى بنظرية المعنى قد أصبح - خلال القرن العشرين - علما محدد الأبعاد، بل وفرعا من فروع البحث اللغوي له مكانته في علم اللغة . وتبين أيضا من سلسلة الأبحاث والنظريات أنّ الدلالات الصحيحة لا تتحقق إلا استنادا إلى الصحة النحوية، أو الدقة النحوية . (سليمان، 1991: 26)

أي أنّ الدلالات الصحيحة تبرزها الدقة النحوية، فربما كانت الجملة صحيحة نحويا ولكنّها وحدها لا تنتج دلالة صحيحة، فإذا قلنا مثلا: (افترس الفأر القط) و(قرأ الثور الصحيفة) فمثل هذا التركيب توفرت فيه الصحة النحوية ولكن الألفاظ المكونة للجملتين قصد بها حقيقة اللفظ ومدلوله المباشر فهي لا تقوم على مجاز وبالتالي لم تبين على منطوق، وعليه فهي فاسدة منطوقيا وعقليا، وإن كانت صحيحة نحويا، والسبب أنها لا تتفق مع التصور العقلي والمنطوق فهي تتنافى مع طبائع المخلوقات والأشياء .

وإذا كانت الأخطاء النحوية تدلّ على فساد في التذوق، فإن الفساد المنطوق للجملة يدل على أنّ هناك فساداً في عقل مرسلها، وخلافاً في تفكيره . (سليمان، 1991: 26)

وإذا كان النحو يضع حدودا صارمة، وأصولا محددة بهدف الحفاظ على سلامة الجملة والعبارة وبالتالي على صحة الأداء اللغوي، فإنّ الإعراب يأتي ليوضح وظيفة الكلمة في الجملة، وعلاقاتها بغيرها من الألفاظ في السياقات المختلفة والهدف أن يصل المعنى من المرسل إلى المرسل إليه على وجهه الصحيح الفصيح وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ هناك علاقة وثيقة متينة بين النحو والدلالة، أو بين الإعراب والمعنى . ومن هنا يتحقق قول ابن جني بأن « الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ » . (ابن جني، 1986: 36/1) .

إذن عندما تتواءم كلمات في علاقات نحوية بحيث تكون كل منها من خصائص الأخرى، مع تحقيق الصحة النطقية يكون التركيب والترابط في هذه الحالة في درجة عالية من

الصحة النحوية والدلالية .. أما إذا انكسرت قاعدة اختيار موائمة الكلمات في الجملة، وفقدت الجملة قواعد التصنيف الدقيق فإن الجملة حينئذ ستخرج في درجة أقل من الصحة النحوية، وهذا بالتالي يؤثر على الصحة الدلالية، والمتكلم الفصيح يستطيع أن يحدد الجملة التي انكسرت فيها قاعدة الاختيار، وقواعد التصنيف الدقيق . وانكسارات الجملة – كما يحدده المتخصصون – يظهر في الجملة التي يكون في ألفاظها تعارض، أو تصادم في معنى من المعاني، وبتعبير آخر: لايسير معنى الجملة في نسق متسق ..

فإذا قال أحدنا مثلاً: (عوى الذئب) فإن هذه الجملة متسقة ومتناغمة أكثر من قول آخر مثلاً: (عوى الرجل) : لأن كلمة (عوى) هي من خصائص (الذئب) وسماته المعروفة فهي في مكانها – في الجملة الأولى – متسقة، متناسقة، ولأن كلمة (الذئب) هي من أهم خصائص (عوى)، (الشعمة، 1973: 19) وعليه فإن كلمة (عوى) ليست من خصائص (الرجل) ولا كلمة (الرجل) من خصائص (عوى). ولذلك توالى الكلمات في الجملة الثانية (عوى الرجل) ضد قوانين المفردات المتناسقة. ومن هنا «يأتي التفسير المجازي لاستعمال المفردات» (الخوني، 1981: 36) فيقوم فكر الإنسان وعقله بإجراء مشابهة بين الذئب والرجل من حيث إمكانية أن يقلد الرجل صوت الذئب في العواء (فعوى الذئب) على جهة حقيقة الألفاظ و(عوى الرجل) على جهة المجاز؛ أي التخيل والتصور؛ لأن القرائن وسياق الحال، وتكوين الجملة واختيار ألفاظها يمنع من إيراد المعنى الأصلي ..

ولذلك قال اللغويون: « وإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف بمعناه المألوف، وإذا قالوا: أكله الأسود (ابن منظور، 1994: مادة سَوْد) فإنما يعنون النهس، واللدغ، والعض فقط » (عتيق، 1972: 135)

إذا فأكله الأسود مجاز؛ لأن الأسود (الثعبان) لا يأكل، وإنما يعض، وينهش ... وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات: 12] فالتعبير في الآية الكريمة تعبير مجازي بكل تأكيد، والمقصود بقوله تعالى: ﴿ يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ الغيبة، والنميمة، ومثل ذلك في القرآن الكريم كثير .

إذاً عندما وقع الفعل (أكله) على (الأسود) – الثعبان – ووقع الفعل (يأكل) (على لحم أخيه ميتاً) انضمت كلمات من نسيج معين إلى كلمات أخرى من نسيج آخر، وليس كل منها من خصائص الأخرى، فاكسب التركيب الجديد لصنفي الكلمات خصائص جديدة عن طريق التصادم مع قواعد الاختيار، ولم تصحّ إلا على محمل المجاز .. ومثل هذا كثير،



فعلى سبيل المثال قول الشاعر :

سألتني عن أناس أكلوا شرب الدهر عليهم وأكل

وقول الآخر:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

وقوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾ [انقصص: 57]

وقوله تعالى على سبيل المثال :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْبَتْتَ ﴾ [يونس: 24]

كل ذلك فيه مجاز، أي "استعمال للفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي" (عتيق، 1972: 136) فمثلا في بيت الشعر الأول: "شرب الدهر عليهم وأكل"، فإن الفعل (شرب)، والفعل (أكل) وُضع كل منهما أصلا لإفادة صدور مدلولهما وهو (الشرب)، (والأكل) من الفاعل القادر على ذلك، وهو الكائن الحي، فإذا استعملت مع (الدهر) وهو غير قادر، وليس له صفة الفاعلية، فقد استعملت الصفة في غير موضعها، فانكسرت بذلك قاعدة الاختيار، وكذا في الأمثلة الباقية ... من خلال هذا العرض نستطيع القول: إنّ هناك أسساً ومجاور، ثابتة ترتكز عليها الجملة التي تعد صحيحة نحويا، ودلاليا منها :

- 1 - وظائف نحوية بينها علاقات أساسية تمدّ المنطوق بالمعنى الأساسي .
  - 2 - مفردات يتم الاختيار من بينها لشغل الوظائف النحوية المختلفة .
  - 3 - السياق الخاص الذي ترد فيه الجملة سواء كان سياقاً لغوياً، أم غير لغوي.
- (حماسة، 2000: 52).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المحاور الثلاثة بعضها حظي بدراسة مكثفة، وبعضها لم يحظ بنفس الاهتمام، فمثلا المحور الأول، وهو الوظائف النحوية حظي باهتمام زائد انفردت به كتب النحو فدرستها وحددت شروطها، كما درس بعض العلماء القدامى مفهوم (الدلالة) وخاصة تلك التي تتعلق بالصيغة النحوية المجردة، فمن خلال نصوص أدبية مختلفة درست - على سبيل المثال - الفروق بين صيغة الجملة الاسمية وصيغة الجملة الفعلية، وذلك في إشارات متناثرة بتناثر النصوص (عمر، 1993: 132) أيضا اهتم بعض علماء اللغة ب (حروف المعاني) فأولوها اهتماما بالغا، وخصّوها بالتصنيف، فمثلا صنّف

علي بن عيسى الرماني (ت384هـ) كتاب معاني الحروف أي دلالتها . وصنف أحمد بن عبدالنور المالقي (ت702هـ): رصف المباني في حروف المعاني، وهو من أعظم تصنيفاته، ويدل على تقدّمه في العربية . (السيوطي، لات: 332/1)

وألف ابن قاسم المرادي (ت749هـ) الجنى الداني في حروف المعاني، ووضع ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) كتابه الشهير: مغني اللبيب عن كتب الأعراب وخصّ الأدوات بحديث مفصّل طويل، ويُلاحظ أن دراسة هؤلاء العلماء لحروف المعاني إنما هي دراسة للتركيب والسياق الذي يكون فيه الحرف، فقد تحدثوا مثلاً عن حرف العطف (أو) أنّه يفيد (التخيير)، وهو ما يمنع فيه الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ومثالهم المشهور في هذا: « تزوّجَ هنداً، أو أختها » .

كما يفيد هذا الحرف (الإباحة) وهو جواز الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه نحو: كُلُّ تفاحاً أو عنبا ... فلا يوجد مانع من أكل التفاح والعنب معاً، وعليه فإن (أو) في هذا السياق تفيد (الإباحة) ؛ أي مباح لك أن تفعل ما شئت على الأفراد والإجماع في الذي قبلها وبعدها .

أما في المثال الأول فالأمر مختلف فهي للتخيير، أي المنع من الجمع ... والذي منع الإباحة عُرف شرعي، وهو كلمة (أختها) المضافة إلى الضمير العائد على المضاف إليه وهو (هند) وحتى لو وضعت مكان (أختها) كلمة أخرى تعود على المحرّمات شرعاً ظلت (أو) للتخيير أيضاً .

لكن تتحول (أو) للإباحة في -المثال الأول - لو وضع مكان (أختها) كلمة من فصيلة أخرى، من النساء، لا يجمعها علاقة القرابة المحرّمة في الزواج، حينئذ ينتفي المانع فتصبح (أو) للإباحة ... هذا وقد أورد العلماء لـ (أو) دلالات متعددة ومتنوعة جمعها ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) في مغنيه فوصلت إلى ما يقارب اثني عشر موضعاً، أمعن ابن هشام في شرحها وتوضيحها، وإيراد الشواهد عليها ... وفي باب حروف المعاني تحدث العلماء عن حروف أخرى من أبواب أخرى كأدوات الاستفهام، والعطف، والنداء، وحروف الجر، وحروف القسم، وغير ذلك من الحروف وأطالوا القول فيها وفي عرض معانيها واستعمالاتها وشواهدا وصلتها بدلالة المعنى وكشفه ..

وفي مجال الصيغ قدّم علماؤنا ومضات كاشفه عن دلالة بعض الصيغ وتمايزها عن غيرها من الصيغ الأخرى، فمثلاً دلالة صيغة المصدر على اختلاف بنيتها تختلف

عن صيغة الفعل، وصيغ المبالغة تختلف في دلالتها عن صيغ اسم الفاعل، واسم المفعول وهكذا.. فمثلاً يقول سيبويه (ت180هـ) - رحمه الله - وهو يتحدث عن (النسب) والذي يسميه (إضافة) وذلك في التفريق بين صيغتي (فَعَال) - بتشديد العين، وفتح الفاء - وصيغة (فاعل): « هذا باب من الإضافة تحذف فيه يائي الإضافة، وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزواله، أو ذا شيء . أمّا ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون (فَعَالاً)، وذلك قولك لصاحب الثياب: ثَوَاب، ولصاحب العاج: عَوَاج ولصاحب الجمال التي ينقل عليها: جَمَال، ولصاحب الحُمُر التي يعمل عليها: حَمَار، وللذي يعالج الصرف: صِرَاف. وذا أكثر من أن يُحصى... وأما ما يكون ذا شيء وليس بصنعة يعالجها فإنه مما يكون (فاعلاً) وذلك كقولك: لذي الدرع: دارع ولذي النبل: نابل، ولذي النشاب: ناشب، ولذي التمر: تامر، ولذي اللبن: لابن .

قال الحطيئة:

#### فغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

وتقول لمن كان شيء من هذه الأشياء صنعته: لَبَّان، وتَمَّار، وتَبَّال « (سيبويه، 1966: 380/3) هذا النص من كلام سيبويه - رحمه الله - يظهر فيه جلياً دلالة الصيغة التركيبية للفظ، ومفارقتها غيرها من الصيغ الأخرى في المعنى . والصيغة لأي لفظ لا تعمل في فراغ، ولكنها إطار لمادة صوتية معينة تصاغ فيها، وبالتالي أي صيغة لكي تدلّ على المعنى المراد منها لا بدّ أن يتوفر فيها شروط أشار إليها سيبويه حينما قال: «وتقول لصاحب كذا .. كذا » ولو أنعمنا النظر في قول لسبويه بعد النص السابق لوجدناه يقول: « وليس في كل شيء من هذا قيل هذا، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البُرِّ: بَرَّار، ولا لصاحب الفاكهة: فَكَاه، ولا لصاحب الشعير: شَعَّار، ولا لصاحب الدقيق: دَقَّاق » إذاً لكي تعطي الصيغة دلالة لا بد أن تكون هذه الصيغة لصاحب شيء يزاوله، أو ذي شيء، وليس بصنعة يعالجها . تقول هذا لأن لكل من الصيغتين اللَّتَيْنِ تحدّث عنهما سيبويه دلالات أخرى عندما تكون على وزن (فاعل) بمعنى اسم الفاعل، أو (فَعَال) بمعنى صيغة المبالغة .

والجدير ذكره أنه كانت هناك محاولات من بعض الباحثين في جمع الصيغ المختلفة التي استعملها القدماء وما ترمز إليه من دلالات، وتوضيح الفرق بين هذه الدلالات تبعاً لصيغة كل منها . (السامرائي، 1981: 45)

والتأمل في الصيغ التي استعملها المتقدمون يرى أنّ دلالة هذه الصيغ يحددها السياق

الذي تتخرط فيه، وتتفاعل معه . ولا شك أن الرائد الذي أسس لنظريّة تفاعل الدلالة النحوية، والدلالة المعجميّة هو العلامة عبدالقاهر الجرجاني (ت 417هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز) ويلاحظ أنه أيضا في هذا الكتاب يدافع عن النحو، ويثبت قيمته وفعاليتّه، فهو يقول - على سبيل المثال - : « إنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا يُنكر ذلك إلا من ينكر حسّه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه » (الجرجاني، 1331هـ: 347) هذا وقد جعل عبدالقاهر الجرجاني (النظم) يكمن في توحي معاني النحو في الكلام، وأحكامه، وفروقه، ووجوهه، والعمل بحيثيّاته وأصوله، بمعنى توضيح دلالة معاني النحو وإن ماسّماه عبدالقاهر الجرجاني بمعاني النحو، ليس هو (المعنى) الذي هو قسّم النحو (اللفظ)، والذي يذهب إليه أنصار المعنى، وكذلك ليس المقصود به المعاني التي تشتمل عليها الألفاظ، أي المعاني القاموسيّة ...

ومن أجل اتجاهه هذا جاءت شروح الجرجاني لمعانٍ مستفيضة، وتحليلاته، ومناقشاته له معرّزة بالأمثلة التوضيحيّة . فمثلا أتى عبدالقاهر بسورة فاتحة الكتاب الكريم وطبّق عليها دراسته للنظم، ومن خلالها أبرز مفهومه لمعاني النحو، ومما قاله على سبيل المثال: «فالنظم هو كلمة (الحمد) وهي اسم وقعت (مبتدأ) ...»

واستمر هكذا إلى آخر السورة، ثم عقب في النهاية بقوله : « فانظر هل كون (الحمد) مبتدأ فيه معنى لفظ الحمد ؟، وهل كون (ربّ) صفة، ومضاف إلى (العالمين) فيه معنى لفظ الرب » (الجرجاني، 1331هـ: 347)

إذاً عبدالقاهر الجرجاني لم يقصد المعاني القاموسية، وإنما قصد البنية الشكلية وهي تلك المعاني التي تحمل نماذج من الترتيب واختيار الأقسام في مقابل المعاني القاموسية (السعران، لات: 250). وبهذه الطريقة جعل عبدالقاهر الجرجاني (النظم) - بالطريقة التي تحدّث عنها - مدخلا إلى تقرير وإثبات إعجاز أعظم نصّ في العربية، وأبقاه وأخلده، وهو القرآن الكريم . (حماسة، 2000: 56) أما بالنسبة للمفردات التي تدخل في سلك المفردات النحوية فقد اهتمت بها المعاجم، وكذلك علم المعنى، منذ وقت مبكر والملفت أن دراسة المعنى اتجهت - في فترة مبكرة - إلى دراسة المعنى المعجمي بطريقة تكاد تكون مستقلة تماما عن الدلالة النحوية علما بأن اللفظ المفرد لا تتحدّد دلالاته إلا ضمن السياق اللغوي،

ومن خلال علاقاته النحوية بعناصر جملته، ومن خلال مكانته وقيمه على مسرح الحدث اللغوي .. فمثلا الفعل (ضرب) في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ [إبراهيم: 24] فإن دلالاته تختلف وإن اتحدت صيغته وزمانه عن الفعل (ضرب) في قولنا مثلا: ضرب الرجل اللص، علما بأن كلتا الجملتين تتكون من فعل وفاعل، ومفعول به لكن معنى الفعل (ضرب) اختلف بسبب إسناده إلى فاعل معين في كل من الجملتين السابقتين .

إذاً كل المعلومات المستخدمة في التفسير الدلالي يجب أن تُقدّم على العنصر النحوي أولاً، وهذا ما دعا أصحاب النظرية السياقية إلى القول: إنّ الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي تبرز فيه، ومن هذا السياق بالتأكيد علاقات اللفظ النحوية مع غيرها (حماسة، 2000: 56).

وسوف نحاول فيما يلي أن نتعرّف على الجانب الدلالي في النحو وذلك من خلال تفاعل الدلالة النحوية مع دلالة الألفاظ، وذلك من خلال اتحاد عاملين رئيسيين يلتصق أحدهما بالآخر، ولا ينفصل عنه .

أحدهما: الوظائف النحوية المختلفة للمفردات، والمعنى الدلالي الذي تتركه هذه الوظائف النحوية المختلفة .

الثاني: أهمية الجانب الدلالي في جانب من الظواهر النحوية حيث تستمدّ جملة من الوظائف النحوية تحقّقها وبلورتها من الجانب الدلالي، علما بأن الجانب الدلالي - كما نعرف - واسع متعدّد الاتجاهات والمصادر .

ولا شك أنه بالتعليق بين معاني الكلم اللغوية المختلفة، وطبقا لمعاني النحو وأحكامه يتمّ المعنى الدلالي، ويصير معنى واحدا لا يمكن الفصل بين أجزائه . وتكشف هذه الحقيقة عن أبعاد ثلاثة هي :

1 - المعنى المعجمي: والمقصود به معاني أفاظ اللغة المفردة، أو المعاني المفردة للكلمات .

2 - معاني النحو وأحكامه: والمقصود بذلك الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة، وعلاقاتها مع غيرها من الكلم .

3 - المعنى الدلالي: وهو ما يسميه عبدالقاهر الجرجاني: الإبانة عمّا في النفس أو البيان، أو تمام الدلالة (عمر، 1993: 4) وتتضح هذه الأبعاد بالدليل، وذلك من واقع اللغة في

كلامنا العادي، فعندما نقول - مثلاً - : (ضرب محمدٌ خالداً يوم الخميس ضرباً مبرحاً عقاباً له ) فلا شك أننا نحصل من مجموع هذه الكلم على معنى واحد واضح ؛ وذلك لأن هذه الكلم التي كونت الجملة السابقة ليس القصد من مجيئها معناها المعجمي، بل القصد من إحضارها وتركيبها على هذا الشكل لتفيد وجوه التعلُّق التي بين الفعل (ضرب) وبين ما عمل فيه، والأحكام الأخرى التي هي محصول التعلُّق .

وإذا كان الحال كذلك فينبغي في كون المفعولية من خالد، وكون يوم الخميس زماناً للضرب، وكون الضرب ضرباً مبرحاً، وكون العقاب علّة للضرب .

إذاً فأصل الفائدة هو إسناد (ضرب) إلى (محمد) وإثبات فعل الضرب له حتّى يعقل كون (خالد) مفعولاً به، وكون (الخميس) مفعولاً فيه، وكون (ضرباً مبرحاً) مصدرًا موصوفًا، وكون (التأديب) مفعولاً من غير أن يخطر ببالك كون (محمد) فاعلاً للضرب . وإذا أنعمنا النظر وجدنا ذلك لا يُتصور؛ لأن خالدًا مفعولاً لضرب وقع من محمد عليه، ويوم الخميس زماناً لضرب وقع من محمد فيه، و(ضرباً مبرحاً) بيان لذلك الضرب كيف كان ؟ وما صفتة ؟ والعقاب علّة للضرب، وبيان أنه أي (العقاب) كان الغرض من الضرب .

وإذا كان ذلك كذلك ثبت أن المفهوم، والمقصود من مجموع الكلم معنى واحداً لا عدّة معان، وهو إثباتك (محمدًا) فاعلاً، ضارباً لخالد في وقت كذا، على صفة كذا، ولغرض كذا . ولهذا المعنى نقول: إنه كلام واحد . (الجرجاني، 1331هـ: 318)

وهذا المبدأ من أهم المبادئ وأخطرهما في تحليل الأساليب النحوية للعربية عبر العصور المختلفة . (زهران، 1996: 76) فالمعنى اللغوي الذي هو محصول التعلُّق جاء ثمرة إبداع طرق التعلُّق بين الكلم، وتوخي معاني النحويين مفردات اللغة، فجاء معنى واحداً بغض النظر عن المعنى المعجمي لكل لفظة، وهذا المعنى لا يمكن الفصل بين أجزائه، فما طرق أذن السامع هو المعنى الكلّي للجملة .

إذاً فقد جاءت الدلالة نتيجة لتظافر المعنى المعجمي مع طرق التعلُّق بين الكلم وربطها حسب الوظائف النحوية، وعلى الرّغم من أهميّة المعنى المعجمي للمفردات إلا أنّها ليست هي الدلالة . إذن فمحال أن تخاطب شخصاً بمفردات لا يعرف هو معانيها كما تعرف أنت، إلا أن تتوخى ترتيباً خاصاً في اللغة تلائم بينه وبين الموقف المخبر عنه . (الجرجاني، 1331هـ: 318) ولزيد من الإيضاح هاك نماذج من صور التفاعل بين الوظيفة النحوية ودلالة المفردات المعجميّة .

يتضح ذلك من خلال نصّ في (الكتاب) أطلق عليه سيبويه: "باب الاستقامة من الكلام والإحالة". (سيبويه، 1966، 25/1)

يقول سيبويه - رحمه الله - عن الكلام: "فمنه مستقيم حسن، ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب . فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غدا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس .

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه . وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت وكى زيد يأتيك (سيبويه، 1-25/26)، وأشباه ذلك .

وأما المحال الكذب، فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس " هذه تقسيمات الكلام عند سيبويه، وهي كما ترى تقسيمات خمس، ولكن سيبويه لم يُعرّف من الأنواع الخمسة إلا قسمين هما: المحال، والمستقيم القبيح وترك للقارئ تحديد ما يقصده ببقية الأنواع قياساً على ما وضّحه .

ويفهم من تعريف سيبويه، وتمثيله للكلام المستقيم أنه الكلام المستقيم نحوياً ودلالياً . وكلّ جملة تتصف بأنّها مستقيمة هي جملة صحيحة نحوياً، لكن الحكم على هذه الجملة المستقيمة بالحسن، أو الكذب يتعلق ذلك بالمعنى الذي تفيده عناصر الجملة عندما ترتبط نحوياً .

فالكلام المستقيم الحسن مثلّ إليه سيبويه بقوله: (أتيتك أمس)، و(سأتيك غدا) وهذا مثال الكلام المستقيم الحسن، أي المستقيم من الناحية النحوية والدلالية .

وضرب لنا سيبويه مثالا على الكلام المستقيم الكذب بمثالين: (حملت الجبل) و(شربت ماء البحر) وهاتان الجملتان مستقيمتان؛ لأنّهما صحيحتان نحوياً لكن صفة الكذب جاءت لهذين المثالين من جهة المعنى الدلالي لكلّ منهما ومن زاوية النظر إليهما على أنّهما تعبير حقيقي. من هنا كانت صفة الكذب .

لكنّ جملة (حملت الجبل) قد تكون صحيحة نحوياً، ودلالياً، أي من النوع المستقيم الحسن وذلك إذا نظرنا إليها من زاوية التعبير المجازي بمعنى أنّ لفظ (الجبل) في الجملة مقصود به حمل مسئولية ثقيلة، أو حمل شيء ثقيل جدا .

هنا تصبح العلاقة بين الفعل (حمل) والمفعول به (الجبل) من حيث النحو والدلالة

صحيحة؛ لأن كلمة ( الجبل ) خرجت عن دلالتها الأوليّة، وهي الدلالة المعجميّة، أو الحقيقيّة، وحينئذ تصيح الجملة (حملت الجبل) من الكلام المستقيم الحسن .  
انظر إلى قول الله تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة: 14]،  
في الآية الكريمة لم يُحمل جبل واحد، بل جبال عدّة، ومعها الأرض بكلّ ما فيها، وما  
عليها، ومع ذلك فالآية من الكلام المستقيم الحسن لأنّ الفعل ﴿ حُمِلَتْ ﴾ مبني للمجهول،  
والفاعل معروف دلاليًا ؛ لأنّ الأمر متعلّق بقدرته الله تعالى .

ومثال ذلك كثير في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: - على سبيل المثال -

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف: 82]

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [سبأ: 33]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ﴾ [البقرة: 177]

ففي الآية الأولى وقع السؤال على القرية، ومع ذلك فالكلام مستقيم، حسن لأن  
المراد سؤال أهل القرية. وفي الآية الثانية أُضيف المكر إلى الليل والنهار، والليل والنهار لا  
يمكنان، ولكن يقع المكر فيهما .

وفي الآية الثالثة أخبر عن البر بقوله ” من آمن“ والمقصود - والله أعلم - : (ولكنّ البرّ  
برّ من آمن) (أبو حيان، 1992: 132/2)

إذاً كشف النص يحتاج إلى تضافر الوظيفة النحويّة، وصحّة دلالة المفردات، فلا بدّ من  
الاختيار، والدقّة في الأمرين معاً .



### مصادر البحث ومراجعته

- 1 - أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (1992): البحر المحيط في التفسير، مكتبة الإيمان، بريدة، السعودية، لا.ط.
- 2 - أبو الرضا، سعد (لات): في البيئة والدلالة، منشأة المعارف، الاسكندرية، لا.ط.
- 3 - أنيس، إبراهيم (1980): دلائل الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط.4.
- 4 - الجرجاني، عبد القاهر (1331هـ): دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، مصر، لا.ط.
- 5 - ابن جني، عثمان (1986): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط.4.
- 6 - حماسة، محمد (2000): النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط.1.
- 7 - الخولي، محمد علي (1981): قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، الرياض، لا.ط.
- 8 - زهران، البدر اوي (لات): عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، مصر، ط.4.
- 9 - السامرائي، فاضل (1981): معاني الأبنية العربية، مكتبة بغداد، العراق، لا.ط.
- 10 - السعمران، محمود (لات): علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لا.ط.
- 11 - سليمان، فتح الله أحمد (1991): مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الآداب، القاهرة، لا.ط.
- 12 - سيبويه، عمر بن عثمان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون (1966): الكتاب، دار القلم، مصر، لا.ط.
- 13 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (لات): بغية الوعاة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لا.ط.
- 14 - الشكعة، مصطفى (1923): الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لا.ط.
- 15 - عتيق، عبد العزيز (1972): علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لا.ط.
- 16 - عبد الرحمن، عفيف (1996): معجم الشعراء، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط.1.
- 17 - عمر، احمد مختار (1993): علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط.4.
- 18 - القرطبي، محمد بن أحمد (1977): الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1.
- 19 - ابن منظور، محمد بن مكرم (1994): لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط.3.

## مصطلح الصفير وأبعاده الدلالية

د. عياد مريحيل راشد \*

### ملخص البحث

تغير المعنى الدال على الصفير الذي كان صوتاً للبلبل إلى كل صوت فيه حدة ثم صار مصطلحاً للتصويت، ثم بجهود العلماء الصوتيين والمجوّدين تحول إلى مصطلح لأصوات مخصوصة حُدّدت في ثلاثة هي: السين، والصاد والزاي باتفاق جُلّ العلماء، وبأصوات أخرى مضافة إلى هذه الأصوات عند بعضهم الآخر، وقد تعددت المصطلحات المرادفة للصفير والمضادة، وتوعدت بين البسيطة والمركبة، فمثال البسيطة المرادفة للصفير: التصفير، والمكاء والأسلية، ومثال المركبة: صفير قليل، أسلية أسنانية، احتكاكي هسيسي ومثال المضادة: الصفير الخفي، وعدم الصفير، وكذلك تعددت مراتبه من حيث القوة والضعف.

## المقدمة :

يطلق العرب على صوت البلبل صفيراً ثم صار حكاية هذا الصوت مصطلحاً لكل صوت فيه حدة كصوت الريح، ثم أضحى مصطلحاً للتصويت ثم علما لأصوات معينة حددها جُل العلماء باتفاق في ثلاثة أصوات، هي : السين والصاد، والزاي؛ لما في مخرجها من ضيق، وباختلاف في أصوات أُخر، وقد تنوعت المصطلحات المرادفة للصفير، والمضادة له بين البسيطة والمركبة، وكان من دواعي اختيار هذا الموضوع للبحث ما وجدته من مادة علمية متناثرة هنا وهناك في كتب الأصوات والتجويد لعلّي أفيد بها القارئ أو الباحث، وتكمن أهمية هذا البحث في كون مصطلح الصفير مصطلحاً صوتياً مغموراً لا يعرفه إلا الخاصة من البحوث المتخصصةين في مجال الصوتيات كما أنه مر بتغير دلالي حتى استقر مصطلحاً صوتياً لأصوات معينة فأردت أن أظهره في ثوب جديد ويهدف هذا البحث إلى توضيح مفهوم الصفير، وما نتج عنه من مصطلحات لغوية واصطلاحية متصلة به، وما انضوى تحته من عدد أحرف الصفير ومراتبه وصفاته .

## الصفير لغة :

مصدر الفعل الثلاثي صَفَّرَ، وهو حِدَّة الصوت، وهو في العرف اللغوي « من الصوت بالدواب إذا سُقِيَتْ صَفَّرَ يَصْفِرُ صَفِيرًا، وَصَفَّرَ بِالْحِمَارِ وَصَفَّرَ دَعَاهُ إِلَى الْمَاءِ ... وَصَفَّرَ الطَّائِرُ يَصْفِرُ صَفِيرًا أَي مَكَا » (ابن منظور 2008م (صفر) 251/8) يتضح من ذلك أربعة أشياء :

الأول - أن المقصود بالطائر هو البلبل ؛ لأن صوته يوصف بالصفير فأصبح الصفير علماً من صوت البلبل، قال الشاعر :

صَوْتُ صَفِيرِ الْبَلْبَلِ هِيَّجَ قَلْبَ الثَّمَلِ

الماء والزهر معاً مع حسن لحظ المقل

«(شيخو، 1913م: 129/5)، ثم أطلق على كل صوت حاد، ومنه صوت الريح يسمى صفيراً » ... وأما حوار العجل فإنما هو على ما روينا عن ابن عباس أ، من أنه إنما كان صفير الريح تدخل من فيه وتخرج من دبره » (ابن قاسم الحلاق، 1418هـ، 3/424، 425).

الثاني - أن الصفير هو التصويت، وهو ما اتفقت عليه المعاجم اللغوية كما هو مفهوم من قول ابن منظور (ت 711هـ) السابق، وقول ابن فارس (ت 395هـ) : « فالصفير للطائر وقولهم ما بها صافر من هذا، أي كأنه يُصوت » (ابن فارس، 2008م، (صفر) 488) .

الثالث - أن الصفيّر قد يكون عيباً إذا كان في غير أحرف الصفيّر (س، ص، ز) يقول الجاحظ (ت255هـ) : « وفي سواحل البحر من أسياف فار ناس كثير، كلامهم يشبه الصفيّر... فاللثغة \* التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم أبي يكتوم » (الجاحظ: 34/1) ويقول في موضع آخر : « خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام وكان في كلامه صفيّر يخرج من موضع ثناياه المنزوعة، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه، إلا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفيّر » (المصدر السابق: 58/1، 59).

الرابع - يبدو أن الصفيّر، والتصفيّر بمعنى واحد، بدليل قول ابن منظور : « صَفَّرَ للحمار وَصَفَّرَ دعاه إلى الماء » (ابن منظور، 2008م/صفر) 251/8) لأن الفعل صَفَّرَ على وزن (فَعَّلَ) مصدره صَفِيرٌ على وزن (فَعِيل)، والفعل صَفَّرَ على وزن فَعَّلَ مصدره تَصْفِيرٌ على وزن تَفْعِيلٌ « وقد صَفَّرَ يَصْفِرُ صَفِيرًا إذا صَوَّت » (مرتضى الزبيدي (صفر) 336/12)، قال الناظم في مصدر الفعل الذي على وزن (فَعَّلَ) :

لِلدَّاءِ فُعَالٌ أَوْ لِصَوْتٍ وَشَمَلٌ      سَيِّراً وَصَوْتاً الْفَعِيلُ كَصَهْلٌ

(ابن مالك، 2005م : 36)

« أي أن الفعل الثلاثي المجرد على وزن فَعَلَ القاصر \*\*\*\*... الذي يدل على داء قياس مصدره الفُعَالُ كمشي بطنه مُشَاءً، أو على سير فقياسه الفَعِيلُ كالرحيل والدَّمِيلُ، أو على صوت فقياسه الفُعَالُ أو الفَعِيلُ كالصُّرَاخِ والعَوَاءِ والصَّهِيلِ والنَّهْيِيقِ والرَّزِيرِ » (ابن هشام الأنصاري، 2009م : 204/3) ومن قبيل هذا الباب أي الدال على صوت صَفَّرَ صفيّر، وقال الناظم في مصدر الفعل فَعَّلَ :

وَعَيَّرُ ذِي ثَلَاثَةٍ مَقْيِسُ      مَصْدَرِهِ كَقُدِّسَ التَّقْدِيسُ

(ابن مالك، 2005م : 36)

أي أن الفعل الثلاثي المزيد على وزن (فَعَّلَ) الصحيح اللام مصدره تفعيل ومعتل اللام مصدره تفعلة، إذ أنه « لا بد لكل فعل غير ثلاثي من مصدر مقيس . فقياس فَعَّلَ - بالتشديد - إذا كان صحيح اللام التَّفْعِيلُ كالتَّسْلِيمِ والتَّكْلِيمِ والتَّطْهِيرِ ومعتلها كذلك، ولكن تحذف ياء التفعيل وتعوض منها التاء فيصير وزنه تفعلة كالتوصية والتسمية والتركية » (ابن هشام الأنصاري، 2009م : 204/3).

\* - اللثغة : تحول اللسان من حرف إلى حرف، كقلب السين تاء والراء غينا (مجمع اللغة العربية بالقاهرة (لثغ) 815/2).  
\*\* - القاصر : هو الذي يكتفي بفاعله، نحو : نام، لعب، ذهب، ولا يباشر نصب المفعول به بنفسه بل \*\*بوساطة حرف أو غيره، نحو لا تسرف على نفسك (التونجي، 2003م : 321).

ويضاف إلى هذين المصدرين مصدران آخران، وهما (صُفَّار) (وصَفَّر)، فالأول: الصُّفَّار، وهو لغة: مصدر الفعل الثلاثي صَفَّر، وهو يدل على معان متعددة هي: «الصفير... دود البطن... ماء أصفر يجتمع في البطن... صفرة تعلقو اللون من شحوب ومرض» (مجمع اللغة العربية بالقاهرة (صفر) 516/1) و«نبات اسمه العلمي (Cassiasophera)» (رينهات بيتير 1979م (صفر) 450/6) إلا أنني أرى أن الصُّفَّار يدل على عيب نطقي، وليس مصطلحاً خاصاً بأحرف الصفير، ومما يؤكد ذلك ما نقله ابن منظور عن الفراء (ت 207هـ) في قوله: «وحكى الفراء عن بعضهم قال: كان في كلامه صُفَّار يعني صفيراً» (ابن منظور: 2008م (صفر) 251/8) فلو كان يقصد أحرف الصفير لم يذكره الفراء، لأنه أمر طبيعي لا يثير الانتباه، ثم إن الصُّفَّار يدل على معان متعددة سبق ذكرها، وليس مخصوصاً بمعنى واحد كالصفير.

والآخر (صَفَّر) الذي ذكره مكي القيسي (ت 437هـ) في قوله: «والصَّفَّرُ حد الصوت كالصوت الخارج عن ضغطة ثقب» (أبوشامة: 753) ولم تذكر المعاجم اللغوية أن الصَّفَّر يعني التصويت إلا مقاييس اللغة لابن فارس حيث قال: «الصاد والفاء والراء ستة أوجه: فالأصل الأول لون من الألوان، والثاني الشيء الخالي، والثالث جوهر من جواهر الأرض، والرابع صوت، والخامس زمان، والسادس نبت» (ابن فارس، 2008م (صفر) 408) ثم فصل القول في معنى صوت قائلاً: «أما الرابع فالصفير للطائر، وقولهم ما بها صافر من هذا أي كأنه يصوت» (المصدر السابق، صفر) 408).

يتضح من ذلك أن الصَّفَّر حتى عند ابن فارس لا يعني التصويت، ولا أدري لماذا اختار مكي هذا المصطلح مع أن المعاجم اللغوية جميعها لم تذكره بمعنى التصويت؟ يقول الفيروزآبادي (ت 817هـ) في مثله المختلف المعنى: «(الصَّفَّر): مصدر صَفَّرَ الرَّجُلَ بالضم: أصابه الصَّفَّارُ وهو: الماء الأصفر يصيب البَطْنَ. وبالكسر: الفارغ من الآنية. وبالضم: جمع الصفراء والذهب نوع من النحاس ويُكْسَرُ» (الفيروزآبادي، 1988م (صفر) 249). ويقول في دُرِّهِ: «الصَّفَّرُ، والصَّفَّرُ، والصَّفَّرُ - مثلثة الصاد - وصَفَّرَ كَكْتَفٍ - وصَفَّرَ كُرْبُرٍ - الخالي، والصَّفَّرُ أيضاً: الذهب... والصَّفَّرُ أيضاً من النحاس» (الفيروزآبادي، 1987م (صفر) 85).

أي أن الصَّفَّر لا يعني التصويت بل يعني الشيء الخالي فكأن مكي شبّه الصفير بالشيء الخالي عن الحروف، وهو ما ذهب إليه بعض المعجميين كقول الفيومي (ت 770هـ) «يقال بيت (صَفَّر) وزان حَمَلٍ أي خالٍ من المتاع وهو صَفَّرَ اليدين ليس فيهما شيء مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالي عن الحروف» (الفيومي، 1987م (صفر) 130).

وثمة مصطلحين آخرين في الدلالة على التصويت من الجذر (ص ف ر) وهما صفيريّ وصفيريّة، فإذا جعلوا الحرف مذكراً قالوا صفيريّ، ذلك أن « الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بَعْدُ » (سيبويه، 1992م: 214/3) والصفيري على وزن فَعِيلِيّ اسم منسوب إلى الصفير الذي هو على وزن فَعِيل أي أنه ينسب إلى وزن فعيل فَعِيلِيّ « فإن كان على فَعِيل أو فَعِيل أو فَعُول فإنك تلحقه ياء النسب، وتنسب إليه على لفظه، ولا تحذف الياء فتقول في النسب إلى تميم تميمي، وإلى كُليب: كُليبِي، وإلى سُدوس سُدوسيّ » (ابن عصفور الإشبيلي: 318/2)، ومثال تذكير الحرف « يخرج الصاد من المخرج التاسع من مخارج اللسان وهو حرف مطبق مستقل مصمت صفيري مهموس رخو متوسط » (الصفاسي: 82).

وإذا أنت العرب الحرف، أو جمعه قالوا صفيريّة إذ أن الحروف يجوز فيها التذكير والتأنيث « لأن الحرف يذكر ويؤنث (أبو البقاء الكفوي، 1992م: 1057) « وصفيرية مؤنث مجازي مقيس مذكّر صفيريّ بزيادة تاء مربوطة في آخره، ومن أمثلة تأنيثه « وأما الزاي ... وهي مجهورة منفتحة مستقلة صفيريّة » (ابن الجزري، 2006م: 55) ومثلما تكون التاء في آخر الاسم دلالة على التأنيث في أغلب الأحوال تكون في الفعل الماضي « والتاء في آخر الأفعال حرف وضع علامة للتأنيث ك«قامت» » (ابن هشام الأنصاري، 1998م: 125) ومثاله « وإذا كانت الزاي بعد الجيم بُيئت الجيم لئلا يقرب لفظ الزاي من السين أيضاً » (مكي القيسي، 2002م: 94) إلا أنها تكون في المضارع في أوله دلالة على التأنيث في بعض أحوالها «وتكون» التاء « « إما علامة للتأنيث ك«هند تكتب» أو حرف خطاب للمذكر ك«أنت تعلم » (الدفق، 1406هـ: 131) ومن أمثله « الزاي تخرج من المخرج التاسع من مخارج الفم مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى » (مكي القيسي، 2002م: 94).

وكذلك إذا جمعوا الحرف على أحرف وحروف أنثوا الصفة فقالوا صفيريّة، « لأن العرب تعدل عن الجمع مع التأنيث كثيراً لثقلهما ؛ لأن التأنيث خلاف المألوف، والجمع كذلك فإذا اجتمعا تفادوا عن الجمع بالإفراد، وهو كثير شائع في كلامهم لا يحتاج للاستشهاد » (ابن عاشور، 1984م: 3571) ومثاله : « ومثال إدغام هذه الستة \* من الصفيرية اضبط صابراً، اضبط سالماً، اضبط زاهراً. أي : من الأحرف الصفيرية أو الحروف الصفيرية(السيوطي: 498/3) .

وهناك مصطلحان من غير مادة (ص ف ر) يدلان على الصفير وهما : الأزيز، والمكاء،

\* - الستة : « هي الأحرف الطاء والظاء وشركاؤهما في المخرج، وهي الدال والناء والذال والناء (السيوطي) \*\*: 948/3) .

فأما الأزيز، لغة : فهو مصدر الفعل الثلاثي أَرَزَّ وَيَرِّزُ وَيُؤَزُّ، وله معان يمكن إجمالها في « غليان ليس بالشديد ... النشيش \* ... صوت غليان القدر، صوت الرعد من بعيد ... والبرد ... ويوم أزيز : بارد » (ابن منظور، 2008م (أزّ) 98/1، 99) و«شدة السير» (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (أزّ) 16/1) و« صوت خفيض ذو حدة » (عمر، بمساعدة فريق عمل، 2008م (أزّ) 87/1) وصوت المرّجل \*\* عند الغليان » (الثعالبي النيسابوري، 1999م : 196) وقد ورد مصطلح الأزيز دلالة على أصوات (س ص، ز) عند المحدثين في قول أحدهم: « يوصف الصوتان (س ز) غالباً بأنهما صفيريان لما يصحبهما من صفير أو أزيز » (ماريوي، 1973م : 87) وقول الآخر : « وعند ما يجبر الهواء على التحرر من هذا الأخدود بحدّة عند اللثة والأسنان يعطي أزيزاً مسموعاً هو ما اصطلح عليه تسمية الصفير » (الشايب 1999م : 196، 197).

المُكَاءُ، وهو : « مصدر سماعي للفعل مكا، يكو بمعنى صَفَّرَ وزنه (فُعَال) بضم الفاء وهو خاضع لضبط تقريبي ؛ لأن الفعل يدل على صوت فجاء المصدر كُبْكَاء وصُراخ، الهمزة فيه منقلبة عن واو ؛ لأن مضارعه يكو فلما جاءت الواو متطرفة بعد ألف زائدة ساكنة قلبت همزة » (صايف، 1418هـ : 214/9) ومما يدل على أن المكاء مرادف الصفير، قول الخليل (ت 170هـ) : « المُكَاءُ : الصفير، في قوله سبحانه وتعالى : ( وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ) [الأضفال : 35] ... وقد مكا الإنسان يكو مكاء، أي صَفَّرَ بفيه » (الفرهيدي (مكو) 418/5) وقول ابن منظور : « المكاء، مخفّف : الصفير مكا الإنسان يَمَكُو مَكُوًّا ومكاء : صَفَّرَ بفيه » (ابن منظور، 2008م (مكا) 113/14) وقول الفيروزآبادي (ت 817هـ) : « مكا مكوًّا ومكاء : صَفَّرَ بفيه، وشبّك بأصابعه ونفخ فيها » (الفيروزآبادي، 2008م (مكو) : 1550) .

نخلص من ذلك إلى أن الصفير يعني التصويت، وهو مصطلح لأصوات الصاد، والزاي، والسين تشترك ثمانية مصطلحات لغوية في الدلالة عليه منها ستة من الجذر (ص ف ر) وهي الصفير، والتصفير، والصّفَر، والصّفَار والصفيري والصفيرية، ومصطلحان أجنبيان عن الجذر (ص ف ر) وهما : الأزيز والمكاء، غير أن أشهر هذه المصطلحات على الإطلاق هو الصفير ؛ لأنه أكثر شهرة وشيوعاً عند علماء اللغة، والتجويد، والقراءات من باقي المصطلحات، ومما يدل على ذلك وروده نثراً ونظماً، فمن النثر : « وحروف الصفير - وهي الصاد والسين والزاي لا يتركب بعضها من بعض ليس في الكلام مثل (سس) ولا

\* - النشيش : « أول أخذ العصير في الغليان ... وصوت الماء وغيره إذا غلى » (ابن منظور، 2008م \*\* (نشش) 258/14).

\*\* - المرّجل : « القدر من الحجارة والنحاس، مذكر (ابن منظور، 2008م (رجل) 116/6) .

(صس) ولا سز) ولا (زس) ولا (زص) ولا (صز) (ابن جني 2007م: 432/2)، ومن النظم :

وصاد وسين مهملان وزايبها صفير وشين بالتفشي تعملاً

(الشاطبي، 2009م: 103)

فالصفير مصطلح مخصوص بأصوات معينة سبق ذكرها، أما التصفير وإن كان مرادفاً للصفير فهو لا يكون مصطلحاً خاصاً بتلك الأصوات ؛ لأنه :

أولاً - هو من المشترك اللفظي ؛ لدلالته على معان عديدة، منها :

أ - التصويت : « صَفَّرَ الشخص وغيره : صَفَّرَ، صَوَّتَ بالنفخ من شفتيه أو بواسطة صَفَّارة » (عمر بمساعدة فريق عمل، 2008م (ص فر) 1301/2) .

ب - الإفراف : « صَفَّرَ المكان أفرغه مما كان فيه ” ، ” صَفَّرَت السيدة البيت من المتاع ” (المصدر السابق، (ص فر) 1301/2) .

ت - الصَّبَّغ ” صَفَّرَ الثوب، ونحوه : صبغه باللون الصفر وهو لون الذهب » « صَفَّرَ الصباغ القماش - صَفَّرَت الشمس النبات » (41) أصفر، وهو لون الذهب » « صَفَّرَ الصَّبَّاغ القماش - صَفَّرَت الشمس النبات » (المصدر السابق، (ص فر) 1301/2، وينظر مجمع اللغة العربية (صفر) 516/1) .

ثانياً - التصفير أثقل نطقاً من الصفير، ذلك أن التصفير مصدر الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه (صَفَّرَ) الذي على وزن (فَعَّلَ) أما الصفير فهو مصدر الفعل الثلاثي المجرد (صَفَّرَ) على وزن (فَعَّلَ) فهو أخف نطقاً وأيسر سمعاً من (صَفَّرَ) .

ثالثاً - إنَّ مادة فَعَّلَ تدل على التكثر، والتكرار التي منها الفعل (صَفَّرَ) وهو يتنافى مع طبيعة هذا المصطلح الذي أطلق عليه بعضهم (صُويت)، ذلك أن الصفير : « صوت يصحب هذه الأحرف يشبه صفير الطائر » (المرادي: 36) ومعلوم أن لفظ صُويت يدل على التصغير الذي يضاد مادة فَعَّلَ التي تدل على المبالغة والتكثر، ولا تدل على التقليل والتخفيف، يقول الناظم :

فَعَّلَ في الغالب للتكثير كَفَتَّحَ الأبواب للتعمير  
قَطَّعَت جَوَّلَت وطَوَّفَت كذا ومَوَّتت أنعامهم فليؤخذ

(النيساري، 1995م: 22)

أما الصَّفَّار فهو وإن كان مصدراً للفعل (صَفَّرَ) الذي يدل على التصويت فهو يدل على



عيب في النطق، أما (الصَّفْر) فهو وإن كان قد ذكره مكي القيسي وحده فإن معناه لا يدل على التصويت كما أسلفنا القول، أما الصفيري والصفيريّ فهما مصدران منسوبان إلى الصفير، ويطلق الصفيريّ على الحرف عند تكبيره، والصفيريّة عند تأنيثه، أو جمعة، وليس مشهورين كشهرة الصفير .

ويبقى المصطلحان الأجنبيةان عن مادة (صفر) وهما الأزيز والمكء، أما الأول وإن كان يدل على التصويت فإنه يدل على معانٍ أُخرٍ سبق ذكرها، فهو من قبيل المشترك اللفظي، إضافة إلى أنه لم يستعمل عند العلماء مصطلحاً دالاً على أصوات بعينها مثل الصفير، والثاني (المكء) وإن كان يرادف الصفير في معناه فهو لم يُذكر عند العلماء مصطلحاً مخصوصاً لأصوات معينة .

#### الصفير اصطلاحاً :

ومتلما تعددت مرادفات الصفير لغة تعددت اصطلاحاً، وقبل الكشف عن ذلك، هذا أولاً تعريف الصفير في الاصطلاح، وقد كثرت تعريفاته عند العلماء القدماء، منها :

- 1 - اصطدام الصوت بالثنايا » (الجعبري، 2005م: 44) .
- 2 - "وحقيقة الصفير : أنه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حساً ظاهراً في السمع " (مكي القيسي، 2002م: 95) .
- 3 - « وهي خروج صوت يشبه الصفير عند النطق بالحرف، وأحرفه ثلاثة : الزاي، والصاد، والسين » (ابن الوجيه، 1998م: 39) .
- 4 - « وصوت زائد يخرج من بين الشفتين يصحب حروفه الثلاثة عند خروجها وهي الصاد المهملة، والزاي، والسين المهملة » (مكي نصر، 2001م: 58) .
- 5 - « صوت يصحب هذه الأحرف يشبه صفير الطائر » (المرادي: 36) .

وقد عرّفه أحد المحدثين قائلاً : « صوت زائد ظاهر في السمع بدرجات متفاوتة ناتج عن اضطراب شديد للهواء المصاحب لنطق الصاد والزاي والسين » (الهدهد، 2008م: 607/2) يتضح من خلال التعريفات السابقة الآتي :

- 1 - إن التعريف المختار هو تعريف مكي القيسي القائل : « وحقيقة الصفير أنه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حساً ظاهراً

في السمع» (مكي القيسي: 95) وسبب اختياره أنه ركّز على الناحيتين الفسيولوجية\* والإدراكية\*\*، إذ تتمثل الناحية الفسيولوجية في وصفه لخروج الهواء بقوة من طرف اللسان مما بين الثنايا، كما تتمثل الناحية الإدراكية في قوله: «تسمع له حساً ظاهراً في السمع» (التههد، 2008م: 602/2) ومع أن هذا التعريف الذي يراه البعض جامعاً مانعاً إلا أنه لم يحدّد أصوات الصفير، وقد نجد له العذر في ذلك؛ لأنه ذكرها في باب صفات الحروف وألقابها في قوله: «حروف الصفير، وهي ثلاثة: (الزاي) و(السين)، و(الصاد) (مكي القيسي 2002م: 40) فأغنى ذلك عن تكرارها.

2- وصف العلماء الصفير بستة مصطلحات، اثنان منها بسيطان هما: لفظ وصوت، وأربعة مركبة، هي: اصطدام الصوت، وصوت زائد، صوت يصحب، صوت زائد ظاهر، وأقرب هذه المصطلحات إلى الواقع العلمي هو صوت زائد؛ لأنه يتماشى مع الدراسات الصوتية الحديثة (التههد، 2008م: 607/2).

3- لم تركز التعريفات السابقة على حصر أصوات الصفير إلا في تعريف ابن الوجيه، ومكي نصر اللذين جعلاهما في ثلاثة وهي: الصاد، والزاي والسين (ينظر ابن الوجيه 1998م: 39، ومكي نصر، 2001م: 58) وقد أيدهم في ذلك جل علماء اللغة، والتجويد، والقراءات متقدمين ومحدثين فمن المتقدمين: سيبويه (ت 175هـ) والداني (ت 444هـ) وابن الجزري (ت 338هـ) (سيبويه، 1992م: 464/4، والداني: 2009م: 219 وابن الجزري، 2001م: 10) ولم يخالفهم إلا الأستراباذي (ت 715هـ) الذي أضاف صوت الضاد في قوله: «: الصفير الذي في الصاد والضاد» (الاسترابادي، 2004م، 960/2) وقد علق المحقّق على ذلك قائلاً: «عدّ الشارح الضاد من حروف الصفير، وهي ليست كذلك إذ أن حروف الصفير هي: الصاد، والزاي، والسين،» (المصدر السابق، 2004م، 960/2 هامش 5) «(سيبويه، 1992م: 435، 434/4) ويظهر أن الاستراباذي في عده الضاد من أصوات الصفير أنها من الأصوات الرخوة، وهو مردود عليه؛ لأنه يجب أن يضيف الأصوات الرخوة كلها، وهي: «الهاء، والحاء، والعين، والحاء والشين، والطاء، والقاف، والذال، والفاء إلى أصوات الصفير» (ينظر التسهيل ص 319) هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الرخاوة لا تعد صفة لأصوات الصفير لأن هناك

\* - الفسيولوجية هي: «اسم مؤنث منسوب إلى فسيولوجيا وهي عند علماء الأحياء: علم وظائف الأعضاء في» الحيوانات والنبات (عمر، 2008م (فسيولوجيا) 2001/1).

\*\* - الإدراكية: مصدر سماعي من إدراك، وهو بصيرة ورشد، واستعمال القوة العقلية التي تعرف بها» النفس الأشياء، وغيرها (عمر، 2008م (درك) 606/2).

أصواتاً أشد رخاوة منها كالشين التي تزيد رخاوتها عن أصوات الصفير (ينظر الصبغ، 2007م: 159)، وقد يكون الذي أوهم الأستراياذي الاستطالة \* التي في الضاد، أو عبارة سيوييه : « والضاد في ذلك بمنزلة الصاد ؛ لما ذكرت لك من استطالتها كالشين » (سيوييه، 1992م: 4/470) ومن المحدثين : إبراهيم أنيس الذي يقول : « فالأصوات التي يُسمع لها صفير واضح في رأي المحدثين هي : ث ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ف » (أنيس 1995م: 75) إضافة أصوات : ث، ذ، ش، ظ، ف، إلى أصوات الصفير فيه عدم معرفة علة الصفير التي تعني انحصار الصوت الذي تختص به الأصوات الثلاثة المعروفة (ينظر الصبغ، 2007م: 159)، وقد كشف عنها الزمخشري (ت 538هـ) في قوله : « حروف الصفير : وهي الصاد والزاي والسين لأن صوتها كالصفير لأنها تخرج من بين الشايا وطرف اللسان، فينحصر الصوت هناك فيصفر به » (ابن يعيش : 130/10).

نخلص من ذلك إلى أن القدماء والمحدثين متفقون على أن أصوات السين والصاد والزاي هي أصوات الصفير، كما أن الأصوات التي أضافها المحدثون لا تعد أصواتاً للصفير للعلل التي ذكرناها . بقي أن نبين في هذا المجال أن أقوى الأصوات صفيراً هي الصاد، ثم الزاي، ثم السين « والضاد » أقواها للإطباق\* والاستعلاء\*\*\* اللذين فيها و«الزاي» تليها في القوة للجهر\* الذي فيها، و«السين أضعفها للهمس\*\*\* الذي فيها » (مكي القيسي 2002م: 41) .

4 - لم تتعرض التعريفات السابقة إلى مراتب الصفير، وهي ثلاثة : أولها الحرف المشدّد، وثانيها : الحرف الساكن، وآخرها : الحرف المتحرّك (ينظر رزق 2008م : 120) وهذا بيانها :

1 - المشدّد : وهو تضعيف الحرف وإدغامه (عمر، بمساعدة فريق عمل 2008م (ش د د) 172/2)، مثل : المِنَصَّة، والصَّالِحَات، والعِرَّة والزَّاجِرَات، والمُجَسَّم، والسَّلَام .

\* - الاستطالة : امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخره (ابن قاسم، 2001م : 67) .  
 \*\* - الإطباق، لغة : الإلتصاق، واصطلاحاً : ملاصقة ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان عند \*\*التلفظ بالحرف مع انحصار الريح بينهما، وحروفه أربعة هي : الصاد، والضاد، والطاء، والظاء \*\* (الجرمي، 2001م، 48) .  
 \*\*\* - الاستعلاء، لغة : الارتفاع، واصطلاحاً : ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق \*\* بالحرف فيرتفع الصوت معه والحروف المستعلية هي المجموعة في (خص ضغط قط) (المسؤول \*\* 2007م : 70) .  
 \*\*\*\* - الجهر، لغة : الإعلان والإظهار، واصطلاحاً : انحباس جري النفس عند النطق بالحرف ؛ وذلك لقوة \*\* الاعتماد على مخرجه، وحروف الجهر تسعة عشر جمعت في عبارة (عظم وزن قارئ ذى غض جد \*\* طلب) (الجرمي، 2001م : 70) .

2 - الساكن : وهو « ظهور الحرف غير متحرك » (المصدر السابق، 2008م (س ك ن) 10862)،  
مثل : فاصِبِرِ الجَزْمِ، نَسْتَعِين .

3 - المتحرِّك : وهو الحرف المضموم والمفتوح والمكسور (ينظر مجمع اللغة العربية  
بالقاهرة، (حرك) 168/1) ، مثل : صَبْرًا، مَنَازِل، سُبْحَان .

5 - لم تبين التعريفات السابقة الصفات التي ينتمي إليها الصفيير، وهو ينتمي إلى :

1 - الصفات الأصلية : « وهي مجموع الصفات التي لها ضد ولا ضد لها وهي :  
الهمس، والجهر، والشدة، والرخاوة، والبينية، والاستعلاء والاستفال، والإطباق،  
والانفتاح، والإذلاق، والاصمات، والصفيير والقلقلة، واللين، والتكرير، والانحراف،  
والتفشي، والاستطالة والخفاء، والغنة » (المسؤول، 2007م : 240، 141) .

2 - الصفات القوية : « وهي : الجهر، والشدة، والاستعلاء، والإطباق والصفيير،  
والقلقلة، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستطالة » (المصدر السابق : 241) ويطلق  
عليها الصفات المحسنة، وهي الصفات التي لا ضد لها (المرجع السابق، 2007م : 241) .

#### مصطلحات الصفيير :

تنقسم المصطلحات الدالة على الصفيير من حيث الاصطلاح إلى قسمين : مصطلحات  
مرادفة له، ومصطلحات مضادة له :

#### أولاً : المصطلحات المرادفة له :

وهي بطبيعتها إما مفردة \* وأما مركبة \*\* :

1 - المصطلحات المفردة (البسيطة) :

أ - الصفيير، وقد سبق الحديث عنه .

ب - الأصلية، لغة : اسم مؤنث منسوب إلى الأسل (عمر بمساعدة فريق عمل، 2008م (أ)  
س ن) 96/1)، والأسل كما يقول ابن فارس : « الهمزة والسين، واللام تدل على  
حدة الشيء وطوله في دقة » (ابن فارس 2008م (أسل) 106/1) واصطلاحاً : « وهي  
ثلاثة أحرف : الصاد والسين، والزاي سُمُّوا بذلك ؛ لأنهن نُسبن إلى الموضع الذي

\* - المصطلح المفرد، ويقال له البسيط : هو الذي يعني الاستعانة بالألفاظ المفردة فقط في الدلالة على معنى \*\* متعارف  
عليه مثل مبتدأ، والخبر، والحال (ينظر الحديدي، 2006م : 104) .

\*\* - المصطلح المركب : هو الذي يعني الاستعانة بالألفاظ المركبة أو المزيدة في الاتفاق على مراد معين، مثل \*\* المفعول به،  
اسم كان، حروف الجر (ينظر الحديدي، 2006م : 104، 125، 126) .

يخرجن منه، وهو أسلة اللسان أي مستدقّه « (ابن الجزري، 2006م: 29) ويبدو أن هذا المصطلح استعمله المعجميون كالخليل (ت180هـ) والأزهري (ت370هـ) والزبيدي (ت1205هـ) وغيرهم، ويعد الخليل أول من أطلق على هذه الأصوات اسم الأسلية إذ يقول: « والصاد والسين والزاء أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان » (الفراهيدي: 58/1) ومما يدل كذلك على أن الأسلية مصطلح يدل على أصوات الصفير جمع الناظم لهما في قوله (المرصفي: 741):

وأحرف الصفير قل أسليه والطاء والذال وثا لثويه

إلا أن مصطلح الأسلية وإن كان يطلق على أصوات الصفير، فهو قليل الاستعمال عند العلماء؛ لأنه مصطلح عام ليس مقصوداً على هذه الأصوات الثلاثة بل معها أيضاً « الثاء، والذال والطاء، واللام، والراء والنون بل و(الطاء والذال، والثاء) ... » (انيس، 1995م: 109).

ت - اللثوية، لغة: اسم مؤنث منسوب إلى اللثة، واللثة بالتخفيف: ما حول الأسنان، وأصلها لثي والهاء عوض من الياء وجمعها لثات ولثي « (الجوهري، 2009م: 1026).

واصطلاحاً: « هي صفة لعدد من الأصوات، وتنسب الأصوات اللثوية إلى مخرج هذه الأصوات، وهي اللثة، والأصوات اللثوية وهي: (س ص، ز، د، ت، ط، ل، ن، ر) (الصيغ، 2007م: 201).

إلا أن هذا المصطلح كثرت الانتقادات بشأنه، ولعل أبرزها الشك في نسبته إلى الخليل - رحمه الله -، لأنه ليس للثة أي دور في هذه الأصوات (المرجع السابق: 201، 202) اللهم إلا أن «مبدأها من اللثة» (ابن يعيش: 123/10)، وكذلك هو مصطلح عام لا يختص بمصطلح الصفير وحده.

## 2 - المصطلحات المركبة:

أ - صفير قليل: مصطلح مركب يحمل دلالتين: صفير، وقد سبق تعريفه وقليل لغة، هو صفة مشبهة من الفعل الثلاثي المجرد قل بمعنى النادر (عمر، 2008م: 1852، 1854/3) وهو اصطلاحاً: يطلق على ما ينتج من صوت الثاء « أما الثاء فتخرج باعتماد من الهواء عند موضع التاء بلا حبس وتحبس عند أطراف الأسنان ليصير الخلل أضيّق فيكون صفير قليل مع القلع » (عمر، 2003م: 110).

ب - أسلية أسنانية: مصطلح مركب ذو دلالتين أسلية، وتم بيانها، وأسنانية وهو اسم

مؤنث منسوب إلى الأسنان، والأسنان لغة : هو جمع تكسير مفردة سنّ وهي « قطعة من العظم تثبت في الفك (مؤنثة) والسنّ من الشيء : كل جزء مسنّن محدد على هيئتها مثل سن المشط، أو المنجل أو المنشار، أو المفتاح، أو القلم، وسن الفقار وغيرها » (مجمع اللغة العربية بالقاهرة (سن) 456/1) واصطلاحاً : هو مصطلح حديث أطلقه العلماء على ثلاثة أصوات : السين، والصاد والزاي (ينظر الصيغ 2007م : 80، 81).

ت - أسناني صفيري، لغة : مصطلح مركب ذو دلالتين، وقد سبق توضيحهما . واصطلاحاً : « وهو مصطلح صوتي حديث لأصوات الصاد، والسين والزاي » (ينظر الهدهد، 2008م، 494/2).

ث - أسناني لثوي، لغة : مصطلح مركب ذو دلالتين تم توضيحهما واصطلاحاً، لفظ أطلقه بعض المحدثين على أصوات الصاد والزاي والسين (المرجع السابق : 81، 82)، إلا أن لفظ أسناني لثوي يضم كذلك الأصوات النطعية (عمر بمساعدة فريق عمل، 2008م) ح ك (536/1) فيصبح المصطلح عاماً، وغير مخصوص بأصوات الصفيير .

هـ - احتكاكي هسيسي : مصطلح مركب ذو دلالتين احتكاكي، وهو لغة : « اسم منسوب إلى الاحتكاك . والاحتكاك : مصدر الفعل الخماسي احتكّ وهو يعني ملامسة الشيء بعضه في انسحاب » (ابن منظور، 2008م (هسس) \* 64/15) وهسيسي اسم منسوب إلى هسيس وهسيس مصدر الفعل الثلاثي هسّ يهسّ، وهو « الإخفاء » والكلام الذي لا يفهم، والهمس » (الهدهد \* 2007م : 603/2) واصطلاحاً : « صوت احتكاكي صفيري يغلب عليه السين، مثل (س، ز، ص) » (مالبرج، 1988م : 18) .

ويلاحظ على هذه المصطلحات المركبة أنها كلها مصطلحات أطلقها العلماء المحدثون والتي يتميز بعضها بالدقة، وبعضها الآخر بالعموم أو البعد أحياناً . وأميل إلى أن المصطلح البسيط (الصفيير) هو أنسب هذه المصطلحات لأصوات (س، ص، ز)، وذلك لما ورد عن القدماء والمحدثين (ينظر الهدهد 2007م : 494/2)، يقول برتيل مالبرج : الصفيير " وهو كون الصوت شديد الوضوح في السمع نتيجة الاحتكاك الشديد في المخرج، وهو وصف صادق على ثلاثة صوامت هي : السين، والزاي، والصاد " (مالبرج، 1988م : 18) .

#### المصطلحات المضادة :

لم تسعفنا المصادر الصوتية بالمصطلحات الدالة على التضاد تجاه مصطلح الصفيير إلا مصطلحان وهما : مركبين : الصفيير الخفي، وعدم الصفيير، فالصفيير سبق تعريفه،

والخفي لغة : « صفة مشبهة تدل على الثبوت من خَفِي / خَفِي على / خَفِي عن ... ، خَفِي الشيء : توارى واستتر ولم يظهر » (عمر بمساعدة فريق عمل، 2008م (ع دم) 1469/2)، واصطلاحاً وهو : نقيض الصفير «الذي تحدث عنه ابن سينا في أسباب حدوث الحروف بخصوص عملية إنتاج «الفاء» (حساوي، 2009م: 116) يقول ابن سينا (ت428هـ): « وأما إذا كان حبس الهواء بآخر الثنية من الشفة وتسربه في آخر الثنية من غير حبس تام حدث الفاء » (ابن سينا، 2002م: 26) .

عَدَم الصفير، والعَدَم، لغة : مصدر الفعل الثلاثي عَدِمَ يَعْدَمُ، وهو كما يقول ابن فارس « العين والذال والميم أصل واحد يدل على فقدان الشيء وذهابه » (ابن فارس، 2008م (عدم) 646) فمعناه « ضد الوجود فهو نفي شيء من شأنه أن يوجد ... وكلمة تسبق المصدر فتؤدي معنى مضاداً لمعناها ... عدم الرسوب : النجاح » (عمر بمساعدة فريق عمل، 2008م (عدم) 1469/2) والصفير تم الحديث عنه، وعدم الصفير اصطلاحاً هو مصطلح مستنتج من الأصوات التي لا صفير فيها، وهي عند القدماء باستثناء السين، والصاد والزاي، وعند بعض المحدثين عدا الثاء، والذال، والزاي، والسين، والشين والصاد، والطاء، والفاء (الهدهد، 2008م، 603/2)، ومما يدل على ذلك قول ابن سينا في صوتي الباء، والياء مثلاً، فيقول في الباء بعد فراغه من الحديث عن صوت الفاء : « وإن كان في ذلك الموضع بعينه مع حبس تام الإطلاق في تلك الجهة بعينها حدث الباء » (ابن سينا، 2002م: 26) ويقول عن الياء : « والياء الصامته فإنها تحدث حين يحدث السين والزاي ولكن بضغط وحفظ للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيراً » (المصدر السابق، 2007م: 27) .

#### الخاتمة :

توصلت في نهاية هذا البحث إلى النتائج الآتية :

- انتقلت دلالة مصطلح الصفير من صوت للطائر إلى التصويت بوجه عام إلى حدة الصوت، ثم إلى عِلْمٍ لأصوات محددة .
- الصفير مصطلح صوتي يدل عند الأصواتيين على ثلاثة أصوات هي (س ص، ز) .
- تشترك أربعة مصطلحات لغوية من الجذر (ص، ف، ر) في الدلالة على مراده وهي الصفير، والتصفير، والصُّفَار، الصَّفَر، ومصطلحان أجنيبان عن الجذر (ص ف ر) وهما : الأزيز، والمكّاء .

- المصطلحات اللغوية المرادفة للصفير كلها بسيطة وليست مركبة .
- الصفير هو المصطلح المهيمن على معنى التصويت وعلى أصوات (س، ص، ز) دون بقية المصطلحات اللغوية الأخرى .
- اتفق أغلب العلماء القدماء والمحدثين على أن أصوات الصفير ثلاثة هي : الصاد، والزاي، والسين، وقد شذ عند ذلك من القدماء الأستراباذي الذي أضاف (الضاد) ومن المحدثين إبراهيم أنيس الذي أضاف (الثاء والذال والشين والظاء والفاء) .
- أقوى الأصوات صفيراً هي الصاد، ثم الزاي، ثم السين .
- يوصف الصوت الدال على الصفير بعدة مصطلحات هي : اصطدام الصوت، اللفظ، صوت زائد، صوت مصاحب، وأقربها إلى الواقع العلمي هو : صوت زائد .
- مراتب الصفير هي : الحرف الصفيري المشدد، ثم الحرف الصفيري الساكن، ثم الحرف الصفيري المتحرك .
- ينتمي الصفير إلى الصفات الأصلية والصفات القوية التي يطلق عليها المحسنة .
- تعددت المصطلحات الدالة على أصوات (السين، والصاد، والزاي) في الاصطلاح وانقسمت إلى بسيطة ومركبة .
- المصطلحات البسيطة المرادفة للصفير عند أهل الصناعة هي : الأسلية واللثوية .
- المصطلحات المركبة هي : صفير قليل، أسلية أسنانية، أسناني صفيري أسناني لثوي، احتكاكي هسيبي .
- المصطلحات المضادة للصفير، هي : الصفير الخفي، وعدم الصفير .
- أنسب المصطلحات الدالة على أصوات الصفير (س، ص، ز) والتي اتفق عليها أغلب العلماء قدماء ومحدثين هو (الصفير) .



المصادر والمراجع :

- 1 - أنيس، إبراهيم : الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة الطبعة الرابعة، 1995م .
- 2 - برتيل مالمبرج : علم الأصوات، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1988م .
- 3 - التونجي، محمد : معجم علوم العربية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2003م.
- 4 - الثعالبي، أبو منصور بن إسماعيل النيسابوري : فقه اللغة، تحقيق عمر الطَّبَّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م .
- 5 - الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر : البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ودار الفكر للطباعة، (د.ط.)، (د.ت) .
- 6 - الجعبري، برهان الدين إبراهيم بن عمر : عقود الجمان في تجويد القرآن مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م .
- 7 - الجرمي، إبراهيم محمد : معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م .
- 8 - ابن الجزري : أبو الخير محمد بن محمد : التمهيد في علم التجويد، تحقيق جمال شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، (د.ط.)، 1427هـ - 2006م . .
- 9 - ابن جني، أبو الفتح عثمان : سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، 2007م .
- 10 - الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد : الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق محمود محمد تامر وأنس الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (د.ط.)، 1430هـ - 2009م .
- 11 - الحديدي، إيناس كمال : المصطلحات في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006م .
- 12 - حساوي، محمد : معجم اصطلاحات الإعاقة النطقية والسمعية (1 - في التراث العربي)، دار اقرأ، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م .
- 13 - الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان : التحديد في صنعة الإتقان والتجويد، تحقيق فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، 2009م .
- 14 - الدقر، عبد الغني : معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م .
- 15 - رزق، عبد العزيز محمد فرحات : فيض الوهاب في تجويد آيات الكتاب مكتبة الإيمان بالمنصورة، (د.ط.)، 2008م .
- 16 - دوزي، رينهارت بيتر : تكلمة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي،

- وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية الطبعة الأولى، 1979م .
- 17 - الرضي الأسترابادي، محمد بن الحسن نجم الدين : شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م .
- 18 - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1312هـ - 1992م .
- 19 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : همع الهوامي في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (د.ط.) مصر (د.ت) .
- 20 - ابن سينا، أبو علي الحسين : أسباب حدوث الحروف، تحقيق محب الدين خطيب، تقديم الطيب البكوش، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، قرطاج، الطبعة الأولى، 2002م .
- 21 - الشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيبي الأندلسي : منظومة الشاطبية، (حرز الأمانى وواجه التهاني في القراءات السبع، تحقيق وليد بن رجب بن عبد الرشيد بن عجمي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى 2009م .
- 22 - أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم : إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، بمصر .
- 23 - الشايب، فوزي حسن : محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان الطبعة الأولى، 1999م .
- 24 - شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب : مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، 1913م .
- 25 - الصفاقصي، علي بن محمد بن سالم أبو الحسن النووي : تنبيه الفضلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله (د.ط.) (د.ت) .
- 26 - صايف، محمود عبد الرحيم : الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ .
- 27 - الصيغ، عبد العزيز سعيد، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2007م .
- 28 - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر : التحرير والتنوير، تحرير المعني السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية تونس، (د.ط.)، 1984م .
- 29 - ابن عصفور، أبو الحسن علي بن عبد المؤمن الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، (الشرح الكبير)، تحقيق صافت أبو جناح، (د.ط.)، (د.ت) .

- 30 - عمر، أحمد مختار : البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، الطبعة الثامن، 2003م .
- 31 - عمر، أحمد مختار بمساعدة فريق عمل البحث اللغوي عند العرب، الطبعة الثامنة، عالم الكتب، 2003م : معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م .
- 32 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا : مقاييس اللغة، تحقيق أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، (د.ط.)، 1429هـ - 2008م .
- 33 - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم : العين تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
- 34 - الفيروز آبادي، أبو الطاهر محمد بن محمد بن يعقوب : الدرر المبتثة في الفرر المثلثة، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1987م .
2. = القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، نسخة منقحة، 1429هـ - 2008م .
3. = المثلث المختلف المعنى، تحقيق عبد الجليل مفتاظ عودة التيمي، منشورات جامعة سبها، 1988م .
- 35 - الفيومي، أحمد بن محمد بن علي : المصباح المنير، مكتبة لبنان 1987م .
- 36 - ابن قاسم الحلاق، محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد، محاسن التأويل تحقيق محمد باسل عيون السيود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ .
- 37 - ابن القاسم النحوي حسن : المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد تحقيق جمال السيد رفاعي، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة، الطبعة الأولى 2001م .
- 38 - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى : الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م .
- 39 - ابن مالك، محمد بن عبد الله : ألفية ابن مالك في النحو والصرف تحقيق سليمان إبراهيم البكلمي، دار الفضيلة، (د.ط.)، 2005م .
- 40 - ماريوباي : أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1973م .
- 41 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا .
- 42 - المرادي، بدر الدين الحسن بن قاسم المشهور بابن أم قاسم : شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، (د.ط.)، (د.ت) .
- 43 - مرتضي الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية .

- 44 - المرصفي، عبد الفتاح بن سيد عجمي بن السيد العمصص : هداية القارئ إلى تجويد طلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية (د.ت) .
- 45 - المسؤل، عبد العلي : معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق بها، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988م، 2007م .
- 46 - مكي القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب : الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق جمال محمد شرف، عبد الله علوان، دار الصحابة للتراث، 1422هـ - 2002م .
- 47 - مكي نصر، محمد مكي : نهاية القول المفيد في علم القرآن والتجويد تحقيق أحمد علي حسن، مراجعة محمد علي الصباغ، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، 2001م .
- 48 - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، دار صادر، طبعة جديدة محققة، الطبعة السادسة، 2008م .
- 49 - الهدهد، حمدي صلاح : مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م .
- 50 - ابن هشام الأنصاري، أبو عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د.ط)، 2009م .
- 51 - ابن يعيش، أبو البقاء علي بن يعيش بن يعيش ابن أبي السرابا محمد بن علي موفق الدين الأسدي : شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ط) (د.ت) .

# معوقات التنمية الحضرية بمدينة يفرن وآفاق التوسع العمراني المستقبلي

د. إبراهيم محمد الصغير\* أ. فاتح إبراهيم الكماشي\*\*

## ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة أهم المعوقات المكانية للنمو الحضري والتخطيط بمدينة يفرن كالنمو العشوائي وسوء استخدام الأرض وضعف البنية التحتية، والمرافق العامة وكذلك المعوقات الإدارية والبيئية، بالإضافة إلى التوسع المستقبلي للمدينة في ظل امتلاكها عناصر قوة تمكنها من ذلك مع وجود عناصر ضعف موازية، وكانت المعوقات الإدارية والتنظيمية من أبرز معوقات التنمية الحضرية والنمو العمراني بالمدينة، باعتبار أن الإدارة المحلية تتحمل المسؤولية بشكل كبير عن تردي الوضع التخطيطي الحالي، والعشوائية المترتبة عليه في توزيع الخدمات أو البناء خارج المخطط.

\* كلية التربية. يفرن / جامعة الجبل الغربي  
\*\* كلية الآداب. الأصابعة / جامعة الجبل الغربي

## المقدمة :

إن المدينة خلاصة تاريخ الحياة الحضرية، فهي الحاضر والمستقبل، وهي الناس والمواصلات وهي التجارة والاقتصاد والعمارة، وهي العلاقات والروابط، والحكومة والسياسة، والثقافة والفن، وهي أصدق تعبير لانعكاس ثقافة الشعوب وتطور الأمم، وهي صورة لكفاح الإنسان وانتصاراته وهزائمه، وهي صورة للقوة والفقر والحرمان والضعف، من هنا نشأت المدن نتيجة الرغبة في التعايش كمجموعات بالنسبة للأفراد، ولتحقيق الاستقرار الذي كان يحاول الإنسان القديم جاهدا الحصول عليه، فمن الريف والصحراء والغابات، بدأ ينتقل تدريجيا للوصول إلى مفهوم جديد للتعايش، يضمن استقراره، ويحقق له في نفس الوقت الحماية من كل المؤثرات الخارجية.

ان النمو الحضري للمدن في ليبيا قد شهد تطوراً، ونمواً، ملحوظاً في العصر الحديث بداية من النصف الثاني من القرن الماضي، فمع زيادة عدد السكان وبداية حركة الهجرة من الارياف نحو المدن خاصة في ستينيات القرن الماضي نتيجة لاكتشاف النفط، وبداية تصديره، وما تبعه من تطور اقتصادي وخدمي وتنموي تمثل قي تزويد المدن الرئيسية بمختلف الخدمات والبنى التحتية والوظائف والمخططات التنظيمية، اتخذت المدينة الليبية نمطاً معيناً من النمو، والتنظيم والادارة، وبالرغم من ظهور بوادر مشجعة للتخطيط للنمو العمراني والاقليمي لمختلف المدن الليبية تزامناً مع تفاعل الانشطة الاقتصادية وتعدد الوظائف الخدمية بالمدن، إلا أن التغيرات السياسية والاقتصادية للبلاد قد أسهمت في تدني مخرجات هذه المخططات، مما أربك العديد منها وأدى الى ظهور العديد من المشاكل الخدمية والوظيفية وتأثيرها على النمو الحضري في العديد من المدن خاصة تلك التي لا تسمح مواقعها الجغرافية بعشوائية نموها، وتعدد وظائفها وتماسك نسيجها العمراني.

فمدينة يفرن تقع على أحد قمم جبل نفوسة في غرب ليبيا، أخذ موضعها الجغرافي محورا مهما في تحديد طبيعة وجودها، ونشأتها منذ أمد بعيد، فأصبحت موطناً للاستقرار، وملاذاً آمناً من الاخطار، ومركزاً للتجارة والاعمال وملتقى للثقافة العربية والامازيغية، كما اسهمت عناصر البيئة الجغرافية الجبلية المعقدة في تحديد اسلوب النمو الحضري لها، ونمط انتشار التجمعات العمرانية بها، وتحديد اتجاهات التوسع، والامتداد الحضري للمدينة.

### مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة على التساؤلات التالية :

1. إلى أي مدى يخضع النمو العمراني لمخططات المدينة ؟
  2. هل هناك علاقة بين النمو الحضري للمدينة، والعناصر الجغرافية المتمثلة في الموقع والموضع؟
- هدف الدراسة :

- 1 - محاولة التعرف علي اتجاهات ومحاور النمو العمراني للمدينة، وتحديد أنماطه، وخصائصه وكذلك محاوره الرئيسية في المدينة، وبالتالي التعرف علي إمكانات الوضع الحالي، ووضع تصورات أفضل للنمو العمراني المستقبلي للمدينة بما يتناسب والإمكانات المتاحة لتجنب الآثار السيئة الموجودة حالياً، وسلبيات النمو القائم.
- 2 - التعرف علي دور التغيرات الإدارية التي أثرت في نمو المدينة، ومسار تنفيذ الخطط التنوية بها، مع الإشارة إلى معوقات تكوين هيكلها العمراني، وتقييم هذه العوامل لإبراز ما تضمنته من سلبيات أدت إلي تشويه بعض مظاهر هذا النمط العمراني بالمدينة بما يسمح بإعادة دراستها ومعالجتها لتجنب مشكلات النمو العمراني الحالي.

### منهجية وأدوات الدراسة

تم اتباع مناهج بحثيه مهمة في مجال جغرافية المدن وذات الصلة الوثيقة بها لتحقيق أهدافها، في إطار البحث العلمي الموضوعي، من خلال دراسة الظاهرة، وتوزيعها، والعوامل المؤثرة فيها ونمط التوزيع.

### 1. المنهج الوصفي:

يرتكز اساساً هذا المنهج على وصف دقيق، وتفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد في صورة نوعية أو كمية رقمية، وقد يقتصر هذا المنهج على وضع قائم في فترة زمنية محددة، أو تطور يشمل فترات زمنية عدة (عبيدات، 2007م:46). بهذه الدراسة تم الاعتماد عليه من خلال مرحلتين أساسيتين وهما مرحلة الاستطلاع، والوصف الموضوعي لظاهرة النمو بالمدينة وتكوين إطار نظري لموضوع الدراسة، ثم مرحلة التشخيص، وتحليل مختلف العناصر التي تشكل هذا الاطار.

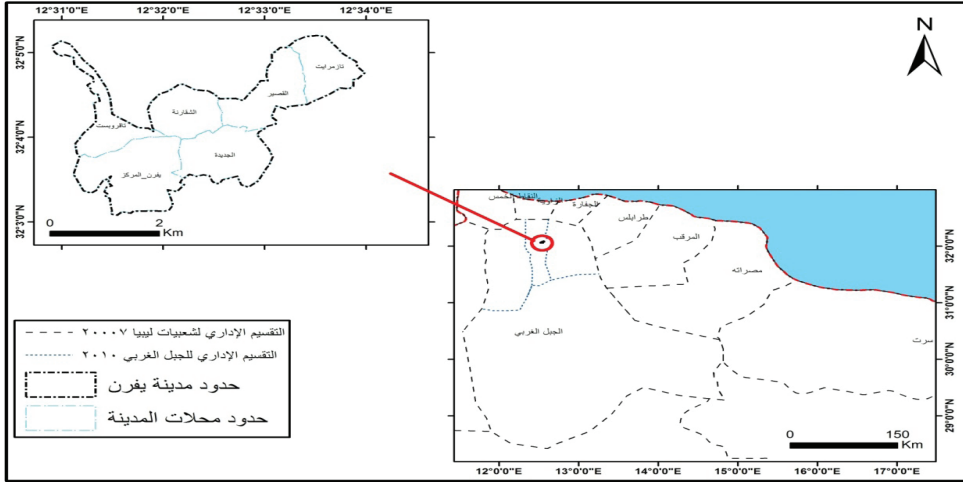
## 2. المنهج الإقليمي :

أعدت الدراسة وفق المنهج الإقليمي الذي يعرض لدراسة العناصر الطبيعية والبشرية للمدينة ومنطقتها، والمشكلات التي تتعلق بالامكانات الطبيعية في المنطقة.

## حدود منطقة الدراسة :

تقع مدينة يفرن في الجزء الاوسط من سلسلة جبل نفوسة في الركن الغربي من ليبيا بين خطي طول (  $12^{\circ} 31' 34''$  و  $12^{\circ} 17' 34''$  ) شرقا ودائرتي عرض (  $32^{\circ} 05' 57''$  و  $32^{\circ} 03' 92''$  شمالاً ) وهي بذلك تشغل مساحة تقدر بنحو (7,64 كلم<sup>2</sup>) \* وتتموضع المدينة على إحدى قمم الجبل، وتتشكل عقدة من التضاريس الوعرة حولها، مما جعلها تتقطع طبيعياً عن المناطق المجاورة لها، وتشرف على اجزاء واسعة من سهل الجفارة شمالاً، ووادي سكفل ووادي عومر غرباً.

وتضم المدينة مجموعة من المحلات الادارية ( ست محلات ) تقع جميعها تحت سلطة الادارة المحلية بيفرن المركز، وتشرف خدمياً على العديد من البلدات والقرى المحيطة بها ( الشكل 1 ).



شكل (1) موقع منطقة الدراسة

\* المصدر : إعداد الباحثان اعتماداً على :

1. مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، مطبعة ايسلت، ستوكهلم السويد، 1978، ص 28.
2. وزارة التخطيط، المكتب الاستشاري الهندسي، تقرير حول تطبيق المخططات بالمدن، مخطط مدينة يفرن 2000م، طرابلس 2007، ص 57.



## أولاً: جغرافية مدينة يفرن :

### 1. الموقع والموضع لمدينة يفرن :

تقع مدينة يفرن على الجزء الأوسط لحافة جبل نفوسة، على المنحدرات الشمالية المشرفة على نهاية وادي سكفل، وهو متفرع من وادي الرومية غرب المدينة، في حين تشرف غرباً على منحدرات حادة تطل على وادي مَنار، ووادي الشيخ الذان ينتهيان عند سهل الجفارة، ولا تقع المدينة كلها في مستوى واحد، بل موزعة على مستويات متباينة على التلال والمنحدرات المحيطة، ويمكن الاشراف منها على منطقة سهل الجفارة، وبذلك تعد ذات موقع فزيوغرافياً متميزاً؛ حيث يتحقق لها مبدأ الانقطاع الطبيعي بين سهل الجفارة شمالاً، وجبل نفوسة الذي تقع عليه المدينة، ولاشك أن مجموعة الأودية والمنحدرات التي تخترق المنطقة أدت الى تقليل وتحديد محاور مسالك الحركة، والتقل عبر الجبل والسهل، كما أنعكست ملامح هذا الانقطاع على الشكل المورفولوجي للمدينة، وعلى الهيكل العمراني والنمط المعماري السائدين.

أما الموضع فيضم الإمكانات والخصائص التي تمتاز بها الأراضي التي تمتد عليها المدينة في فترات تالية لنشأتها؛ بهدف تنظيم استخدامات الأرض بالطريقة المثلى قبل وصول العمران إليها، فهو إذاً نقطة معلومة محددة تحديداً واضحاً (مصليحي، 1995م: 26)، كما يمكن أن يكون للبعد التاريخي دوراً عند دراسة مواضع المدن فمن خلاله يمكن معرفة ظروف الموضع وخصائصه عند نشأة المدينة، ونموها في مراحلها المبكرة.

### 2. الجغرافية البشرية لمدينة يفرن :

#### النمو السكاني بمدينة يفرن:

تقدم معدلات النمو السكاني صورة تفصيلية عن الماضي والحاضر السكاني للمدينة، إضافة إلى معطيات مهمة لتوظيفها في رسم الصورة المستقبلية للوضع الديمغرافي للمدينة، بما يخدم صنّاع القرار والمخططين في جميع مجالات التنمية والخدمات، وتعد معدلات نمو السكان من أبرز المؤشرات الحيوية التي تساهم في تقدير احتياجات المدينة من التنمية على مختلف الأصعدة، وفي ذات السياق تعتبر علاقة النمو السكاني بالموارد من أهم محددات مسارات التنمية والتخطيط الحضري.

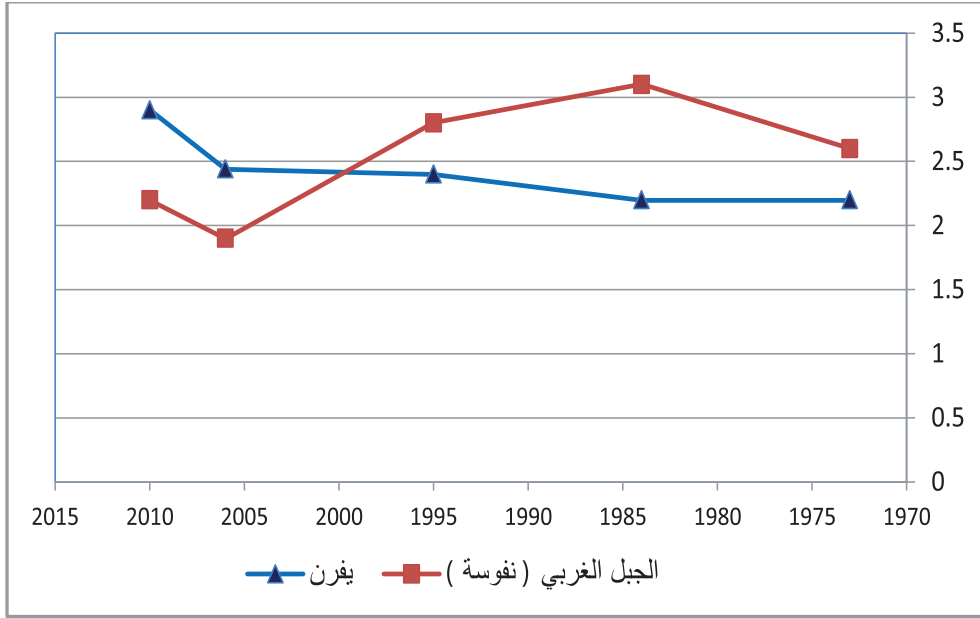
إنّ النمو السكاني في يفرن يتسق مع معدل النمو السكاني في ليبيا من خلال تأثره

ب عوامل أدت إلى بقاء نموه، و عوامل أخرى عملت على زيادة النمو في فترات محددة، ويوضح الجدول (1) تطور حجم السكان، ومعدلات النمو بالمدينة مقارنة بإقليم الجبل الغربي الذي تنتمي إليه المدينة ومقارنة بإجمالي عدد السكان، جدول (1) تطور حجم سكان المدينة ومعدل النمو مقارنة بإقليم الجبل الغربي جبل نفوسة وليبيا خلال الفترة (1973-2010م)

الجبل الغربي (نفوسة)			مدينة يفرن		التعداد
النطاق الإداري	معدل النمو	عدد السكان	معدل النمو	عدد السكان	
محافظة غريان	-	154297	-	8531	1973
بلدية يفرن	1.3	68542	2,23	10887	1984
بلدية الجبل الغربي	8.2	316673	2,44	13891	1995
شعبية يفرن وجادو	9.1	302705	2,48	18082	2006
شعبية الجبل الغربي	2.2	310164	2,91	20320	2010

المصدر: اعتماداً على:

1. مصلحة الإحصاء والتعداد، الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، التعدادات السكانية العامة (1973 - 2006م).
2. وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، الإحصاءات الحيوية، إحصائية للسكان 2010م، طرابلس 2012م.
3. تم حساب معدل النمو السكان باستخدام المعادلة التالية (ر =  $2ك - 1ك$  هـ ر ن) حيث: ر = معدل النمو السكاني.  
 $2ك$  = عدد السكان في التعداد الثاني.  
 $1ك$  = عدد السكان في التعداد الأول.  
ن = الفترة الزمنية الفاصلة بين التعدادين.  
ر = معدل النمو السكاني  
هـ = معدل ثابت =  $2,71828$  (أبوعيانة، 1987م، 238).



شكل (2) معدل النمو السكاني في مدينة يفرن مقارنة بمعدل النمو السكاني على الجبل الغربي خلال الفترة (1973 - 2010م)

المصدر: بيانات الجدول السابق.

من الجدول (1) والشكل (2) يلاحظ ما يلي :

1. يقدر عدد السكان بمدينة يفرن حسب تعداد 1973م بـ 8531 نسمة، ثم قفز هذا العدد ليصل إلى 10887 نسمة سنة 1984م، حيث اتجه معدل النمو السكاني بعد ذلك نحو الثبات ثم الانخفاض في بعض الفترات، وقد يرجع هذا التذبذب في عدد السكان، وعدم وجود زيادة سكانية كبيرة إلى عدة أسباب يرتبط بعضها بالوضع الاقتصادي؛ بسبب وجود فجوة بين عدد السكان وتوزيع الدخل وأثره المباشر على الجانب الديمغرافي، وخاصة مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من ناحية، وزيادة حركة الهجرة وتأخر سن الزواج من ناحية ثانية، والثقافة السائدة بشأن الانجاب، والخصوبة، والتي اتجهت نحو تنظيم النسل بسبب زيادة متطلبات الحياة المختلفة وارتفاع مستوى الوعي بهذا الجانب من ناحية ثالثة.

2. التباين الواضح في التغييرات الإدارية في المنطقة التي تقع بها المدينة من محافظة

إلى بلدية ثم شعبية، مما أثر على الجانب الإحصائي للسكان، فتارة تُفصل المدينة عن نطاقها الإداري وتارة تُضم، ولذلك يلاحظ انخفاض شديد في عدد السكان بتعداد 1984م نحو 68542 نسمة بعد أن كان 154297 نسمة بتعداد 1973م والاختلاف هنا أن مدينة يفرن كانت جزء من البلدية التي تحمل اسمها ومركزها عام 1984م، أما في عام 1973م فكانت مدينة يفرن متصرفية تتبع محافظة غريان، وهذا التباين يقودنا إلى أنه من المحتمل تداخل البيانات السكانية، وتغيرها بتغير ونقل الإدارة المحلية، مما يساهم في عدم دقة ومصداقية بعض البيانات من التعدادات التي تعمل بياناتها أساسًا على الاستقرار الإداري والاقتصادي.

3. تأثرت المدينة بانخفاض معدل النمو السكاني العام للبلاد الذي وصل إلى نحو (1,51 %) (الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، طرابلس: 2010م) حسب إحصائية 2010م، وهذا الانخفاض يرتبط أساسًا بالتحول الديموغرافي للبلاد وعلاقته بالنمو الاقتصادي فمعدلات النمو في ليبيا تأثرت بشكل غير مباشر بنصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي، فارتفاع حصة الفرد منه يؤثر بدرجة إيجابية على السلوك الإنجابي للأفراد وخاصة سكان المدن ذات النسب المنخفضة من الأمية.

4. إن معدل نمو السكان بالمدينة يتراوح ما بين (2,91 %) و (2,23 %)؛ قد يكون نتيجة تباين معدلات الزواج، والطلاق، وتأخر سن الزواج عند فئات من الشباب، وتدني مستوى الدخل مما أثر على انخفاض معدلات النمو السكاني بالمدينة خلال الفترة (1973 - 2006م)، كما تجدر الإشارة إلى بعض الأسباب المحلية كالهجرة إلى منطقة الساحل، والمدن الكبرى وخاصة الفئات العمرية الوسطى، كما أن ارتفاع معدل النمو في عام 2010م، الذي بلغ نحو (2,91 %) فمرده إلى الفترة الزمنية القصيرة بينها وبين تعداد 2006م، ويلاحظ وجود تباين بين معدلات النمو بين المدينة والدولة بشكل عام فليبيا يتصف معدل نموها بالانخفاض والثبات، والانخفاض في المعدل بالمدينة يأتي في إطار انخفاض عدد السكان لأسباب كثيرة منها اقتصادية، واجتماعية، وعدم وجود برامج وخطط قومية من شأنها الرفع من معدلات النمو، وزيادة السكان بليبيا الأمر الذي سوف ينعكس ايجاباً على القوة البشرية للبلاد، ودورها الاقتصادي والتموي، كما أن دوافع الامتداد العمراني في المناطق المحيطة بالمدن والبلدات الصغيرة، لا يمكن تحليلها فقط بتزايد عدد السكان، بل يمكن تفسيرها أيضًا بالتغير في أساليب المعيشة، وأنماط

الاستهلاك في المجتمع الليبي.

ثانيا : معوقات التخطيط والتنمية الحضرية بالمدينة :

إن ظهور بعض العوائق لعملية التخطيط والنمو الحضري بالمدينة ستؤثر سلباً في أي محاولة لإعادة رسم الصورة الصحيحة لعملية التخطيط، ووضع سياسات التنمية العمرانية، وهذه المعوقات تكاد تكون متداخلة مع بعضها البعض، ويعكس هذا التداخل تفاعلاً للعلاقات الوظيفية للمدينة تجاه إقليمها وتأثيرها به سلباً، وعليه فإن تبني استراتيجية التخطيط الإقليمي والتنمية بالمدينة يجب أن تسبقها دراسة لهذه العوائق، ومن ثم معالجتها ومنها الآتي :

#### 1. النمو العشوائي :

رزخت مدينة يفرن بطبيعتها الجبلية تحت وطأة نظم تخطيطية، وتنظيمية قديمة غير متجددة، لم تستند إلى المعطيات البيئية بقدر كبير، فتوزيع التجمعات العمرانية لم يكن ينمو بصورة منتظمة ومنسقة وفق برنامج تخطيطي متكامل، حيث كانت البيئة الجبلية، والانقطاع الفزيوغرافي يلعب دوراً بارزاً في تحديد اتجاهات النمو العمراني بشكل عام، ولاشك أن التجاوز والتعدي على المخططات العامة، وإرباك المسار المورفولوجي للمدينة، والتجمعات التابعة لها تبدو سمة واضحة في ظل عدم وجود مراقبة للجهات ذات العلاقة خاصة في التجمعات البعيدة نسبياً عن مركز المدينة.

فمن خلال إحصائيات مكاتب التخطيط، والمرافق، والشؤون البلدية ومكاتب الزراعة بالمدينة تبين أن حوالي 20 %، من المساكن حديثة البناء بنيت على أطراف التجمعات العمرانية، وامتداد الطرق الفرعية، أو تعدياً على الأراضي الزراعية، والأراضي الخالية، واستخدام الأرض لأغراض خاصة، وقد شمل النمو العشوائي إنشاء مباني لأغراض تجارية أيضاً.

إن دوافع النمو، والامتداد العشوائي في ظل البنية التضاريسية المعقدة لموقع المدينة تتباين بين عوامل اقتصادية واجتماعية، فقلة تكلفة البناء وعدم مراقبة الأجهزة البلدية له وانخفاض سعر الأرض، وسهولة الوصول الى خطوط الخدمات ( الكهرباء، المياه ) دون مشقة تعد أسباباً في توجه بعض السكان للبناء العشوائي في بعض أطراف المدينة.

أما العوامل الاجتماعية فتتمثل في الملكية التاريخية للأرض وارتباطها بعلاقات أسرية

(الميراث)، ودافع البناء بالقرب من الأسرة الكبيرة، علاوة على تأخر المعالجة لهذه العوائق وإعادة تقييم المخططات وتطويرها، ودعم المؤسسات ذات الاختصاص بالمدينة في مراقبة التجاوزات والتعدي على مخطط المدينة.

## 2. سوء توزيع استخدام الأرض :

من خلال عرض سابق لصورة استخدام الأرض بالمدينة يمكن التمييز بين البعد الداخلي الذي تمثله استخدامات الأرض، والبعد الخارجي الذي تمثله العلاقات الوظيفية الإقليمية كنتاج لهذه الاستخدامات، وكمبدأ عام فيجب ربطها باتجاهات النمو وفق إطار تنظيم الاستخدام الأمثل للأرض بحيث تساعد في استيعاب الاحتياجات الراهنة والمستقبلية للسكان بمختلف أنواعها، كما أن زيادة قوة العلاقة بين المدينة وإقليمها تتناسب طردياً مع درجة الاستخدام الأمثل للأرض.

إن سوء الاستخدام بالمدينة يكمن في أن أسس توزيع استخدام الأرض اقتصر على الجانب النظري وابتعدت عن الجانب العملي نسبياً كما هو الوضع الراهن، ومن هنا يمكن الإشارة إلى العوامل الآتية :

أ. دور طبوغرافية المدينة في توفر الامكانيات للحصول على قدر كبير من الاستفادة من أوجه الاستخدام كالاستخدام السكني، أو الاستخدام الخدمي بصورة عامة، أو الاستخدام لأغراض ترفيهية واجتماعية.

ب. التجاوز والتعدي على استخدام الأرض لأغراض خاصة دون الأخذ في الاعتبار المسؤولية التنظيمية والقانونية، وهذا يعد نتيجة للفقرة السابقة.

ت. قلة وضعف التوعية، وعدم وجود برامج إرشادية لتعريف السكان بأهمية المحافظة على نوعية استخدام الأرض كالأماكن التاريخية ( الآثار، القصور، المساجد) أو التوعية بخطورة تجاوز أنواع معينة من الاستخدام كوجود المنحدرات الحادة والادوية العميقة.

ث. عدم تخصيص مساحات لأغراض الاستخدام الصناعي، وبالتالي فإن وجود بعض الصناعات ضمن استخدامات أخرى يعد تجاوزاً ويتسم بالعشوائية.

ج. الخلط في استخدامات الأراض، حيث تتداخل الاستعمالات السكنية والتجارية، وقد تصل إلى مستوى التعدي على الأبنية التاريخية المميزة أثرياً ومعمارياً لاستعمالها

لأغراض مناقضة لوظيفتها، وارتكاب مخالفات كإضافة عناصر، وملحقات لتكوين الأبنية الأصلية، أو تجزئة المباني لأغراض تجارية وبالتالي فقدانه لاهميته التراثية والمعمارية.

يمثل سوء استخدام الأرض عائقاً أمام عملية التنمية، وتنظيم النمو الحضري بالمدينة، وتتطلب برامج المعالجة المكانية لهذا العائق إعادة النظر في خريطة استخدام الأرض، والعمل على توسعة الاستخدام العام والاستخدام السكني، والطرق بصورة تضمن التقليل من عمليات التجاوز والتعدي وضبط الاستخدام وفقاً لاحتياجات المدينة المستقبلية، ووفقاً لخطط تنموية ذات كفاءة عالية وتشمل أيضاً معالجة لعمليات التغيير في أنظمة البناء، والشوارع الضيقة، والمتعرجة، ونقص المناطق المفتوحة في المدينة، كما تستدعي معالجة لقصور الأداء الوظيفي لبعض الخدمات ( المياه، الكهرباء، الأجهزة البلدية المعنية بالصيانة الدورية لمختلف خدمات البنية التحتية ) وتهالك وتردي الحالة الإنشائية للمباني وارتفاع تكاليف صيانتها.

### 3. ضعف البنية الأساسية للمرافق العامة :

إن توفير مرافق البنية الأساسية (التحتية والسطحية ) من شبكة الطرق، والاتصالات والخدمات الحيوية ( الكهرباء، المياه ) من شأنه أن يسهم بدرجة كبيرة في تنمية حضرية وعمرانية شاملة للمدينة، غير أن الوضع القائم لمدينة يفرن يستوجب التركيز على مختلف المرافق والبنى الأساسية لمعرفة مدى قوتها، أو ضعفها، فمن خلال ماتمثلة القطاعات الخدمية، والمرافق العامة من أهمية تمس حياة السكان اليومية، وتمثل في الوقت نفسه مؤشراً مهماً في مستوى الرضى العام عليها، وبالنظر إلى واقع المرافق الخدمية وقطاعات البنية الأساسية للمدينة يتضح الآتي :

1.3 تتصف شبكة الطرق بالضعف، والإهمال في كثير من أجزائها لاسيما الفرعية منها، مع نقص الخدمات، والعلامات الإرشادية، والمرافق التكميلية خاصة في النطاق الملاصق للحافة الجبلية، إضافة إلى الإخلال بوظيفة الطرق في بعض مواضعها كعدم التقيد بحرم الطرق عند البناء والإلتصاق المباشر بالمباني التجارية وغيرها.

2.3 التأخر في تنفيذ العديد من مشروعات الطرق الفرعية واستكمال مرافق الطرق الرئيسية التي تستوجب العناية والرعاية الدورية كطرق ( يفرن - نالوت ) ( يفرن - جادو) وهي طرق في تماس مع الحافة الجبلية بشكل مباشر.

- 3.3 محدودية المرافق، والمباني ذات الطابع الإداري مقارنة بحجم وأهمية الخدمات المقدمة من القطاعات والمؤسسات إلى سكان المدينة، أو سكان الإقليم بوجه عام.
- 4.3 تأثر شبكات المياه والكهرباء بالوضع الطبوغرافي للمنطقة مما يزيد من صعوبة تحسينها، أو استحداث بدائل للمتهالك منها، كما تؤثر طبوغرافية المنطقة على تعذر مد شبكة الصرف الصحي في بعض مواضعها، وزيادة تكاليف الاهتمام بها، والصيانة الدورية لها.
- 5.3 عدم وجود توازن بين نسبة الإنفاق على القطاع الخدمي، وحجم الخدمة، أو الحجم السكاني للمدينة، وحجم الاعتماد عليها من داخل وخارج المدينة.
- 6.3 تتسم بعض المرافق بضعف التخطيط في مواجهة الكوارث الطبيعية وغيرها ومدى سرعة التعامل معها.

#### 4. معوقات إدارية وتنظيمية :

الإدارة المحلية تحاول دائماً تحقيق الأهداف، والغاية التي وجدت من أجلها، وهي تبذل في سبيل ذلك جهوداً كبيرة، وتستخدم مواردها المختلفة، ولكن قد تتعرض الإدارة الى عدة مشاكل وصعوبات تنظيمية تبعدها عن أهدافها وتقلل من احتمالية الوصول الى النتائج التي كانت تعمل من أجلها (هاشم، 2001م: 287).

إن اللامركزية الإدارية ذات الطابع الجغرافي هي وضع يتضمن توزيعها للسلطات والاختصاصات بين الاجهزة الادارية المركزية، وبين هيئات مستقلة تعمل على وحدات محلية، وبمقتضى هذا النمط من اللامركزية فإن الدولة تقسم إلى أقاليم ووحدات جغرافية إدارية تقوم على إدارتها هيئة مستقلة عن الادارة المركزية العليا في نطاق رقعتها الجغرافية، وفي حدود ما يخول لها من سلطات وصلاحيات، وترتبط هذه الهيئات بالحكومة المركزية بالقدر الذي يكفل للدولة وحدتها السياسية والادارية (عاشور، 1979، 470).

إن ضمان نجاح الإدارة المحلية يتوقف على مدى قدرتها على تحمل المسؤوليات في إدارة شؤونها، سواء اعتمدت على النمط المركزي أم اللامركزي، والرفع من مستوى وكفاءة المؤسسات والهيئات والسلطات المحلية، ودرجة تفاعلها مع سكان الاقليم الذي تديره وتشرف عليه (عبيدات، 2007م: 18)، بشكل عام اعتمدت لبيبا على النمط المركزي في الكثير



من المؤسسات والهيئات الادارية، خاصة التنموية منها ذات الطابع التخطيطي والعمراني، فصناعة قرار التخطيط والتنمية اقتصر على الادارة المركزية العليا، ولم يكن هناك مبدأ للاعتماد على الإدارة المحلية والمشاركة الشعبية بالمجال التنموي بشكل فعلي، ومدينة يفرن كباقي المدن الليبية خضعت لتغيرات إدارية اتصفت بعدم الاستقرار الإداري والعشوائية في توزيع الخدمات، وكأحد أهم مشاكل، ومعوقات التنمية بالمدينة المعوقات الادارية التي تتمثل في الادارة المحلية بمختلف المستويات التنظيمية في الإدارة المحلية، ومن خلال ذلك يمكن توضيح الآتي :

- 1.4 . ندرة المعلومات والبيانات عن الموارد بالإدارة المحلية، والاعتماد على التخطيط العشوائي، التي تنعكس نتائجها على هدر وضياح للجهد والتكاليف المادية والمعنوية، وعدم تجديد للبيانات قد تنعكس سلباً على مسار هذه الخطط.
- 2.4 . ضعف الاعتماد على البعد التقني، والفني في تنظيم الإدارة وانعكاساته السلبية على عمليات، ومشاريع التنمية والتخطيط.
- 3.4 . غياب المؤسسات التي تعنى بالتنسيق والربط بين الوحدات المحلية، والقطاعات والمؤسسات الاقليمية والوطنية.
- 4.4 . صعوبة وضع التقديرات الدقيقة للميزانيات التي تعتمد عليها خطط مشاريع التنمية، أو عدم صحة المعطيات، والبيانات التي يعتمد عليها في اعداد الميزانيات التقديرية الخاصة بهذه البرامج.
- 5.4 . سلوك القائمين على التخطيط المحلي قد يرتبط بأفكار وعقائد منشؤها البيئة المحلية التي يعيشون فيها، أو اعتمادهم على العرف الجاري في المجتمع في وضع الخطط، ومشاريع التنمية، وإحساسهم بعدم جدوى التخطيط، وأنه مضيعة للوقت نتيجة لظروف محلية معينة.
- 6.4 . تعقد الإجراءات بسبب السياسات الإدارية المتبعة الناتجة أصلاً عن عدم ملائمة المؤسسات المحلية لظروف العمل، أو لضعفها في مواكبة مشاريع التنمية بصورة صحيحة.
- 7.4 . اعتماد معظم المؤسسات والوحدات الخدمية، والادارية على أنظمة الأرشفة القديمة والتقليدية مما يسبب في تأخر تنفيذ الخطط، واريابك تسلسل البيانات، والمعلومات المعتمد عليها.

## 5. معوقات بيئية :

على الرغم من تواضع الاستخدام الصناعي، وانخفاض نسبة السكان وندرة وجود وسائل المواصلات العامة، التي تساهم في خلق مشاكل بيئية، مما يجعلها في توازن مع البيئة في منطقة يفرن، إلا أن المدينة تتخلص يومياً من قرابة (15.250 طن) تقريباً (الهيئة العامة للبيئة، مكتب يفرن، 2013م، زيارة ميدانية) من النفايات الصلبة ومخلفات البناء وغيرها التي تلقى أحياناً على الحواف الجبلية القريبة من مواقع البناء - الصورة (2) - تظهر بعض من المخلفات قرب مبنى الجامعة بالمدينة، وغالباً ما يتم التخلص من هذه النفايات في مواقع بدائية غير مؤهلة تسبب تهديداً حقيقياً لنوعية الموارد المائية الجوفية والمشكلات البيئية الناتجة عنها، إضافة الى التخلص منها في المنحدرات والحواف الجبلية المطلة على الطرق الرئيسية .



صورة (1) مخلفات البناء بجوار مبنى كلية الآداب.

المصدر: تصوير الباحثان 5/2014م.

كذلك فإن المدينة تفتقد لشبكات الصرف الصحي، وإن وجدت فهي في مسارات محدودة تتصف بالرتابة وعدم التجديد، خاصة أن أكثر من 1320 وحدة سكنية (الهيئة العامة للبيئة مكتب يفرن، 2013م، زيارة ميدانية) تعتمد على الطرق التقليدية في الصرف الصحي كالأبار قليلة العمق بسبب التركيبة الصخرية للمدينة، مع العلم بأن سعة كل بئر تبلغ (5<sub>م</sub> تقريباً)، وبالتالي تشكل خطراً على شبكة المياه والأبار الجوفية القريبة منها في المنطقة وعلى الوضع المورفولوجي للمدينة.

كما أن التدهور البيئي بدأ يظهر بشكل غير مباشر، وخاصة في أطراف المدينة، وعند الحواف الجبلية، خاصة في الجهة الجنوبية، والجنوبية الغربية التي تضم حياة نباتية كثيفة ومتنوعة، وهذا التدهور يتمثل في الزحف العمراني على هذه التجمعات النباتية من خلال إقامة المباني الخاصة بالترزه والاستراحات الخاصة، وقد يتعدى الأمر الى محاولة تجريف الأرض واقتلاع أشجارها للاستغلال التجاري.

ومع استعراض للوضع البيئي يتضح أن اعتبارات حماية البيئة في السابق لم تؤخذ بشكل جدي في الخطط الإنمائية، أو العمرانية للمنطقة، وهذا جاء نتيجة لضعف دمج الأبعاد، والاعتبارات البيئية المتعددة في الخطط التنموية، ونتيجة لعدم وجود توقع لأخطار بيئية منظرية والاعتبارات البيئية تعد من الضوابط التي يلزم مراعاتها في التخطيط العمراني، ويمكن استخلاصها من دراسة مشكلات العناصر المختلفة للمدينة، والأنشطة الناتجة عن تلك العناصر مثل ( الطرق والمرور استخدامات الأرض، الخدمات) وهي أهم العناصر الرئيسية للمدينة وتشمل هذه الاعتبارات:

- مشكلة التخلص من النفايات.
- مشكلة المياه والصرف الصحي.
- منظومة الطرق ووسائل الحركة بالمدينة.
- منظومة استخدام الأرض.

ومن أجل تعديل واقع هذه الأوضاع البيئية، وإدراكاً للتركة البيئية السلبية التي خلفتها تلك السياسات الإنمائية، والعمرانية الخاطئة، فقد عمل أصحاب القرار على إنشاء مؤسسات مكلفة بشؤون البيئة (الهيئة العامة للبيئة) اقتصر دورها على المراقبة في مجال اختصاصها، غير أن توصياتها قد لا تلقى استجابة عند الجهات المخططة، والمنفذة لمشاريع التنمية، مما يؤدي إلى تهميش المؤسسات البيئية، وعدم تفعيل دورها الرقابي، ويزيد من المشاكل البيئية ويحد من نجاح الخطط الإنمائية المنشودة، أيضا هناك بعض المؤسسات الأهلية بالمدينة تعمل على برامج التوعية البيئية، وإظهار للأثار السلبية الناتجة عن استمرار إهمال الوضع البيئي وتخوفها من الإفراط في التجاهل المؤسساتي له، مما يعطي عدة أسباب غير مباشرة لتأخر تنفيذ العديد من مشاريع التنمية العمرانية أو تدني مستويات الخدمات العامة بسبب الوضع البيئي القائم كذلك تغير في هيكليّة المخططات العامة المستقبلية بما يتماشى مع الظروف البيئية المحيطة وهذا يعكس مدى الحاجة الى

دراسات واقعية لتقييم الأثر البيئي لمختلف الخطط العمرانية والانمائية بهدف حماية البيئة العمرانية من الإخلال، أو القصور في الجانب البيئي وبشكل خاص بمدينة يفرن ذات الطبيعة الجغرافية المعقدة.

### ثانياً : آفاق التوسع العمراني المستقبلي بمدينة يفرن :

إن عملية وضع السياسات، والخطط، والبرامج المطلوبة لتنمية المدينة والمنطقة المحيطة بها، باعتبارها مجالاً لتوسعها عمرانياً وإنمائياً، وجعل النمو الحضري يسير بشكل متوازن مع هذه السياسة، لا بد أن تكون وفق الاحتياجات المستقبلية للمدينة، وانعكاساً لخصائصها من حيث الموقع والأهمية، التي تكمن في إشرافها على العديد من التجمعات العمرانية، وعلاقتها الوظيفية مع إقليمها، بحيث تبتعد عن مبررات الوضع القائم والنظرة الحالية لهيكلية المدينة ومورفولوجيتها العامة . إن النظرة الحالية في تخطيط مدينة يفرن تعكس اعتماد المخططات المحلية كمدخل وحيد لمشاريع التنمية العمرانية، وهذا يدل على الضعف التخطيطي بالمدينة، حيث إن التعامل مع تخطيط المدينة مبني على أساس تنظيم بقعة محددة بحدود تنظيمية للمدينة بغض النظر عن علاقاتها الإقليمية، ولعل ضعف وقلة الاعتماد على استراتيجية واضحة لمشاريع تنمية وعمرانية، قد أسهم في غياب التنمية المحلية وبسط سيطرة العشوائية والغموض في نمو المدينة، لاسيما عدم وجود تنظيم وتطوير للمناطق والتجمعات التابعة لها، بحيث جعلها الاتجاه المستقبلي لامتناس النمو السكاني والعمراني والتخفيف من الأعباء الملقاة على عاتقها .

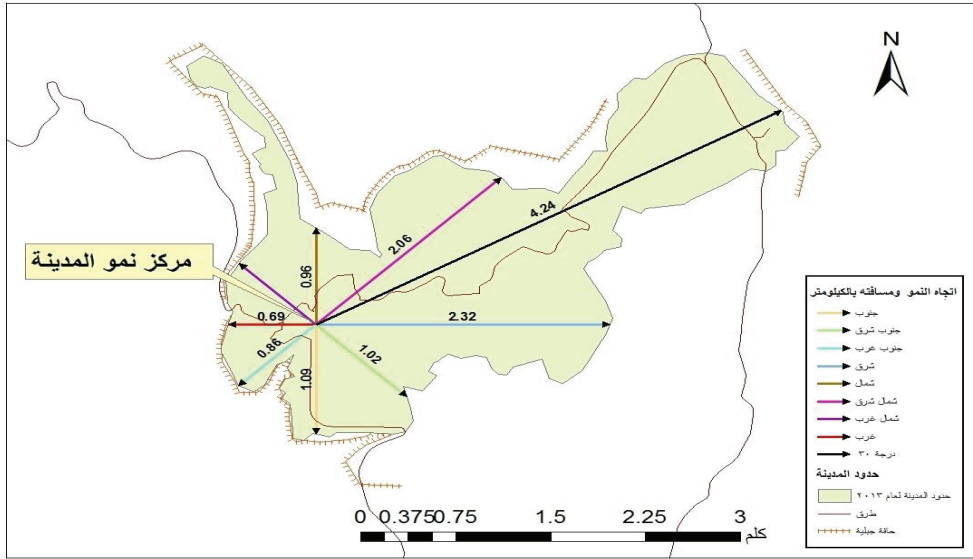
ووفقاً لما تمتلكه المدينة من أرضية ملائمة لأستراتيجية تنموية، ومشاريع، وخطط عمرانية تقوم على أساس وضع بدائل وحلول للنمو العمراني القائم والمستقبلي، بحيث لا يمكن إغفال أي عنصر من عناصر القوة والضعف بالمدينة، وأيضاً مدى توفر الإمكانيات المختلفة والفرص المتاحة لتنفيذ هذه الخطط، والبدائل، وأخذها بعين الاعتبار في كافة المجالات، وفيما يلي عرض لهذه العناصر :

#### 1. عناصر القوة :

■ **موقع وموضع المدينة :** يعد كل من الموقع والموضع من العناصر المجمعتهما مهماً في قوة المدينة، باعتبارهما الصورة الطبيعية لتفاعل العناصر البيئية مع بعضها، فقد أسهما في إبراز شخصية المنطقة تاريخياً بما يمتلكه من مميزات وتحصينات دفاعية أثناء الحروب، وبما يمتلكه أيضاً من مظاهر جغرافية ساهمت في الاستقرار والتمدد، وخلق صورة من التطور الحضري لمناطق ومدن جبل نفوسة عبر الزمن، حيث يكمن دور الموقع والموضع

من ناحية ديناميكية التغيرات العمرانية بما افرزته الخصائص الجغرافية الناتجة عنهما، وبالتالي فأن وضع الخطط والسياسات العامة للتخطيط والتنمية العمرانية يجب أن تؤخذ في اعتبارها هذا العنصر بشكل دقيق، وباعتبار المدينة تقع على قمة جبلية فإن مشاريع التوسع العمراني يجب أن تخضع لمسارات الطرق المرتبطة أصلاً بطبوغرافية المنطقة.

■ **المساحة:** تبلغ مساحة المدينة (2012م) نحو (764هـ) أي نحو (7.6 كلم<sup>2</sup>) وهي بذلك تمثل الفئة الخامسة في السلم الهرمي لحجم المدن الليبية من حيث المساحة، فقد أخذت المدينة بالتوسع المساحي بالرغم من ضيق المجال الجغرافي ( شكل 3 ) والاتجاه نحو الجانب الشرقي المتصل بالمدينة، كذلك في الأجزاء الشمالية والغربية التي تفصلها الحافة الجبلية وتختلف طبوغرافيتها عن المدينة، غير أن التغيرات الإدارية المستمرة قد تسهم في فقد أجزاء من هذه المساحة، وبالتالي إرباك إستراتيجية التنمية العمرانية، تمثل الأراضي الفضاء بالمدينة نسبة (21.8 %) من مساحتها، وهذا يعد دافعاً قوياً للتوسع نحوها، وهذا التوسع مشوب بمخاطر زيادة تكاليف تهيئة السطح المتضرر، وانشاء البنية التحتية للتجمعات العمرانية.



شكل (3) اتجاهات نمو مدينة يفرن

المصدر: عمل الباحثان اعتماداً على:

1. وزارة التخطيط والمرافق، المخطط الشامل لمدينة يفرن (بولسيرفيس) لعام 1980 - 2000م، طرابلس 1980م.
2. مكتب التخطيط العمراني بمدينة يفرن، والدراسة الميدانية (2014م) وتحليل الخريطة باستخدام برنامج ARCGIS 10.2.

■ **التنوع الطبيعي** : تتوافر بأطراف المدينة سلسلة من المنحدرات التي تمتد عبرها مجموعة من الأنواع النباتية، لاسيما في الأودية من غابات أشجار الزيتون المعمرة، والتي يبلغ عددها بالآلاف، هذه الحياة النباتية تعد عنصراً مهماً لخلق التوازن البيئي في الخطط التتموية القادمة في مجال العمران والسياحة وغيرها (صورة 2) أيضا تتوافر بالمنطقة الشمالية من المدينة عند (بئر عياد) أجزاء واسعة من المجال الجغرافي الذي تشرف عليه المدينة، ويضم ثروة من المواد الأولية للبناء كالرمل وغيره، كما أن الآبار الجوفية ومسار مياه منظومة النهر يعد من العوامل المهمة في توفير احتياجات المدينة مستقبلاً من المياه.

2. عناصر الضعف :

هناك بعض المؤشرات السلبية تعد نقاط ضعف قد تسهم في عرقلة مشاريع التنمية العمرانية وتقلل من فرص نجاح التخطيط والنمو الحضري بالمدينة، حيث إن بعضها قد تتم معالجته والتغلب عليه على المدى القصير والمتوسط، في حين يحتاج بعضها الى بدائل طويلة الامد بحكم طبيعة المنطقة وجغرافيتها، وهي كما يلي :

أ. البعد عن مسارات وطرق النقل الرئيسية والإقليمية، فمدينة يفرن تبعد جنوباً عن الطريق الرئيسي الرابط بين المدن الساحلية وأهمها العاصمة طرابلس وبين مدينة نالوت آخر المدن في الجبل على الحدود التونسية غرباً بمسافة (15 كلم)، وأغلب هذه المسافة تقع على حافة جبلية وعرة، كما تبعد مدينة يفرن شمالاً عن الطريق الجبلي الرئيسي الرابط بين مدن الجبل من مدينة غريان شرقاً الى مدينة نالوت غرباً بمسافة (21 كلم)، وتربط المدينة بهذه الطرق مجموعة من الطرق الفرعية الضيقة التي تخترق التضاريس الوعرة (الصورة 3) وتأثرها بالاحوال المناخية الصعبة خاصة شتاءً، وبالتالي الوصول إلى مركز المدينة من البلدات والقرى المجاورة يحتاج الى طرق ذات مواصفات عالية، ومتوفرة فيها خدمات الطوارئ والإنارة.

ب. يعتبر تباين مستويات سطح الارض العائق الرئيسي الذي يقف في طريق عملية النمو العمراني بالمدينة، حيث يصعب معه عملية تصميم المشاريع التي تتطلب شكلاً ينسجم مع شكل الارض ومعوقاتهما، فقد يكون الاتجاه نحو التقليل بقدر الامكان من أعمال التجريف، او الاعتماد على تقنيات خاصة في عمل الانشاءات لتدارك الفرق في المناسيب .

ت. الموضع الجغرافي: كما كان موضع المدينة عاملاً مهماً في قوتها لربطه بالموقع الجغرافي فقد يكون عامل ضعف من ناحية أن المدينة بموضعها أصبحت شبه





صورة (2) الحياة النباتية عند الحافة الجنوبية للمدينة

مصدر الصورة: زيارة ميدانية للباحثين ( سنوات مختلفة).



الصورة (3) صعوبة الطرق بالمنطقة

المصدر : تصوير الباحثان 2014/5م



- مغلقة، ومنقطعة عن محيطها المجاور عدا الجهة الشرقية، والجنوبية الشرقية، مما ساهم بدرجة كبيرة في تمزيق النسيج الحضري بالمدينة.
- ث. ارتفاع تكلفة الإنشاءات العمرانية، وفتح مسارات مستحدثة للمخططات العامة بسبب طبيعة الأرض الصخرية بمحيط المدينة، وبعُد الأراضي المنبسطة والسهلية نسبياً عن مركز المدينة في شمالها وغربها.
- ج. عشوائية التجمعات العمرانية وعدم وجود نمط سكني ثابت في مختلف الأحياء السكنية والمحلات العمرانية.
- ح. عدم وجود مناطق مخصصة للأغراض الصناعية والتجارية واختلاطها بالتجمعات العمرانية.
3. بدائل التوسع العمراني المستقبلي بالمدينة:
- يرتبط التوسع، والنمو العمراني بدرجة توفير الأراضي التي تلبى احتياجات النمو العمراني المستقبلي وفق خطط وبرامج تنموية متكاملة، لإضفاء الشكل المنسجم للتجمعات العمرانية بمظهر حضاري لائق.
- فبالنظر إلى الحجم العمراني الذي وصلت إليه المدينة، فقد بلغ وضعا يصعب معه النمو العمراني وخاصة في أجزائها الشمالية والغربية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية، حيث وقفت البيئة الطبيعية عائقاً أمام التوسع العمراني بهذه الأجزاء (صورة4).



صورة (4) مدينة يفرن وعوائق البيئة الطبيعية في الأمتداد والنمو

المصدر: موقع [www.googleearth.com](http://www.googleearth.com)، لسنة 2015م.



صورة (5) مدينة يفرن وعوائق البيئة الطبيعية في الأمتداد والنمو2.

المصدر: الباحثان 2014/10.

ولإيجاد نظم ملائمة لسياسة عمرانية تستجيب للمطالب المستقبلية للمدينة من مختلف النواحي التي تمس حياة السكان، وطرق معيشتهم، تم وضع تصورات وبدائل مقترحة للتوسع العمراني من منظور جغرافي (الصغير، 2015: 164)، وهي كالاتي :

### 3 - 1: التصور الأول:

التوسع ضمن الامتداد الطبيعي المتوفر، وهو بالإساس محاولة لتنمية الظهير مع تطوير مرحلي للتجمعات المحاذية، فمن خلال المقومات الجغرافية للمدينة، وحيزها المورفولوجي، فإن التوسع وفق الامتداد الطبيعي للمدينة سيكون في الاتجاهات الشرقية، والجنوبية الشرقية، وأجزاء من الناحية الجنوبية، هذه المنطقة تدخل ضمن الحيز الجغرافي لمحلات (تازمرايت، القصير، البخابخة، الجديدة )، وقد يكون هناك بعض العوائق، وارتفاع تكلفة الوصول إلى هذه المنطقة وربطها مع باقي محلات المدينة، ولكونها تقع في منطقة ذات انحدارات متباينة تتراوح بين (10 ٪ و 40 ٪) فإن إمكانية وتكلفة شق الطرق، وإنشاء المرافق الخدمية التابعة لها يتوقف على طول الطرق ومستواها الخدمي، في حين تعد مسألة نزع الملكية التي تمثل أساس البدء في عملية التوسع مرتبطة بقدرة الإدارة المحلية وكيفية التعامل معها.

أما عن نمط البناء فنجد ان أغلب النمط السائد بالمدينة هو النمط الفردي المتصل وأحيانا المنفصل، وذلك لاعتبارات اجتماعية، واقتصادية، وتركيب السكان القبلي، وطبيعة السكان في التوجه نحو الاستقلالية والبناء الفردي، وهذا النمط استهلك مساحات واسعة من الأرض كانت من الممكن أن تستوعب عدداً كبيراً من السكان، وهذا مرده لعدم وجود سياسة تدعم البناء الرأسي من خلال منح الرخص واشراك القطاع الخاص في المشاريع العمرانية سابقاً وإعطاء مميزات تشجع ذلك، وإما لاسباب تتبع من خصوصية المكان.

إن التصور المستقبلي على هذه الاعتبارات لنمط البناء يمكن أن يكون متفاوت النسبة والمساحة بين النمط الفردي الافقي المتصل، والنمط الجماعي الرأسي بنسبة (60 ٪ للنمط الفردي و40 ٪ للنمط الجماعي) مع أخذ الاعتبارات السابقة في التخطيط، وأمكانية معالجتها اقتصادياً، واجتماعياً، وتحليل هذا التصور تم إبرازه بشكل مفصل في الجزء الخاص باحتياجات المدينة المستقبلية.

### 3 - 2: التصور الثاني :

التوسع خارج حدود المدينة : ويقصد به الانتقال شمالاً إلى منطقة الجفارة، واقتراح إنشاء مدينة بخطة مرحلية التنفيذ، ووفق تصورات تنومية مستقبلية على اساس معايير اقتصادية، واجتماعية وديمغرافية على المدى البعيد والمتوسط والبعيد ( 2025 - 2050 ).

فالعوامل الجغرافية للمنطقة تسمح بانشاء تجمعات عمرانية ذات كثافات سكانية متباينة، ووفقاً للمساحة المتوفرة للتوسع (250هـ) فانه من الممكن أن تسمح بإشاء تجمعات عمرانية جديدة تضم من (50 الف نسمة - 75 الف نسمة )، وهناك بعض العوامل التي تحول دون هذا المقترح ستكون عقبة أمام صانعي القرار بهذا الشأن، ومن أهمها العوائق الإدارية والاقتصادية، والديمغرافية بالاضافة إلى بعدها عن المراكز الإدارية الكبرى، وضعف التمويل والانفاق، أيضا ضعف المشاركة من القطاع الخاص بهذه المشاريع، وهناك المعوقات القانونية المرتبطة بملكية الارض، وكذلك عدم جدية المؤسسات الحكومية لتنفيذ مثل هذه المشاريع الكبرى.

### 3 - 3: التصور الثالث :

إعادة تأهيل التجمعات العمرانية الحالية بالمدينة، يستند هذا التصور إلى إعادة تقييم للتجمعات السكنية الحالية من الناحية العمرانية والانشائية، وتأهيل المتهالك منها، وفتح مسارات جديدة للمخطط الفعلي للمدينة، أيضا يتم التأهيل من خلال منح التراخيص

لغرض الهدم والبناء، وتطوير مركز المدينة مع الاحتفاظ بخصوصية المكان، واستحداث خدمات بمستويات عالية، وتفعيل الموجود منها ورفع كفاءتها وزيادة درجة الاستيعاب بها، وإنشاء خدمات ومرافق للمناطق الأثرية بالمدينة مع المحافظة على الطابع الأثري لها، ويمكن تنفيذ هذا التصور على المدى القصير، ولكن لا يمكنه استيعاب الزيادة السكانية المتوقعة.

#### 4. الاحتياجات المستقبلية للنمو الحضري بالمدينة :

تختلف أنماط المساكن، وخصائصها في المدينة بصورة كبيرة، إذ تظهر أنماط تشترك فيما بينها بصفات وخصائص متميزة تعكس أثر المستوى الاقتصادي، والاجتماعي، وقد تختلف هذه الأنماط تبعاً للفن المعماري السائد، وعليه فإن عملية تقدير الاحتياجات المستقبلية لمجال النمو العمراني الحضري تعتبر ذات أهمية بالغة.

إن القيم الاجتماعية، والثقافية، والدينية يجب أن تكون حاضرة لأيٍّ من مشاريع التنمية الحضرية لضمان نجاحه (خاطر، 2005: 176)، كما أن الأساس الذي تعتمد عليه تقديرات الاحتياجات المستقبلية لعملية النمو العمراني بشكل عام يكمن في مدى نجاح أسس تصنيف الأراضي وتخصيصها للتنمية العمرانية بالمدينة، باعتبار هذه الأراضي جزء من منظومة الموارد المتوفرة سواء داخل المدينة أم في إقليمها، ويمكن الإشارة إلى عدة عناصر ضمن هذا الإطار :

1. الأخذ بعين الاعتبار حاجة ومصالح سكان المحلات، والتجمعات العمرانية للمنطقة المحيطة في مجال التوسع العمراني للمدينة، والتي تعد حاجات مبنية على الإسقاطات السكانية المستقبلية.

2. أن نوع المسكن ونوعية مواد البناء يترتبط بمقدار انفاق الأسر وحجمها.

3. التفاوت في منسوب سطح الأرض، ومعدلات الانحدار، قد لا تسمح بوجود بعض الاحتياجات المطلوبة للنمو العمراني.

4. ملكية الأرض ومدى استغلالها في عمليات التوسع العمراني والانشاءات الضرورية. ووفقاً لذلك فإن أهم الاحتياجات التي يتطلبها النمو العمراني المستقبلي للمدينة تعتمد على مشاريع الإسكان، والمنشآت الخدمية الرئيسية، وشبكة الطرق والشوارع،

ويمكن معرفة تقدير الاحتياجات وفقاً للآتي :

1. تقديرات الاحتياجات العددية بالسكن :

تأخذ التقديرات المرتبطة بحاجة المدينة مستقبلاً من السكن عدة مؤشرات، وبناءً على معطيات إحصائية وديمغرافية، إضافة إلى الواقع السكاني بالمدينة المتمثل في الآتي:

أ. تبلغ نسبة الاستخدام السكاني بالمدينة في سياق استخدامات الأرض المشار إليه سلفاً نحو 24,6 % أي نحو 188,27 هكتاراً.

ب. بلغ عدد المساكن الموجودة بالمدينة نحو 3269 مسكن منها 102 مسكناً أفقياً في شكل عمارات سكنية.

ت. بلغ عدد السكان في عام 2010م نحو 20320 نسمة.

ث. بلغ عدد الأسر بالمدينة حتى عام 2010 نحو 3834 أسرة.

ج. بلغ معدل الأسرة الواحدة 3,5 فرد بالأسرة 2010م.

ح. بلغ العجز السكاني في الوقت الراهن نحو 565 مسكناً.

فبالاعتماد على الفرضية الثانية الخاصة بمستقبل السكان بالمدينة في عام 2025، فمن المتوقع أن يبلغ عدد السكان لعام 2025 نحو 32498 نسمة، مع الإشارة إلى معدل الزواج السنوي للسكان بالمدينة (17، 10 لكل الف من السكان) ومن المتوقع إضافة نحو 2297 أسرة جديدة في الفترة نفسها (الصغير، 2015م: 168).

إضافة إلى عدد العجز في المساكن الذي بلغ 565 مسكناً فإن حاجة المدينة تبلغ من المساكن وفق الاعتبارات السابقة 2862 مسكناً خلال العام 2025م، وباعتبار أن التشريعات الخاصة بالمخططات المستقبلية تشير إلى أنه يجب أن يكون 60 % من حاجة المدينة السكنية على هيئة النمط الفردي للسكن، و40 % على النمط الجماعي الرأسي للسكن فإن المساكن الفردية سيبلغ عددها نحو 1718 مسكناً، والمساكن الجماعية ستكون 1144 مسكن، وفي هذا الصدد فإن هذه المساكن تحتاج إلى مساحات من الأراضي بالمدينة (دراسة ميدانية 2014م، الباحثان).

2. تقدير الاحتياجات للمساحات السكنية :



1 - 1 : نمط السكن الجماعي ( الرأسي ) :

لتقدير المساحات اللازمة يمكن الاعتماد على بعض المؤشرات :

أ. متوسط مساحة المسكن ( 140م<sup>2</sup>).

ب. معامل استخدام الأرض { ( مساحة المسكن × عدد الطوابق ) / مساحة قطعة الأرض }، وهو 1,4 .

ت. عدد الطوابق المقترحة للبناء الأفقي (4) طوابق لأعتبارات البيئة الطبيعية ومورفولوجية المدينة.

عليه فإن المساحة السطحية بلغت 16,016 هكتار، في حين بلغت المساحة العقارية اللازمة 11,44 هكتاراً، كما بلغت المساحة المبنية 4,004 هكتار، أما المساحة المطلوبة للبناء لهذا النمط، فهي الفارق بين المساحة العقارية والمساحة المبنية التي بلغت 7,43 هكتار (الصغير، 165، 2015).

1 - 2 : نمط السكن الفردي ( الأفقي ) :

لتقدير المساحات اللازمة يمكن الاعتماد على بعض المؤشرات :

أ. متوسط مساحة المسكن ( 180م<sup>2</sup>).

ب. معامل استخدام الأرض { ( مساحة المسكن × عدد الطوابق ) / مساحة قطعة الأرض }، وهو 0,36 .

عليه فإن المساحة السطحية بلغت 30,92 هكتاراً، في حين بلغت المساحة العقارية اللازمة 85.9 هكتاراً، أما المساحة المطلوبة للبناء لهذا النمط فكانت الفارق بين المساحة العقارية والمساحة السطحية، وقد بلغت 54,97 هكتار .

إن حاجة المدينة مستقبلاً من المساكن قد تتأثر بمتغيرات مكانية كنتاجاً لواقعها الحالي، فعمليات البناء والإنشاءات ترتبط بالعلاقات المحلية بين المدينة، والسلطات المركزية فيما يتعلق بدرجة الانفاق الحكومي، والمحلي على هذه المشاريع، ومنح التراخيص لإقامتها، إضافة إلى الوضع الاقتصادي والسياسي العام للبلاد، فضلاً عن التغيرات الاقتصادية بالمدينة وتأثر عمليات البناء بمستوى الدخل العام ومستوى المعيشة، وتوفير المواد الخام، وتوفير الأراضي المناسبة للبناء.

الجدول (2) تقدير احتياجات المساحة للمساكن خلال الفترة (2010 – 2025)

المجموع هكتار	السكن الفردي ( الأفقي هكتار )	السكن الجماعي ( الرأسي هكتار )	نمط السكن	
			المؤشرات	
46,93	30,92	16,01	المساحة السطحية بالهكتار	
70,34	85,9	11,44	المساحة العقارية بالهكتار	
62,4	54,97	7,43	المساحة الكلية اللازمة للبناء بالهكتار	
2862	1718	1144	عدد المساكن المطلوبة (مسكن)	
45,8	31,25	153,9	السكنية ( مسكن /هكتار)	الكثافة
243	165,5	816	السكانية ( نسمة /هكتار)	

المصدر: إعداد الباحثين اعتماداً على: المؤشرات الوطنية الخاصة بالحالة السكنية في ليبيا، الهيئة العامة للمعلومات والتوثيق، بيانات غير منشورة، طرابلس، 2004م.

3. تقدير الاحتياجات المستقبلية من الخدمات والمرافق الخدمية :

1. شبكة الطرق :

تعد من أساسيات النمو الحضري المستقبلي، والمكملة لمختلف الوظائف الحضرية بالمدينة كما أنها تضي حيوية وديناميكية على الشكل الحضري بالمدينة، وباعتبارها أحد أدوات التحكم في منطقة التوسع العمراني وتنظيمه، وبالرغم من ارتفاع تكاليف شق الطرق الجديدة بسبب طبيعة السطح، والانحدار إلا أن أهميتها تستوجب إنشائها، وعلى هذا الأساس يمكن الإشارة إلى عدة عناصر :

1.1. استحداث شبكة طرق لربط المحلات السكنية القريبة من مناطق التوسع العمراني ومنه ( تازمرايت، القصير، البخاخة، الجديدة )، كطرق أولية تتفرع منها شبكة داخلية لخدمة التجمعات السكنية، وباعتبارها حلقة وصل بين التجمعات القديمة، والأحياء المستحدثة.

1.2. صيانة الطريق الرئيسي الرابط بين محلة تازمرايت وبين باقي المحلات وصولاً الى محلة يفرن المركز، باعتبارها مركز المدينة وما يترتب عليه من انسيابية في الحركة وشمولية في الربط.

1.3. تحتاج الطرق المستحدثة الى خدمات مكملة، كالأرصنة، والاشارات الإرشادية

اللازمة وجزر الدوران لمختلف التقاطعات الحيوية بالمناطق المستهدفة.

1.4. لا يمكن الجزم بالأطوال الحقيقية للطرق التي تحتاجها المدينة المستقبلية، ولكن يمكن الإشارة الى أن مساحة مناطق التوسع في جنوب شرق وشرق المدينة تقدر بنحو (150,24 هكتار)، أيضا تجدر الإشارة إلى أن مساحة استخدام الأرض من الطرق بمختلف تصنيفاتها والشوارع بلغت نسبتها نحو 5,6% من مساحة استخدام الأرض بشكل عام، ووفقاً لهذه النسبة فإن المساحة المتوقعة لمنطقة التوسع العمراني تبلغ (8,41 هكتار).

2. شبكة التزويد بالمياه :

من واقع استخدامات الأرض في الجانب الخدمي خدمات تزويد المدينة بالمياه وشبكة توزيعها وتختلف كميات الماء اللازمة للأسر حسب الظروف، ومدى تأثرها ببعض العناصر الطبيعية والبشرية ومنها :

أ. عدد السكان وتوزيعهم الجغرافي، وتنوع احتياجاتهم المائية.

ب. بُعد مصادر المياه من المدينة، ومناطق التوسع العمراني.

ت. امكانيات التخزين والتوزيع.

ث. حجم المياه التي يمكن توفيرها، وإمكانية تجديدها.

ج. حالة شبكة التوزيع وطول الانابيب ومقدار التسرب.

ح. عادات الناس وتقاليدهم الثقافية وطقوسهم الدينية، وطعامهم وملبسهم وما إلى ذلك وعادة ما يزيد استهلاك الماء كلما كان مصدر الماء قريبا من المسكن.

وتتزود المدينة بالمياه من المحطة الرئيسية بوادي عومر التي تقع جنوب المدينة بقرابة ( 10 كلم ) والتي تتزود اساساً من منظومة النهر الصناعي، حيث تقدر الكمية اليومية بـ ( 3457 متر<sup>3</sup> )<sup>1</sup> وبعجز يصل الى نحو 15 % ، وباعتبار أن متوسط الاستهلاك اليومي للفرد بالمدينة = 200 لتر.

أما الاحتياجات المستقبلية فيمكن تقديرها وفق البيانات الديمغرافية، ومقدار الاستهلاك اليومي للمياه بالمدينة وفق المعادلة التالية :

$$Q_j = N \times H$$

$Q_j$  = الاحتياجات المستقبلية للمياه بمقدار يومي خلال عام ( 2025م).

$N$  = عدد السكان =  $H$  = معدل الاستهلاك.

1 - كمية التزود بالمياه تم الحصول عليها من بيانات ادارة محطة العمورة لتوزيع المياه، يفرن، 2013م.



جدول (3) الاحتياجات الحالية والمستقبلية من المياه بالمدينة

الاحتياجات المستقبلية (م <sup>3</sup> يومياً)	كمية الاستهلاك الحالي (م <sup>3</sup> يومياً)	معدل الاستهلاك اليومي (لتر)	عدد السكان (نسمة)	المؤشرات السنوات
-	4064	200	20320	2010م
6249.5	-	200	31245	2025م

المصدر : إعداد الباحثين اعتماداً على المؤشرات السابقة.

من (الجدول 3) يلاحظ أن مقدار الاحتياج اليومي من المياه للمدينة قد ازداد بشكل كبير مما يضع المدينة في مرحلة العجز المائي الذي يبلغ نحو 3م<sup>3</sup>2185 من المياه حالياً، وهذا مرده إلى بعد المصدر وحالة الشبكة، وعدم الاهتمام بها، وعدم البحث عن بدائل ذات كفاءة، كاستغلال المياه بسد بئر عياد كما أن الظروف الراهنة أدت الى مغادرة الشركات التي تعمل على بناء، وانشاء الخزانات ومد الانابيب بين المدن، والمسار الرئيسي لمياه منظمة النهر الصناعي في جبل نفوسة، مما يسهم في زيادة الفاقد المائي لعدم استكمال مشاريع الصيانة والتجديد من ناحية، ومن ناحية ثانية تأثيره على الاحتياجات المائية اليومية لسكان المدينة فمن خلال الجدول إتضح أنه من المتوقع تبلغ كمية المياه التي تحتاجها المدينة في عام (2025م) الى نحو (3م<sup>3</sup>6249,5) يومياً، مع تباين مقدار الاستهلاك اليومي تبعاً للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية.

إن الإحتياجات المستقبلية لمختلف الخدمات تمثل العمود الفقري للتوسع العمراني المرتقب بالمدينة للمدى المتوسط والبعيد، ونظراً لعدم وجود البيانات الكافية لتحليل هذه الخدمات فقد تم الاكتفاء بالإشارة الى المساحة المطلوبة لكل منها، على أساس نسبتها بالمخطط العام للمدينة عام 2000م، من استخدامات الارض الحالية بالمدينة، وبناءً على المساحة المتوقعة للنمو العمراني المستقبلي (150,24هـ)، والجدول (4) يبين الاحتياجات المستقبلية من الخدمات ( المساحية والعديدية والنوعية ) في عام 2025م.

جدول (4) الاحتياجات المستقبلية من الخدمات ( المساحية والعديدية والتنوعية ) في عام 2025م.

الإحتياجات المستقبلية			نسبة الإستخدام لعام 2000 %	المؤشرات	
المساحة هكتار	العدد	نوع الإستخدام		الخدمات	
6,6	2	مركز صحي	4,4	الصحية	
	3	وحدة صحية أولية			
10,4	3	مدارس تعليم اساسي	6,9	التعليمية	
	1	مدارس تعليم متوسط			
	1	معهد متوسط فني			
3,9	2	مساجد	2,6	الدينية	
6,6	3	أسواق متخصصة	4,4	التجارية	
3,6	2	محطات توزيع	2,4	الكهرباء	العامه
	1	محطة صرف صحي		الصرف الصحي	
	1	مكب مرحلي بإطراف المدينة		النظافة	
6,4	1	منتزه عام	4,3	المنتزهات والحدائق العامة والترفيه	
	3	حديقة عامة			
37,5				المجموع	

المصدر : اعداد الباحث اعتمادا على مساحة النمو العمراني المتوقعة، ونسبة استخدام الارض بالمدينة بمخطط المدينة لعام 1980 -

2000م.

من الجدول السابق نجد أن بعض الخدمات المستقبلية للمدينة من المتوقع أن تحتاج إلى مساحة تقدر بنحو (37,5 هكتار)، وهذه المساحة تقل عن المساحة المتوفرة للتوسع العمراني (150,24 هكتار)، في حين تقدر جملة مساحة الاحتياجات من كافة الخدمات بالإضافة إلى السكن، والطرق، وخدمات المياه بنحو (88,8 هكتار) أي بنسبة (59,1 % ) من مساحة المنطقة المزمع النمو، والتوسع عمرانيا فيها مما يشير إلى وجود مساحة بنحو (61,4 هكتاراً) في حالة فراغ عمراني، من المنتظر زيادة حجم التوسع والنمو به، واستغلاله خلال المدى البعيد وفقاً لتغيرات مستقبلية بالمدينة من الناحية الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية.

#### النتائج والتوصيات:

##### أ. النتائج

1. بلغ معدل النمو السكاني بالمدينة نحو (2,9 % ) في عام 2010م، مما يشير إلى أن المعدل يتجه نحو الارتفاع ببطء مقارنة بالسنوات السابقة، فيما بلغ عدد السكان بالمدينة حسب إحصائية عام 2010م نحو (20320) نسمة وبلغت نسبة السكان الحضر منهم 92,3 % من جملة السكان الموزعين على محلات المدينة.
2. كانت المعوقات الإدارية والتنظيمية من أبرز معوقات التنمية الحضرية، والنمو العمراني بالمدينة بإعتبار أن الإدارة المحلية تتحمل المسؤولية بشكل كبير عن تردي الوضع التخطيطي الحالي والعشوائية المترتبة عليه في توزيع الخدمات، أو البناء خارج المخطط.
3. انكماش المساحة العمرانية المتاحة للتوسع العمراني قلل من وجود بدائل واقعية ذات إمكانيات ملائمة للمدينة، بإستثناء بعض المحاولات المتمثلة بالاتجاه شرقاً والجنوب الشرقي على حساب الرقعة الزراعية لغابات الزيتون
4. أدى الانقطاع الطبيعي لموضع المدينة إلى وجود تباعد نسبي بين الاستخدام الخدمي والتجمعات العمرانية.
5. تأثرت إمدادات المدينة بالمياه وشبكة الكهرباء والصرف الصحي بالانقطاع الطبيعي للمدينة (الانقطاع الفزيوغرافي).

##### ب. التوصيات :

1. العمل على تحمل الإدارة المحلية للمسؤولية في تنظيم، وضبط استخدام الأرض بالمدينة ومعالجة المخالف منها.

2. إيجاد قنوات أكثر فاعلية للربط والتواصل بين الإدارة المركزية سواء المحافظة أم على مستوى الدولة والإدارة المحلية سواء البلدية أو مجلس محلي.
3. إعداد قاعدة بيانات خدمية وسكانية لمختلف القطاعات بالمدينة، مما يمكنها من التواصل وتبادل البيانات وفقاً للمصلحة العامة.

#### المصادر والمراجع :

##### أ - المصادر :

1. أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد (1979م)، التعداد العام للسكان لعام 1973م، طرابلس.
2. (1985م): التعداد العام للسكان لعام 1984م، طرابلس.
3. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق (1998م): التعداد العام للسكان لعام 1995م، طرابلس.
4. (2008م): التعداد العام للسكان 2006م، طرابلس.
5. (2012م): إحصائية عامة للسكان لعام 2010م، طرابلس.
6. (2013م): بيانات مكتب الاحصاء والسجل المدني 2012م، طرابلس.
7. أمانة اللجنة الشعبية للمرافق سابقاً (وزارة الاسكان) (1978م): يفرن المخطط الشامل 1980 - 2000 التقرير النهائي، طرابلس.
8. مصلحة المساحة ( 1978م): الأطلس الوطني، مطبعة ايسلت ستوكهلم، السويد.
9. الهيئة العامة للمياه (2012م): تقرير عن منظومة النهر الصناعي 2005م، طرابلس.
10. المركز الثقافي يفرن (2012م): المحفوظات والوثائق والصور القديمة، يفرن.
11. مصلحة التخطيط العمراني (2012م): مكتب التخطيط والمشروعات بمدينة يفرن.
12. مكاتب القطاعات الخدمية بالمدينة (2012م): تقارير وبيانات للخدمات بمدينة يفرن، يفرن.
13. الصغير، ابراهيم محمد(2015م) : رسالة دكتوراة غير منشورة ( تقييم الاثر البيئي للنمو الحضري بمدينة يفرن: دراسة في جغرافية المدن، كلية الآداب جامعة الزقازيق، محافظة الشرقية، جمهورية مصر.

##### ب - الكتب :

1. خاصر، أحمد مصطفى (2005م) : تنمية المجتمعات المحلية، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
2. عاشور، أحمد صقر(1979م) : الادارة العامة- مدخل بيئي مقارن، بيروت: دار النهضة العربية.
3. عبيدات، تركي ابراهيم (2007م): التخطيط الاستراتيجي - مفهومه واطاره الارشادي ومراحله المتقدمة، عمان: منشورات جامعة العلوم والتكنولوجيا.
4. مصيلحي، فتحي محمد (1995م): تخطيط المدينة العربية بين الإطار النظري والواقع والمستقبل، القاهرة : مطبعة روائ وشركاؤه.
5. هاشم، زكي محمود (2001م) : اساسيات الادارة، الكويت: منشورات ذات السلاسل.

- Jaber, Jamal (2005) A Text book of Translation. University Book House.
- Larson, Mildread (1984) Meaning Based Translation. USA, University Press of America.
- Meto. (2008) The translation of Agentive Passive form English into Arabic. The Fourth Annual Translation Conference. Academy of Graduate Studies, Tripoli. Libya.
- Mohammad, Ashur.(2007).Tattheer Attarjama ala Alluga Alarabia. Alshareqa University.
- Munday, Jeremy (2001) Introducing Translation Studies. Library Cataloguing in Publication Data.
- Neubert, A. (1984) Text-bound translation teaching. in Translation Theory and its Implementation, ed. W . Wilss. Tubingen: Narr.
- Newmark, Perter (1988). A Text Book of Translation. New York, London, Prentice Hall.
- Newsweek, Dec.(2008) VOL.CL11\_NO.23.
- Newsweek.( March,2,2009).VOL.CL111\_NO9.
- Nida, E.(1964). Towards a Science of Translating with special Reference to principles and procedures involved in Bible Translating. (Leiden:E.J.Brill).
- Sally Wehmeier et al, (2005).Oxford Advance Learner's Dictionary 7<sup>th</sup> Edition Oxford University Press.
- Venuti, L.(2000). The Translation Studies Reader. Routledge. London & New York.
- Vinay, Jean-Paul and Darbelent, Jean (1995). Comparative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation. Translated by Sager, Juan Hamel, M.J. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamin.
- Philadelphia: John Benjamin.
- Electronic sources:
- ([www.at-turjuman.com](http://www.at-turjuman.com))
- ([www.ebnmaryam.com](http://www.ebnmaryam.com))
- ([www.newsweek.alwatan.com.kw](http://www.newsweek.alwatan.com.kw))

4) The literal rendering of the prepositions «إلى» (إلى) Disappearing of Arabic passive structures from Arabic translation and the emergence of deviant structures such as: «بالنسبة» (النسبة) The common use of the new deviant expression «عن طريق» (بواسطة) 6 «7» The confusion between translating the pre – positions «اللام» «, and «إلى»

From the analysis and discussion of the presented examples, the study shows that the news texts from English into Arabic is dominated by: the use of literal translation. With regard to literal translation as a technique, translators follow the western style of writing and this leads to the emergence of deviant structures in Arabic translation. This reflects the fact that those translators are neither competent nor have a sufficient command of the target language. This study advocates the idea that literal translation is completely rejected in translating media texts from English into Arabic. It supports the common idea among translation that a faithful translator should not translate word for word, and that a good translator should have an adequate understanding of the original language and good command of TL.

### **Bibliography**

- Almalki, Badra (2011). Grammatical Problems in English. A project to LANE 462
- Awad, E. (1985). Fan Attarjama min Alinqliḏya ela Alarabya. Dar Alktab Aljamiya, Beirut.
- Baker, M. (1998) In Other Words: A Course Book of Translation, (London and New York: Routledge).
- Beaugrande et al (1992). Language Discourse and Translation in the West and Middle East. Joun Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia.
- Dan Shen (1989). Literalism: non-formal equivalence. Babel Journal, Issue 35, p219-220.
- Darwish, Ali (2007). Arab Media Between Journalism and Fiction. Translation Monitor, Vol. 4, Issue 1.
- Dickins, James et al (2002). Thinking Arabic Translation: A Course in Translation Method: Arabic to English. Routledge. London and New York.
- Faghal, Muhammad & Shunnaq, Abdullah (1999). Translation with Reference to English and Arabic: A practical Guide. Irbid: Dar Al-hilal for Translation.
- Ghazala, Hasan (1995). Translation as Problems and Solution: A Course Book for University Students and Trainee Translators. Malta: ELGE publication.
- Hasan, Abbas (1974) “*Alnahw Alwafi*” Dar Almaarif, Egypt (Knowledge House).
- Hervy, Sandor and Higgin, Ian (1992). Thinking Translation: A Course in Translation Method (French-English). Routledge. London & New York.

The above translation is inaccurate because the agent should not be mentioned in Arabic passive structure. Thus, the accurate grammatical translation is «ناقشت اللجنة المقترح»

On the other hand, when the agent is unknown, English passive should be translated into Arabic passive structure. For example, “they were not suitably alerted in advance” (ST) . (Newsweek, Dec, 8, 2008:19) as «لم يتم خذيرهم» بشكـلٍ مناسبـاً (TT) (www.newsweek.alwatan.com.kw) is inaccurate translation. Viewing such usage, one can call the verb «يتم» in this sentence “intrusive verb” since there is no need for it. Therefore, the appropriate translation is «تم بحذروا» مسبقاً خذيراً مناسباً

f)When translating the sentence “The future looked dark for North Korea” (ST) (Newsweek, Dec,8,2008:32) as «بدأ المستقبل مظلماً بالنسبة إلى كوريا الشمالية» « (www.newsweek.alwatan.com.ku) (TT)it will create unsatisfactory structure . As in the above example, the use of the expression «بالنسبة» in such contexts is unacceptable, because this expression which is very common and frequently used in news texts, particularly in scientific texts is inaccurate in Arabic. (www.ebnmaryam.com).

### Summary

This chapter discussed the examples that showed the grammatical errors of literal translation from English into Arabic in media texts. These examples stand as factual texts selected from reliable media sources. It is obvious from these examples that there were some changes on the syntactic structures of the TL. It is realized that these examples won't cover all cases of the grammatical problems, but they were mentioned just as examples that show some problems as a result of literal translation.

### Conclusion

This study investigated the grammatical errors when translating media texts from English into Arabic. These errors were represented occurred by some examples of deviant structures that came into Arabic because of literal translation such as: 1) The absence of the absolutely object and replacing it by unacceptable expressions such as: «بشكل» «الدرجة» etc. 2) Using intransitive Arabic verbs as transitive ones in Arabic translation. 3) The wrong substitution of words which don't reflect the same meaning.

from English into Arabic sometimes is problematic. Some English intransitive verbs are sometimes translated wrongly into transitive Arabic equivalents as in the previous example. However, according to Arabic grammar, the Arabic preposition should be added in such cases (Hasan.Abbas.1978:151). Thus, the accurate translation is “وصل إلى مصر مساء أمس رئيس الوزراء...”

d) The English sentence “Lebanese mark anniversary of assassination” (ST) is frequently used in media which translated literally as «لبنانيون يحيون ذكرى اغتيال الحريري» (TT). This translation is inaccurate because the word «ذكرى» (anniversary) belongs to «الحريري» not to «اغتيال» (assassination). Thus, the substitution of the word “

الحريري» (the person who was assassinated) by the word «اغتيال» (assassination) is unacceptable.(www.at-turjuman.com). However, the more acceptable grammatical translation for the above sentence is «لبنانيون يحيون ذكرى الحريري الذي اغتيل يوم...»

d) The rendering of the sentence “welcome to the news” (ST) as «تعالوا إلى» (TT) is inaccurate translation.. It is obvious that there is a problem with rendering the preposition “to” literally into «إلى» because it makes no sound since this preposition in Arabic refers to the end of the real target. Hasan. Abbas( 1978) and in this context it doesn’t indicate that meaning or any of its other meanings. It is clear that such literal translation is a result of the impact of English language on Arabic. However, the more accurate grammatical translation is «أهلاً بكم في نشرة الأخبار» (www.at-turjuman.com).

e) Using of passive structures in English / Arabic translation is nearly disappeared. This is due to the influence of the English language. Expressions such as «من قبل» “عن طريق” “بواسطة” became very common in Arabic translations as a mark of passive

structure. This is shown by Meto (the Fourth Annual Translation Conference, Academy of Graduate Studies, Tripoli, Libya(2008) who points out that passive constructions have different functions from language to language. In Arabic, when the agent is mentioned, active voice should be used, but when the agent is not mentioned, passive voice should be used. Translating the by-phrase into constructions such as «من قبل» “عن طريق” “بواسطة” is unacceptable in Arabic.

For more explanation, this example is illustrative: “The proposal has been discussed by the committee” (ST) along with its Arabic translation «نوقش المقترح من قبل اللجنة» (TT).



structions is possible in the present tense. For example, “He is at school” “هو في المدرسة” but is unacceptable in the past tense “He was at school” “هو كان في المدرسة” and should be translated into verbal structure as “كان في المدرسة» (ibid)

#### 4.1. Some Selected translated Examples

a) To translate the English sentence” The ability of Federal Reserve to raise and lower interest rates” (ST) : (Newsweek .March. 2009:16) as:

« قدرة مجلس الاحتياط الفيدرالي على رفع وخفض أسعار الفائدة»  
(www.newsweek.alwatan.com.kw).

is inaccurate, because according to Arabic grammarians, it is not allowed in genitive construction to separate between two words (When the first belongs to the second one). Thus, the more accurate grammatical translation of the above sentence is “« قدرة مجلس الاحتياط الفيدرالي على رفع أسعار الفائدة وخفضها»”

The following example along with its Arabic translation is illustrative:

“The hard decisions about locating, valuing, and isolating the toxic paper...” (ST) (Newsweek. March 2009:40). This sentence was translated as:

(TT) : «القرارات الصعبة المتعلقة بإيجاد وتقييم وعزل الأوراق المالية السامة» (www.newsweek.alwatan.com.kw).

This translation is inaccurate too, and the appropriate grammatical translation is «القرارات الصعبة المتعلقة بإيجاد الأوراق المالية السامة وتقييمها وعزلها»

b) To translate the English sentence: “ his ability to govern will be considerably compromised” (ST) ( Newsweek. Dec. 2008:32) as: (TT): “ قدرته على الحكم ستتراجع » (1978) « بشكل كبير » is grammatically less acceptable, because there is an absence of « المفعول المطلق » (an object derived from the verb such as “ تتراجع تراجعاً » in the translation from English into Arabic. This object is replaced in Arabic translation by phrases such as « لدرجة » « بشكل » (www.at-turjuman.com).

A better grammatical translation would be “ قدرته على الحكم ستتراجع تراجعاً كبيراً” « ( My translation).

c) The translation of the English sentence: “ The prime minister ...arrived Egypt yesterday” (ST), as “ «وصل مصر مساء أمس رئيس الوزراء... » (TT) (www.ebnmaryam.com) is inaccurate translation because the verb “ وصل » in Arabic is intransitive but in this translation used as transitive. The translation of intransitive verbs

is problematic in this regard that it renders the same English pattern of causticity into Arabic .For example, the translation of the sentence: ” It makes it lose some of its features” as ” يجعلها تفقد بعض معالها ” is unacceptable translation in Arabic because Arabic can express causticity using only one word. Thus, the more\*acc urate\*translation\*is\*”تفقدوها بعض معالها” (www.at-turjuman.com).

In English the verb “make” gives the idea that X forces Y to do something. As for “get” it gives the that X motivated Y to do something. In Arabic “make” and “got” are commonly translated into the verbs like ( أجبر, جعل, استطاع أن تمكن من ) ; ( respectively) (compel, cause, could, manage).

### 3.6. Negation

The main negative English article is “Not”. Its meaning has many counterparts depending on the verb comes before it. For example, “will not” “سوف لن” “has not” «لا يملك»

When “not” follows the verb “do” it makes different meaning “ do not” and “does not” mean “ لا » . «did not» means « لم ». e.g. “Many people don’t play chess” “أبوها لا” “Her father doesn’t speak English” “«كثير من الناس لا يلعبون الشطرنج» “My brother didn’t go to school” “«لم يذهب أخي إلى المدرسة» “« يتكلم الإنجليزية»

Literal translation sometimes is unacceptable in translating the English article “No”. For example the English expression “No smoking” cannot be taken as an equivalent to the Arabic phrase “ لا تدخين ” but as “منوع التدخين

### 3.7. Nominal Sentences vs. Verbal Sentences

English language always uses one kind of sentences, that is nominal sentences, whereas Arabic consists of both; nominal and verbal sentences. Such a grammatical difference might lead to problems in translation. (Awad.E .1985:9).

This difference is sometimes problematic since it leads to an absence of verbal sentences in Arabic version. English Sentences begin with the subject; so as a result of literalism , Arabic sentences will begin with a noun . For example, “ Ali drives his car” is translated as “علي يقود سيارته” which is less acceptable. Whereas the preferable Arabic translation begins with the verb as “ يقود علي سيارته ” «.(www.at-turjuman.com)

On the other hand, conveying the verb “be” and “have” into nominal con-

lems in translation,...The tendency to translate English passive structures literally into a variety of target languages which either have no passive voice as such or which would normally use it with less frequency is often criticized by linguists and by those involved in training translators.

In English there are three different constructions in terms of voice, firstly, “ active construction” in which the agent (doer) is mentioned, secondly, “ agent less passive” when the agent is not mentioned, thirdly, “ agent passive”; in which the agent follows the preposition ‘by’. The following examples are illustrative respectively:

- a)\*”The committee has discussed the proposal” (active construction).
- b) “ The proposal has been discussed “ (agent less passive).
- c)”The proposal has been discussed by the committee).(agentive passive).

When translating both active and agent less passive construction from English into Arabic, there is no problem as it can be rendered into Arabic equivalent either active or passive, thus sentences (a) and (b) can be translated respectively as:

“ناقشت اللجنة المقترح» « or «نوقش المقترح» ( My translation).

However, the problem is with translating the agentive passive ( when the agent follows the preposition <by>; In Arabic there are only two constructions in terms of voice; 1)Active, when the agent is to be mentioned,2) Passive, when the agent is not to be mentioned. Thus, the translation of the sentence <C> as «نوقش المقترح من» « قبل اللجنة» is unacceptable because Arab grammarians state that expressions such as “نوقش المقترح من قبل اللجنة” should not be used because there is no need for using passive when the agent is mentioned so that the recommended translation by Arab grammarians for the sentence ‘C’ is the same as ‘A’, i.e. “ناقشت اللجنة المقترح” “Meto, the Fourth Annual

Translation Conference:(2008), Academy of Graduate Studies, Tripoli, Libya.

### 3.5. Causticity

Causticity is expressed in English by using compound verb; for example (make+ verb) because it cannot express causticity by one verb. Literal translation

whereas the second is a nominal sentence or topic comment sentence, the verb here is a part of the comment. However, the first is more acceptable in Arabic.

### 3.3. Tense and aspect

According to (Baker, 1998:98)

Tense and aspect are grammatical categories in a large number of languages. The form of the verb in languages which have these categories usually indicates two main types of information: time relation and aspectual differences. Time relations have to do with locating an event in time. The usual distinction is between past, present, and future. Aspectual differences have to do with the temporal distribution of an even.

Basically, English and Arabic systems of tense are divided into: past, present, and future as well as progressive and perfective in English (Farghal and Shunnaq, 1999:63).

Although Arabic language hasn't terms such as "past continuous" "past perfect" it expresses these tenses by its own way, for example, "he slept" and 'slept' as «نام», and "he was sleeping" and, "was slept" as «كان نائما» (Awad, E. 1985:26).

The problem emerges in this regard is how to translate those English tenses which have no precise equivalent in Arabic. Therefore, the translator has to try to find the exact way to translate the tense using prefixes such as «لقد» (already), «قبل قليل» (before a few) «للتو» (soon), for example:

«We\*heard\*the\*news\*» «سمعنا الأخبار»

«لقد سمعنا الأخبار» "We have heard the news"

«لقد سمعنا الأخبار» "We had heard the news"

### 3.4. Voice (active. passive)

Most languages have a category of voice. These languages use a variety of ways to express passive. English uses passive frequently to express objectivity and to avoid reporting the doer. (Baker, 1998:102) states that:

The use of passive voice is extremely common in many varieties of written English and can pose prob-

compound complex sentence, whereas Arabic doesn't concern with these classifications.

(Farghal and Shunnaq, 1999:42). Because of literal translation, the translator will imitate the same pattern of English sentence (S. V. O), consequently, the Arabic version will have the same pattern. As a result, Arabic verbal sentence will be absent. For example, "Ali drive his car" «على يقود سيارته» whereas the preferable Arabic translation is «يقود على سيارته» is most common when translating into Arabic “.

### 3.2. word order

English word order is ( S V. O ), whereas Arabic has two systems of word order: (topic, comment) in nominal and (V S O ) in verbal sentence. (Ghazala .1995:110).

There are restrictions controlled by the grammatical structure of a language to organize its elements; compared to Arabic, elements such as subject, predicator and object which formulate the word order, English is relatively fixed. As Baker (1998) states:

some languages have case inflections which indicate the relationship between the elements in a clause, for instance, who does what to whom. In such language, the form of a noun changes depending on its function in the clause...Languages which have elaborate systems of case inflections tend to have fewer restrictions on word order than languages like English which have very few case inflections.

In terms of translation, literal, word for word translation, from English into Arabic sometimes results in transferring the English word order entirely into Arabic. For example, to translate the English sentence “ Muhammad left London yesterday “ into Arabic, there are two translations:

- a) «غادر محمد لندن يوم أمس» (My translation
- b) «.محمد غادر لندن يوم أمس» (My translation).

The first sentence is normal verbal sentence according to the word order of Arabic.

3-It has structural ambiguities and unacceptable equivalent.

4-It has equivalents but not within the same context(Venuti. 2000:87).

The following two examples illustrate the idea of acceptability or unacceptability in literal translation:

a) “He gave his daughter a present”, “أعطى ابنته هدية” b) «He bought his daughter a car» «اشترى ابنته سيارة» (ibid). While one can translate the first sentence literally, it is impossible to do so in the second sentence. In this regard, (Vinay and Darbelent .1995:35) state that :

given the infinite number of combination of signifiers alone, it is understandable that dictionaries cannot provide translators with ready-made solutions to all their problems. Only translators can be aware of the totality of the message which determines their decisions...it is the message alone, a reflection of the situation, that allows us to judge whether two texts are adequate alternatives.

Because there are no conceptual dictionaries with bilingual signifiers, translators try to find suitable translation within the context intended by the SL message and they apply certain techniques to convey the desired message.

### 3. Common Areas of Difference between English and Arabic Grammar.

#### 3.1. Structure of Sentence

In English language there is only one type of sentence (Nominal sentence) ; and that doesn't mean that there is no verb, but it means that the sentence begins with a subject (noun or pronoun), whereas Arabic language has nominal sentence and verbal sentence. This feature allows more flexibility in formation for Arabic rather than English. For instance, one can use the Arabic word «ضرب» (hit) in many position in

the sentence such as “ضرب محمد زيدا» Muhammad hit Zayd» (BC), “محمد ضرب» «Muhammad hit Zayd” (BT) or “زيدا محمد ضرب” ‘Zayd Muhammad hit’ , whereas English has only one pattern to form such sentence; ‘Muhammad hit Zayd’.

However, there is another classification in which English sentence is divided into four types: simple sentence, compound sentence, complex sentence, and

among people working in the translation field, who are not competent, to preserve the SL structure in the TL because literal translation is much less knowledgeable than non

literal translation. This, of course, may cause unacceptable correspondents that might be named as “interference”. Basically, literal translation is discussed within the limits of sentence-bound translation especially in contrastive grammar. Since it lends the reader the importance of interlingual syntactic parallelism and non parallelism. (Wills.1996:129).

## **2.2. Acceptable vs. Unacceptable Literal Translation**

As mentioned previously, if the translator respects the TL grammatical rules and could convey the original meaning, literal translation sometimes can be acceptable.

According to (Newmark. 1988:74)

some transparent institutional terms are translated literally in at least Western European languages even though the TL culture equivalents have widely different functions: thus “President”, “Prefect”. Note also that concept-words such as “radicalism” or ‘realism” are translated literally and often misleadingly, as there “local” connotation are often different.

In such cases, the word translated literally is more acceptable than the transferred word because of two reasons: a) there is an important relation between these terms and their TL culture; b) it is constructed immediately into the target language.(Ibid).

Literal translation is considered unacceptable because it transfers single words out of context. In some structures, literal translation from English into Arabic is considered unacceptable to TL grammarians as well as to the reader of translation who should have command of both languages ( English and Arabic) , and feel the need to move to another method of translation. In this manner, a translation is considered unacceptable for one of the following reasons:

1. It provides a different meaning than the one intended .
- 2 – It has no meaning.

2 – Respecting target linguistic style especially grammatical rules.

## 2. literal Translation

Literal translation is an early translation approach. It aims to convey the denotative meaning of the source text into the target text. Literal translation requires semantic and structural correspondence between the two texts. Notably, literal translation often fails, especially in the case of multi-word units like collocations and idioms as can be illustrated bellow:

“to pay a visit” «يدفع زيارة» ((يقوم بزيارة))

«to rain cats and dogs» «تمطر قططاً وكلاباً» ((تمطر بغزارة))

However, literal translation may sometimes work in the case of multi-word units as can be illustrated bellow:

«the cold war» «الحرب الباردة» (Fargal and Shunnag, 1999:13).

Venuti, L (2000:86) defines literal translation as :

“the direct transfer of a SL text into a grammatically and idiomatically appropriate TL text in which the translator’s task is limited to observe the adherence to the linguistic servitudes of the TL».

However, literal translation is very common when translating between two languages which share the same culture (e g. between English and French), but doesn’t common when translating between two languages which aren’t share the same culture (e g. English and Arabic).

Literal translation is considered as a pre-translation procedure. To(Newmark , 1988:46) it translates the single words of the SL into their equivalents in the TL, out of context, but converts the SL grammatical constructions into their nearest equivalents. These examples can be illustrative:

«I bought a new car» «أنا اشترت سيارة جديدة»

“Ali wanted to smoke a cigarette” “علي أراد أن يدخن سيجارة”

### 2.1. Literal Translation vs. non literal Translation

There is simple distinction among translation techniques between literal and non literal translation. This , basically, differs from the well known distinction among translators between literal translation and free translation. There is a tendency



This practice can be dangerous. ...An expression in the receptor language may be in some instances appear entirely inappropriate to the context.

However, (Munday, J. 2001) believes that:

Although some scholars argue that these terms have been misinterpreted, Jerome's statement is now taken to refer to what came to be known as "literal" (word for word) and "free" (sense for sense) translation. Jerome denies word for word translation because following such approach will produce unacceptable grammatical structures.

Furthermore, (Darwish, 2007), also sees that the flexibility and simplicity of the Arabic style of news reports today is caused by literal translation in translating foreign news texts. Literal translation by nature, affects peculiar syntactic pattern of the TL. The transferred style from foreign languages especially from English acquired validity among Arab translators

English and Arabic belong to two different language families, their grammar are sharply different. Several grammatical features of English create variable problems of translation into Arabic. Experience shows that one of the primary mistakes committed by the student of translation is their presupposition that English grammar and Arabic grammar can translate each other in a straightforward way. (Almalki, Badra, 2011)

However, literal translation makes a forceful effect on the translation of English media texts, so Arabic translators should think how to improve the quality of their translation and how to avoid falling into produce inappropriate structures.

### **1.7.1. Criteria of Acceptability and Unacceptability**

Acceptability (acceptableness) is the quality of being acceptable, the meaning of that word or expression is generally accepted Oxford University Press (2005), whereas unacceptability is the property of being unacceptable, but before I proceed in dealing with the issue of acceptability and unacceptability I have to present the measurements which determine the acceptability and unacceptability of any English/ Arabic translation:

- 1 – Conveying the original meaning of the source text (ST henceforth).

searcher found the following studies relevant to this work. Translators should take into consideration the **acceptability** and **unacceptability** of linguistic style of the target language(TL henceforth), text type and text category and its units in order to decide a proper approach, therefore they should avoid literal translation as a main technique in translation.

According to (Aziz. 1978) as quoted in (Beaugrande et al.1992:86):

The press has played a major role in changing the Arabic language, and we not exaggerate if we say that modern Arabic is much indebted to the language of journalism for **flexibility** and **simplicity**. It is the language

which all people understand and may imitate when they write or speak. And the style of journalism has made its way throughout the whole of the Arab world.

As quoted in (Newmark .1988:68) Neubert states that there is no grammatical and syntactic correspondence between the SL and TL texts in terms of word for word translation. (James Dickins. 2002) supports Neubert in the fragment that literal translation needs replacement of some parts of speech in the ST by other parts of speech in the TT. This replacement is known as grammatical transposition as sited in (Newmark. 1988). Furthermore, (Dan Shen .1989) states that literal translation comprises the replacement of the source text words and its particular syntax system by equivalent TT words and its particular syntax system. He defines word for word translation (literalism) as “ word translation plus syntax transplantation, imposing SL’s peculiar syntax on TL words, treating TL as a syntactically unpatterned system.”

Also( Nida.1964:213) says that:

Though the misleading nature of literal correspondences should be evident to anyone engaged in translation, serious errors continue to be made because translators are not fully aware of the risk of word for word translation. ...All translators tend to make up receptor-languages constructions on the model they find in the source language.

tain occasions will create inaccurate target language structure . I believe that the more translators know about the suitable techniques of translation , the better the translation will be .

### **1.3 Statement of the Problem**

A translator sometimes fails to convey the meaning of the original text, especially when using literal translation, so the target texts will lack the linguistic properties of the original text. This problem occurs frequently when translating media English texts into Arabic as a result of the use of literalism.

### **1.4 . Hypotheses of the Study**

This study hypothesizes that an unacceptable grammatical structure of the target text(TT henceforth) emerges as a result of one or more of the following reasons:

- 1-Extensive use of literal translation.
- 2-Following the western style of writing.
- 3-Incompetence of some translators.

### **1.5. Scope of the Study**

The present study is limited to investigate grammatical errors emerging from using literal translation of English media texts into Arabic.

The data of the study consist of various texts extracted from media sources such as “Translation Monitor», which is an electronic bulletin published by Ali Darwish ([www.at-turjuman.com](http://www.at-turjuman.com)), the magazine of «Newsweek» (Dec.2008, vol. CL11.no.32), (March 2, 2009, Vol. CL111, No.9) in its Arabic version ( [www.newsweek.alwatan.com.kw](http://www.newsweek.alwatan.com.kw)), as well as other translation websites such as ([www.ebnmaryam.com](http://www.ebnmaryam.com)).

### **1.6. Methodology**

The researcher will adopt the following two procedures:

- 1 – Discussing of the theoretical aspects which are relevant to the study.
- 2 – Discussing and analyzing examples of grammatical errors resulting from adopting literal translation to translate English media texts into Arabic.

### **1.7. Literature Review**

Having consulted the available English and Arabic literature, the re-

## 1 – Introduction

Translation is a very complicated process since it deals with two linguistic systems. To come over the complexity of translation, we need to understand better the requirements for good translation, particularly, language competence which is very essential in translation process. So the more competent the translator is, the more s/he is able to produce successful translation .

Various approaches of translation have been produced by translators. One of these is literal translation that may not convey the exact meaning of the original text. Literal translation causes change of the grammatical structures of the target language(i.e.) applying literal translation in certain occasions may produce strange constructions, so such method should be avoided when translating English media texts into Arabic, and there are many other suitable techniques (free translation, modulation, borrowing, transposition, reformulation, adaptation, ..etc) can be used according to the context and with what is in line with Arabic grammar system(source language, SL henceforth) . and that is partially because the translator might get influenced by the style of the original language. On the other hand, when the translator wishes to simplify a complicated linguistic style of the target language s/he may convey inaccurate meaning.

In this study the researcher wishes to analyze and discuss grammatical errors arising from using literal translation of English media texts into Arabic. The illustrations in this study will be taken from media sources such as “Translation Monitor”, which is an electronic bulletin published by Ali Darwish ([www.at-turjuman.com](http://www.at-turjuman.com)), the magazine “Newsweek” (Dec.2008. Vol.CL11. No.23), (March 2. 2009. Vol. CL111. No.9) with its Arabic version([www.newsweek.alwatan.com.kw](http://www.newsweek.alwatan.com.kw)), as well as other translation websites ([www.ebnmaryam.com](http://www.ebnmaryam.com)).

### 1.1. Aims of the Study

This study aims to analyze and discuss the grammatical errors in media texts resulting from literal translation from English into Arabic in order to avoid unacceptable grammatical structures in translation.

### 1.2. significance of the study

This study is significant because it sheds light on one of the problems (grammatical errors) emerging from using literal translation when translating English media texts into Arabic . The study will argue that using such technique in cer-

## تحليل الأخطاء النحوية الناتجة عن حرفية ترجمة النصوص الصحفية الإنجليزية إلى العربية

د. عبدالمجيد إمام المقطف \*

### ملخص البحث

بما أن تحقيق التكافؤ بين اللغة المترجمة منها، واللغة المترجم إليها هو الهدف الرئيس لدى المترجم، وحيث أن هذا التكافؤ لا يتم إلا بنقل المعنى كاملاً، والذي لا يتحقق إلا بنقل وترجمة المفردات، والجمل، والأساليب بطريقة صحيحة، فقد عنيت هذه الدراسة بالأخطاء القواعدية الشائعة في تراجم النصوص الصحفية من الإنجليزية إلى العربية، وهي محاولة لتسليط الضوء على أحد المشاكل اللغوية التي يواجهها المترجمون في مجالهم، إن ظهور مثل هذه الأخطاء تسبب في انتشار استعمال تركيبات شاذة، وخاطئة في النصوص الصحفية، وغير الصحفية المترجمة منها، وغير المترجمة بل وأصبح البعض يزعم بصحتها، ولقد نوقش في هذا البحث الكثير من الأمثلة لهذه الأخطاء، وكذلك أرفقت بحلول مناسبة اعتماداً على القواعد اللغوية الصحيحة، ولقد أعتمد هذا البحث على أمثلة ومعلومات من مصادر صحفية مثل المنشورات الإلكترونية، وكذلك الصحف العالمية، وتراجمها المعتمدة، وكذلك بعض المواقع الإلكترونية، وفي الختام أفضى هذا البحث إلى أن الحرفية في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية تسبب مشاكل لغوية لا سيما القواعدية منها، ولذا فإنه من المهم تجنبها خصوصاً عند ترجمة النصوص الصحفية حتى يصل المترجم إلى تحقيق التكافؤ بين اللغتين، وحتى لا تشوه اللغة المترجم إليها.

# Analysing Grammatical Errors Arising From Using Literal Translation of English Media Texts into Arabic

---

Prepared by Abdulmajeed M. Almoqataf\*

---

## Abstract

There is no doubt that achieving translation equivalence is the main goal of the translator. This cannot be achieved without conveying the meaning intended by the writer which needs rendering words and structures correctly. Thus, this present study is devoted to investigate the grammatical errors emerging from translating media texts from English into Arabic. It is an attempt to shed light on one of the linguistic problems encountered by translators. The researcher tries to discuss some errors resulting from literal translation particularly in using the western style. These errors caused the emergence of deviant structures in the Arabic texts. Various examples have been discussed and different solutions are suggested for them. This research is based largely on data collected from media sources such as 'Translation Monitor', an electronic bulletin published by Ali Darwish, 'Newsweek magazine', both the English and Arabic versions as well as other translation websites. This data have been analyzed and discussed to explain the grammatical inaccuracies in their English/Arabic translation. Finally, it can be concluded that there are some errors related to literal translation, so literalism should be avoided especially when translating media texts.

---

(\*)(\*)Elsaba Arts Faculty/ University of Aljabal Algharbi

- Ning, L., Sioutas, C., Cho, A., Schmitz, D., Misra, C., Sempf, J., Wang, M., Oberley, T., Froines, J., Nel, A. (2003): Ultrafine particulate pollutants induce oxidative stress and mitochondrial damage. *Environmental Health and Perspective* 111: 455–460.
- Saradhi, A. Saradhi, P.P. (1991): Proline accumulation under heavy metal stress. *Journal of Plant Physiology* 138: 554–558.
- Schobert, B. Tschesche, H. (1978): Unusual solution properties of proline and its interactions with proteins. *Biochem. Biophys. Acta.* 541: 270–277.
- Sharma, S.S., Schat, H., Vooijs, R., (1998): In vitro alleviation of heavy metal induced enzyme inhibition by proline. *Phytochemistry* 46: 1531–1535.
- Watmough, S.A., Dickinson, N.M. (1995): Dispersal and mobility of heavy metals in relation to tree survival in an aeri ally contaminated woodland soil. *Environmental Pollution* 90:135– 142.
- Werner, J.E. Finkelstein, R.R. (1995): Arabidopsis mutants with reduced response to NaCl and osmotic stress. *Physiologia Plantarum* 93: 659–666.

**Table 8. Contents of proline ( $\mu\text{g/g}$ ) in leaves of *Salix* spp. clones (LSD - 6.595)**

Clone/treatment	Control	Cd+Ni+Zn	Diesel	Cd+Ni+Zn+ Diesel
V1	ab 5.27	a 10.63	ab 5.50	ab 8.02
V2	b 3.86	ab 6.05	ab 5.12	ab 5.17

\*The average values followed by the same letter, do not differ significantly at level  $p < 0.05$

### References

- Alia, P. (1991): Proline accumulation under heavy metal stress. *Journal of Plant Physiology* 138: 554-558.
- Alia, P., Mohanty, P. (1993): Proline in relation to free radical production in seedlings of *Brassica juncea* raised under sodium chloride stress. *Plant and Soil* 155/156: 497-500.
- Bates L.S. (1973): Rapid determination of free proline for water stress studies. *Plant and Soil* 39: 205-207.
- Boyer, J.S. (1982): Plant productivity and environment. *Science* 218: 443-448.
- Delauney, A.J. Verma, D.P.S. (1993): Proline biosynthesis and osmoregulation in plants. *Plant Journal* 4: 215-223.
- Handa, S., Handa, A.K., Hasegawa, P.M. and Bressan, R.A. (1986): Proline accumulation and the adaptation of cultured plant cells to water stress. *Plant Physiology* 80: 938-945.
- Kagawa J. (2002): Health effects of diesel exhaust emissions—a mixture of air pollutants of worldwide concern. *Toxicology* 181-182: 349-353.
- Kastori, R., Petrović, N., Petrović, M. (1996): Effect of lead on water relations, proline concentration and nitrate reductase activity in sunflower plants, *Acta Agronomica Academiae Scientiarum Hungaricae* 44(I): 21-28.
- Larbi, A., Morales, F., Abadia, A., Gogorcena, Y., Lucena, J.J., Abadia, J. (2002): effects of Cd and Pb in sugar beet plants grown in nutrient solution: induced Fe deficiency and growth inhibition. *Funct. Plant Biology* 29: 1453-1464.
- Li, Q-Y., Liu, H-F., Tian, Z-L., Zhu, L-H., Wu, Y-H., Tang, H-Q. (2008): Diesel pollution biodegradation: Synergetic effect of *Mycobacterium* and filamentous Fungi. *Biomedical and Environmental Sciences* 21: 181-187.



at level  $p < 0.05$

### Field experiment

In the field leaves of poplar B229 clone (Table 7) the highest concentration of proline in content and Cd + Ni + Zn as compared with other treatment and genotypes (Table 7). Since only the root zone in diameter of 30 cm was treated with heavy metals it is possible that the root growth was stimulated until root tips reached the unpolluted zone, and therefore were not in contact with applied heavy metals. However, presence of diesel fuel (individual and combined with heavy metals) significantly decreased the proline content in leaves of genotype B229 suggesting that the proline synthesis was inhibited by this organic pollutant. Also, proline synthesis is not induced as a defense mechanism, indicating that nature and mechanism of stress caused by diesel fuel is different to that caused by heavy metals.

**Table 7. Contents of proline ( $\mu\text{g/g}$ ) in leaves of *Populus* spp. clones (LSD - 5.046)**

Clone/treatment	Control	Cd+Ni+Zn	Diesel	Cd+Ni+Zn+ Diesel
<b>Panonia</b>	c 11.58	c 9.63	c 7.74	c 7.89
<b>PD 3</b>	c 10.64	c 12.21	c 10.40	c 11.01
<b>B 229</b>	a 40.93	a 41.76	b 25.02	b 29.90

\*The average values followed by the same letter, do not differ significantly at level  $p < 0.05$

In leaves of Willow genotypes no significant changes in proline content was determined (Table 8). The possibility that the root growth was stimulated towards the unpolluted zones. This characteristic of root is already established by Pulford and Watson (2003), who determined that roots of *Salix* species can avoid polluted areas in soil, thus stimulating the root growth. Therefore, it is possible that because Willows and Poplars have extensive roots, investigated plants of Poplars and willows “avoided” the pollution which is an adaptive characteristic of woody species (Watmough i Dickinson, 1995). The use of these species as bioindicators or bioremediators is limited if the pollution is present.

\*The average values followed by the same letter, do not differ significantly at level  $p < 0.05$

The effect Ni in proline content in leaves of willow clones was the highest value (Table 5). as compared with V1 clone V2 and others treatment (Table 5) in both willow clones and similar results were found by combined treatment of heavy metals.

**Table 5. Contents of proline ( $\mu\text{g/g}$ ) in leaves of *Salix* spp. clones (LSD - 4.23)**

Clone/treatment	Control	Pb-EDTA	Cd	Ni	Pb-EDTA+Cd+Ni
V1	d 11.55	f 3.01	b 18.15	bc 16.33	bc 16.72
V2	d 10.43	d 10.70	bc 16.12	a 29.48	cd 12.78

\*The average values followed by the same letter, do not differ significantly at level  $p < 0.05$

In roots proline content was the highest values in both genotypes under Cd treatment as compared with other treatments (Table 6)

Proline accumulation under heavy metal stress has also been reported earlier in some higher plants (Alia, 1991; Alia and Mohanty 1993). If the concentration of heavy metals is too high, it can suppress metabolic processes including proline formation.

The treatment of Pb-EDTA did not have any influence on proline accumulation (Table 6).

**Table 6. Contents of proline ( $\mu\text{g/g}$ ) in roots of *Salix* spp. clones (LSD - 7.994)**

Clone/treatment	Control	Pb-EDTA	Cd	Ni	Pb-EDTA+Cd+Ni
V1	bc 11.29	c 8.51	a 30.17	c 7.53	a 25.70
V2	c 8.05	c 5.84	a 27.55	b 16.82	bc 11.99

\*The average values followed by the same letter, do not differ significantly



**Fig 4. Plant exposed to Pb-EDTA**

Content of proline in leaves of investigated clones of *Populus spp.* varied mostly without significant differences between treatments (Table 4). Ni had the highest effect of proline synthesis compared to control in clone Panonia. Combination of all three heavy metals decreased the content of proline compared to Ni which could indicate to protective role of EDTA added in the soil. Similar results were attained by Larbi et al. (2002) in sugar beet plants, proving to protective role of EDTA, which chelates the heavy metal thus decreasing its reactive potential.

**Table 4. Contents of proline ( $\mu\text{g/g}$ ) in leaves of *Populus spp.* clones (LSD - 6.734)**

Clone/treatment	Control	Pb-EDTA	Cd	Ni	Pb-EDTA+Cd+Ni
<b>Panonia</b>	cdef 9.40	ef 8.08	13.78 abcde	a 20.03	bcdef 10.03
<b>PD 3</b>	bcdef 11.30	ef 8.72	10.19 bcdef	13.62 abcdef	abcdef 12.90
<b>B 81</b>	abcdef 13.27	16.53 abcd	def 9.08	a 19.93	abcde 13.76
<b>B 229</b>	abc 17.02	ab 17.50	10.96 bcdef	13.40 abcdef	bcdef 11.86

Amounts of heavy metals and diesel fuel that were added in soil per each plant are displayed at Table 3.

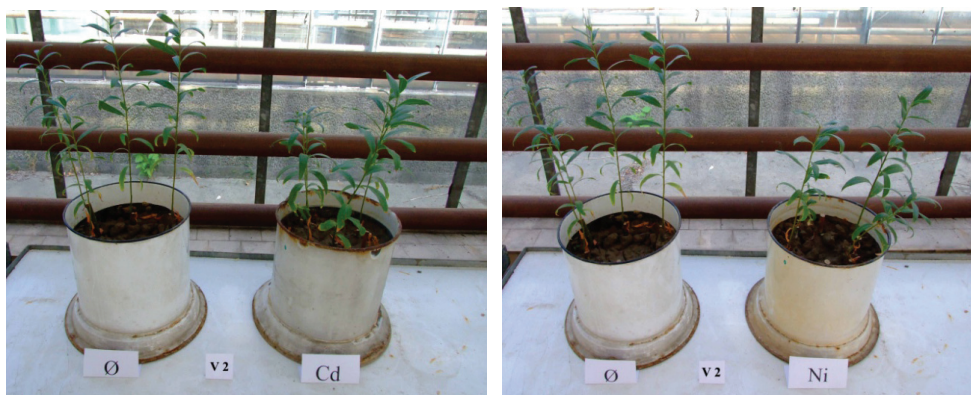
**Table 3. Treatments and amounts of pollutants added per each plant**

Soil treatments	Amount of pollutant added to soil			
	Cd	Ni	Zn	Diesel
Cd+Ni+Zn		mg 500	mg 2000	-
Diesel	-	-	-	g 25
Cd+Ni+Zn+Diesel	mg 25	mg 500	mg 2000	g 25

Statistical analyses were conducted using Duncan's Multiple Range Test, at the level of significance  $p < 0.05$ , using 2-way factor analyses

### Results and Discussion

In (Fig3 and Fig4) plants growth with Cd and Ni was visibly suppressed as compared to control. Reduced growth was in later stages of the experiment followed by appearance of chlorosis on the young leaves. But Plant growth with Pb-EDTA did not caused any visible symptoms of heavy metal toxicity (Fig 4).



**Fig 3. Comparison between control Willow plants (Clone V2) and plants treated with Cd and Ni. Reduced growth of plants treated with Cd and Ni**

**Table 2. Content of heavy metals in soil treatments in a glasshouse**

Soil treatments	(Heavy metal content (mg/kg		
	Pb	Cd	Ni
Control	26.57	0.35	29.41
Pb-EDTA	188.5	0.36	30.02
Cd	27.20	1.05	28.28
Ni	27.41	0.30	112.1
Pb-EDTA+Cd+Ni	191.8	0.76	96.61
Max. allowed concentration in Soil according to Serbian law	100	3	50

### **In the Field experiment**

Woody cuttings of Poplar and Willow genotypes were planted at the beginning of april 2009<sup>th</sup>, in the soil which did not contained any additional pollutants. After 6 weeks, plants were treated with 3 types of pollution: ( Cd+Ni+Zn , Diesel fuel and Cd+Ni+Zn + Diesel fuel) . The chemical forms of added metals were, Cd supplied as CdCl<sub>2</sub>·H<sub>2</sub>O, Ni supplied as NiSO<sub>4</sub>·1 H<sub>2</sub>O and Zn (supplied as ZnSO<sub>4</sub> 7H<sub>2</sub>O. All pollutants were applied in the root zone, approximately in 30 cm diameter around the plant shoot.



**Figure 2. Poplars on field experiment**



### Glasshouse experiment

Plants were grown in a semi-controlled environment (greenhouse), in soil culture method (Figure 1). Temperature was kept under 30°C. Illumination was natural depending on the outside light conditions. Six woody cuttings, 20 cm long, with one shoot per cutting, were grown in each of the Mitscherlich pots. Each treatment consisted of 24 Poplar and 36 Willow cuttings. Pot distribution was randomized. Soil was watered permanently to maintain optimal soil humidity. Every four weeks 0.2 l of full strength Hoagland solution was added to pots.

There were control group of plants and 4 treatments of pollution: Pb, Cd, Ni and combination Pb+Cd+Ni. The metals which were used are Cd (supplied as  $\text{CdCl}_2 \cdot \text{H}_2\text{O}$ ), Ni (supplied as  $\text{NiSO}_4 \cdot 1 \text{H}_2\text{O}$ ) and Pb (supplied as Pb-EDTA). Concentrations of pollutants in soil samples are given at Table 2. Plants were collected for proline



Figure 1. Glasshouse experiment

contamination. In several countries, poplar and willow resources are principally used for environmental purposes, including soil and water protection, providing valuable services rather than forest products. With increased public awareness of environmental policy issues such as air and water pollution, global climate change and soil erosion, several countries have been developing new knowledge, technologies and techniques for the cultivation of poplars and Willows for environmental uses.

Poplars and willows are able to absorb nitrogen arising from intensive livestock farming. The hypothesis of this research is that the content of proline is expected to rise under heavy metal stress and diesel fuel.

### **Materials and methods**

The experimental material consisted of four poplar and two willow genotypes (Table 1). These genotypes were obtained from the Institute for Lowland Forestry and Environmental Protection, Novi Sad, Serbia. Genotypes chosen for screening are result of long period selection of genes that cause high biomass production.

**Table 1. Poplars and willows used in the experiment**

No	Species	Working name
1	<i>Populus x euramericana</i>	Panonia
2	<i>Populus deltoides</i>	PD 3
3	<i>Populus deltoides</i>	B 81
4	<i>Populus deltoides</i>	B 229
5	<i>Salix alba</i>	V 1
6	<i>Salix alba</i>	V 2

Plants were conducted in two separate experiments during 2009. First was set at the greenhouse temperature was 30°C and second was set at the field area

The content of free proline was determined spectrophotometrically as ninyhydrin complex extracted in toluene by the method of Bates et al. (1973)

## **Proline synthesis in plants exposed to heavy metal and diesel fuel pollution**

Proline is a dominant organic molecule that accumulates in many organisms, including higher plants, eubacteria, marine invertebrates, protozoa and algae, exposed to environmental stresses such as drought, high salinity, high temperature, freezing, UV radiation and heavy metals (Delauney and Verma, 1993; Kuznetsov and Shevyakova, 1997; Saradhi et al., 1995; Yancey et al., 1982).

The accumulation of proline in plants may also be induced by heavy metals. In addition, proline accumulation is not only regarded as an indicator of environmental stress but also considered as an important protective role against heavy metal stress (Alia-Saradhi, 1991; Sharma et al., 1998). The free proline has been found to chelate heavy metal ions in plants and form a nontoxic metal-proline complexes (Sharma et al., 1998). The cumulative capacity of free proline is a manifestation of the self-protection ability of plants exposed to different metal stresses.

In particular, many studies in plants have focused on the roles of proline in defense mechanisms against impairments caused by osmotic stress. Osmotic stress is the most limiting parameter for plant growth and crop yield (Boyer, 1982). Under osmotic stress conditions, proline acts as a mediator of osmotic adjustment (Handa et al., 1986), as a stabilizer of subcellular structures (Schobert and Tschesche, 1978), as a scavenger of free radicals (Saradhi et al., 1995; Smirnoff and Cumbes, 1989), as a sink for energy (Saradhi and Saradhi, 1991), and even as a stress-related signal (Werner and Finkelstein, 1995).

### **Use of Poplars and Willows in phytoremediation**

The decontamination of soils and wastes polluted with heavy metals presents one of the most intractable problems for soil clean-up. Present technology relies upon metal extraction or immobilization processes, both of which are expensive and which remove all biological activity in the soil during de-



## 1-Introduction

Heavy metals are elements with atom density larger than  $5 \text{ g/cm}^3$ . Some are necessary in small amounts, for optimal growth and development, (Ni, Co, Zn, Mn, Fe, Cu, Mo) but other heavy toxic effects even at very low concentration, so they are defined as pollutants. During evolution plants did not develop highly selective ion uptake mechanisms. Therefore, together with essential nutrients, plants uptake toxic heavy metals. This way these pollutants enter the biological circulation of matter (Kastori et al., 1996). The greatest threat in heavy metal pollution comes from human civilization.

Modern sources of heavy metal pollution are mainly connected with numerous anthropogenic activities such as industrial wastes, vehicle fuel combustion, mining activity, application of agriculture chemical fertilizers, herbicides and pesticides, military activities etc.

Diesel fuel is part of the large group of organic pollutants. Numerous threats to human health and ecological balance are increasing today, as a consequence of diesel fuel combustion and spills into the environment. Diesel oil is a complex mixture of petroleum hydrocarbons containing everything from volatile. The combustion of fossil fuels, mainly derived by motor vehicle emissions, produces a number of airborne unhealthy substances including carbon monoxide, nitrogen oxides, benzene, sulfur dioxides and particulate matter (PM) (Kagawa, 2002).

The environmental contamination with petroleum hydrocarbons due to industrial wastes and oil spill accidents is widespread. Diesel oil is one of the major contaminants of soil and groundwater (Li et al., 2008). The main toxic effect of diesel fuel comes from Polycyclic Aromatic Hydrocarbons (PAHs) which are released in the environment by incomplete diesel fuel combustion. Some of these PAH compounds have been shown to exhibit carcinogenic and mutagenic properties (Ning et al., 2003; Huang et al., 2007).

## تراكم البرولين في التراكيب الوراثية للصفصاف والحور تحت ضغط بعض المعادن الثقيلة وقود الديزل

د. أحمد فرج التومي\*

### ملخص

عُرِضت التراكيب الوراثية للحور والصفصاف لتركيزات مرتفعة من الكادميوم، الرصاص - مادة مخرلية، الزنك ووقود الديزل، بشكل فردي وجماعي. تم تعيين تجربتين: الأولى في الدفئة، والثانية في الحقل. تم تحليل محتوى البرولين إتماداً على العلاجات التطبيقية والأنماط الجينية. كان تركيز تخليق البرولين كرد فعل تكيفي للإجهاد السام أعلى عند معاملات النيكل والكادميوم. بينما كان لإضافة المادة المخرلية تأثيراً وقائي وتحميد لسمية أيونات المعادن. في مراحل لاحقة عمل وقود الديزل على تثبيط تخليق البروتين. إن الانماط الجينية التي تم التحقيق فيها تحد من إمكانية تطبيقها على المناطق التي يوجد فيها تلوث في الطبقة السطحية من التربة. تراكم البرولين ليس مؤشراً موثقاً من الإجهاد الناجم عن المعادن الثقيلة والتلوث بوقود الديزل.

# **Accumulation of proline in Willow and Poplar genotypes under some heavy metals stress and diesel fuel**

---

D . Ahmed Farag Tumi\*

---

## **Abstract:**

Poplar and Willows genotypes were exposed to elevated concentrations of Cd, Ni, Pb-EDTA, Zn and diesel fuel, individually and combined. Two experiments were set: first in greenhouse , and second in the field of the growth garden. Content of proline was analysed depending on the applied treatments and genotypes. Concentration of proline synthesis as adaptive reaction to toxic stress was highest at treatments of Ni and Cd. Addition of EDTA had protective effect, neutralizing toxicity of metal ions. At later stages diesel fuel inhibited proline synthesis. Investigated genotypes have limiting potential of application on areas with pollution located in the surface zone. Proline accumulation is not a reliable indicator of stress caused by heavy metals and diesel fuel pollution.

---

(\*Elsaba Sciences Faculty/ University of Aljabal Algharbi

---

**Contents**

**Pag N.O**

**Accumulation of proline in Willow and Poplar genotypes under some heavy metals stress and diesel fuel**

■ D . Ahmed Farag Tumi

**1**

---

**Analysing Grammatical Errors Arising From Using Literal Translation of English Media Texts into Arabic**

■ Abdulmajeed M. Almoqataf

**14**

---

**To Contact Us :**

**Jabal Nafousa Association For Development Alassaba / Al – Jabal Al – Garbi**

**Telephone** :00218918412998 - 00218918130211- 00218926459217  
-00218926251156

**Email:** sadaalmarifa@Gmail.com

**Fax:** 00218244562333

All rights are reserved  
to Jabal Nafouse Association for Development / 2017

Opinions that are published in this journal express only it's owners opinions, and don't express the point of view of editing board or the association.

# SADA AL-MARIFA JOURNAL

A biannual, referred academic journal  
Concerns with the Publishing of Research  
Human and Applied Studies.

## ■ General Supervisor

Dr. Taher Ahmed Al-Korry

## ■ Editor-In-Chief

Dr. Osama Juma AL-Ejmy

## ■ Director

Dr. Jamal Hasan EL-daek

## Board of Editing

- |                                 |        |
|---------------------------------|--------|
| ● Dr. Ayyad Mreeheel Rashed     | Member |
| ● Dr. khlaed Abdulsslam Khlifia | Member |
| ● Dr. Ibrahim Mohamed Alsager   | Member |
| ● Dr. Tareq juma Al-Tomy        | Member |

The design and implementation:  
**Al-Qabas Technical Services**